يوميات خليل السكاكيني

يوميات • رسائل • تأملات

الكتاب الثالث

اختبار الانتداب وأسئلة الهوية

١٩١٩ - ١٩٢٢

تحرير: أكرم مسلّم

مركز خليل السكاكيني الثقافي

مؤسسة الدراسات المقدسية

تم نشر هذا الكتاب بدعم سخي من

This book was published through a generous contribution from the

مؤسسة عبد المحسن القطان

A. M. Qattan Foundation

مؤسسة الأمير كلاوس

Prince Claus Fund for Culture and Development

The Netherlands

C

Fonds

مؤسسة فورد

Ford Foundation

و

وزارة الثقافة الفلسطينية

يوميّات
خليل السكاكيني

يوميّات، رسائل وتأمُّلات

الكتاب الثالث

«اختبار» الانتداب وأسئلة الهوية
١٩١٩ - ١٩٢٢

تحرير: أكرم مسلّم

رام الله
٢٠٠٤

يوميات خليل السكاكيني
الكتاب الثالث: «اختبار» الانتداب وأسئلة الهوية ١٩١٩ - ١٩٢٢
تحرير : اكرم مسلم
تدقيق لغوي: منذر عامر
تقديم وتعقيب: عادل مناع
الباحث: جابر عزام

الناشر:
مركز خليل السكاكيني الثقافي
مؤسسة الدراسات المقدسية
رام الله - ٢٠٠٤
© جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو استنساخه بأي شكل دون إذن رسمي من الناشر

هيئة التحرير للمجلدات الكاملة :
عادل مناع، عادلة العايدي، عصام نصار، سليم تماري، وتانيا ناصر
تصميم الغلاف : لينا صبح، باليترا
طباعة وتنضيد : مؤسسة الأيام - رام الله

The Diaries of Khalil Sakakini
Volume Three: Testing Mandate and Identity Questions 1919 - 1922
Akram Musallam, Editor
© Published by Khalil Sakakini Cultural Centre, Ramallah, and
The Institute of Jerusalem Studies, Jerusalem 2004
ISBN 0-88728-294-6

المحتويات

مقدمة

نضال السكاكيني في العهد العثماني يوسف أيوب حداد ٩

الفصل الأول :

اختبار الإنتداب، أسئلة الهوية ٣٣

الفصل الثاني :

البحث عن دور مختلف ١٤٩

الفصل الثالث :

عامان في مصر ٢٢٩

الفهرست ٢٦٩

قائمة بمحتويات الصور

السكاكيني مع عدد من أصدقائه العام ١٩٢٠ ——— ٣٩

سري يتوسط والديه في صورة تعود للعام ١٩١٩ . ——— ٨٧

الحاج امين الحسيني في استقبال وفد الخليل الى موسم النبي موسى ——— ١٢٩

سري في الخامسة ——— ١٦٥

سري العام ١٩٢٠ ——— ٢١١

أم خليل السكاكيني ——— ٢٣٥

البيت في مصر ——— ٢٤٧

سري العام ١٩٢٢ ——— ٢٥٣

السكاكيني مع هالة ودمية . ——— ٢٦٧

بمثابة مقدمة

نضال السكاكيني السياسي في العهد البريطاني*

خلفية:

دفع التعاطف التركي المتزايد مع الحركة الصهيونية منذ تسلم الاتحاديون السلطة الحركة الوطنية العربية الى النفور من الاتراك، وزاد في ابتعاد العرب عنهم المركزية الصارمة التي اتبعها حكام الاستانة اضافة الى عملية التتريك الهادفة الى طمس الشخصية العربية. ولقد نتج عن ذلك تلاقي شريف مكة مع قادة جمعيتي «العهد» و«الفتاة» في دمشق حول الثورة ضد الاتراك، والتحالف مع بريطانيا بغية تحقيق الاستقلال. ودارت مراسلات بين الشريف حسين ومكماهون المعتمد البريطاني في القاهرة تمخضت عن اتفاقية حسين - مكماهون المشهورة عام ١٩١٦، وتبع هذه الاتفاقية تفاهم بريطاني فرنسي روسي اتسم بالسرية التامة وتضمن اقتسام تركة «الرجل المريض»، وقد عرف هذا التفاهم باتفاقية سايكس-بيكو. وهي مناقضة كليا لاتفاقية حسين-مكماهون. وتبع هذه الاتفاقية في العام التالي وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧ وهذا بدوره مخالف للاتفاقيتين السابقتين. ولم يكن التوضيح البريطاني للشريف حسين حين علم بالاتفاقية السرية وبالوعد الا خداعا وتضليلا من باب ذر الرماد في العيون ليستمر في الثورة ضد الاتراك، حتى اذا ما كتب النصر للحلفاء الذي كان للثورة العربية دور طليعي فيه ظهر للملأ ان التوضيح البريطاني في طمأنة الشريف كان نفاقا، وان اتفاقية سايكس-بيكو ووعد بلفور هما حقيقتان ثابتتان. ففي الثاني من تشرين الثاني عام ١٩١٨ أعلن الجنرال اللنبي ان ادارة البلاد المحتلة ستحكم بموجب اتفاقية سايكس-بيكو، وفي الخامس من أيار عام ١٩٢٠ أقر مؤتمر

---

*هذا جزء من فصل في كتاب «خليل السكاكيني: حياته مواقفه وآثاره» لمؤلفه يوسف ايوب حداد (الناصرة ١٩٨٥)، تم اختياره كمقدمة لهذا الكتاب من يوميات السكاكيني، كونه يعطي اضاءة على حياة السكاكيني في هذه المرحلة فيما يشبه عرضا تاريخيا ويعطي إشارات حول فترة لا تغطيها اليوميات تمتد من العام ١٩٢٢ - ١٩٣١، اقتبسها المؤلف من صحف ومجلات صدرت في تلك الفترة، ما يشكل اضافات مهمة حول مواقف السكاكيني من الانتداب والصهيونية.

سان ريمو مبدأ الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان، والبريطاني على فلسطين والعراق، ومع قيام عصبة الامم المتحدة أصبح الانتداب بنداً من ميثاقها، كما أصبح وعد بلفور مادة من صك الانتداب البريطاني على فلسطين.

هكذا وبكل بساطة ضربت بريطانيا بعرض الحائط بكل التزاماتها نحو الشريف ونحو التضحيات الجسام التي قدمتها الثورة العربية في مجابهة الاتراك، فبدل الاستقلال كان الانتداب، وكان العمل الجدي البريطاني لاقتلاع الشعب الفلسطيني وخلق اسرائيل. اما اساليب هذا العمل فقد تنوعت لتحقيق الهدف. فمن فتح باب الهجرة، الى تسهيل انتقال الاراضي، الى اشتراع القوانين الجائرة، الى مضايقة الفلاح الفلسطيني، الى قمع الانتفاضات والثورات الفلسطينية المتلاحقة والاستعانة بالانظمة العربية الدائرة في الفلك البريطاني لتضييق الخناق والالتفاف على عنق كل تحرك، الى محاباة الحركة الصهيونية ومساعدتها في تأسيس الوكالة اليهودية لتشرف على كل شؤون اليهود في فلسطين فتصبح دولة ضمن دولة، الى تسليح كتائب يهودية والاشراف على دعمها وتدريبها، الى احتضان وجهاء المدن وتأمين مصالحهم الشخصية لفصلهم عن القاعدة الشعبية العريضة وعدم تجاوبهم معها الا مكرهين، كل ذلك وغيره من الاساليب القذرة التي لجأت اليها حكومة صاحب الجلالة البريطانية في سبيل خلق وتثبيت الكيان العنصري الصهيوني على أشلاء الشعب الفلسطيني ليصبح هذا الكيان امتداداً سرطانيا للغرب في الجسم العربي يشله ويضعفه ويعيق أمانيه في الوحدة والحرية والتقدم.

نضال السكاكيني ومواقفه من بريطانيا والصهيونية

خاض السكاكيني معركة النضال الوطني ضد اعداء شعبه في ميادين مختلفة، كان ابرزها دوره في التوجيه الوطني من خلال عمله في التدريس والتفتيش التربوي، كما كان له دور مميز في المقالات الصحافية وفي الخطب العديدة في شتى المناسبات بالاضافة الى مشاركته في النشاطات السياسية للحركة الوطنية الفلسطينية، ولقد تميزت حياته السياسية بالمواقف المبدئية التي لم يحد قيد انملة عنها في حين كان الآخرون يعفرون الجباه على اعتاب سلطة الانتداب الذي فرض على وطنه كما فرض على سواه بحجة عدم المقدرة على ممارسة الاستقلال والحاجة الملحة الى اوصياء، بينما الحقيقة غير ذلك، وهذا ما دفعه الى القول: «أني أفضل ان نكون مستقلين ندبر أنفسنا بأنفسنا ولو ارتكبنا كل يوم مئات من الاغلاط. تقول جمعية الامم المتحدة لا تستطيعون ان تحكموا انفسكم بأنفسكم ولا بد لكم ان تنتدبوا احدى الدول العظمى لتدربكم على الاستقلال. اذا لم نتعلم الاستقلال بأنفسنا فلا يعلمنا اياه أحد. بل ذلك المعلم الصالح اذا دخل بلادنا فلا يخرج منها إلا مكرها» [1].

ومن ناحية ثانية كان يرى ضرورة التهيؤ لممارسة الاستقلال اذا تم تحقيق ذلك واستبعد أمر الانتداب، اما اذا لم يتحقق الاستقلال فيجب درس امر الدولة التي سيوكل اليها أمر الانتداب، واملاء الشروط الضرورية عليها، واستطلاع خطها السياسي، وتقرير نهج التعامل معها لا سيما ان مؤتمر الصلح المنعقد في باريس العام ١٩١٩ قد أباح الهجرة لليهود فبات من المحتم اتخاذ الوسائل الكفيلة بدفع هذا الخطر [٢].

لقد رأى ان تنفيذ اتفاقية سايكس- بيكو يعني التجزئة، وهذه تقود الى الضعف والتفكك اذ «مهما بلغنا من الانحطاط، ومهما اختلفنا في الاخلاق والاذواق والعادات فان تلافي ذلك ميسور اذا اتحدنا، ولكن اذا تجزأت بلادنا وأصبحت كل قطعة من بلادنا في يد دولة فاننا لا نلبث ان نصبح أمما مختلفة لا تزيدنا الايام الا اختلافا. لا نستطيع ان يكون لنا وجود قومي الا اذا بقيت بلادنا لنا من أقصاها الى أقصاها وجمعتنا الوحدة العربية. لا يحترم احد جانبنا الا اذا ألفنا وحدة كبيرة. بلادنا واسعة حسنة الموقع كثيرة الشطوط، وافرة الخيرات عظيمة الاهمية وعددنا كثير، وفينا قابلية ان نتعلم ونترقى واذا وجدنا التعليم، وبثثنا روحا عالية في النفوس كنا أمة عظيمة حرية أن يخطب ودها او يخشى جانبها» [٣].

ان التجزئة في مفهومه هي السبيل المؤدي الى تحقيق احلام الصهيونيين في فلسطين اضافة الى ترسيخ القطرية بين أبناء الشعب الواحد، والانتداب البريطاني عنده يعني تحقيق وعد بلفور، وهذا مرفوض قطعا كما هي مرفوضة تطلعات فرنسا في الانتداب الذي يكرس التجزئة، فانتداب اميركا التي كانت آنذاك غير مصابة بالجشع الاستعماري هو الافضل، هذا ما خاطب به الجنرال ستورس اثناء زيارته له، اذ قال بوضوح «لست أكتمك أن الرأي العام في البلاد يكاد يجمع على انتداب اميركا لانهم رأوا ان انكلترا هي التي وعدت اليهود باعطائهم فلسطين كوطن قومي لهم. ثم رأوا من صنع الانكليز في البلاد انهم يشجعون الحركة الصهيونية. فاذا انتدبت انكلترا للوكالة على سوريا وفلسطين عملت على تحقيق اماني الصهيونيين، هذا من جهة، ثم اذا اخذت انكلترا فلسطين تشبث الفرنساويون بأخذ سوريا، وهذا لا يوافقنا لاننا لا نريد ان نتجزأ، ويتولى كل جزء من بلادنا دولة. بل اذا لم يكن بد من الانتداب فنحب ان تكون البلاد في عهدة دولة واحدة حرصا على وحدتنا. ولأن انكلترا وفرنسا تتنازعان النفوذ على بلادنا فاننا مضطرون ان نختار اميركا. الأمة التي تخلصنا من الصهيونية وتخلصنا من التجزئة آثرناها على غيرها»[٤].

لقد كانت التجزئة هاجسه الأكبر كما كانت الصهيونية كذلك وكان يرى ان الوحدة السورية تسد الطريق امام المطامع الصهيونية، ففي الاجتماع التحضيري الذي عقد في القدس في الثاني عشر من نيسان عام ١٩١٩ والذي شارك فيه مع قادة الرأي في فلسطين لتدارس أمر زيارة لجنة كنغ كراين المزمعة تقرر في هذا الاجتماع:

١- ان تكون سوريا التي تمتد من جبال طورس شمالاً الى ترعة السويس جنوبا مستقلة استقلالا تاما ضمن الوحدة العربية.

٢- ان تكون فلسطين التي هي جزء لا ينفك عن سوريا منطقة مستقلة داخليا تختار حكامها من الوطنيين بنفسها حسب رغائب أهلها وحاجات البلاد.

٣- نرفض مهاجرة الصهيونيين ونحتج على أمانيهم في فلسطين بكل قوانا، وأما اليهود الاصليون الذين كانوا في البلاد قبل الحرب فاننا نعتبرهم وطنيين لهم ما لنا وعليهم ما علينا[٥].

على ان طرح الآراء واعلان المواقف لا يكفي كما انه لا يجدي اذا لم يقترن ذلك بالعمل الجاد الدؤوب لانهاض الشعب من كبوته وتوحيد كلمته: «يجب ان نجدد شباب الامة ونبعث آمالها ونشدد عزائمها وننور بصائرها. يجب أن نحدث دويا في كل محل، في البيوت والطرق وسائر الاندية والمجتمعات. اذا اجتمع اثنان فلتكن المسألة الوطنية موضوع حديثهما، يجب ان نزعج اعضاء الجمعية العمومية ولا نترك لهم وقتا لان يخلو الواحد بأخيه. يجب ان نستدعي اهتمام العالم بنا. والخلاصة يجب ان نظهر بمظهر الحياة»[٦].

وفي مجال التحرك لبعث الوعي والحس القومي نراه يدعو أولي الرأي لاقامة احتفال بمناسبة الذكرى الثالثة لانطلاقة الثورة العربية الكبرى بقيادة شريف مكة معتبرا يوم انطلاق الثورة هو يوم الاستقلال لانه في «ذلك اليوم خطت الامة العربية أول خطوة في سبيل استقلالها، فيجب ان نحترم ذلك اليوم ونعتبره عيدا وطنياً، واذا لم ننل استقلالنا الى اليوم فعلى أمل ان نناله في يوم من الأيام»[٧].

انه يرى حتمية الاهتمام بالشخصية القومية لكل أمة مهما كانت اوضاعها، قد يقتبس الانسان من الأمم الاخرى، ولكنه لا يمكن أن ينسلخ عن هويته القومية ويذوب في بوتقة قومية اخرى، فرغم اعجابه بتقدم الغرب لا يستطيع «الا أن يكون شرقيا»[٨].

لقد دعا لاحياء التراث الشعبي وانشاء الاهازيج الوطنية في الاعياد والمناسبات بحيث تصبح الاعياد الدينية أعيادا سياسية وطنية تبعث الحماس في النفوس وتلهب المشاعر بالعواطف الوطنية، وفي ذلك باعث على الحيوية والنشاط والتحرك نحو تحقيق الاهداف القومية والاماني الوطنية في الوحدة والاستقلال والنهوض[٩].

انه يعتقد أن التحرر لا يقتصر على الانعتاق من ربقة الاجنبي والبقاء مقيدا باغلال اصحاب النفوذ المحليين الذين يؤثرون مصالحهم الخاصة على مصالح أمتهم، ويعملون لاسرهم لا لوطنهم بل في التحرر التام من النفوذ الاجنبي على مختلف أشكاله والمحلي بكل ألوانه وأنواعه[١٠].

السياسة في مفهومه تختلف تماما عن مفهومها السائد عند طبقة الوجهاء التقليديين اصحاب المصالح

الخاصة والمنافع الذاتية: «فاذا كانت السياسة مراوغة ودهاء وخدمة اغراض ومصالح شخصية، فهذه السياسة مكروهة ممقوتة» واذا «كان المقصود من السياسة البحث في حرية البلاد وسعادتها وتوفير اسباب تقدمها وارتقائها فيجب على كل واحد ان يكون سياسيا. ان السياسة القديمة التي ترمي الى استعباد الناس وامتصاص دمهم واتخاذهم آلات لخدمة ذوي التيجان أو أرباب الاموال، أو أفراد قليلين واعتبار البلاد والناس ملكا لهم يتصرفون بهم كما يشاؤون، ان هذه السياسة يجب ان تهدم وتبنى السياسة الجديدة على تحرير الامم واستقلالها واطلاق الحرية لها ان تعيش كما تريد»[١١].

وبلاء الشعوب كثيرا ما يكون بسبب ساستها، كما ان تقدمها وسعادتها وحريتها امور ترتبط الى حد كبير باخلاقية الساسة، اذ هناك «فريق مخلص وطني حر لا يراعي في وطنيته شيئا، وفريق وطني ولكنه جبان ضعيف الرأي سهل القيادة، فاذا سألت هذا الفريق ماذا تطلب. فانه يراعي في ما يطلب ما يمكن لا ما يجب، وفريق مأجور أو أجنبي النزعة يراعي فيما يطلب أما مصلحة الانكليز او مصلحة الفرنساويين او مصلحة الصهيونيين»[١٢]. ومن المؤكد ان الفريقين الاخيرين يجران شعوبهما نحو التعاسة، وهما مرفوضان عنده لانهما سبب الشقاء والتخلف والاستعباد.

اما الهاجس الثاني بعد التجزئة الذي كان يقض مضجعه فهو الخطر الصهيوني الداهم بمؤازرة بريطانيا ودعمها غير المحدود، وعنده ان هذا الخطر يتهدد العالم العربي بأكمله فاذا «لم نتحد في مقاومة الصهيونية ذهبت فلسطين من أيدينا وعرضنا غيرنا للخطر، واذا خسرت أمة بلادها فقد خسرت كل شيء. اذا أردنا ان يكون لنا مستقبل مجيد فيجب ان نحتفظ ببلادنا بكل قطعة منها، وما دام لنا بلاد فمستقبلنا مضمون»[١٣].

ان القلق على مستقبل فلسطين من جراء الخطر الصهيوني كان مثار اهتمامه الرئيسي، ولقد حذر الماجور ريتشموند البريطاني من مغبة استمرار بريطانيا في دعم النشاط الصهيوني الامر الذي قد يدفع الفلسطيني للاقتداء بالانتفاضة المصرية عام ١٩١٩ «واعظم النار من مستصغر الشرر»[١٤].

وحين بدأ شعور القلق من جراء الخطر الصهيوني يتزايد في فلسطين، دارت بين قادة الراي في القدس مداولات وظهرت فكرة الدعوة للتظاهر في القدس احتجاجا على المطامع الصهيونية، دعا هؤلاء القادة الى الدعوة لتظاهرة «تقوم بها فلسطين كلها لا القدس وحدها اعلانا للرأي العام، وان هناك نفرة عامة من الحركة الصهيونية، واحتجاج على ما يدعيه الصهيونيون من أنهم أصحاب البلاد وأنهم على وفاق مع العرب. ثم يجب أن نتابع ارسال تلغرافات الاحتجاج الى مؤتمر الصلح لأنه بلغني أنه قد جاء أمر بأن لا تعارض الحكومة المحتلة في ارسال التلغرافات الى مؤتمر الصلح، ثم لا يغني ذلك عن ارسال مندوبين الى مؤتمر الصلح فإن اليهود قد

أحاطوا برجال السياسة في العالم كله، فإذا لم يكن هناك من يهتم بمسألتنا فلا نطمع أن يهتم بنا أحد»[١٥].

لكن مؤتمر الصلح هذا بعد انعقاده في سان ريمو بدعوة من بريطانيا وفرنسا على إثر رفض المؤتمر السوري المنعقد في دمشق في الثامن من آذار ١٩٢٠ لاتفاقية فيصل كليمانصو واتخاذه قرارات تاريخية تركزت حول وحدة سورية الطبيعية واستقلالها، ورفض وعد بلفور واتفاقية سايكس بيكو، قرر الانتداب البريطاني على فلسطين والعراق وشكل ذلك خطوة جديدة في طريق تحقيق الحلم الصهيوني، وتبنت عصبة الأمم هذا القرار في السادس من تموز ١٩٢١، ووضع موضع التنفيذ في التاسع والعشرين من أيلول ١٩٢٣. والملفت للنظر أن صك الانتداب الصادر عن عصبة الأمم قد جاء تكريساً لاحتلال قائم وانتداب مفروض كما ان المادة الثانية منه تضمنت تحقيق وعد بلفور.

هنا عرض لنشاطات السكاكيني السياسية ابان فترة الانتداب تغطي الفترة من بداية الانتداب حتى نهاية ثورة البراق ١٩٢٩.

لم تكن المواقف الفلسطينية الرافضة للانتداب البريطاني ولتهويد فلسطين لتغير شيئاً من سياسة حكومة لندن، إذ بدا واضحاً اعتزامها على تحقيق هدفيها: الانتداب والتهويد. لقد وصلت لجنة كنغ. كراين الأميركية لتقصي رأي السكان في بلاد الشام بالنسبة لمستقبلهم بعد أن امتنعت بريطانيا وفرنسا وايطاليا عن المشاركة فيها. فكانت اليافطات التي رفعت في شوارع القدس تلخص موقف السكان العرب وهي تحمل الشعارات التالية: نطلب استقلالاً تاماً، سوريا لا تتجزأ، نحتج على الصهيونية ونرفض مهاجرة اليهود الى بلادنا، ليعش أميرنا فيصل، سوريا تمتد من جبال طورس شمالاً الى ترعة السويس جنوباً».

وكان من الطبيعي أن لا تروق هذه المطالب للسلطات البريطانية التي أمرت بنزع هذه اليافطات[١٦].

لقد أخذت السياسة البريطانية المتحيزة للصهاينة تثير القلق في نفوس السكان العرب وتجعلهم يتخوفون على المصير المهدد، وهذا ما جعل الأجواء مشحونة بالتوتر والنقمة لدى عرب فلسطين الأمر الذي أدى إلى انتفاضة دموية في موسم النبي موسى في نيسان ١٩٢٠ مما حدا بالسلطة البريطانية ان تقوم باعلان الأحكام العرفية في القدس، وان تفرض منع التجول. ولم يك ذلك مستغرباً فالقمع والتهويل كانا سيف بريطانيا المصلت على أعناق الفلسطينيين طيلة مدة الانتداب[١٧].

الرجل والمواقف المبدئية الصارمة

عرض على السكاكيني في أواخر عام ١٩١٩ منصبان، الأول أن يكون مفتشاً للمعارف في كل سوريا،

والثاني أن يكون مديراً لدار المعلمين بالقدس، ولقد آثر المنصب الأول رغم ان الثاني كان في مسقط رأسه وعلى مرمى حجر من بيته. أما تعليله لهذا الخيار فقائم على قوله: «إذا لم يكن بد من أن يكون لنا وجود قومي فإني أشعر نفسي أنني ممن يستطيعون الاشتراك في تكوين هذا الوجود. إذا ما اشتغلت في دمشق فإني أشعر أني اشتغل لنفسي ولغرض سام، وإذا اشتغلت في القدس فلست إلا مأجوراً»[١٨]. لكن تثبيت التعيين في المنصب الأول تأخر فأضطر لقبول المنصب الثاني في القدس.

لقد رأى أنه بمقدوره أن يلعب دوراً توجيهياً أصيلاً في خدمة وطنه عن طريق تربية الشباب، وها هو يورد انطباعاته فيقول: «منذ توليت ادارة المدرسة لم أكف عن بث روحي في الطلبة. أطلقت الحرية، كبرت النفوس، أنهضت الهمم، وسعت الهمم، وسعت الآمال، قويت الادراك، عودت التلاميذ أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم»[١٩].

وتمضي بريطانيا قدما في خطها المتصهين فتعين حكومة صاحب الجلالة هربرت صموئيل الصهيوني المغرق بالصهينة مندوبا ساميا على فلسطين لكي يتعهد بناء الدولة الصهيونية مدماكا مدماكا. وماذا عسى السكاكيني يعمل في مواجهة هذا التعيين المرفوض والمثير للسخط، لقد اتخذ على صعيد شخصي قراراً مبدأيا يواجه به تعيين صموئيل هذا، ينحصر في الاستقالة من منصبه رغم فقره المدقع في حين كان سواه من جماعة الوجاهات التقليدية يتزلف السلطة للحصول على منصب. لقد جابه الماجور «لك» مدير المعارف بموقفه المبدأي بقوله له: «إني عزمت على الاستغناء من شغلي يوم مجيء هربرت صموئيل احتجاجا على استلامه ادارة البلاد»[٢٠].

وكان ان استدعاه الحاكم العسكري البريطاني نتيجة لهذه الاستقالة، وحاول في لقائه له ان يقنعه بالعدول عن الاستغناء ناصحا اياه بذلك على اعتبار ان المستقيلين لن يسمح لهم بالعودة للخدمة، كما حاول إقناعه بأن هربرت صموئيل انكليزي قبل ان يكون يهوديا وان عمله مرتبط بقوميته الانكليزية لا بدينه اليهودي، واشار الى ان وشايات قد وصلته مؤداها ان السكاكيني اثناء جولاته التفتيشية يعقد الاجتماعات ويلقي المحاضرات وينتقد السلطات، غير ان كل هذه المقدمات لم تجعل الرجل يتزحزح قيد انملة عن موقفه في الاستقالة، وكان له لقاء آخر مع مدير المعارف الميجر لك، وعندما تأكد منه أنه كتب الى الجنرال ستورس حول سبب استقالته شعر بارتياح تام، فكان موقفه المبدأي هذا تجسيدا عمليا لوطنيته النقية، ورفضا قاطعا للسياسة البريطانية المخادعة والعاملة على تهويد فلسطينيه[٢١].

بعد الاستقالة ذهب الى القاهرة، حيث عمل سنتين في ادارة المدرسة العبيدية لكنه عاد الى مسقط رأسه في اوائل صيف ١٩٢٢ ليتابع مسيرته النضالية، كتابة وخطابة، تعليما وتوجيها وتوعية. لقد أدرك بعد عودته

جسامة الخطر الصهيوني الذي استشرفه فراح يفضح أحابيل بريطانيا ودسائسها ، ونوايا الصهيونية المبطنة ، فمن الذرائع التي اختلقتها بريطانيا لتبرير تحقيق وعدها المشؤوم اقتراحها «ان يكون في جيش اللنبي الزاحف على فلسطين فرقة يهودية حتى اذا فتح الجيش فلسطين كانت تلك الفرقة هي أول الداخلين ، فيقال انهم فقدوا فلسطين بالسيف فاسترجعوها بالسيف»[٢٢] .

لقد راى في صياغة وعد بلفور غموضاً متعمداً ، وهذا ما جعل الفلسطينيين واليهود كل يفسره على هواه ، «لقد فهم اليهود من هذا الوعد أنهم اصحاب البلاد ، وان العرب ليسوا الا دخلاء ، ولكن ثقلاء ، والا ضيوفا ولكن على غير الرحب .

«قال وايزمن وهو الزعيم الصهيوني الذي اقنع حكومة لويد جورج في اثناء الحرب باعلان هذا الوعد : «ان فلسطين يهودية كما أن انكلترا انكليزية واميركا اميركية» وقال «سنرجع الى فلسطين بلادنا لا نذهب اليها» ، اي كانت لنا فاذا هاجرنا اليها من مشارق الارض ومغاربها فانما نحن راجعون لا ذاهبون . . . وقال الفرد موند ، وكان وزيرا في الحكومة البريطانية «سأستقيل من منصبي في الحكومة وأكرس بقية حياتي لاعادة بناء هيكل سليمان على انقاض المسجد الاقصى ومسجد الصخرة» .

«أما العرب فقد فهموا من هذا الوعد بقرينة ما فهم اليهود منه وبقرينة ما قامت به الحكومة من الاعمال في سبيل انشاء الوطن القومي ، ان هذا الوعد يجردهم من حقوقهم السياسية أي من الاشتراك في الحكم والادارة ، فاذا كان للبلاد مجلس تشريعي فلا يحق للعرب ان يكونوا ناخبين او منخوبين ، واذا تألفت وزارة فلا يحق للعرب ان يكون فيها منهم أحد بل لا يحق لهم ان يشغلوا منصبا في دوائر الحكومة كبيرا او صغيرا . بل لا يحق لهم ان ينشئوا الشركات ويؤسسوا المصارف .

وليست هذه الحقوق المدنية والدينية التي يصرح لهم بها الوعد الا ما يكون للاجنبي الدخيل من الحقوق في كل بلد . فاذا اختاروا البقاء في فلسطين في ذمام اليهود فانهم يستطيعون ان يستعملوا لغتهم ويتعاطوا أعمالهم ويتصرفوا في ما ملكت ايمانهم ويتزوجوا ويتدفنوا ويبيعوا او يرهنوا او يقفوا املاكهم واراضيهم ، ويحق لهم ان تقبل شهاداتهم وان يقيموا شعائر دينهم» [٢٣] .

لقد توقع بأن تفسر بريطانيا كل حركة عربية بأنها خارج على مضمون الوعد ، فقد يقال «اذا خرج اليهودي من بيته ليلا فلم يمش العربي بين يديه يحمل له قنديلا . او اذا نام اليهودي فلم يسهر العربي على باب داره يحرسه . او اذا كان في بيت اليهودي عرس فلم يبادر العربي الى حمل الماء ونقل الحطب . او اذا أراد اليهودي اختيار بيت العربي او أرضه أو دكانه او حماره او بقرته او دجاجته فلم يبادر العربي الى التنازل عن حقه طائعا

مختارا . او اذا جاور العربي اليهودي لا سمح الله فنبح كلب العربي او صاح ديكه او غط العربي في نومه ، او اذا اراد اليهودي ان يعبد الطريق الى قريته فلم يبادر العربي الى تعبيدها بيده أو على نفقته ، انه اخل في ذلك كله بالنظام وخالف الآداب» .

«ولا تستغرب ان يكون شيء من ذلك اذا كان اليهودي هو صاحب البلاد وهو صاحب السلطة فيها ولا هم له الا ازعاج العربي واحراجه لاخراجه لا سيما وفي صدره حقد الاجيال الطوال»[٢٤] .

ورغم دق ناقوس الخطر المتكرر من جراء الخطر الصهيوني البريطاني فلقد بقيت اعارة هذا الخطر الاهتمام الكافي في الاوساط العربية محدودة ، ومرد ذلك في تحليل السكاكيني يعود لعوامل متعددة منها حالة الضعف والاعياء ، ومنها التصور الخاطئ بأن وعد بلفور كان لضرورة حربية وأنه بانتهاء الضرورة ينتهي الوعد ، ومنها «ان الامة الانكليزية اعلى من ان ترضى بمثل هذه الجناية التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ» .

ومنها «أن الأمة اليهودية أعجز من ان تنال من فلسطين مأربا» وأخيراً تقدير العرب الخاطئ بأن «فلسطين اضيق من ان تسع اليهود ، وافقر من ان تشبع اطماعهم ولانهم قدروا ان الوطن القومي لا يشترى بالمال ولا ينال بالدسائس والدعاية والاساليب السياسية»[٢٥] .

لقد نتج عن عدم اعارة أهل فلسطين الاهتمام الكافي للوعد وللنشاط الصهيوني الذي استتبعه غرور صهيوني بحيث بات فتيانهم وفتياتهم يسيرون في مواكب «يحملون الاعلام الصهيونية ويتغنون بأناشيدهم الوطنية تهديداً للعرب»[٢٦] .

هكذا كانت مواقف الفريقين في هذه الفترة ، اما الموقف البريطاني الآثم فقد اخذت ملامحه تبرز ساطعة كالشمس ، وان شرف الأمة البريطانية الذي تعلق به الاغبياء والعملاء هو شرف الكاذبين والمخادعين ، لا شرف الاوفياء الصالحين ، فلقد سقطت كل الاقنعة عن وجه بريطانية التي أدعت بأنها جاءت منقذة وأنها ستفي بالتزاماتها فيتحقق للعرب الاستقلال والسيادة ، وهذا ما لاحظه السكاكيني منذ بداية عهد الانتداب حيث قال : «أما الحكومة التي ادعت انها دخلت البلاد مخلصة لا فاتحة فقد جعلت تنظر الى العرب نظرها الى اعداء . لا تزال البلاد تسمى ادارة بلاد العدو المحتلة ، مرّ زمان طويل والبلاد تحت الادارة العرفية ، والبريد وسائر ما يكتب او يطبع تحت المراقبة الشديدة ، مرّ زمان طويل قبل ان تطلق الحكومة سراح الاسرى العرب . كثيرون من ابناء البلا د نفوا في اثناء الحرب أو كانوا في الخدمة العسكرية خارج فلسطين منعوا من الدخول اليها وكثيرون نفوا منها بايعاز من اليهود»[٢٧] .

لقد وجه سهام نقده للسلطات البريطانية مبكراً في حين استمرت قيادة الوجهاء التقليديين تتزلف لهذه السلطات وتحصر عداءها باليهود حتى ثورة القسام عام ١٩٣٥ وذلك حفاظا على مكانتها ومصالحها ، وحين عمدت الى الجهر بانتقاد بريطانيا فانما فعلت ذلك مرغمة تحت ضغط الجماهير التي خافت ان يفلت منها زمام قيادتها .

لقد لاحظ محاباة بريطانيا للحركة الصهيونية وتمييزها الواضح في المعاملات على كافة الاصعدة ، «فاليهودي اذا اراد ان يسافر من بلد الى آخر او من فلسطين الى مصر فما كان اسهل ان يأخذ جوازاً بذلك ، على حين ان العربي لم يكن يستطيع ذلك ، ولم يكن يلقى من الحكومة اقل عناية او مساعدة» . ولم يقف الامر عند هذا الحد في المحاباة ، حيث فتحت باب الهجرة على مداه فتدفق على البلاد – وهي تكاد تضيق باهلها – سيل من يهود اوروبا من الثوار والمجرمين فكانوا سببا للثورات والاضطرابات» ولم تعر اذنا صاغية لكل احتجاجات العرب ، وزادت على ذلك بانها «جعلت اللغة العبرية لغة رسمية ، على حين أنها لغة ميتة انقطع عهد الالسنة بها منذ امد بعيدا جداً» . ومضت بريطانيا قدما في خطها المرسوم بتقليص الدور العربي حيث كانت ادارة المعارف في ايدي الوطنيين ، «فلم تلبث الحكومة ان انتزعتها منهم فجعلت مديرها انكليزيا ، واختارت اكثر العمال في الادارة من الغرباء عن البلاد من غير اصحاب الكفاية والاختصاص وبعضهم ذوو سمعة مشنوعة» . وفوق كل ذلك «سلحت اليهود وجردت العرب من السلاح . . جعلت الوظائف في اليهود فمنهم المندوب السامي هربرت صموئيل وهم ينظرون اليه كملك اسرائيل ، ومنهم رئيس العدلية المستر بنتويتش ، ومنهم رئيس دائرة الصناعة والتجارة وغيرها» . ولم تقنع بريطانيا بكل هذه المحاباة فلقد «جعلت تسن لهم القوانين لمصلحتهم ، من ذلك قانون الاراضي ، وقانون الاجارة وقانون منع الجرائم» وزادت على ذلك بأن اغدقت عليهم الامتيازات ، اذ «اعطت امتياز تنوير فلسطين بالكهرباء لروتنبرغ اليهودي ولم تبال باعتراض الوطنيين» وهكذا اصبح في المفهوم البريطاني الصهيوني العرب دخلاء في فلسطين واليهود مواطنين اصليين[٢٨] .

هذا الموقف البريطاني المفضوح بالتحيز العلني زاد في تمادي اليهود ، فباتت الصورة لديهم بأن «العرب ليسوا الا ضيوفا لا حقوق سياسية لهم فيها ، فاذا اختاروا البقاء في فلسطين ففي ذمام اليهود ، وليس لهم من الحقوق المدنية والدينية الا ما لكل أجنبي دخيل في كل بلد . بل من اليهود من عجب كيف لم يقوض العرب خيامهم ويرحلوا ، ومنهم من عتب على الحكومة كيف تبذل شيئاً من العناية بالصحة العامة ، وكان من رأيه ان يترك العرب وشأنهم حتى ينقرضوا . وزار سائح يهودي القدس فلما مر من أمام كنيسة القيامة والحرم الشريف عجب كيف لا تزال هذه الاماكن المقدسة في ايدي الوطنيين»[٢٩] .

وزاد الطين بلة خضوع حكومة لندن لكل المطالب الصهيونية فكانت «آلة صماء في أيديهم يصرفونها كيف شاءوا ، واذا رأوا حاكما يعييهم ان يتابعهم على ما يريدون فما كان أسهل ان يبدل بغيره ، فذهب مني ، فوطسن ، فبولزفوو ترس تلر فغيره ولم يبق في البلاد من العمال الانكليز الا كل ممخرق متملق لا يخالف لهم امرا ، ولا نهيا ، او كل مهووس خولط في عقله يحسب ان في انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين تتميماً للنبوات . ومن لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء فهو على قدم الرحيل»[٣٠] .

ازاء هذه الصورة من المحاباة البريطانية للصهيونية والمطامع اليهودية التي لا حد لها ، والمصممة على اقتلاع الوجود الفلسطيني شدد السكاكيني على عدم الاستهانة بالامر وضرورة التهيؤ للمخاطر المرتقبة ، فهي في ضراوتها لا تعادلها مخاطر ، لانها محو للوجود الفلسطيني وطمس لمعالم هذا الوجود ، ان الخطر الصهيوني «يهدد شرقيتنا وتقاليدنا واخلاقنا وادبنا وسائر خصائصنا ومقومات حياتنا . هو الخطر الذي يهدد حريتنا بالاستبعاد ، واستقلالنا بالضياع ، ووحدتنا بالتجزئة ، واجتماعنا بالتفرقة ، وكثرتنا بالقلة ، واستغناءنا بما لدينا على قلته بالفاقة ، وراحتنا بالتعب ، وأمننا بالخوف ، وكرامتنا بالامتهان ، ولغتنا بالرطانة ووجودنا بالانقراض»[٣١]

عمد اليهود الى التضليل ، فزعموا ان الهجرة الى فلسطين ذات طابع ديني وانها نتيجة للاضطهاد الاوروبي فلا طابع سياسي لها ، وليس فيها ما يثير مخاوف أهل فلسطين ، غير ان السكاكيني رأى ان اليهود كانوا «يجيئون الى فلسطين ليموتوا . ثم جعلوا يجيئون ليعيشوا ، وهم الآن يحاولون ان يجيئوا ليملكوا»[٣٢] .

اما المزاعم الصهيونية الذاهبة الى القول بان الباعث الاوروبي على اضطهادهم انما مرده لعدم وجود وطن لهم ، فهل يعني ذلك الذهاب الى فلسطين لانشاء وطن تخلصا من الاضطهاد على حساب أهل فلسطين ،وهل سكان فلسطين ملزمون ان يتحملوا الاضطهاد وخسارة الوطن لانقاذ اليهود من الاضطهاد الاوروبي؟ .

يرد السكاكيني على هذا التبرير الصهيوني الباطل قائلا : «اذا كنتم بدون وطن خاص لكم فاضطهدكم الناس وجدتم من يشعر معكم ويحزن لحزنكم ، واما اذا كنتم اصحاب وطن فاضطهدكم الناس فلا تجدون من تأخذه الرأفة بكم ، لأنهم يقولون حينئذ ان السبب منكم وفيكم ، ثم اذا اصررتم على ان يكون لكم وطن خاص فانتم وشأنكم ، ولكن اتعتدون على أوطان الناس؟ اذا اردتم ان يكون لكم وجود مستقل فتلك همة عالية ، ولكن اتبنون وجودكم على انقاض غيركم؟ اذا اردتم ان تعتزوا فمالكم تحاولون اذلالنا؟ اذا أردتم ان تعيشوا فما لكم تحاولون قتلنا؟»[٣٣] .

اما المقولات الصهيونية الاخرى التي اعتمدوها الى جانب السياسة فمتعددة وكلها باطلة قائمة على الخداع والتضليل اضافة الى الدعاية الواسعة التي سخروا لها الجهد والمال ، «حاولوا ان يقنعوا الرأي العام في اوروبا

انهم اصحاب الحق في فلسطين وان تاريخهم الجميل فيها وحنينهم الدائم اليها يخولانهم حق الرجوع اليها ولو طالت الغيبة. وانهم شعب الله الخاص وان في رجوعهم الى فلسطين تتميما للنبوءات.. وان العالم يحتاج الى توراة جديدة فاذا رجع اليهود الى فلسطين مدفوعين بعواطف روحية، فاستظلوا بسماء الانبياء فقد يظهر بينهم شيخ كموسى او عيسى او محمد يهز العالم ويضيف صفحات مجيدة الى التاريخ»[٣٤]. وكأن الحنين يكسب الطامعين حقا مقدسا ويجرد أصحاب الحق الشرعيين من حقوقهم.

ومن جملة المقولات الباطلة التي تعرض لها السكاكيني وأظهر زيفها الادعاء بأن فلسطين مقفرة، وان هجرتهم اليها لا تضايق احداً، ففلسطين «كانت للاتراك ولما خرجوا منها لم يبق فيها الا شراذم من رعاع العرب واجلاف البادية.. ولما سقطت دعواهم هذه قالوا انهم على اتفاق مع العرب، وليس أولئك الذين يرفضون وعد بلفور من أصحاب المطامع الا فئة صغيرة تعد على الاصابع، ولما كذبت الثورات التي كانوا هم موقدي نارها بدعواهم هذه، جعلوا يقولون ان فلسطين تحتاج الى أيد عاملة، وأموال طائلة لانها أصبحت بعد الحرب أطلالا دارسة، فاذا رجعوا اليها جعلوها في زمن قصير جنات تدر لبنا وعسلا واذا تركت للعرب وهم على ما هم عليه من الخمول والجهل والفقر فقد تمر عليها مئات بل الوف من السنين وهي بلقعة ملساء لا ظل فيها ولا نسيم»[٣٥].

وقد لاحظ المكر البريطاني المماشي للمكر الصهيوني وذلك في تعليل تشرشل لرفض أهل فلسطين لمشروع روتنبرغ الذي أوكل الى اليهود امتياز الكهرباء في فلسطين، فاحتج العرب على هذا الامتياز لا لانهم يرفضون الانارة والتقدم كما فسر ذلك تشرشل بل لانهم يرفضون محاباة بريطانيا لليهود واغداقها عليهم الامتيازات.

وحين وجد اليهود ان مقولاتهم هذه لم تحقق الثمار المرجوة كاملة وان النوايا الصهيونية لم تعد منطلية على أحد، وأن العالمين العربي والاسلامي قد ادركا المخاطر المحدقة بفلسطين اتجهوا لاقناع هذين العالمين بأن «لا خطر في إنشاء وطنهم القومي في فلسطين على أهل فلسطين والاماكن المقدسة، بل ان في انشائه كل النفع والخير للعرب، اذ يعاون اليهود العرب على تحقيق آمالهم الواسعة، ويعلمونهم ويمدونهم ويفنونهم ويسعدونهم، بل يجعلون سماءهم من عقيق وأرضهم من زبرجد، بل يضمنون لهم الجنة التي وعد بها المتقون، الى غير ذلك من الاماني المذهبة والخيالات النائية الجميلة»[٣٦].

ولم يكتفوا باساليب الخداع والتضليل فلجأوا بعد ان أفتضح امر خداعهم وتضليلهم الى كم الافواه، وشل الضمائر مستعينين بالسلطات البريطانية. كما لجأوا بمساندتها الى تكريس القطرية والتجزئة ومحاربة الوحدة لان في ذلك تهديدا لامانيهم، ولقد أشار السكاكيني الى هذا النمط الذي اتجهوا اليه بقوله: «خافوا من الوحدة العربية فجعلوا يبشرون بفكرة فلسطين للفلسطينيين. وقد ساعدتهم الحكومة في ذلك فاستدعت احد صنائعها

من العمال السوريين في حكومة فيصل في دمشق فعقد اجتماعا كبيرا في ٨ شباط سنة ١٩١٩ وحاول ان يقنع الناس ان تكون فلسطين للفلسطينيين تحت حماية بريطانيا ، بل قد وجدوا من أعضاء الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس لذلك العهد من يعارض عن سذاجة في الحاق فلسطين بسوريا ويقول كيف نرضى بعد ان كنا عبيدا للاتراك ان نكون عبيدا للسوريين يتحكمون فينا كما يشاؤون [٣٧] . فكانت دعوته المبكرة لقيام جامعة عربية وتخطي التفكير الاقليمي وتكريس مبدأ الوحدة دعوة رائدة[٣٨] .

وحين سقطت الدعوه الاقليمية هذه لجأ الصهاينة الى بث الفرقة الدينية ، واثارة النعرات الطائفية ، «فحاولوا ان ينفروا الفريق الواحد من الآخر ، فكانوا يقولون للمسلمين ان المسيحيين اعداء الوطن يتمنون ان تتقسمه دول اوروبا ولا نستطيع الامتزاج بهم لانهم ليسوا شرقيين ، فمنهم من هم من بقايا الصليبيين ، ومنهم من هم من بقايا اليونان . واما نحن وأنتم فشرقيون من أرومة واحدة بل ابناء عم تربطنا اواصر القرابة من عهد آدم ، وكانوا يقولون للمسيحيين لا نستطيع ان نطمئن الى المسلمين لانهم منحطو الاخلاق فاسدو المبادئ ، همجيو الطباع يحتقرون المدنية ويعادونها »[٣٩] .

لكن هذه الاساليب الخبيثة لم تنجح ، فلقد فضح امرها الوعي والتنبه كما يستدل من قراءات السكاكيني لهذه الاساليب ، فلجأوا الى سلطة الانتداب طالبين المزيد من العطف والدعم ، ومن الطبيعي الا تتلكأ هذه السلطة عن الاستجابة ، يطلبون نفي فلان فيتم لهم ذلك في أقل من طرفة عين ، «خافوا من التعليم فانتزعوه من أيدي الوطنيين . خافوا ان تنقلب الحفلات الدينية الى حفلات وطنية فالحوا على الحكومة ان تمنعها ، فجعلت الحكومة اذا كانت حفلة دينية تأخذ اهبتها ، وتعد قوتها ، ومن يشهد حفلة النبي موسى في القدس يحسب ان البلاد في حالة حربية ، خافوا من الصحافة فجعلوا لا يمر يوم الا تحرشوا بها واقاموا عليها الدعاوى لا سيما جريدة فلسطين لصاحبها الحر الجريء عيسى افندي العيسى ، راوا بعض الصحف المصرية من عربية وأفرنجية قد تعنى من وقت الى آخر بشؤون فلسطين فهددوها فسكتت ، فكنا نرسل اليها الرسالة اثر الرسالة فتعتذر عن نشرها اتقاء لغضب اليهود ، وطمعا في اعلاناتهم وفتحت أعمدتها للكتاب الصهيونيين* . خافوا من الجميعات والاندية السياسية فجعلوا يلحون على الحكومة ان تعطلها »[٤٠] .

لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل امام الصمود الوطني الفلسطيني الامر الذي دفع تشرشل للاعتراف «بأن للعرب سكان فلسطين حقوقا سياسية» وكان المفهوم البريطاني الصهيوني مرتكزا قبل ذلك على تجاهل مطلق لمثل هذه الحقوق . وهذا ما حذا ببريطانيا الى استرضاء عرب فلسطين بموافقتها على تأسيس مجلس تشريعي يكون للعرب فيه أكثرية لكن العرب رفضوا العرض . ويعتبر السكاكيني ان ذلك انتصار للحركة الوطنية الفلسطينية

على اعتبار ان العرب في فلسطين كانوا في المفهوم البريطاني الصهيوني الاول دخلاء ، فقد أصبحت بريطانيا تعتبرهم شركاء من خلال عرضها عليهم المشاركة في المجلس التشريعي[٤١] .

اثارت مقالات السكاكيني في جريدة السياسة القاهرية ردود فعل متعددة ، ولقد رد على التعليقات التي ظهرت في الصحف موضحا في مقالة له «بالسياسة» عنوانها «فلسطين» بقوله : «ليس لي من غرض في ما اكتبه عن فلسطين في جريدة السياسة الغراء الا ابلاغ ظلامات فلسطين واحدة واحدة الى الرأي العربي عامة والرأي المصري خاصة»[٤٢] .

لقد آلمه ان لا تصرف الصحف اهتماما ملحوظا بالمسألة الفلسطينية كذلك الرأي العام المصري ، كما آلمه ان تفسح المقطم واحيانا الاهرام صدر الصفحات الاولى فيهما لكتاب صهاينة من امثال نسيم ملول الذي اوقف جريدته «السلام» معتبراً ان المقطم تؤدي الغرض نفسه في خدمة الحركة الصهيونية ، والذي انتقل الى يافا وأصبح مراسلها الرئيسي[٤٣] .

هذا الشعور بالالم دفعه لدعوة كتاب مصر الى اعارة القضية الفلسطينية اهتماما ومضى الى القول : «واني لاطمع في كرم كتاب مصر الاعلام ووطنيتهم الصادقة ان يجعلوا لفلسطين نصيبا في ما يكتبون ولو قليلا»[٤٤] . وذهب الى بسط الحقائق المرة واضعا اياها امام اعينهم لتكون مادة ينهلون منها فيما سيكتبون . من هذه الحقائق ان يهود فلسطين كانوا يعاملون على قدم المساواة مع سكانها العرب قبل قيام الحركة الصهيونية الهادفة لابتلاع كل فلسطين وفصلها عن الجسم العربي ، ومنها ان عملية التهويد ماضية بسرعة ، فاللغة العبرية اصبحت في ظل الانتداب لغة رسمية «على حين ان اليهود لا يتجاوزون السبعة في المائة من سكان فلسطين ولا يعرف اللغة العبرية من اليهود معرفة تامة إلا عدد قليل جدا» . ومنها فتح باب فلسطين لمهاجري اليهود بلا شرط ولا قيد فيصبحون بين عشية وضحاها فلسطينيين تعطى لهم الوظائف والامتيازات وأهل فلسطين يشكون من البطالة ، ومنها الاشراف البريطاني الصهيوني على المدارس العربية واستقلالية المدارس اليهودية الكاملة ، ومنها تسليح اليهود وتدريبهم ووضع مندوب سام صهيوني على رأس سلطة الانتداب في فلسطين ، وأخيراً يذكر الكتاب المصريين بقول «زنكويل» الصهيوني : «يجب ان نبيد العرب على طريقة هادئة ولكن مستمرة»[٤٥] .

لقد صمد الفلسطينيون للتحديات رغم العصا البريطانية الغليظة وامكانات الحركة الصهيونية الجبارة ، طيلة فترة العشرينيات من هذا القرن ، ففي طواف السكاكيني مع وفد اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي السادس برئاسة كاظم باشا الحسيني في أرجاء فلسطين لاحظ الحماس الشعبي المنقطع النظير والعاطفة الوطنية الجياشة ، ولقد بدت له النقمة العارمة على السياسة البريطانية والغضب الساطع على الحركة الصهيونية ، ولقد شعر

بالارتياح اثناء هذا الطواف لتجاوب القاعدة الشعبية العريضة مع التطلعات القومية التي كانت محط الانظار[٤٦].

هذا على الصعيد الفلسطيني، أما على الصعيد الرسمي فقد لاحظ السكاكيني ان سياسة بريطانيا في فلسطين ترمي الى غرضين لا ثالث لهما، ان تكون فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وان تصبح وطنا قوميا لليهود. ومقابل هذين الغرضين، حدد الميثاق القومي الذي اجمعت عليه الامة امرين اساسيين: الاول ان الفلسطينيين العرب احرار فلا يقبلون انتداب احد، والثاني ان بلادهم لهم فلا يقبلون ان يكون لهم شريك، فالسياستان متعارضتان. ويلاحظ ايضاً ان روح المقاومة قد تنبهت وتصلبت في الامة فباتت ترفض بجرأة علانية كل امر تستريب به. «أعلنت الحكومة وعد بلفور فقالت الامة «لا» اعلنت الحكومة الانتداب فقالت الامة «لا» اعلنت الحكومة دستورا لا تملك حق سنه فقالت الامة «لا» عرضت الحكومة مجلسا تشريعياً فمجلسا استشاريا فوكالة عربية لا تنطبق على رغائب الامة فقالت الامة «لا»... »[٤٧].

ويدافع عن هذا الرفض المتعدد اللاءات بقوله: «لو قبلت الامة الانتداب لكان معنى ذلك انها جعلت الانتداب غير المشروع مشروعا، لو قبلت الامة وعد بلفور لكان معنى ذلك أنها قبلت برضاها ان تتنازل عن حقوقها السياسة في بلادها، لو قبلت الامة الدستور الذي وضعه «بنتويش» رئيس العدلية وهو من كبار زعماء الصهيونيين ولم يؤخذ رأيها فيه لكان معنى ذلك ان الامة اعطت خصمها حق وضع دستورها الذي لا يجوز ان يشاركها في وضعه أحد، لو قبلت الامة المجلس التشريعي فالمجلس الاستشاري وأكثر اعضائهما من الانكليز واليهود للمندوب السامي فيهما - وهو من زعماء الصهيونية - سلطان واسع فاذا شاء قبل قراراتهما واذا شاء رفض، لكان معنى ذلك ان الامة قبلت الأمة برضاها أن يكون أمرها بيد غيرها، بل في يد خصومها الطامعين في بلادها، لو قبلت ان تكون لها وكالة عربية، كما ان لليهود وكالة يهودية لكان معنى ذلك انها قبلت برضاها ان تكون على مستوى واحد مع اليهود الغرباء، فضلا عن ان اسم الوكالة العربية يشعر ان العرب غرباء دخلاء في بلادهم»[٤٨].

اعترته الدهشة من التبرير الامبريالي في الغزو الكولونيالي، فالامم الاوروبية الغازية «تتوكأ في غزوها على اسباب مزوره، تغزو ثم تدعي ان لها في البلاد التي تغزوها حقوقا ومصالح، او انها تريد حمايتها من غزوات الطامعين فيها، او انها تريد انهاضها واسعادها، او انها تريد حماية الاقلية من استبداد الأكثرية او حماية العرش - اذا كان هناك عرش - من ثورة الرعاع الصعاليك»[٤٩].

هذه التبريرات مرفوضة فلسطينيا «فالامة في فلسطين كما قال مكاتب «المورننغ بوست» تعلمت درسها وحفظته وجعلت سياستها «سياسة لا» الى ان يقضي الله أمراً كان مفعولاً»[٥٠].

ان الموقفين البريطاني الصهيوني والفلسطيني متعارضان ولا مجال للمساومة أو التنازل عن الحق الفلسطيني مهما اشتد الطغيان ومهما تعاظم القمع، «ان الامم اذا نهضت لا تقبل في حقوقها مساومة او هوادة، ولا تكون الا متطرفة اذا كان حرصها على حقوقها يدعى تطرفاً، ولا تفهم الا ان هذا حق وهذا غير حق، وأما ان هذا ممكن وهذا غير ممكن فلا تفهمه بل لا تريد ان تفهمه. اذا كان التساهل عقلا فانها تفضل ان تكون جاهلة مجنونة»[٥١].

تنشر الرحالة «روزيتا فوريس» مقالا في العدد ١٥٨ من «السياسة» تقول فيه: «أن العرب في فلسطين وشرقي الأردن وسوريا ما عدا لبنان ينظرون الى أنفسهم كشعب واحد ويتشوقون للاتفاق مع الصهيونيين في فلسطين وفي ذلك ازدهار فلسطين وتقدمها». فيرد السكاكيني عليها متهكما: «ليست فلسطين القطب الشمالي ولا المريخ، وليس الرأي العام فيها خافيا ولا مجهولا. فهذه الصحف الوطنية، وهذه تقارير المؤتمرات المتوالية والجمعيات والاندية السياسية التي تمثل الامة، وهذه الوفود التي توالى رجالاتها الى الغرب والشرق لاعلان رأي الامة، قد أجمعت كلها على رفض الانتداب وانكار وعد بلفور ومقاطعة الصهيونية ومقاطعة مشاريعها»[٥٢].

لقد دعا اليهود للتخلي عن الصهيونية والتحول الى مواطنين عاديين لهم جميع حقوق المواطنة السياسية والمدنية والدينية، ناصحا اياهم بالعزوف عن المرامي الصهيونية مذكرا بانحسار الحملات الصليبية وتراجعها مدحورة من فلسطين[٥٣]. ولكن هذه الدعوة بقيت صرخة في واد. فبريطانيا عاقدة العزم على انجاز خيانتها وقادرة بسهولة على اجتذاب طبقة الوجهاء الى صفها لقاء مغنم رخيص من وظيفة او نفوذ، والصهاينة على بينة من كل ذلك.

من هنا كانت نقمة الرجل على طبقة الوجهاء النفعيين اولا وعلى بريطانيا ثانيا، أما بالنسبة لبريطانيا فالمطالب التي يجب ان تفهمها وأن تلح الامة في سبيل الوصول اليها فتتلخص في جلائها عن فلسطين، والغاء وعد بلفور، ومنع الهجرة الصهيونية، واحترام حريتنا واستقلالنا. لكن بريطانيا لن تقدم على شيء من هذه المطالب مهما كان الالحاح والتضحيات ما دام الوجهاء يعفرون الجباه على اقدام رجالاتها لقاء مكسب زهيد: «أولى الناس بالحرص على كرامتهم وحمل الانكليز وغيرهم على احترامهم هم الذين يروحون الى الاجانب ويغدون عليهم، هم الذين يقيمون لهم الولائم الفاخرة ويحسبون الشرف ان يقبل الحاكم دعواتهم، هم الذين اذا دعاهم الحاكم الى حفلة شاي يقيمها غدا ناموا ليلتهم «بثياب العيد» استعدادا لحفلة الغد، يحسبون الشرف ان يتناولوا الشاي على مائدة الحاكم ... آخ من هؤلاء!».

«أعرف من هؤلاء من كان ليشارك الامة اليوم في احتجاجاتها ، وربما كان صوته أعلى الاصوات وامضاؤه أو الامضاءات، ثم يغدو من غده على الحاكم يلتمس تعيين ولده او أخيه او ابن عمه في أحد مناصب الحكومة. باي عين يا سيدي تلتمس من الحاكم هذا التعيين اليوم، وقد احتججت عليه بالامس، أتعرف ماذا يقول؟ يقول ان سادات هذه الامة شحاذون وفوق ذلك وقحون»[٥٤].

لقد وجد السكاكيني سلوكا ممقوتا في اسلوب هذه الطبقة من الناس في تعاملها مع السلطة الحاكمة فهي بالاضافة الى قبولها المهانة والتذلل طمعا بالاستجداء تتيح المجال لهذه السلطة كي تستخف بكل مطالب الشعب، من هنا خاطب الرجل هؤلاء المتزلفين قائلا: «احرصوا على كرامتكم او لا تحرصوا عليها ، فانتم وشأنكم، وأما أن تعرضوا كرامة أمتكم للهوان ثم تدعوا السيادة فيها فهذا لن يكون، ثم لن يكون، ثم لن يكون».

عهدي بالانكليز يكرهون المتملقين المتزلفين، ولكنكم أفسدتم أخلاقهم وعودتموهم ان يكلفوا الامة بأسرها ان تتملقهم وتتزلف اليهم».

«والله اني لا خجل ان أطالب الانكليز بالجلاء ، او أدعي ان لي الحق في الحياة اذا كنت لا احرص على كرامتي ولا آنف من الهوان»[٥٥].

هذا الانحدار في الاخلاق الذي يتجلى في ممارسات الوجهاء أعطى الضوء الاخضر للصهاينة باشراف بريطانيا للمضي قدما في وضع ما تبقى من أسس لتشييد كيانهم العنصري، فالاستعدادات لانشاء الجامعة العبرية بالقدس قد أنجزت والتحضير لاقامة الاحتفال في نيسان من عام ١٩٢٥ قد اكمل، واخذ الغليان والتوتر يخيمان على طول فلسطين وعرضها عندما تنامى الى الاسماع ان اللورد بلفور صاحب الوعد المشهور سيشارك في هذا الاحتفال «فالعرب يرون في اللورد بلفور تجسيدا للمصلحة البريطانية في الصهيونية ويعتبرونه لا مبتدع هذه السياسة وحسب بل مؤازرها المخلص ايضاً[٥٦]. وفي هذه الاثناء وضع السكاكيني نشيدا وطنيا ليهزج به الشبان ويواجهوا بهذا الهزج بلفور الزائر، وقد جاء في هذا النشيد:

هذي فلسطين لنا ... من رامها يلق الندم
نرخص في سبيلها ... ما عزّ من مال ودم

بلفور أنّا أمة ... لا يستباح حقها
لا خير في العيش اذا ... ما كان فيه رقها

--

بلفور أنا أمة طامحة الى العلا
سنستمر في الجهاد او ننال الامل

بلفور انا أمة ليست على الظلم تقيم
بلفور اللا ترتدع فمرتع الظلم وخيم

هذا اوان الجد يا شعب فسر الى الامام
ليس بغير الجد يا شعب تنال ما ترام[٥٧]

«وفي اليوم الذي وطئت فيه قدما اللورد بلفور ارض فلسطين اعلن في البلاد اضراب عام شمل المتاجر والمدارس والسيارات، وتقيد به المسلمون والمسيحيون في مختلف أنحاء البلاد ورفعت الرايات السود، واصدرت صحيفة فلسطين عددا خاصا باللغة الانكليزية. وألقى خليل السكاكيني (وهو مسيحي) خطابا وطنيا من فوق منصة الحرم الشريف، وعلى الاثر اتخذ قرار بصيغة ليست مهذبة كثيراً، يدعو اللورد بلفور الى مغادرة البلاد التي دخلها خلافا لرغبات سكانها واهلها. وبلغ القرار الى المندوب السامي بواسطة حاكم اللواء»[٥٨].

لقد بلغ السخط العارم على بلفور وعلى بريطانيا حداً كبيرا لا مثيل له، وتوارت عن مسرح الاحتفال طبقة الوجهاء المنتفعين حياء وخوفا الا قلة ضئيلة جداً كان على رأسها راغب النشاشيبي وبعض رجال الدين. وقد لقيت هذه القلة سخطا جماهيريا عارما يزيد على السخط الموجه لبريطانيا، ولقد نددت الصحف الفلسطينية وعلى رأسها «الكرمل» ببلفور وبالوجهاء الذين حضروا الاحتفال، وصبت هذه الصحف نقمتها على السلطة المصرية التي شاركت في الاحتفال بايفاد احمد لطفي السيد ممثلا عنها.

ومن القدس توجه بلفور بعد موجة العداء الساخط الى دمشق فاستقبلته بالتظاهرات الدامية والنقمة العارمة، الامر الذي دعا السكاكيني الى التفاؤل بالمستقبل وأكبار موقف عاصمة الامويين الوطني: «اما نحن فقد خجلنا ووددنا لو يرجع بلفور الينا لنقابله بما قابله به الدمشقيون. لقد كنا اولى الناس في أن نسد عليه الطرق فلا يمر. واذا ادخلوه من طريق لم نحسب حسابها حاصرناه حتى ينزل ولن ندعه يخرج او يطل من نافذة ما دام فينا عرق ينبض، تلك فرصة سنحت لنا فاضعناها، فهنيئا لدمشق بما كسبت من فخر... حياك الله يا

دمشق، انك معقد آمالنا ، ومبعث حياتنا ، وعنوان فخرنا ، اما بلفور فلو كان وليدا لأشابه ما لقي في دمشق وأهرمه. واما دعاة الهزيمة فينا فكم تمنوا لو تنشق الارض فتبتلعهم»[٥٩] .

ودعاة الهزيمة الراكضون وراء المنافع، القابلون بالذل والهوان القانعون بفتات موائد الاجنبي، هؤلاء كانوا مثار اشمئزاز السكاكيني واحتقاره لهذه الطبقة الفاسدة، فهي السوس الذي ينخر جسم الامة، لم يترك الرجل مناسبة تمر الا وشهر بهم وندد، مظهرا حقارتهم والشقاء الذي يجرونه على شعبهم وبلادهم، ففي حفلة تكريمية أقيمت في القدس لخليل مطران، دعا السكاكيني المحتفى به الى الاضطلاع بمسؤوليته القومية عارضا له الاوضاع التي تعاني منها فلسطين والامراض التي تشكو وتتألم بسببها «كانت لنا وحدة فتصدعت وأصبحنا فرقا وأحزابا نخاصم بعضنا بعضا . وان صدورنا لتغلي بالخصومة والحقد . كنا نطلب الاستقلال فأصبحنا واذا فينا حكوميون اكثر من الحكومة . حكوميون يتمرغون عند أقدام الحكومة ويلتقطون الفتات الساقط من موائدها . حكوميون يعبدون الحكام اليوم كما كانوا يعبدونهم قبل اليوم، فاذا تراءى لهم شبح الحاكم من بعيد خروا للاذقان، والامة التي تعبد حاكمها ولو كان منها لا تصلح للحياة» .

«كنا اعزاء النفوس شرفاء فأصبحنا واذا فينا من يتطوع ان يكون جاسوسا لهذه الحكومة على أمته . . . وكنا وليس فينا من يؤثر مصلحته الشخصية على المصلحة العامة فأصبحنا واذا فينا من يضحي بالمصلحة العامة في سبيل المصلحة الخاصة بل في سبيل شهواته وحزازاته» وبعد أن يعدد السكاكيني الامراض التي تشكو منها أمته يخاطب مطرانا قائلا : «هذا بعض ما فينا . اذا كان بعض الشعر يشل الاعصاب ويخدر الحواس ويثبط العزائم ويسمم الشعور ويقتل النفوس قتلا . فارسل فينا من شعرك ما يكبر النفوس، فيوسع الامال، ويشدد العزائم، وينور البصائر، ويغذي العقول والارواح، ويشفي القلوب من امراضها . او فارسل صواعق تسحق تلك النفوس المريضة»[٦٠] .

وينتقل السكاكيني احيانا من التشهير والتنديد بهذه الطبقة الرخيصة من الوجاهات التقليدية الى السخرية بها والتهكم عليها وعلى السلطة التي تعفر جباهها على أقدامها .

ففي مقال بعنوان المندوب السامي ونبوخذنصر، يشير الى قيام هربرت صموئيل الصهيوني بزيارة مدينة الرملة «يتفقد شؤون الناس تفقد الاب شؤون أولاده فيرى بعينيه ويسمع بأذنيه . فان كان هناك ظلم ازاله او شكوى اهتم بها ، ولكن ما كان يمر في طريق الا امر البوليس الذي كان يتقدم الموكب على الجانبين ان يقوموا اجلالا فلا يتأخر احد» . ومن الطبيعي ان سبق الوجهاء البوليس فيقفوا اجلالا له . وحدث ان تمنع حمدي الحسيني عن مجاراة الوجهاء، وعن الامتثال لامر البوليس فكان جزاؤه الاعتقال والسجن أربعا وعشرين ساعة . هذا الحادث

دفع السكاكيني للقول: «لو كنت يا مسكين في عصر نبوخذنصر لكان جزاؤك ان تلقى وسط أتون نار متقدة» ويروي بعد ذلك ما تذكره التوراة من حرق الذين لا يقفون اجلالا لنبوخذنصر وينتهي الى القول: «الا تحمد حسن حظك وتشكر الله يا حمدي ألف مرة انك في عصر هربرت صموئيل المندوب السامي لا عصر نبوخذنصر الملك، وان كان كثيرون من مرازبة هذا العصر وولاته وقضاته وخزنته وفقهائه ومغنيه وكل حكامه ولا أقول أدبائه يحاولون أن يجعلوا من هربرت صموئيل المندوب السامي نبوخذنصر الملك فينصبون له في كل بقعة تمثالاً يخرون ويسجدون له وهو يدري او لا يدري»[٦١].

وتشاء حكومة صاحب الجلالة في لندن ان تستبدل المندوب السامي الصهيوني بآخر انكليزي بعد مضي خمس سنوات وبعد اطمئنانها الى ان صموئيل هذا قد تمكن من وضع اللبنات الاولى لبنيان الكيان العنصري، ومع ذلك شعر السكاكيني بارتياح لهذا التدبير فقال: «اما وقد عين مندوبا ساميا على فلسطين غير يهودي فاني أعد هذا انتصارا كبيرا لنا على الصهيونيين الذين كانوا يقولون: «ولا يجلس على كرسي داود غريب» اذ كانوا يعتبرون المندوب السامي هربرت صموئيل ملك اسرائيل، فلو كنت أحس بهدوء في الاعصاب وشيء من النشاط لقلت كلمة في هذا الموضوع اهنيء وأعزي، اهنيهم لانهم قضوا شهوتهم فكان لهم ملك واعتبرت لغتهم رسمية، ولو امتد زمن هذا الملك لضربت النقود باسمه، أهنيهم انهم تسلموا ادارة البلاد خمس سنوات فسنوا الشرائع وفتحوا باب المهاجرة ووضعوا البلاد في حالات ادارية واقتصادية وسياسية تمكنهم ان ينشئوا وطنهم القومي. أعزيهم بذهاب هذا الملك «العزيز» وسقوط هذه الدولة «الضخمة» وتقلص ذلك الظل الممتد». ويوجه كلامه الى المندوب السامي المعزول طالبا منه ان يحرق ملفاته لانها اكاذيب تقرب بها اليه الدساسون ويقول له: «قد كنت تنظر بغير عينيك، وتسمع بغير أذنيك وتفكر بغير دماغك. فدع خلفك ينظر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفكر بدماغه». ويعود فيطالبه فيما اذا اراد البقاء في فلسطين ان ينزع عنه صهيونيته ونفاقه «اذ ذاك يطيب لك العيش بين ظهرانينا»[٦٢].

ويعود السكاكيني مرة ثانية الى المندوب السامي الراحل هربرت صموئيل عبر كتاب مفتوح يقول فيه: «في آخر الشهر القادم تودع فلسطين كما ودع هرقل سوريا. تحمل في نفسك اثارا وتترك اثارا. ومهما يكن الأمر فارجو ان تتعزى لانك لست اول من رحل بعد أن أقام. لقد مر بنا قبلك غزاة فاتحون كثيرون فاقاموا في هذه البلاد ما اقاموا وظنوا كل الظن انهم امنوا الدهر وفجاءاته فحكموا وتحكموا» . . . ويذكره بعد ذلك بما اقترفت يداه من آثام وما بدا منه من غطرسة. وينتهي قائلا له: «ليست الفكرة التي جئت لتأييدها عادلة. لم تكن عادلة يوم جئت ولم تكن عادلة ما أقمت ولن تكون عادلة بعد رحيلك، نحن لا نكره ان يكون لقومك وطن، ونحن لا

نكره ان يكون لهم مكان تحت هذه الشمس، بل اننا نعجب بهممهم العالية ودأبهم ولو في طلب المحال. ولكن ما احراهم اذا أرادوا ان يكونوا سعداء وان يعيشوا بسلام ان يفتشوا عن وطن «لا اصحاب له ولا نخالك الا قد عرفت ان العمل الذي كنت تحسبه هينا، قد كان شاقاً جدا ومن يقابل بينك يوم قدمت وبينك يوم ترحل ير فرقا كبيرا. لا اقول ان آثار الشيخوخة بادية عليك، ولكن لا أكتمك ان آثار التعب غير خافية»[٦٣].

لكن ذهاب المندوب السامي الصهيوني ومجيء آخر بريطاني لم يكن ليحدث أي تغيير في المخطط البريطاني الماضي قدما في تهويد فلسطين، يأتي السابع عشر من كانون اول العام ١٩٢٥ فيقيم اليهود في القدس عرضا واحتفالا بذكرى اشتراك فريق منهم في حملة اللنبي ويتساءل السكاكيني بمرارة «ترى لو لم يكن الانكليز في هذه البلاد، فهل كان اليهود مهما بلغ عددهم وكان بعضهم لبعض ظهيراً يستطيعون ان يرفعوا علما في بلاد ليست لهم!»[٦٤]

ويضيق صدر سلطة الانتداب بالصحف الحرة فتشدد الرقابة وتكثر من التوقيف وتمنع الصحف الوطنية في الخارج من دخول فلسطين، وكان من بين هذه الصحف «الشورى» الجريدة المناضلة التي أصدرها محمد علي الطاهر صديق السكاكيني في القاهرة وابن نابلس فكتب له السكاكيني يقول: «اجلك ان ترضى ان تكون جريدتك من سقط المتاع، اجلك ان تكون صيحاتك في واد ونفخاتك في رماد. اما وقد صحت عزيمة الحكومة على منع جريدتك فلم يكن صبرها عليك من اهمال بل عن امهال وما احراك ان تفتخر انك رميت فاصبت»[٦٥].

وكما كانت الغطرسة الاستعمارية قائمة في فلسطين كانت الغطرسة الفرنسية في سوريا، التي التهبت فيها عدة ثورات دموية كان أبرزها ثورة تموز العام ١٩٢٥ في حوران، وكان من الطبيعي ان تشغل بال فلسطين فهي شطرها الجنوبي، وهي التي تحدت عاصمتها دمشق اللورد بلفور يوم أتاها زائرا. فأرسل لها السكاكيني تحية الاعجاب والاكبار. وها هو يترك ولو الى حين جراح فلسطينيه الدامية منذ ان «شرفها» الانكليز ليكتب عن الثورة السورية وعن الشهداء والقادة فيقول: «يقولون ان الحوادث الكبرى تفتق القرائح وتخلق الشعراء والادباء والموسيقيين، وان أجمل الاغاني وأبلغ الشعراء، وأحسن فصول الادب ظهرت في الحوادث الكبرى.

وماذا تكون الحوادث الكبرى اذا لم تكن مثل هذه الثورة السورية. فأين الشعراء والادباء والموسيقيون؟ أين الأغاني والاهازيج الجديدة التي تغوي روح الامة وتثير حماستها وتجعل حتى من الصبيان أبطالا؟

... جاهد عبد الكريم بطل الريف ست سنوات نازل فيها اربعمائة الف جندي من جنود فرنسا واسبانيا في سبيل حرية بلاده وابلى فيهم البلاء الحسن، فكنا نكتفي من قراءة اخباره بامرار النظر كأن أمره لا يعنينا، بل ما

ادرانا أن يقوم فينا اليوم من يعتب عليه لانه استنفد قواه فعجز فسلم!

أيها الشعراء ايها الادباء ايها الموسيقيون اذا لم تؤثر فيكم هذه الحوادث الكبرى فتفتق قرائحكم وترهف السنتكم وأقلامكم فتؤثروا على الأمة فأنتم والأمة أموات في اموات وما لجرح بميت إيلام»[٦٦].

بعد أن أصبح حي القطمون حيث منزله على وشك السقوط وبعد أن أمل ان الجيوش الداخلة ستحرر فلسطين كل شبر من فلسطين، فاذا به مرمي في القاهرة والحسرة تكوي قلبه المتعب الذي لم يعد فيه موضع لسهم. وهناك في القاهرة بكى دما شعبه المشتت تحت كل سماء، وتاريخه الذي دنسته الانظمة وقدسه التي استباحها الطغاة، واهل الانظمة يتفرجون فلا يندى لهم جبين، وهناك رغم ثخانة الجراح عاد الى العمل فترأس المجلس الوطني في غزة، وعمل في المجمع اللغوي في مصر [٦٧] وبقي يحلم بالعودة ومات وفي قلبه غصة وفي عينيه دموع هي الجمر الذي أحرق فؤاده على ضياع فلسطين وعلى قدسه زهرة المدائن التي عشقها.

١- السكاكيني خليل،كذا انا يا دنيا، ص ١٧٥

٢- المصدر السابق، ١٧٣

٣- المصدر السابق، ١٧٩

٤- المصدر السابق، ١٧٦

٥- المصدر السابق، ١٧٦

٦- المصدر السابق، ١٦٧

٧-المصدر السابق، ص ١٨١

٨- المصدر السابق، ص١٨٢

٩-المصدر السابق، ص١٧٧- ١٧٩

١٠- المصدر السابق، ص ١٦٦- ١٧٢

١١-المصدر السابق،١٦١- ١٦٢

١٢- المصدر السابق، ص١٦٤

١٣-المصدر السابق، ص١٧٩

١٤-المصدر السابق، ص١٧٠

١٥-المصدر السابق، ص١٧١

١٦- المصدر السابق، ص ١٨٦

١٧-المصدر السابق، ص ١٩٤

١٨-المصدر السابق، صد١٨٨

١٩-المصدر السابق، ص١٨٩

٢٠-المصدر السابق، ص١٩٤

٢١- المصدر السابق، ص١٩٥-١٩٦

٢٢- جريدة السياسة المصرية، ١ يونيو ١٩٢٣

٢٣-المصدر السابق، ١يونيو١٩٢٣

٢٤- المصدر السابق، ١ يونيو ١٩٢٣

٢٥- المصدر السابق، ١٩٢٣

٢٦-المصدر السابق، ١ يونيو ١٩٢٣

٢٧-المصدر السابق، ١ يونيو ١٩٢٣

٢٨-المصدر السابق، ١ يونيو ١٩٢٣

٢٩-المصدر السابق، ٢٣ يونيو١٩٢٣

٣٠-المصدر السابق، ١٣ يونيو١٩٢٣

٣١-المصدر السابق، ١٣ يونيو١٩٢٣

٣٢-المصدر السابق، ٢٨ يونيو١٩٢٣

٣٣-المصدر السابق، ٢٨ يونيو١٩٢٣

٣٤-المصدر السابق،٢٨ يونيو١٩٢٣

٣٥-المصدر السابق، ٢٨ يونيو١٩٢٣

٣٦-المصدر السابق، ٢٨ يونيو١٩٢٣

٣٧-المصدر السابق، ٢٨ يونيو١٩٢٣

٣٨-السكاكيني خليل، كذا انا يا دنيا، ص ١٦٧

٣٩-السياسة، ٢٨ يونيو ص ١٩٢٣

٤٠-العدد السابق، ٢٨ يونيو ١٩٢٣

* المقصود جريدة المقطم بشكل خاص

٤١- العدد السابق ٢٨ يونيو ١٩٢٣

٤٢- المصدر السابق، ١٢ أغسطس ١٩٣٢٣

٤٣-د. قاسمية خيرية، المصدر السابق، ص١١٧

٤٤- السياسة، ١٢ أغسطس ١٩٢٣

٤٥- المصدر السابق، ١٢ أغسطس ١٩٢٣

٤٦-المصدر السابق، ١٧ ديسمبر ١٩٢٣

٤٧-المصدر السابق، ٣١ ديسمبر ١٩٢٣

٤٨- المصدر السابق، ٣١ ديسمبر ١٩٢٣

٤٩- المصدر السابق، ٣١ ديسمبر ١٩٢٣

٥٠- المصدر السابق، ٣١ ديسمبر ١٩٢٣

٥١- المصدر السابق، ٣١ ديسمبر ١٩٢٣

٥٢- السكاكيني خليل، المجموعة الكاملة، ص٣٧٦

٥٣- السياسة، ٢٧ مارس ١٩٢٥

٥٤-جريدة الشورى، ٧ كانون ثاني ١٩٢٥

٥٥-المصدر السابق، ٧ كانون ثاني ١٩٢٥

٥٦- د. الكيالي عبد الوهاب، المصدر السابق، ص٢٢٣

٥٧- الشورى، ٢٣ ابريل ١٩٢٥

٥٨- د. الكيالي عبد الوهاب، المصدر السابق ص ٢٢٣

٥٩- الشورى، ١٦ ابريل ١٩٢٥

٦٠- الشورى، ١٢ نوفمبر ١٩٢٤

٦١- الشورى، ٢١ مايو ١٩٢٥

٦٢- الشورى، ٢٨ مايو ١٩٢٥

٦٣- الشورى ٤ يونيو ١٩٢٥

٦٤- الشورى، ٢٤ ديسمبر ١٩٢٥

٦٥- الشورى، ٣١ ديسمبر ١٩٢٥

٦٦- الشورى، ٣ يوليو ١٩٢٥

٦٧- السكاكيني خليل، كذا أنا يا دنيا ٣٩١-٣٩٤.

الفصل الأول

اختبار الانتداب، أسئلة الهوية

يوم الاربعاء ١٥ و ٢ك٢ سنة ١٩١٩م

عزمت على أن استأنف كتابة يوميتي بعد انقطاعي عنها مدة طويلة، وسأضع خلاصة الحوادث والتأثرات والخواطر التي مرت بي في مدة انقطاعي عن الكتابة في فرصة أخرى إن شاء الله. أهم ما يشغل أفكار الناس في هذه الأيام هو سياسة البلاد ولذلك لا أرى بداً أن أضع بروغرامي وأشير إلى الآراء المختلفة والنزعات المتباينة أما بروغرامي فهو هذا:

بناءً على اشتراك الأمة العربية في مساعدة الحلفاء، وهذه المساعدة كانت أولاً: بتهافت الجند العربي في الجيوش العثمانية على الفرار من صفوف القتال وقد كان عدد الفارين عظيماً جداً، بحيث يكاد يكون عمومياً، والذين لم يفروا لم يشتركوا في الخدمة العسكرية إلا مجبرين، ولذلك لم يكن لخدمتهم نفع كبير، فكأن الأمة العربية اعتصبت [=تمردت] ضد الخدمة العسكرية، وهذا الاعتصاب أضعف مواقف الجند العثماني أمام الحلفاء، وإلا فلو أقبلوا على الخدمة بعواطف صحيحة ونيات مخلصة لم يتمكن الحلفاء من الانتصار إلا بخسائر فادحة جداً.

ثانياً بقيام الأمير فيصل[1] في الحجاز وانضمام المتطوعين من الفارين وأسرى الحلفاء من سوريا والعراق وفلسطين إليه، وقد اعترفت الجرائد الأوروبية بتأثير قيام الحجاز وبلاء الجند العربي في هذه الحرب، مما قوى

---

(١) الملك فيصل الأول - ١٩٣٣م:

فيصل بن الشريف الحسين بن علي الحسني الهاشمي، أبو غازي، ملك العراق. ولد في الطائف، ورحل مع أبيه حين أُبعد إلى الآستانة سنة ١٨٨١م وعاد معه سنة ١٩٠٩م فأخذ ينتقل بين الحجاز والآستانة، وزار دمشق سنة ١٩١٦م فأقسم بيمين الإخلاص للجمعية «العربية الفتاة» السرية، وثار والده على الترك سنة ١٩١٦م فتولى فيصل قيادة الجيش الشمالي، ثم سمي قائداً عاماً على الجيش العربي المحارب في فلسطين إلى جانب القوات البريطانية، ودخل سورية سنة ١٩١٨م بعد جلاء الأتراك عنها، فاستقبله أهلها استقبال المنقذ. سافر إلى باريس نائباً عن أبيه في مؤتمر الصلح. عاد إلى دمشق في أوائل سنة ١٩٢٠م فنودي به ملكاً دستورياً على البلاد السورية سنة ١٩٢٠م وكانت وقعة ميسلون في ٢٤ تموز ١٩٢٠م واحتل الجيش الفرنسي سورية ورحل الملك فيصل إلى أوروبا، دعته الحكومة البريطانية لحضور مؤتمر عقدته في القاهرة سنة ١٩٢١م برئاسة ونستون تشرشل وتقرر ترشيحه لعرش العراق، فانتقل إلى بغداد ونودي به ملكاً على العراق في ١١ تموز ١٩٢١م. قصد سويسرا للاستجمام، فتوفي بالسكتة القلبية في عاصمتها «برن» في ٨ أيلول ١٩٣٣م ونقل جثمانه إلى بغداد ودفن فيها.

جانب الحلفاء وأضعف جانب تركيا وحلفائها .

ثالثاً : ان ثورة العرب في الحجاز أبطلت تأثير الجهاد الديني الذي أعلنته تركيا ، وحولت هذه القوة من يد تركيا التي كانت دائماً تهدد بها أوربا ، الى يد الحلفاء ، وضمنت السكون في العالم الإسلامي ، بل كانت الباعث الأكبر على ارتياح العالم الإسلامي الى الحلفاء ومساعدته لهم .

رابعاً : بامتناع الأمة العربية في سوريا وحوران وجبل الدروز وفلسطين عن مساعدة تركيا وحلفائها بتقديم التكاليف الحربية من حبوب وغيرها ، فلم تكن تطلب الحبوب إلا أخفوه ، ولم يكونوا يقدمونها إلا بأثمان باهظة جداً ، فضلاً عن اعتصابهم ضد الأوراق النقدية مما اضطر الاتراك وحلفاءهم ان يشتروا لوازمهم بالذهب ، وأدى من الجهة الأخرى الى اسقاط قسيمة الورق .

خامساً : بامتناع جبل الدروز وجبل حوران والبدو في كل مكان عن الخدمة العسكرية فلو تجندوا لكان منهم جيش باسل لا يستهان به ، بل لو أمنت الحكومة العثمانية جانبهم لاستغنت عن قوات كبيرة من قواتها التي أرصدتها لتأمين الطرق ودفع غارات البدو ، ومنع قيام الدروز والحورانيين ، وارسلتها إلى ساحات القتال .

سادساً : أضف إلى ذلك عواطف السوريين واميالهم إلى الحلفاء ، مما جعلهم يتلقون أخبار انتصارات الترك والألمان بالتكذيب ، ويروّجون اشاعات مختلفة بانتصار الحلفاء وانهم على حق والألمان وحلفاءهم على باطل ، إلى غير ذلك مما كان له تأثير كبير على القوى المعنوية في البلاد وفي الجيوش المحاربة . لم يفتأ الألمان والترك يشيعون من أول هذه الحرب [أنباء عن] نشوب ثورات في الهند أو في مصر أو في ايطاليا ، أو وقوع اختلاف في الرأي والمصلحة بين الحلفاء ، أو تفشي الأمراض في جيوشهم أو اعتصاب الجند أو العمال أو ارتفاع الأسعار وسقوط قيمة النقود أو قلة الحاجيات أو غرق المدرعات أو انهزام الجيوش أو سقوط الحصون ، إلى غير ذلك مما كانوا يقصدون به حمل الناس على الاعتقاد أنهم هم الظافرون والحلفاء الخاسرون ، فلم تكن تلقى هذه الاشاعات رواجاً في الأمة العربية ، بل كانت تشيع ما يخالف ذلك ، مما ضاق به الألمان والأتراك ذرعاً فنفوا الكثيرين إلى بر الأناضول . أضف إلى ذلك الجمعيات الثورية التي كانت تهمّ أن تقوم بثورة كبيرة ، فعاجلتهم الحكومة العثمانية فشنقت من شنقت من نخبة رجال البلاد ، ونفت من نفت وسجنت من سجنت ، مما أوغر صدر الأمة العربية فجعلت تتربص بالأمة التركية الدوائر ، فقام الحجاز وغضب الأمير فيصل غضبة مضرية ، وتأثر حوران وجبل الدروز تأثراً عظيماً وثار الرأي العام العربي ثورة كبيرة ، فاتسع الخرق وانجذم الحبل ونكئت الجراح المندملة وارتفعت صيحة في طول البلاد وعرضها : الانتقام الانتقام . . . مما حمل القائد الألماني فاينكهام

أن يرفع ذلك التقرير إلى الحكومة العثمانية [يصف فيه] سياستها الخرقاء، وينصحها أن تنسحب من البلاد العربية لأنها أصبحت بلاد عدو لا بلاد صديق. أضف إلى ذلك قيام السوريين وغيرهم من الأمة العربية خارج البلاد العثمانية وتطوعهم في الجيش الأميركي أو الجيش العربي واشتراكهم في جرائدهم بالحملات الشديدة على تركيا وألمانيا. اضف إلى ذلك فرار الضباط العرب من الجيش التركي يحملون خرائط القتال ورسوم خطط الحرب ووثائق ببيان القوات والمدافع ومواطن الضعف والقوة في الجيش العثماني، مما لا تجهل قيمته الحربية. أضف الى ذلك تطوع الكثيرين من فلسطين بعد الاحتلال في الجيش العربي وبلاءهم في الحرب أحسن بلاء. أضف الى ذلك ما كان يرد كل يوم على دائرة الاستخبارات من الأسرار المهمة بواسطة ابناء العرب الذين كانوا في الجيش التركي.. كل ذلك حقائق راهنة تدل على أهمية المساعدة التي قامت بها الأمة العربية نحو الحلفاء، وفي سبيل حريتها واستقلالها.

ثم بناءً على اعلان الحلفاء انهم إنما خاضوا غمار هذه الحرب لتحرير الأمم المظلومة وتخويلها الحق في أن تستقل أو تختار الحكومة التي تريدها بدون تداخل أحد في شؤونها. بناءً على كل ذلك لنا الحق المطلق أن نعرض على مائدة مؤتمر الصلح[٢] ما يأتي.. أن نؤلف جامعة عربية تتناول كل أبناء العرب على وجه البسيطة كما يدعو السلافيون إلى الجامعة السلافية والسربيون [الصربيون] إلى الجامعة السربية والبولونيون إلى الجامعة البولونية واليهود إلى الجامعة الصهيونية. وفوائد الجامعة العربية عديدة، أهمها: أولاً تأليف قوة كبيرة لا يستهان بها تستطيع أن تشترك مع الدول العظمى الراقية المتمدنة في توطيد أركان السلم العام احتشاد عقول وقرائح أقاليم مختلفة من البلاد العربية، وتوفر قوى عديدة على التشبث بالحياة واتخاذ كل الوسائط للتقدم والرقي، أضف إلى ذلك ما يبعثه استقلال هذه الأمم واستعدادها الطبيعي وتاريخها المجيد من النشاط والأمل والقوة في سبيل تقدمها وارتقائها.

(٣) إذا تألفت الجامعة العربية فهناك مجال أوسع للتجارة والمنافع الاقتصادية، مما يدعو الأمم الأوروبية الى اكتساب ولائنا، ولا غنى لنا عن رؤوس أموال أوربية في كل مشاريعنا الوطنية.

(٤) إذا تألفت الجامعة العربية وتوفرت لها أسباب التقدم والارتقاء، كانت الواسطة في نقل المدنية من الغرب إلى الشرق.

يوم الخميس ١٦ ك٢ غ سنة ١٩١٩م

ما كدت أرجع من مصر فاغتبط بسلامة أحبائي وتمتعهم بالصحة الجيدة، حتى أخذت الحمى الخبيثة سرياً

(٢) مؤتمر الصلح ١٩١٩: انعقد مؤتمر الصلح بتاريخ ١٩١٩/١/١٠ في باريس، وكان من أهدافه رسم خريطة جديدة للعالم بعد الحرب العالمية الأولى.

وأمه، وقد كان سريّ في حالة خفت عليه منها خوفاً عظيماً، فلم نجد بدّاً أن نحقنه وأمّه بالكينا تحت الجلد في الأليّة، فتحسنت حالته قليلاً، ثم داهمته نزله صدرية تواتر عليه معها السعال وضاق نفسه حتى ازرقّ وجهه، فعاجلناه بكاسات هواء على صدره وظهره، وبالغنا في تدفئته، فألبسناه على اللحم مضربية قطن، ثم ثارت به الحصبة، وبعد أن سلم منها عاودته الحمى ولا تزال تعاوده هو وأمه، إلا أن أمّه منذ نحو ثمانية أيام عادها الطبيب توفيق حداد، فوصف لها كينا محلولة فلم تراجعها الحمى، وأما سريّ فإن الحمى لم تفارقه أبداً، بحيث أصبح منتوف الوجه مهزول الجسم أصفر اللون فعاده الطبيب المذكور فأشار أن نعطيه الكينا إما حبوباً أو محلولة، فأبى ولم ندع واسطة لاعطائه الدواء على غير جدوى فلم نرَ بداً أن نجبره اجباراً . . وربما اضطررنا إلى حقنه بالكينا تحت الجلد . . . منذ رجعت من مصر إلى اليوم لم أزل قلق الفكر مضطرب البال لا أستريح لا في الليل ولا في النهار، فعسى أن تكون النتيجة خيراً إن شاء الله . . . وردتني اليوم رسالة من اشيل [صيقلي] ينعى إليّ فيها وفاة المرحومة السي مرهج كريمة الخواجا كريكوا ريان شقيقة المرحومة اسكوهي زوجة صديقي الأبر الخواجا اشيل، فاكبرت المصيبة جداً . . . بالأمس أوقف كبتن أفنس دروسه لأنه سافر إلى دمشق وقد بلغت الدروس التي أعطيته اياها عشراً، واليوم أعطيت لفتننت بنت الدرس الثاني . . زارني يوم الثلاثاء الماضي أي قبل أربعة أيام عارف باشا الداودي ومحمد يوسف العلمي ومحمد يوسف الخطيب ليطلعوا على رأيي في سياسة البلاد، فقلت: سياسة البلاد تحتاج الى درس طويل تشترك فيه أمهات العقول والوطنية والاخلاص، وإلا فإن فرداً واحداً لا يستطيع بل لا يتجاسر أن يبدي رأيه الشخصي في هذه المسألة، لأن هناك مسأولية عظمى أمام الضمير والناس والتاريخ، وغاية ما يجوز لكل واحد أن يعرض رأيه للبحث. يجب أن نعقد الاجتماعات المتوالية في كل بلد، ثم نعقد مؤتمراً عمومياً ونقلّب الآراء من كل وجوهها، ثم يجب أن نستشير غيرنا ممن نعتقد فيهم الاخلاص لنا، ونؤنس منهم العطف علينا، بل يجب ان نستطيع أن نقف على آراء كل الناس ممن يعنون بهذا الأمر، بل يجب أن يكون هيئة سيارة [=متنقلة] تسافر الى كل الأقطار العربية بل الى أوربا إذا أمكن لنقف على السياسة الخارجية. ولأنه لا يتيسر لنا ذلك، بل لا يتسع الوقت له، فليس لنا إلا أن نفوّض صاحب السمو الأمير فيصل فهو ابن نجدتها. إذا كنتم تشترطون في الوفد إلى المؤتمر شرف الأسرة فالأمير من أشرف أسر العرب قبل الإسلام وبعده، أو الوطنية والاخلاص، فمن يضاهي الأمير في وطنيته واخلاصه؟ أو الحنكة والاختبار، فمن وقف على سياسة البلاد الداخلية والخارجية، ووقف على سياسة العالم، واحتك برجال السياسة من كل أمّة مثل الأمير؟ لو فتشتم البلاد في طولها وعرضها لما وجدتم من يقدر على القيام بأعباء هذه المهمة العظيمة قيام الأمير بها. إلا أن هناك فئتين من الناس تستوحشان من اسم الأمير،

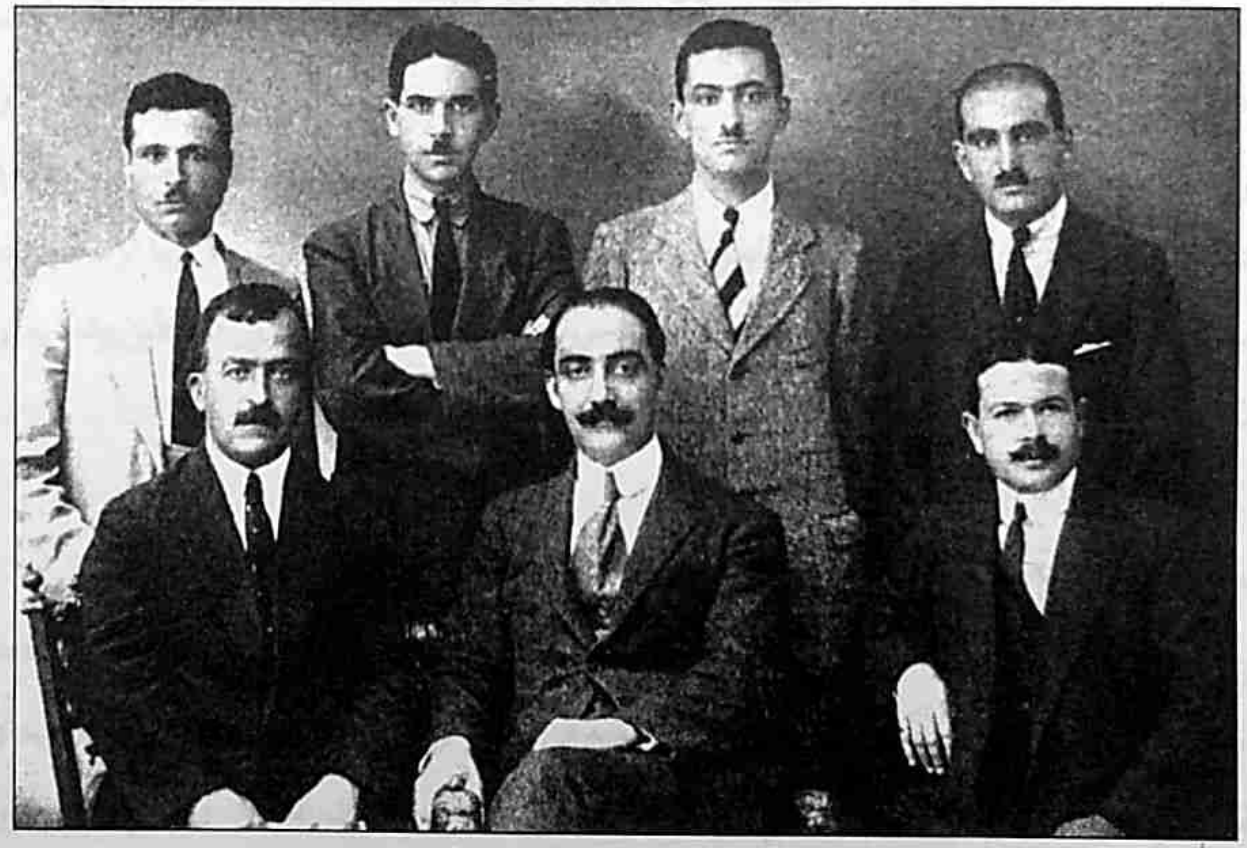

عادل جبر، أشيل صيقلي، خليل السكاكيني (من اليمين جلوس) وأنطون مشبك، موسى العلمي، حنا حمامة، وجورج خميس.

الصورة من مجموعة عائلة السكاكيني وتعود للعام ١٩٢٠.

الفئة الأولى المسيحيون لأنهم يعتقدون أن الأمير قام [بالثورة] كأمير مسلم، والفئة الثانية كثيرون من مسلمي سوريا وفلسطين، لأنهم يعتقدون أن الأمير قام كأمير حجازي، على أنه يجب أن يعرف المسيحيون أن الأمير لم يقم كأمير مسلم، ويجب أن يعرف الجميع أنه لم يقم كأمير حجازي، ولكنه قام كأمير عربي لا يشتغل إلا للجامعة العربية. ومعنى الجامعة العربية أن فلسطين ليست للفلسطينيين بل للجامعة العربية وسوريا ليست للسوريين بل للجامعة العربية، فإذا انقرض سكان فلسطين أو هاجروا إلى أميركا أو غيرها فلا يستطيع أن يرث فلسطين غير الجامعة العربية.. ثم إن الأمير الذي قام، على حين استسلم العرب قاطبة إلى الذل والخمول، فرفع شأن العرب وبيّض وجوههم أمام العالم وخوّلهم الحق ان يكون عنهم وفد إلى مؤتمر الصلح مثل هذا الأمير يجب أن يجمع العرب قاطبة على تكريمه واجلاله... ولذلك تستطيعون أن تعملوا ما تشاؤون وتقررون ما يتراءى لكم حسب اجتهادكم واخلاصكم، بشرط أن لا تمسوا الجامعة العربية ولا كرامة الأمير. إذا قلتم إن فلسطين للفلسطينيين فمعنى ذلك أنكم تخرجونها عن الجامعة العربية، فضلاً عما هناك من الخطر، إذ يقول العالم حينئذ إن اليهود فلسطينيون فلهم الحق أن ينزلوا فلسطين ويتخذوها وطناً قومياً لهم مثل سائر الفلسطينيين، وإذا أرسلتم وفداً خاصاً عن فلسطين إلى مؤتمر الصلح، فمعنى ذلك انه لا يجوز للأمير أن يتداخل في شؤون فلسطين وهذا يمس كرامته.

الجمعة ١٧ ك٢ غ سنة ١٩١٩م

لم نر بداً اليوم أن نسقي سريّاً الدواء فتمنع، وعبثاً كنا نحاول اقناعه ليشربه من تلقاء نفسه، لأني أكره أن اتخذ معه سياسة القهر، وأخيراً أمسكته أنا وأمه ووضعنا ملعقة في فمه وأفرغنا الدواء فيه وهو يصيح. يجب أن نحافظ على صحة أولادنا وإلا فإذا أصابهم أقل عارض تنغص العيش وتكدرت الحياة، وإذا لم يكن بدٌّ من المرض فيجب أن نعودهم الصبر على الوجع واستسهال شرب الدواء.

ذهبت علمت لأول مرة الكولونيل ووترس تيلر وكيل الحاكم العام العسكري فسر بدرسه كثيراً، وقد حضرت امرأته الدرس واشتركت معنا في الحديث في مواضيع مختلفة، وبعد أن انتهى الدرس ركبت معه اتوموبيله إلى دار الحكومة بالقرب من باب العمود. فاتني أن أذكر رجوع أسرة فيضي افندي العلمي يوم الاربعاء، فذهبت رأساً وسلمت عليهم، واليوم ذهبت فسلمت على الخواجا انطون جلاد الذي عاد بالأمس من منفاه في بر الأناضول، هو وعائلته، ولكنه فقد ولده فرنسيس تلميذي فأسفنا كثيراً.

السبت ١٨ك٢ غ سنة ١٩١٩م

كان من رأي اشيل في رسالته الأخيرة أن أتوكل على الله وأذهب الى مصر ، فعزمت أن أذهب في أول فرصة وحدي ، وبعد أن أجد شغلاً استدعي سلطانة وسريا . نعم البلاد تحتاج إليّ كما تحتاج إلى كل فرد من أبنائها ، وقد أجد في وقت قريب مركزاً حسناً ينطبق على أفكاري ورغائبي وآمالي ، إلا أن المعيشة في مصر أوفق من جهات عديدة : (١) ننتقل إلى وسط راق حيّ ونستأنف حياة جديدة . نسكن في دار جميلة توفرت فيها أسباب الراحة ، أجدد في سلطانة الميل إلى الاهتمام بصحتها وجمالها والعابها وحماماتها . نبذل أقصى الجهد في العناية بسري وتربيته على أحسن المبادئ وأقوم الأخلاق (٢) نؤلف أنا واشيل وفرج [فرج الله] وسطاً جميلاً ، فتجد سلطانة من عفيفة واختي أشيل خير صديقات (٣) أجد مجالاً أوسع لبذل الهمة واستفراغ الجهد أكب على الدرس والمطالعة والكتابة والخطابة ، وأنا على ثقة أني أنال مقاماً رفيعاً في عالم الأدب . (٤) أشعر أني أكون أقدر على خدمة نزعاتي الوطنية ، لأن مصر ستكون دماغ البلاد العربية المفكر ومبعث آمالها ومنبثق أنوار حياتها ، إلى غير ذلك من الاعتبارات . . . جاء الطبيب اليوم وحقن سريا في أليته بنحو نصف غرام كينا . عرضت عليه أجرته عن عيادتين ، فقال : ارجئ الحساب إلى آخر العيادات . . . وردتني رسالة من محمود صالح من القبيبة من محل أسره في مصر . . . انقسم الناس في هذه البلاد في السياسة على آراء ومذاهب مختلفة ، فمنهم من يرى الحاق فلسطين بمصر ، وهم قسمان : قسم يقصد خدمة أغراض الأمة الانكليزية لا خدمة فلسطين ، ومنهم من يعتقد أن فلسطين لا تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها لتفشي الأمية فيها وانقسام البلاد إلى أحزاب مختلفة ، فلو تركوا لأنفسهم لأصبحت البلاد عش الفتن والثورات ، وضاعت الحقوق وساء المصير فرأوا أن يطلبوا الحاقها بمصر ، أولاً لما بينهما من الجامعة العربية (٢) تكثراً بالمصريين أمام سيل المهاجرة الصهيونية الجارف (٣) لأن في مصر حكومة منظمة ومجلس تشريع (٤) لأن مصر راقية وغنية فتستفيد فلسطين من رقي مصر وغناها . بدلاً من أن يشتري الصهيونيون أراضي فلسطين الواسعة المهملة يشتريها أغنياء مصر ، والفلسطيني والمصري اخوان ، إلى غير ذلك من الاعتبارات (٥) إذا لم يمكن تأليف الجامعة العربية اليوم ، فعلى الأقل تكوين جامعة من مصر وفلسطين قوية راقية بدلاً من أن تتجزأ البلاد الى مقاطعات صغيرة ضعيفة تحت حكم أجنبي مختلف (٦) أن مصر تمشي إلى استقلالها التام سنة بعد سنة فتشترك فلسطين معها في هذا المصير (٧) وإذا لم يكن لا هذا ولا ذاك ، أي إذا خشينا من ضياع استقلال مصر وهي قسم كبير من الجامعة العربية فليكن مصير فلسطين مثلها ، إذا ذهب الكثير فلا أسف على الصغير القليل ، وعلى كل حال ، فذهاب فلسطين إلى ما تذهب إليه مصر خير من أن تصبح وطناً قومياً لليهود ، لأن خروج

الانكليز من مصر مأمول واما خروج اليهود من فلسطين بعد أن يستوطنوها ويتمكنوا فيها فمستحيل. . . ومنهم من يرى الحاق فلسطين بسوريا وهم قسمان: المسيحيون والفريق الأكبر منهم كاثوليك، لا يقصدون بذلك مصلحة فلسطين بل مصلحة فرنسا لأنهم يقدرون أن سوريا ستكون لفرنسا، والقسم الثاني المسلمون لأنهم يرجون أن تكون سوريا عربية. الحاق فلسطين بمصر أو بسوريا على رأي الفريق الأكبر من المسلمين خير من استقلالها بنفسها، لأنها إذا لم تصر إلى حكم أجنبي، لأنها لا تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها، صارت وطناً قومياً لليهود، لأنها إذا كانت للفلسطينيين فاليهود فلسطينيون. . . ومنهم من يرى أن تكون فلسطين للفلسطينيين بشرط أن تمنع مهاجرة اليهود إليها، وهذا الفريق يرى أن تكوين الجامعة العربية الآن بعيد المنال وهناك فريق يخشى من الحاق فلسطين بالجامعة العربية لئلا تصبح تابعة للحجاز أو لسوريا فيضيع استقلالها الشخصي ومنهم من يرى أن تكون فلسطين للجامعة العربية. . إذا تألفت الجمعية الفلسطينية غداً وقع النزاع بين هذه المذاهب المختلفة، والله أعلم بمصير الأمور. . فإنني [أودّ] أن اذكر ان قد تألف حزب جديد في مصر، تحت رئاسة ميشيل بك لطف الله، ومن أعضائه عبد الرحمن شاهبندر، ورفيق العظم ورشيد رضى، وغيرهم، وهو يرى الى ضم فلسطين الى سوريا، وان يكون استقلالهما تحت حماية جمعية الأمم.

الأحد في ١٩ ك٢ غ سنة ١٩١٩م

جاء الطبيب توفيق حداد وحقن سرياً تحت الجلد بالكينا، وقال أن نوقف الحقن الآن، ونكتفي بالدواء لأربعة أو خمسة أيام، فإذا عاودته الحمى عدنا إلى الحقن. . أرسل إلي مدير المعارف، الماجور تدمن، أنه ينتظرني في بيته (بيت الدكتور سبور) الساعة الثانية بعد الظهر. دبّر لي ثلاثة صفوف، كل صف مؤلف من خمسة من الضباط، الواحد في إدارة العدلية في العمارة الروسية، والآخران في العمارة الالمانية على جبل الزيتون، ورسم كل صف في الشهر ثلاث ليرات تدفع سلفاً. ثم تكلمنا عن المدارس، فسألني عن نوع المدارس التي تحتاج إليها البلاد، فقلت له: إن المدارس التي نحتاج إليها مثل المدارس في أوربا: بساتين أطفال فمدارس ابتدائية، فمدارس ثانوية، بشرط أن تكون مدارس حقيقية لا بالإسم فقط، كما كان عندنا قبل الحرب، وأن نختار لها المعلمين والمعلمات الأكفياء المقتدرين لا أن تكون المدارس مأوى عجزة خاملين كما كانت على عهد تركيا، وأن يكون التعليم فيها مجرداً عن كل تأثير ديني أو جنسي أو سياسي، أي: يجب أن تكون المدارس أمينة للعلم، وإذا لم يكن بدّ من التعليم الديني فليعلم كل تلميذ أصول مذهبه، بشرط أن نختار أساتذة الدين من خيرة الناس وأفاضلهم لا أن نتركهم وشأنهم، لئلا يكون تعليمهم عبارة عن سخافات تضلل العقول، وتفسد العقائد

الوطنية وتنشىء تعصباً ذميماً ، وتولد في النفوس كره المدنية واحتقار المذاهب العلمية. على أن كل ذلك أمر ثانوي بالنسبة إلى روح المدرسة. إننا نحتاج إلى مدارس تبث في التلاميذ روح الحرية والإباء والاستقلال والشجاعة والصدق، إلى غير ذلك من المبادئ التي تنهض بالأمة من وهدة خمولها فتنفض عنها ثوب العبودية الذي لبسته أجيالاً طوالاً ، وهنا ذكرت المدرسة الدستورية والمبادئ التي راعيناها فيها ، فقلت له: امتازت مدرستي بمزايا عديدة: (١) جمعت بين التلاميذ على اختلاف المذاهب والنحل ، وهذه أول مرة في تاريخ بلادنا اجتمع أبناء المذاهب المختلفة في مدرسة واحدة، على مقاعد واحدة بدون تعرض لمذاهبهم الدينية. (٢) المبدأ الذي قامت عليه اعزاز التلميذ لا إذلاله، تكبير نفسه لا تصغيرها ، إنماء عواطفه وأمياله وتهذيبها لا محاربتها أو اهمالها ، اطلاق حريته لا تقييدها . ولذلك كان من أهم شروطها أن لا قصاص فيها ولا جوائز ولا علامات، لأن للقصاص والجوائز والعلامات تأثيراً سيئاً على نفس التلميذ وعواطفه وأخلاقه، فضلاً عن امكان اساءة استعمالها . (٣) التعليم فيها كان على أحدث الأساليب، فكان المقصود من التعليم توسيع المدارك وتقوية العقل لا حشوه بعلوم الأولين والآخرين، فيمتلئ ولكن يبقى صغيراً . (٤) لا فروض بيتية. فلم نكن نجيز للتلميذ أن يحمل أوراقه وكتبه إلى البيت لأسباب عديدة: (١) لأن أكثر التلاميذ لا يجدون في بيوتهم طاولات أو زاوية يعتزلون فيها . (٢) لئلا يتداخل الوالدون في تعليمهم ومساعدتهم في أعمالهم، وأكثرهم لا يعرفون كيف يعلمون أولادهم أو يساعدونهم، فربما دفعتهم غيرتهم إلى ارهاق أولادهم وإسهارهم أكثر من اللازم، بل ربما جروا في تعليمهم على طرق لا توافق طرق المدرسة، فتكون النتيجة أنهم يضرونهم بدلاً من أن ينفعوهم، وقد يتعود التلاميذ أن يعتمدوا على والديهم بدلاً من الاعتماد على أنفسهم. (٣) ليكون البيت محل راحة وسرور للتلاميذ لا محل شغل، فكما أن الآباء حين يرجعون إلى البيت يرجعون ليرتاحوا ، كذلك الأولاد يجب أن يرتاحوا ، لا أن يشتغلوا . وقد تعطي التلميذ كتاباً فيفرح به، فإذا أخذه إلى البيت قلّبه مع والديه فتذهب لذته به، ولكن إذا بقي في المدرسة كان عنده دائماً جديداً ، وهذا أدعى للذته، إلى غير ذلك من الأسباب.

(٤) اختارت المدرسة معلميها من الشبان المملوئين حياة ونشاطاً واخلاصاً ، واشترطت عليهم أن يتأنقوا في ثيابهم، ويحلقوا كل يوم ويشتركوا مع التلاميذ في ألعابهم، وقد وضعت كل أستاذ حيث يستطيع أن يفيد ، وكل تلميذ حيث يستطيع أن يستفيد . (٥) اختارت محلاً مستوفياً شرائط الصحة، تحيط به أرض واسعة للعب. (٦) اهتمت بالألعاب الرياضية والحركات العسكرية، وقد كلفت أحد الضباط للقيام بذلك، بل جربت أن تدخل المصارعة والملاكمة واستعمال السلاح والسباحة . .إلخ. (٧) ألفت جمعية للقوة. (٨) أسست جمعية للصفوف العالية في المدرسة، كانت تدعو إليها الخواجات والسيدات ليتعرف التلامذة بآداب الاجتماع، وكلفتهم بإنشاء جريدة

مدرسية وزعت أبوابها على لجان منهم. (٩) كانت تختار من أدبيات اللغة ما يثير في نفوسهم الحماسة، ويوسع آمالهم ويكبر نفوسهم ويحببهم بالحياة، لا الأدبيات التي تخدر الحواس، وتسفّل الأهواء وتسمم الشعور وتثبط العزائم، وتولد اليأس والخمول، وتزهد بالحياة. (١٠) كانت تكثر من السياحات والخروج إلى الطبيعة، أما السياحات فللتعرف بالبلاد ودرس آثارها، وأما الخروج إلى الحقول والتصعيد في الجبال، فلاستنشاق الهواء النقي الطلق، واكتساب الصحة والنشاط، وإحياء عاطفة السرور ومحبة الطبيعة، بل كانت تخرجهم في أيام الثلج والبرد القارس لتولد في نفوسهم الإقدام. (١١) كانت تعنى بالموسيقى والأناشيد الحماسية والوطنية، إلى غير ذلك من المزايا التي كان لها تأثير عجيب على التلاميذ في أجسامهم وعقولهم ونفوسهم وأخلاقهم، فلم يكن يرى في المدرسة تلميذ مسترخي الجسم جباناً كذاباً خامل العقل قصير الادراك وسخاً دنيئاً.. هذا ما أقصده بروح المدرسة .. وإذا سمحت لي، قدمت لك نصيحة أن تؤسس هيئة للمعارف من أهل البلاد، ممن توفرت فيهم الغيرة والوطنية والخبرة، تكون لهم صلاحية واسعة على شكل الهيئة التي ألفتها الحكومة السابقة قبل الحرب، فارتاح الى هذا الفكر.. ثم قال لي: إنه يشتغل بوضع برنامج للدروس، وأراني برنامج الدروس في المدارس المصرية، فقلت له: لست أكتمك أن ليس لمدارس مصر أقل اعتبار عندنا، لا في دروسها ولا كتبها ولا بروغرامها ولا روحها، بل إن مدارسنا على علاتها كانت أرقى من مدارس مصر، فإذا أردنا ترقية المعارف في هذه البلاد، فلنأخذ عن أوربا رأساً، وأما الكتب المدرسية للغة العربية فنضعها نحن من عندنا، ولست أظن ألا أننا نستطيع أن نستوفي الشروط الفنية فيها، أكثر من اولئك الذين يتطفلون على وضع الكتب المدرسية في مصر.. ثم سألني: لست أدري إن كنت تقبل شغلاً في الحكومة الآن، فقلت: لا أقبل شغلاً الآن، أما إذا أسستم هيئة للمعارف، فإني أحب أن أكون فيها. فعدنا إلى حديث هذه الهيئة، فقلت له: بلغني أنكم أسستم هيئة من أعضائها بشارة حبيب وخليل أفندي النشاشيبي وغيرهما، ولعمري لست أدري ماذا يستطيع أمثال هؤلاء أن يشتغلوا للمعارف.. إذا كانت وظيفة هذه الهيئة الاهتمام بمعارف فلسطين عموماً، فيجب أن تكون مؤلفة من فلسطين لا من القدس وحدها، إلا إذا أحسنتم اختيارها من أبناء القدس، وبدون هذه الهيئة لا تستطيع إدارة المعارف أن تكتسب ثقة الأهالي. ثم قال: إن الذي يهمني الآن ويقلقني قلة المعلمين القانونيين، فقلت له: إذا لم تستطيعوا أن تجدوا المعلمين الأكفياء والمقتدرين، فلا أقل من أن يكون في كل مدرسة أستاذ أو أستاذان مقتدران يكلفان بتدريب بقية المعلمين الذين معهما، وإذا رفعتم شأن المعلمين أقبل المقتدرون على إتخاذ التعليم مهنتهم، وإلا فلا يقبل عليها إلا العاجزون الخاملون الذين لا يصلحون لشيء، ثم قال: متى انتهيت من وضع برنامج للدروس عرضتها عليك، فقلت له: أقبل ذلك بسرور. ثم ودعته على أمل أن نعود إلى هذه الأبحاث في فرصة أخرى.. كتبت رسالة إلى أشيل [صيقلي] خلاصتها أني سأتريث قليلاً في القدس، ريثما تملك سلطانة وسريّ الصحة التامة، وريثما أدبر نفسي فأحضر إلى مصر

إن شاء الله. بعد الظهر زرت النادي العربي وكان هناك بعض اعضائه وأدباء غيرهم، وكان في النية أن نزور عارف باشا الداوودي، فذهبت أنا والحاج أمين أفندي الحسيني والدكتور [زكي] ابو سعود، فلم نجده.

الاثنين ٢٠ ك٢ غ سنة ١٩١٩م

أخذت فكرة انضمام فلسطين إلى سوريا تنتشر وتتمكن، يقولون: إن فلسطين وسوريا أختان اشتركتا في مصائب كثيرة قبل اليوم، وفي التطلع إلى الحرية والاستقلال معاً، فيجب أن تشتركا الآن في مصيرهما، ولا يجوز بوجه من الوجوه بتر أحداهما عن الأخرى، ربما كان ذاك المصير. وأخذت فكرة فلسطين للفلسطينيين واستقلالها بنفسها تتقلص، بل إشتد الميل إلى معاكسة هذه الفكرة.. يظهر من قرائن مختلفة لا يتسع الوقت لبيانها أن الحكومة الانكليزية تحاول تكوين جامعة عربية كبيرة قوية لتحالفها، أو لتكون في يدها والله أعلم.. ابتدأت اليوم دروسي مع الصف الأول من رجال العدلية الانكليز وهم خمسة، ثم ذهبت فعلمت كبتن بَنِت، وفي المساء ذهبت لأعلم مس ردلر، رئيسة مدرسة البنات، فلم أجدها هناك، بل وجدت ورقة منها تقول إنها تأسف أنها لا تستطيع أن تأخذ درساً هذه الليلة، لأنها مشغولة جداً، وتطلب اليّ أن أجيء مساء يوم الاربعاء ... التقيت وأنا راجع بالحاج أمين أفندي الحسيني، فمشينا معاً نتحادث في الأمور العمومية قال: أنا أكره السياسة، ولكن لا أرى بداً من الاشتغال بها الآن، فقلت له: إذا كان المقصود من السياسة البحث في حرية البلاد وسعادتها وتوفير أسباب تقدمها وإرتقائها، فيجب على كل واحد ان يكون سياسياً، وأما إذا كانت السياسة مراوغة ودهاء وخدمة أغراض ومصالح شخصية، فهذه السياسة مكروهة ممقوتة.. إن السياسة القديمة التي كانت ترمي إلى استعباد الناس، وامتصاص دمهم واتخاذهم آلات لخدمة ذوي التيجان، أو أرباب الأموال أو أفراد قليلين، واعتبار البلاد والناس ملكاً لهم، يتصرفون به كما يشاؤون، إن هذه السياسة يجب أن تهدم وتبنى السياسة الجديدة على تحرير الأمم واستقلالها واطلاق الحرية لها، أن تعيش كما تريد، إن اليوم الذي يستطيع أن يقول فيه الإنسان أنا كائن حرّ أملك نفسي وبلادي، وليس لأحد سلطة عليّ لهو أسعد أيام البشر. إن العالم كله يتطلع إلى هذه السياسة، سواء فيه الانكليزي والأميركي والفرنساوي والالماني والايطالي والمصري والسوري والفلسطيني والهندي والزنجي، فكلهم ليسوا إلا عبيداً لحكوماتهم أو ذوي النفوذ فيهم. إن الانكليزي يحتاج إلى الحرية مثل الهندي أو المصري، والفرنساوي يحتاج إليها مثل المراكشي. ستكون الحروب في المستقبل ثورات داخلية تحرر فيها الأمم جمعاء من تحكم الأفراد القليلين من ذوي النفوذ. وإذا كنا نكره شيئاً، فيجب أن نكره هذا النفوذ سواء كان داخلياً أو خارجياً. لا تستطيع أمة أن تقول إنها حرة إذا خلصت من النفوذ الاجنبي، ولكن بقيت ترسف

في قيود من النفوذ الداخليّ . . . ربما ظن البعض أن أوربا مهد الحرية ، ولكن من أنعم النظر رأى أن أوربا هي مهد العبودية . وأن هذه المدنية أو القوة العظيمة لم تقم إلا على استعباد الشعوب الأوربية . إن العامل في أوربا ليس إلا عبداً بل أحط من العبد ، بل أحط من الحيوانات . . نقرأ أن منجماً انفجر وتهدم على مئتين أو ثلاث مئة عامل فنظن أن الناس يعدلون عن الاشتغال في المناجم بعد هذه الكارثة ولو ماتوا جوعاً ، ولكن لا نلبث أن نرى عمالاً آخرين جاؤوا وأخذوا محل أولئك الذين ماتوا قبل أن يدفنوا ، نرى وقادي النار في البواخر فلا نظن أنهم من البشر ، يشتغلون في أعماق البواخر ، أمام مواقد النار الساعات الطوال عراة الأجسام ، وقد صبغوا بالسواد والزيوت لا يستنشقون إلا ذرات الفحم وهباء الدخان ، ومع ذلك لا ينالون إلا دريهمات قليلة ، على حين ترى صاحب الباخرة يعيش في القصور الفخيمة منتفخ الجسم شبعاً وريا ، فتظن أنه إذا مات اولئك الوقادون عز على صاحب الباخرة أن يجد غيرهم ، ولكن ما أكثر الذين يطلبون أن يكونوا وقادين في أوربا صاغرين . ترى سوّاقي السكك الحديدية والترامات يشتغلون ليلهم ونهارهم صفر الوجوه مهزولي الأجسام مضطربي الأعصاب ، مما يفضي بأكثرهم إلى الجنون ، فتظن أن غيرهم سيعتبرون بهم ، ولا يقبلون على هذا العمل ، ولكن يكفي أن يعلن أصحاب السكك الحديدية والترامات أنهم يحتاجون إلى عمال ، حتى يتهافت على الطلب ألوف . ترى مستخدمي المصارف والمحال التجارية يشتغلون ليلهم ونهارهم يجهدون أعصابهم وأدمغتهم لئلا تبدر منهم غلطة أو يقعوا في سهو ، أو يبدو منهم أقل تهاون ، ولا ينالون إلا النزر من الأجر ، فتظن أن غيرهم يزهدون في هذا العمل ، ولكن ما أكثر الذين يراجعون هذه المحال في طلب شغل . ولم يقتصر الأمر على الرجال ، بل اشتركت فيه النساء والأولاد . علام كل هذا ؟ كل هذا في خدمة ذوي النفوذ السياسي أو المالي . لا ترى مثل هذا في الشرق ، وما أسعد الشرق اذا ترك لنفسه ، يعيش على طرقه ومبادئه المختصة به . ولكن حكومات أوربا لم تكتف باستعباد أممها ، حتى طمعت أن تستعبد غيرهم ، نقول لهم : اتركونا وشأننا . يقولون : لا تستطيعون أن تحكموا أنفسكم بأنفسكم . قد تستطيع حكوماتكم أن تحكم البلاد وتسوس العباد بعصا من حديد ، ولكنها لا تستطيع أن تجعل الشرق سعيداً . وإذا كنا لا نستطيع أن نحكم أنفسنا بأنفسنا لأسباب عديدة ، أهمها تداخلكم من حيث ندري ولا ندري في شؤوننا ، فدعونا نختار الحكومة التي نريدها لتتولى أمورنا لأجل معين ، فإذا أحسنت الإدارة عقدنا معها إتفاقاً لأجل آخر ، وإذا لم تحسن الادارة كان لنا الحق أن نقول لها : أتركينا ولك الأجر والثواب . ولكن لا نعقد اتفاقاً مع احداكنّ إلا قالت لنا في آخر العهد لا أترككم لأنكم أنتم وبلادكم ملك لي . إذا كانت العاطفة الأوربية تستهجن الاسترقاق بل أثارت حروباً داخلية لمنعه واطلاق الحرية للعبيد الأرقاء ، لأنها تعتبرهم مخلوقات بشرية لها الحق المطلق أن تتمتع بالحرية التي يتمتع بها سائر البشر ، فما لكم تجيزون استرقاقنا ؟ نحن بشر مثلكم . إذا لم تنجلِ هذه الحرب

عن اطلاق الحرية للبشر، فما أحط البشر، بل ما أحط أوربا والسلام.

الثلاثاء ٢١ ك٢ غ سنة ١٩١٩م

ذهبت في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر إلى ملتقى الطرق عند المستشفى الإيطالي، حيث ركبت الأوتوموبيل، وصعدت إلى العمارة الالمانية في جبل الزيتون، فعلمت الصفين الأول والثاني من الساعة الثانية إلى الساعة الرابعة، ثم ركبت الأوتوموبيل وذهبت رأساً إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر [وأحياناً يرد الاسم ولترس تيلر] وكيل الحاكم العام العسكري، وأعطيته الدرس الثاني، وقد آنست منه ارتياحا إلى الدرس واهتماماً عظيماً به. ولما رجعت إلى البيت، وجدت هناك الحاج أمين الحسيني والدكتور زكي أبو السعود، ينتظرانني لنذهب إلى بيت عارف باشا أولاً، لنقف على خطة الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس.. وثانياً لنطلب قبول أربعة أعضاء في جمعيتهم من قِبَل جمعيات القدس الأخرى: النادي العربي والمنتدى الأدبي وجمعية الإخاء والعفاف. أما خطة الجمعية الاسلامية المسيحية، فهي أن نطلب من مؤتمر الصلح اعطاء فلسطين حق اختيار حكومتها، كما أعطيت سوريا والعراق حسبما ورد في البلاغ الذي أعلنته الحكومتان البريطانية والفرنساوية، كأن الجمعية المشار إليها فهمت من ذلك البلاغ أن فلسطين مستثناة من ذلك الحق. على أن هناك قرائن كثيرة تدل على أنها داخلة في حكم سوريا، منها أن الحكومتين أرسلتا ذات البلاغ إلى كل مدن فلسطين وقراها، فإذا لم تكن فلسطين داخلة في حكم سوريا فما معنى نشر ذلك البلاغ في فلسطين. ومنها أن الحلفاء أعلنوا مراراً أن البلاد التي كانت تحت حكم الأتراك ستحرّر، وأنهم لم يدخلوها إلا كمحررين لا فاتحين. فعلام تستثنى فلسطين؟ وإذا استثنيت فما هو حكمها، هل تكون للانكليز أو للفلسطينيين، فإذا كانت للفلسطينيين؟ فكيف تمنع اليهود من النزول فيها؟ أما قبول أعضاء في جمعيتهم من قبل الجمعيات الأخرى فلم أرتح إليه، وإذ كنت مضطراً للذهاب استأذنت وخرجت، وتركت رفيقيّ يتابعان البحث معه، ولست أدري النتيجة.. ثم تناولت عشائي وذهبت إلى بيت الماجور ريتشموند فخضنا في أحاديث مختلفة لذيذة إلى نحو الساعة العاشرة.

الأربعاء ٢٢ ك١ غ سنة ١٩١٩م

نشأ في ايطاليا، مهد الكثلكة، قبل بضع سنوات حزب جديد اصلاحي، غرضه ادخال اصلاحات جديدة على الكنيسة الكاثوليكية، وبث الحياة فيها، فقام عليه الكاثوليك القدماء وجماعة المعطلين، أما الكاثوليك

القدماء فإنهم اعتبروا تلك الاصلاحات بدعاً في الكنيسة فحاربوها ، وأما المعطلون فقالوا : إنكم باصلاحاتكم هذه تقوون الكثلكة وتجددون شبابها بعد أن ألم بها الهرم وأشرف بها على الموت فتخلص الانسانية من سخافاتها وأضاليلها وتفك العقول والضمائر من قيودها الثقيلة ، فبإصلاحاتكم هذه تؤيدون مبادئها السخيفة لتعيش زماناً أطول . . وهذا حال الحكومة الانكليزية في تركيا ، فعبيد الحكومات القديمة يعتبرونها بدعة ويستوحشون منها ، وفئة المتنورين الأحرار الذين كانوا يتوقعون بموت الحكومة التركية خلاص البشر من ضغط الحكومات ، يرون أن الأمة الانكليزية الحرة الراقية تعمل على تجديد عهد ذلك النير الثقيل ، الذي كان البشر ولا يزالون يئنون تحته . الكنيسة سلطة والحكومة سلطة وكلتاهما مبنيتان على استعباد الناس وإذلالهم والتحكم فيهم . لا تتحرر الأمم إلا إذا خلصت من النيرين لتتحول الكنائس إلى منتديات علمية أو أدبية تتغذى بها الأرواح والعقول ، وإلا فهي كانت ولا تزال معابد يدخلها الناس كالعبيد يسجدون ويركعون ويلثمون الأيدي والأذيال ومواطئ الأقدام . . لم يزل الله في عرف رجال الدين إلهاً مستبداً عصبي المزاج حاد الطبع ، يتلذذ بعبودية الناس ومدائح التقريظ وبكاء العجائز والشيوخ ، ولم يزل ملائكته كالجواسيس يحصون على الناس أنفاسهم ، أو رسل الموت يخطفون الأرواح . ولم يزل رجال الدين يزهدون الناس بالحياة ويرهبونهم ويقرعونهم ويحقرونهم ، ويفرضون عليهم الفروض الدينية الثقيلة التي يقصد بها إذلالهم ، يدخل الواحد المعبد خائفاً متخشعاً مطاطئ الرأس كالعبد الذليل ، ثم يقف إلى جانب لا يجسر أن يرفع رأسه أو يتنفس ، ثم يأخذ بالركوع والقيام والسجود ، ثم يأخذ في سكب نفسه وإفراغ عواطفه ، بل يقرّع نفسه بنفسه على خطايا لا يعرفها ولا يشعر بها ، ثم يجعل يستغفر ، وقد يقرع صدره ويبكي ولا يخرج من المعبد إلا وقد تلاشت نفسه وتخدرت حواسه وصغرت همته وشلت أعصابه . . كيف تستطيع الأمم أن تعيش وتسمو إلى الأعلى وتنزع إلى التقدم والتشبث بالحياة ، وهذا تأثير الدين فيها ؟ . . وكذلك إذا دخل الواحد إلى المحاكم أو وقف أمام ذوي السلطة المالية أو السياسية ، فإنه يقف موقف العبد الى سيده . إذا ذكر الامبراطور في روسيا نزع الروسي قبعته ووقف وقفة احترام ، بل وقفة العبودية . إذا أنشد النشيد الوطني في بلاد الانكليز وقف الناس . إذا مر موكب الأمير في طريق وقف الناس يعظمونه ، وأعلنوا عبوديتهم بالهتاف : ليحيى الأمير . إذا دخل الناس المعابد ، فقبل أن يستغفروا ربهم أو يشكروه يدعون لرئيسهم الديني ثم لرئيسهم الزمني اعلاناً لعبوديتهم ، إذا دخلوا مجلس الرئيس الديني أو مجلس الأمير حنوا الرؤوس وقبلوا الأذيال . ليست الأديان والحكومات إلا وسائل لاستعباد الناس ، ما صدقنا أن خلصنا من الحكومة التركية حتى جاءت الحكومة الانكليزية ، تقول : ليكن لكم حكومة أيها الناس . لا نريد حكومة لا منا ولا منكم والسلام .

ذهبت في الساعة الثانية بعد الظهر إلى العمارة الروسية وعلمت صفي ، ثم ذهبت في المساء فعلمت مس

ردلر، ثم ذهبت لأعلم الماجور ريتشموند فوجدته مريضاً.

الخميس ٢٣ ك٢ غ سنة ١٩١٩م

في مثل هذا اليوم، قبل احدى وأربعين سنة ولدتُ وسميت خليلاً على اسم أخي البكر الذي توفي طفلاً. أقدم ما أتذكر من أيام طفوليتي، أننا كنا نعيش في دارنا داخل المدينة، وكان شعري أحمر بلون شعر سريّ وسلطانة اليوم، وأنه كان مرسلاً بحيث كان يضفر كما يضفر شعر البنات، وأني كنت أحب إخوتي إلى أمي وأبي لأني كنت أصغر أخوتي، وأني كنت سميناً بحيث كنت مع قصري كالكرة أتدحرج تدحرجاً، وأنا كنا نلعب مع أخوتي وأولاد عمي في (حَوْش) الدار، ونملأ الجوّ بأصواتنا، وقد كنا نسكن سنة في دارنا داخل المدينة وسنة في دارنا خارج المدينة، وأننا كنا ننام جميعاً في غرفة واحدة نمد فيها الفراش على الأرض، وكنت أنام دائماً بجانب أختي فروسو، وقبل النوم كنت أقص على أختي حكاية مما سمعته من أمي أو جدتي أو مما ألفته لساعته، تقص عليّ مثلها في الليلة التالية. ثم جعلوا يرسلونني إلى مدرسة الروم وكانت داخل الدير الكبير، وكان المعلمون هناك قسطندي دعدس وعيسى العلوشية وميخائيل الساعاتي وسابا دعدس والياس السلفيتي، فلطمني مرة المعلم علوشية على وجهي بغير ذنب ولا علة، فأخرجني أبي من المدرسة ورفع أبي الأمر إلى رئاسة المدرسة، فنقلوا المعلم المشار اليه إلى بلد آخر، وكان الانكليز قد فتحوا مدرسة في القدس، فأرسلوني إليها وكان المعلم فيها أمين نصر، وكنت دائماً الأول بين جميع التلاميذ، ولم يكن في المدرسة أحد أقوى مني جسماً، فكنا في أوقات الفراغ نتصارع، فكنت أصارع أربعة أو خمسة معاً، ولم يكن أحد يستطيع أن يزحزح قدمي عن الأرض، ولذلك كنت ذا نفوذ بينهم. ولأن المدرسة كانت في محلة المسلمين[٣] فكان الاولاد المسلمون يتحرشون بتلاميذ المدرسة في ذهابهم وإيابهم، ولكنهم لم يكونوا يجرأون على التحرش بهم وأنا معهم، بل كانوا إذا رأوني يلوذون بالفرار. فزادني ذلك اعتزازاً بنفسي واعتداداً بها، وأولعت منذ ذلك الحين بالعناية بصحتي وقوتي ودروسي، ثم اتفق أننا سكنا في دارنا خارج المدينة وكان عندنا بندقية، فجعلت أجرب أن أتعلم الرماية وحدي، وكم كان سروري عظيماً حين سددت بندقيتي على عصفور فأصبته، ومن ثم أولعت بالصيد ولعاً عظيماً، فكنت لا أصدق أن انصرف من المدرسة حتى أبادر إلى بندقيتي فأحملها وأخرج إلى الحقول المجاورة للصيد، وكان أبي يشجعني على ذلك فيشتري لي البارود والرش، ثم انضم اليّ متري المنى ومتري ابن عمه، فكنا نخرج أيام الآحاد من الصباح ولا

(٣) محلة المسلمين: حارة السعدية داخل السور في القدس.

نرجع إلا في المساء . وقد اتفق مرة إني كنت أصيد على الطريق بالقرب من الشيخ جراح، فركعت على قدميّ لأسدد بندقيتي وما كدت أطلقها حتى برز رجل في الطريق فصاح، فخشيت أن يكون قد أصابه رشاشها ، فحملت بندقيتي واركنت إلى الفرار مثل الريح في وادي الجوز ومنه إلى باب الأسباط. وقد كان شائعاً بيننا نحن الأولاد أن الذي يكوي يده تقوى فكويت يدي اليمنى في ثلاثة محلات منها ، ولا تزال آثار الكيّ فيها إلى اليوم. ومما أذكره من أيام الصغر أني كنت مولعاً بالماء والنظافة فلم يكن ألذ عندي وأدعى لسروري من أن تدعوني أمي لتحممني ، وكنت مولعاً بالصلاة والعبادة وقراءة الانجيل ، وقد بقيت كذلك إلى أن أدركت سن الرجال ، ومن حسن حظي أن أول كتاب وقع في يدي كان كتاباً صحياً ، فأقبلت على قراءته وتطبيق حياتي على أصوله. وقبل أن أولع بالصيد كنا في أيام الآحاد نخرج إلى الأرض المعروفة بسعد وسعيد ، ونلعب بالطابة لعبة كنا نسميها الطزّة ، وإذا مرّ بنا فلاحون من قرية حزما أو قرية بيت إكسا أو النبي صموئيل ، كنا نلحقهم إلى مسافات بعيدة نرشقهم بالحجارة ويرشقوننا . وكنا بعض الأوقات نلعب لعبة أخرى نسميها الدوش أو نتصارع أو يركع الواحد منا فيعلو الآخر ظهره ، فيقوم به ، أو ينام الواحد على الأرض على ظهره فيجيء آخر ويرفعه من زناره بأسنانه ، وكنت مبرزاً في هذه الألعاب كلها . وكان يشاركنا بعض الأوقات بعض الشبان ، أذكر منهم جرجي البيضاء ونخلة كتن والمرحوم الياس دعدس والمرحوم جريس القسّيسية. ولا نرجع إلا في المساء ، وقد توردت وجناتنا وتصببت أجسامنا عرقاً وامتلأت قلوبنا سروراً وازددنا قوة ونشاطا . ومما أذكره بالفخر والسرور أني كنت من الممتازين بحسن الأخلاق والقوة والخفة والرشاقة ، لا يخرج من فمي كلمة سوء أو ألفاظ بذيئة ، وكنت في عطلة المدرسة الصيفية اشتغل بالنجارة عند يوسف نجاها أو خالي جورج أو صليبا القندلفت . اشتغلت مع يوسف نجاها في السوق الجديد ، وكنت محبوباً عند كل من كان يشتغل هناك من بنائين ونجارين وغيرهم ، وقد تمرنت على تسلق السواري والمشي على الروافد من الجانب الواحد إلى الآخر بسرعة ، وقد اتفق مرة أن يوسف نجاها كان مستوفزاً (استقل على رجليه ولما يستو قائماً) على زاوية أعلى الجدار ، فطلب مني أن أناوله شيئاً فجئت من الجانب لأذهب إلى الجانب الآخر وكان ظهره إليّ فلم يرني ، فأردت أن أثب إلى الجانب الآخر ، لأنه كان في طريقي فوثبت ، فاتفق أنه قام في تلك اللحظة ، فدفعني إلى الوراء فسقطت من أعلى الجدار وكنا في الطبقة الثانية من البناء ، ولحسن الحظ كان في أرض الطبقة الأولى تراب ناعم مركوم فغصت فيه إلى ركبي وأخذني شيء من الذهول ، فلم أتحرك فخافوا عليّ خوفاً عظيماً وتسارعوا اليّ ، ولما رأوا أني لم أصب بضرر ، بادرني يوسف نجاها بلطمة على وجهي ليذهب دهشي وذهولي ، فانتفضت من التراب وعدنا إلى الشغل . وكنت في يوم السبت حين يذهب

المشتغلون ليقبضوا أجرتهم من رئيس القيامة افيمبوس في كنيسة «أبينا ابراهيم»[٤] أتخلف عن الذهاب معهم لأني كنت أخجل أن أقف موقفهم وأمد يدي لأتناول أجرتي . . كنت أتلذذ بالعمل في أيام العطلة، ولا سيما وقد كنت محبوباً إما لأني صغير السن سريع الحركة، أو لأنهم كانوا يحسنون معاملتي أكراماً لخاطر أبي، لأنهم كلهم تلاميذه في صناعة النجارة، فلم أكن ألقى منهم إلا التشجيع والتنشيط، فكانوا إذا ارسلوني في قضاء حاجة أشق الطرق كالسهم المنطلق، ولم أكن أصدق أن تنتهي أيام المدرسة حتى أرجع إلى الشغل وقد نفعني ذلك من عدة وجوه، أولاً، لأنه شغلني عن البطالة والتسكع في الطرق ومعاشرة الأولاد، وثانياً، لأنه كان يعودني العمل والنشاط، وثالثاً، لأنه كان يملأ نفسي سروراً لما كنت ألقاه من التشجيع والإعجاب بكل ما أقول أو أعمل . . ومما كنت مولعاً به في أيام الصغر تربية الخراف، ففي كل سنة كان يشتري لي أبي خروفاً أو جدياً، فكنت أذهب به بعد المدرسة مع رفاق كثيرين من أترابي، ومع كل واحد منا خروف أو جدي إلى الحقول المجاورة نرعاها، فكنا رعاة صغاراً، وما أجمل تلك الأيام. وكذلك كنت مولعاً باقتناء الكلاب، فلم أكن ألقى كلباً صغيراً في الطريق إلا ركضت وراءه حتى أدركه فأحمله وأعنى بتربيته، وأشهر كلابي فرهود وكان كبير الجسم جميل الشكل، فلم أكن أذهب إلى محل إلا أخذته معي، وإذا رأيت كلاباً في الطريق أرسلته عليها فكان يهجم عليها كالأسد، وقد عاش طويلاً، ولما مات أسفت عليه أسفاً عظيماً، وكنت إذا نشب بيني وبين الأولاد قتال، كان يشترك معي فكانوا يخافون مني ومن كلبي. وتربية الحيوانات كالكلاب والخراف من ألذ ما يعنى به الأولاد. أقف هنا وموعدي بتتمة تاريخ حياتي إلى السنة القادمة إن شاء الله.

خرجت بعد الظهر لأذهب إلى تلاميذي في جبل الزيتون، فقيل لي: إن السيارة ذهبت، فاضطررت أن أمشي كل الطريق، فوصلت هناك في الوقت، وبعد الدرس هيأوا لي سيارة نزلت فيها إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر فجلسنا حول طاولة الدرس وشربنا الشاي، وبعد الدرس تحدثنا قليلاً عن البلاد. قلت له: لم يضر هذه البلاد شيء مثل الأوقاف والإحسانات، ولا تنهض هذه الأمة إلا إذا تعودت الاستقلال والاعتماد على النفس، فارتاح إلى حديثي وقال: لو أطلعتك على تقريري الذي كتبته عن هذه البلاد لرأيت أني أشرت إلى هذا . . لا بد أن يكون لي معه شأن والأمور مرهونة بأوقاتها. ولما قمنا ناولتني امرأته ضمة من الزهور، فشكرتها.

---

(٤) كنيسة أبينا ابراهيم: جاءت في المفصل في تاريخ القدس لمؤلفه عارف العارف باسم دير أبينا ابراهيم وهو تابع للروم الأرثوذكس ويقع الدير في ساحة كنيسة القيامة من الجهة الشرقية إلى الجنوب، عمرته الملكة هيلانة حوالي ٣٣٥م وخربه الفرس ٦١٤م. وظل على خرابه حتى العام ١٨٨٧م حين أخذه الروس من الأتراك، فأعطوا قسماً منه للروم الذين بنوا دير أبينا ابراهيم، وبنوا على القسم الآخر كنيسة الرسل الاثني عشر.

الجمعة ٢٤ ك٢ غ سنة ١٩١٩م

تحسنت صحة سلطانة وسريّ كثيراً ، فقد فارقتهما الحمى من عدة أيام وعاد إليهما شيء من لونهما ونشاطهما . نسكن اليوم في الطبقة الثانية من الدار الواقعة بجانب المجلس البلديّ ، ومما يسرني كثيراً أن فيها فرعاً من أنابيب ماء العروب ، وغرفة للحمام ركّبت فيها مضخة (دوش) ، إلا أن أجرتها عالية جداً ، فقد أخذتها لتسعة أشهر بأربعين ليرة ، دفعت منها ثماني ليرات من عشر استدنتها من الحاج أمين أفندي الحسيني ، فعسى أن أتوفق في تدبير القيمة وأرجو أن نرحل الى مصر قبل نهاية المدة ، بعد الظهر علمت اللفتننت بَنِت ، فدفع لي عشرين شلناً عن أربعة دروس ، ثم علّمت صفي في العمارة الروسية ، وفي المساء علمت مس ردلر فدفعت لي عشرين شلناً على أربعة دروس ، ووعدتها أن اخفض لها السعر قليلاً ، إذا جعلت دروسها شهرية ، ومن هناك ذهبت علّمت الماجور ريتشموند إلى الساعة التاسعة والنصف ، زارنا اليوم فيضي أفندي العلمي ويوسف أفندي العيسى ، وكان عندنا عمر أفندي .

يبلغ دخلي الآن من دروسي الخصوصية في الشهر عشرين ليرة ، فعسى أن أتمكن من وفاء أجرة الدار وتنظيم معيشتي . تركت أختي مدرستها وهي الآن تشتغل في اعطاء دروس خصوصية لتلميذاتها . مرّ على أخي يوسف زمان طويل لم يردني فيه منه خبر ، فعسى أن يكون المانع خيراً إن شاء الله .

السبت ٢٥ ك٢ غ سنة ١٩١٩م

جاءت وفود فلسطين إلى القدس لعقد مؤتمر فيها ، وسيمثل لواء القدس فيه عارف باشا الداوودي وعبد الحميد أفندي أبو غوش . وقد بلغني أن المسيحيين يشددون في قبول اثنين آخرين منهم ، الواحد من الروم الارثوذكس والآخر من الكاثوليك ، وأن بيت لحم تطلب أن يكون لها ممثلون فيه أيضاً . وظيفة هذا المؤتمر البحث في مصير فلسطين وسائر شؤونها . يقول الذين يعرفون اولئك الوفود إنهم ينقسمون إلى ثلاثة أفرقة ، فريق مخلص وطني حرّ لا يراعي في وطنيته شيئاً ، وفريق وطني ولكنه جبان ضعيف الرأي سهل القياد ، فإذا سألت هذا الفريق ماذا تطلب فإنه يراعي في ما يطلب ما يمكن لا ما يجب ، وفريق مأجور أو أجنبيّ النزعة يراعي في ما يطلب إما مصلحة الانكليز أو مصلحة الفرنساويين أو مصلحة الصهيونيين . ويقال : إن ممثلي القدس ، الواحد منهما من الفريق الثاني ، والآخر من الفريق الثالث والله أعلم . . ويقال أيضاً : إن الحكومة الانكليزية تحاول إقامة العثرات في سبيل عقد هذا المؤتمر لإبطاله لئلا يتألف في فلسطين رأي عام أو هيئة تمثله . وإذا ألف المؤتمر فإنها تحاول أن تحصر بحثه في مقاومة الحركة الصهيونية والله أعلم . . منذ جئت من مصر لم أزل أنادي أنه

يجب أن تؤلف جمعيات وطنية في كل البلاد ، وأن يعقد مؤتمر عام من كل الجمعيات للبحث في مصير البلاد وسائر الشؤون الوطنية ، فلم ينشط أحد لتلبية ندائي ، ثم لم نلبث أن رأينا أن هذه الفكرة انتشرت في طول البلاد وعرضها بغتة ، وأخذت الوفود تتوافد إلى القدس ، فهل ذلك نتيجة ندائي ونداء الكثيرين معي أو هو الهام طبيعي أو إيعاز من الخارج؟ الذي يتراءى لي وأرجو أن أكون مخطئا أن هذه الحركة ليست وطنية بل هي مصنوعة ، وستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً . . إن هذه الحركة في اعتقادي ليست إلا مثل الحركة الدستورية في البلاد العثمانية والبلاد الفارسية ، لم ترد على البلاد إلا من الخارج والله أعلم . . إذا كانت فلسطين من الجامعة العربية ، فما معنى ارسال وفد خاص عنها . لم يذهب الأمير فيصل إلى مؤتمر الصلح إلا كممثل للجامعة العربية فيجب أن نفوضه تفويضاً تاماً في ما يتعلق بفلسطين . . هذا رأيي الذي سأنادي به والله المستعان .

ذهبت إلى جبل الزيتون فعلمت ساعتين ثم جئت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر فعلمته . وفي رجوعي عرجت على النادي العربي فنظرنا في ما تقدم ذكره وقررنا أن نجتمع غداً في بيتي لمتابعة البحث . . . سهرت عندنا أختي ميليا ، وقد جاء معها موسى أفندي العلمي إلى الساعة التاسعة والنصف ثم ذهبنا .

الأحد ٢٦ ك ٢ غ سنة ١٩١٩م

بعد الظهر غص ديواني ، على ضيقه ، بالمجتمعين ، وهم رشدي الإمام والحاج أمين الحسيني وفخري الحسيني ، والشيخ سعيد الخطيب ومحمد يوسف الخطيب وعمر الزعني والدكتور زكي أبو السعود وشكري التاجي وأبو الفضل ، ما عدا الذين جاؤوا وذهبوا ، فدار البحث على الثقة بالجمعية الإسلامية المسيحية في القدس والجمعية الفلسطينية أو عدمها . فإذا كانتا موضع ثقتنا آزرناهما وضممنا أصواتنا إلى أصواتهما ، وإذا لم تكونا موضع ثقتنا عملنا على إبطالهما أو تلافي ضررهما على الاقل ، أما أعضاء الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس فهم :

١ . عارف باشا الداوودي

٢ . الشيخ طاهر أبو السعود

٣ . محمد يوسف العلمي

٤ . فهمي النشاشيبي

٥ . سعيد نمر

٦ . الحاج فائق الدجاني

٧ . الشيخ حسام الدين جار الله

٨ . عبد القادر العفيفي

٩ . اسماعيل حقي الحسيني

١٠ . الشيخ موسى البديري

المسيحون الروم :

١ . يعقوب فراج

٢ . ابراهيم شماس

٣ . الياس مشبك

٤ . أنضوني الغوري

٥ . يوسف قرط

اللاتين :

١ . سليم أيوب

٢ . حنا أيوب

٣ . لطفي أبو صوان

٤ . شكري الكارمي

٥ . بطرس الحلاق

نحن ندعو إلى الجامعة العربية، واعتبار فلسطين جزءاً منها ، واعتماد صاحب السمو الأمير فيصل كممثل للجامعة العربية في مؤتمر الصلح ، فما هو رأي الجمعية؟

الرأي الغالب في الجمعية أن تطلب الجمعية الفلسطينية من مؤتمر الصلح حق اختيار الحكومة التي تريدها ، أسوة بسوريا والعراق ، وهناك فريق آخر يرى أن نطلب أن تكون فلسطين للفلسطينيين ، وكلا الرأيين فاسد ، لأنهما يعنيان فصل فلسطين عن الجامعة العربية ، فإذا فصلت فلا بد أن يكون مصيرها إما يهودياً لأن اليهود فلسطينيون ، وإذا جاء اليهود إلى فلسطين فلا بدّ أن تتعاقب الأدوار الآتية : (١) في الدور الأول يكون العلم عربياً (٢) وفي الدور الثاني يرفع الى جانب العلم العربي العلم الصهيوني ، وفي الدور الثالث يمزج العلمان ، وفي الدور الرابع يتحول العلم المزدوج

الى علم صهيوني، وفي الدور الخامس يضطر الوطنيون [=السكان الأصليون] إلى الجلاء فتصبح البلاد يهودية. وإذا لم يكن مصيرها يهودياً فلا بد أن تصير الى حكومة أجنبية بحجة أن فلسطين لا تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها، لتفشي الأمية فيها، واستحكام التعصب من النفوس، وغير ذلك من الأسباب. ثم إن مثل هذا الطلب لا يكسبنا احترام الدول الأوربية، لأن حق اختيار الحكومة التي نريدها لم ينكره أحد علينا، فكيف نطلبه. بناءً على ذلك رأينا أننا لا نستطيع أن نضع ثقتنا في هذه الجمعية، فماذا نعمل؟ هل نستطيع أن نحولها عن رأيها هذا ونستدرجها الى اعتقاد رأينا، أم لا؟ البعض رأى أن نجرب ذلك بأن نأخذ كل عضو من أعضائها على حدة، ونقنعه بفساد رأي الجمعية، وأن نرفع الى الجمعية بياناً بخطتنا ونشدد في الجري عليها، فإذا لم تنجح عملنا على اسقاطها ونزع هذه الصلاحية من يدها، وذلك بأن تجتمع الجمعيات الأخرى، النادي العربي والمنتدى الأدبي وجمعية الإخاء والعفاف، وننضم إليها الرأي العام، وننتخب أربعة ليمثلوها في الجمعية الفلسطينية، وفي الوقت ذاته نحتج على تصدي الجمعية الإسلامية المسيحية للمسائل الوطنية، وعدم صلاحيتها لأن يكون لها ممثلون في المؤتمر الفلسطيني، لأنها غير قانونية، أولاً، لأنها في الأصل كانت جمعيات طائفية خيرية لا حزباً وطنياً. وثانياً، لأن انتخاب اعضائها لم يكن عمومياً، فأكثر الأصوات التي أصابت أحد أعضائها لم تتجاوز الستين صوتاً، فهي قانونية كجمعية إسلامية مسيحية غرضها الاهتمام بالمشاريع الخيرية، وغير قانونية كممثلة للرأي العام في القدس، ينظم بهذا الاحتجاج ثلاث مضابط ممضاة باسماء الأهالي تقدم الواحدة إلى الجمعية ذاتها والثانية الى أندية البلاد، والثالثة إلى الحكومة..

وأما أعضاء الجمعية الفلسطينية فهم:

نابلس. ابراهيم عبد الهادي. رامز النمر

جماعين. كمال الدين عرفات. عزت دروزة[٥]

جنين. الحاج حيدر عبد الهادي. نافع العبوشي

حيفا. رشيد الحاج ابراهيم. اسكندر منسّى

يافا. الشيخ راغب الدجاني. يوسف العيسى

الرملة واللد. محمد بيدس. أحمد سيف الدين

غزة. الحاج سعيد الشواء. أحمد الصوراني

---

(٥) عزت دروزة. ولد في مدينة نابلس ١٨٨٩ وتوفي سنة ١٩٨٤، عمل موظفاً في دائرة البريد العثمانية في عدة مناصب منها سكرتير ديوان المديرية العامة في بيروت، وكاتباً في ديوان الملك الأردني العام ١٩٢٠، وعمل بعدها مديراً لمدرسة النجاح الوطنية، ومديراً للأوقاف الإسلامية في فلسطين العام ١٩٣٣ – ١٩٣٧، له مجموعة كبيرة من المؤلفات.

أما بقية الوفود عن البلاد الأخرى فلم تجئ بعد ، إلا أن الخليل أرسلت تقول : إنها لا تريد الاشتراك في المؤتمر الفلسطيني . يقول الذين يعرفون أشخاص الوفود إن أكثرهم قصار النظر ، ضعفاء الرأي مشكوك في وطنيتهم ، إلا نفراً قليلاً منهم من أصحاب المبادئ الصحيحة والنظرات السديدة والوطنية الصادقة ، وإنهم جميعاً منقسمون إلى مذاهب مختلفة ، وسأثبت في غير هذا الموضع مذهب كل واحد منهم . فهل نستطيع أن نثق بهذه الجمعية ، ونكل إليها أمر الوطن وتقرير مصيره أم لا . . فرأينا أن نجرب أن نوحّد كلمة الوفود كلهم على عقيدة الجامعة العربية ، وأن فلسطين ليست للفلسطينيين بل هي للجامعة العربيّة ، وقررنا أن تقيم الأندية الوطنية في القدس حفلات تكريم لهم ، يقوم فيها الخطباء يدعون الى الجامعة العربية ويتناولون كل رأي من الآراء العديدة ببيان ضعفه ، فإذا نجحنا فذلك ما نتمنى ، وإلا اتخذنا طرقاً أخرى لدفع الخطر . . استغرقت جلستنا وقتاً طويلاً من الساعة الثانية بعد الظهر إلى المساء . وقبل أن أختم هذا النهار ، لا بد لي أن أشير الى ملاحظاتي وتأثراتي . . في النهضة الأرثوذكسية عرفت مزاج الملة الأرثوذكسية في فلسطين ، وأما اليوم وقد تسنى لي أن أحتك بالمسلمين ، فلا بدّ لي أن أقول كلمتي فيهم . .

(١) المسلمون في هذه البلاد أو في القدس على الأقل ، لا يزالون يعيشون على تقاليدهم القديمة ، لكل أسرة إسلامية في القدس تقاليد مركوزة في طباعها يتوارثونها أباً عن جد ، لا يقول الواحد كلمة أو يخطو خطوة ، إلا وهو مراعٍ تقاليده قبل كل شيء ، مصلحة أسرته قبل كل مصلحة ، ونفوذ أسرته قبل كل نفوذ . فإذا كلفت أحداً أن ينتخب عضواً لمجلس نيابة أو مجلس بلدي أو هيئة معارف أو جمعية وطنيّة أو غير ذلك ، انتخب كبير أسرته سواء كان يصلح لذلك أم لا ، اسأله من هو أصدق وطنية أو أرقى أخلاقاً أو أوسع علماً أو أصحّ رأياً ، ذكر أباه أو أخاه أو ابن عمه ، وكل جمعية أو هيئة أو حزب لا يكون فيه أحد أفراد تلك الأسر ، انقلبت تلك الأسرة عليه ، وحاولت مقاومته ولو كان فيه الخير ، لا يكون الرأي صحيحاً عند أحدهم إلا إذا كان هو صاحب الرأي أو أحد أفراد أسرته .

هذه تقاليدهم كأسر ، وأما تقاليدهم كمسلمين فهم لا يقيمون لمسيحي رأياً ، ولا يعترفون له بفضل . . ولا ينال مسيحي رضاهم إلا إذا كان تابعاً لهم محسوباً عليهم . كل واحد منهم أستاذ ، وأما أنا مثلاً فمعلم . خذ الجمعية الإسلامية المسيحية مثلاً ، فالمسلمون فيها منقسمون بعضهم على بعض ، كل واحد منهم يمثل أسرته لا وطنه ، ويحافظ على تقاليد أسرته قبل كل شيء ، ثم هم لا ينظرون الى المسيحيين إلا بارتياب وعدم الثقة ، ولا يتساهلون في اعتبار أحد من المسيحيين ، إلا إذا كان يؤيد جانب إحدى أسرهم .

(٢) المسلمون في هذه البلاد لا يثق الواحد منهم بالآخر أو يحسن الظن به . لم أسمع من أحد ثناء على

أحد ، ولم أجتمع بأحد إلا طعن بغيره، وهم بالأولى أن لا يثقوا بأحد من المسيحيين . . . .

إلى اليوم لا يزال كثيرون من المسلمين يرتابون فيّ، وإذا استخلصوا رأيي فهم لا يستخلصونني. يقولون: رأي السكاكيني لا غبار عليه، ولكن نخشى أن ينقلب عن رأيه، بل لعله مأجور من قبل الأمير فيصل، أو لعله اتخذ الوطنية وسيلة لاستدراجنا من حيث لا ندري، إلى خدمة مصلحة الانكليز أو مصلحته هو.

(٣) لم أجد بين المسلمين من يثق بنفسه. تقول للواحد منهم رأيك حسن فاعمل به، فيقول لا يتبعني أحد، اعترافاً منه أنه ليس موضع ثقة، ولذلك لا يصلح أحد منهم أن يكون زعيماً.

(٤) كانوا قبل اليوم يتزلفون من الحكومة التركية ويداهنونها، واليوم يتزلفون من الحكومة الانكليزية ويداهنونها. اشتركوا مع المسيحيين في كل جمعياتهم، ليس لأنهم يعتقدون أن المسيحيين شركاء في الوطنية ولكن تزلفاً من الحكومة، بل تزلفاً من المسيحيين، لئلا يستعينوا عليهم بالحكومة. أسألهم أفراداً أو جمعيات عن مصير البلاد، قالوا: هل نستطيع أن نعمل كذا، أو نطلب كذا. بل منهم من يقول لا رأي لنا بل الرأي ما تراه الحكومة الانكليزية. يراعون في جوابهم شخص السائل لا سؤاله. في اجتماعاتهم الخصوصية يقولون شيئاً، وفي الاجتماعات العمومية يقولون شيئاً آخر. للوطني يقولون شيئاً، وللانكليزي يقولون شيئاً آخر. بالأمس اعتصبت بنات كثيرات وامتنعن عن الذهاب إلى المدرسة، لأن أختي خرجت من المدرسة، ومن جملتهن بنات المفتي، فراجعت الرئيسة فضيلة المفتي فوعدها أن يرسل بناته، وسأثبت في غير هذا الموضع بقية ملاحظاتي وتأثراتي..

في المساء زارنا أبو جميل وصبحي وحنا حمامة وجورج خميس وموسى العلمي وواصف جوهرية وأخوه توفيق، وكانت عندنا أختي ميليا فسهرنا إلى نصف الليل، وواصف يضرب على العود، وأخوه على الدفّ، وكلاهما يطربانا بأنغامهما وأغانيهما. ولا يتسع الوقت لأن أكتب شيئاً عن سهرتنا هذه، ولكن إذا عدنا إلى السهرات كتبت ما يعرض لي من التأثرات والأفكار . . .

الاثنين ٢٧ ك ٢ غ سنة ١٩١٩م

انتظرت أن يزورني أحد من أصحابنا بالأمس فلم يجئ أحد، إلا أنني لقيت أبا الفضل، فقال: لقيت اليوم حسام الدين جار الله، واستطلعته رأيه في الجمعية، فقال: إن الجمعية على رأيكم، وليس فيها أو بالأحرى في المسلمين من أعضائها من يقول إن فلسطين للفلسطينيين، وأما ما بلغكم من أنها ستطلب حق الخيار كسوريا والعراق أو غير ذلك من الآراء، فهو ليس ما يعتقدونه.. فأضعف ذلك ثقتي بها، إذا كان رأيكم كرأينا فلماذا لا تجاهرون به؟ ثم

لقيت محمد يوسف الخطيب، فقال: يا أستاذ ألا تذهب إلى أوربا مندوباً عن فلسطين. فقلت: إذا كانت عقيدتنا الجامعة العربية فالأمير فيصل يمثل الجامعة العربية، ولا حاجة الى ارسال أحد عن فلسطين، وغاية ما هناك نستطيع أن نعززه بأن نرسل إليه التفويض التامّ.. يكاد يستولي عليّ اليأس من كل أعمالنا...

بعد الظهر علّمت صف العمارة الروسية، ومن هناك ذهبت لأعلّم اللفتننت بنت، فقيل لي: إنه لا يستطيع أن يأخذ درساً اليوم، وفي المساء علّمت مس ردلر، ومن هناك ذهبت الى الماجور ريتشموند فتكلمنا عن حرية الأمم، فاقتبس كلمة لأحد كتاب الانكليز واسمه Wiliam Morris الذي قال "no man is good enough to be another man's master"

«لا إنساناً طيباً جداً بحيث يصلح أن يكون وليّ غيره». وعد أن يزورنا يوم الأحد.

الثلاثاء ٢٨ ك ٢ غ سنة ١٩١٩م

ذهبت بعد الظهر إلى العمارة الألمانية في جبل الزيتون، وعلّمت الصفين معاً، ومن هناك ركبت الأوتوموبيل وجئت إلى بيت الكولونيل ولترس تيلر، فعلّمته الضمائر: أنا أنت هو الخ، وقلت له: إننا اليوم لا نقول أنت بل حضرتك وسعادتك الخ، ولا نقول أنا بل عبدكم أو محسوبكم أو خادمكم، وهذا من آثار الأمة التركية، فلو اطلعت على استدعاء يقدم للمحاكم لرأيته مفرغاً في قالب يشبه ان يكون خطاباً لله وليس للبشر، فضحك، وقال: يظهر أنك اشتراكي، وهنا قال «لي كلام معك» ثم التفت إلى امرأته وقال: تستطيعين أن تخرجي وإلا فلا تذكري شيئاً عما نتكلم به، ولعلها استخشنت كلامه. قال: بالأمس بلغت المفتي ورئيس البلدية وشخصاً ثالثاً إنهم إذا كانوا يخافون على بلادهم من الحركة الصهيونية، فعليهم أن يرسلوا وفداً إلى مؤتمر الصلح من أصحاب المكانة والوجاهة والاختبار، أما المسلم فليكن المفتي، وأما المسيحي فليكن متري سلامة أو جرجي الحمصي.. ولكن آسف جداً أن أرى الشبيبة مشغولة بأمور أخرى، وأن الكلمة متفرقة بين الجميع، على حين كان يجب أن يتركوا النزاع على أمور شخصية، ويجمعوا على اتخاذ كل الأسباب لدفع الخطر الصهيوني إذا كانوا يتخوفون منه..

اليهود أرسلوا وفودهم وهم يحاولون أن يقنعوا الرأي العام في أوربا أنهم هم الأكثرية في البلاد، وأنهم على وفاق مع العرب، وأنهم أصحاب الحق في البلاد إلى غير ذلك، فإذا لم يكن هناك منكم من يبين الحقيقة، فلا تقدّروا أن أحداً يعنى بذلك. فقلت له: لقد أصبت في أن الكلمة متفرقة، وهذا الذي نحاول ازالته الآن، وأما الخطر الصهيوني فإن البلاد كلها من أقصاها إلى أقصاها تتخوف منه. ثم خرجنا وركبنا الأوتوموبيل، ونحن نتكلم في هذا الموضوع، ثم تركته وأنا أفكر في تصرف المفتي، يعتزل الناس، ولكنه يشتغل من وراء الستار، لا يشترك مع الناس ولا يتركهم

وشأنهم، مما كاد يزعزع مكانته، ويحمل الناس على أن يسلقوه [=يهاجموه] بألسنة حداد . لا بد لي أن أقابله.

الأربعاء ٢٩ ك ٢ غ سنة ١٩١٩م

زارني يوسف العيسى، فقال: قررنا في جلسة أمس أن نجعل اسم فلسطين سوريا الجنوبية، فسرني ذلك لأنه يؤذن بعلاقة فلسطين بسوريا، فكأنه اعلان لمذهب جديد يعتنقه الرأي العام، وكأنه إبطال لذلك المذهب أن فلسطين للفلسطينيين..

بعد الظهر ذهبت فعلّمت صف القضاة في العمارة الروسية، فدفع لي كل واحد ستين غرشاً، ما عدا واحداً منهم أجّل الدفع الى المرة القادمة.

جاء بالأمس الياس طرزي، وقد سمعت أن نصري فيعاني في القدس فسررت كثيراً، إذ أشيع قبل اليوم حين كنت في مصر أنه مات فاغتممت كثيراً. بعد الدرس رجعت الى البيت، ولم ألبث حتى غصّ ديواني بالمجتمعين: الحاج أمين الحسيني وأبو الفضل وجودت القندوس، وعزيز الخالدي ومحمد يوسف الخطيب وعمر الزعني وعبد الصمد العلمي، فقلت لهم: أسترعي انتباهكم واهتمامكم الى ثلاثة أمور:

(١) هذه الأيام هي أهم أيام فلسطين التاريخية. إذا جاءت نوبة الانتخاب في أميركا الشمالية أصبحت البلاد كالبركان الهائج، تعطلت الاشغال وتوقفت كل حركة ووقعت البلاد في أزمة مالية شديدة تتكرر عند كل انتخاب، لأن كل واحد ينصرف الى الاهتمام بأمر الانتخاب، وأن مسألة فلسطين اليوم لهي أهم من مسألة الانتخاب في أميركا، ولذلك يجب أن نغتنم الفرصة فنهز الأمة هزاً عنيفاً لعلها تستيقظ من سباتها الذي استغرق أجيالاً طوالاً، ونعالج العاطفة الوطنية فيها لعلها تحيا بعد أن كادت تجهز عليها الأيام، ونعمل على جمع الكلمة وتوحيد الآراء وسحق التقاليد البالية، وإزالة الحزازات القديمة. يجب أن نجدد شباب الأمة ونبعث آمالها ونشدّد عزائمها ونوّر بصائرها، يجب أن نخلق في صدر كل واحد من هذه الأمة الثقة بنفسه أولاً، وثقة الواحد بالآخر ثانياً؛ يجب أن نحدث دوياً في كل محل في البيوت والطرق وسائر الأندية والمجتمعات؛ يجب أن نعقد الاجتماعات المتوالية إلى الساعة الثانية أو الثالثة بعد نصف الليل من كل ليلة، إذا اجتمع اثنان فلتكن المسألة الوطنية موضوع حديثهما؛ يجب أن نزعج اعضاء الجمعية العمومية، ولا نترك لهم وقتاً لأن يخلو الواحد بأخيه، يجب أن نخرج الى حد القحة، يجب أن نسترعي اهتمام العالم بنا، والخلاصة يجب أن نظهر بمظهر الحياة.

(٢) تأسست الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس، وأقامت نفسها ممثلة للرأي العام واتخذت صلاحية واسعة، والرأي العام في غفلة عنها ولم يكن انتخابها قانونياً، وباشرت العمل وسكت عنها. وهناك قرائن كثيرة تدل

على إمكان انتخاب وفد إلى مؤتمر الصلح، إما للدفاع عن فلسطين أمام الحركة الصهيونية أو لتعزيز الأمير فيصل أو لعرض مطالب فلسطين، فإذا قرر أمر هذا الانتخاب، فيجب أن يؤخذ فيه الرأي العام، ويدقق فيه كل التدقيق لئلا نقع في الغلطة التي وقعنا فيها يوم انتخاب الجمعية الإسلامية المسيحية.

(٣) إن الحركة الصهيونية وإن تكن في اعتبارنا أمراً ثانوياً، إلا أنه لا يجوز أن نهمل أمرها الآن. اليهود يحاولون أن يقنعوا الرأي العام في أوربا أنهم يؤلفون الأكثرية في فلسطين، وأنهم اتفقوا مع زعماء البلاد في كل أمر، وأنهم أصحاب الحق في فلسطين، ولم يزالوا يشيعون الإشاعات المختلفة افتئاتاً علينا ونحن سكوت، فيجب أن نقابل حركتهم بمثلها. وبعد أن أخذنا وأعطينا في هذه الأمور الثلاثة، قرّ الرأي أن تعقد جمعيات القدس حفلة شاي في لوكندة مرقس لأعضاء الجمعية العمومية، تدعو اليها عدداً كبيراً من أهل القدس، تلقى فيها خطب عديدة، فكلفوني أن أكون خطيباً فاعتذرت، وقلت لهم: أحب أن يكون الخطباء منهم، أحب أن ينشأ بينكم زعيم للبلاد إن شاء الله، وقد عقدوا النية على أن يلازموا أعضاء الجمعية العمومية في الليل والنهار تنشيطاً لهم واستنهاضاً لهممهم وأن يعقدوا الحفلات العديدة العموميّة احياءً للعاطفة الوطنية وشحذاً للأذهان، ونشراً للعقيدة الوطنية التي هي الجامعة العربية.

كنت قد عقدت النية أن أعتزل الناس، ولا أشترك مع أحد في عمل، ولكن الظروف تحاول أن تخرجني من عزلتي، بل مما أذكره هنا بالسرور العظيم أني مع اعتزالي أكاد أصبح زعيم الحركة الوطنية. يكفي أني صاحب الفكرة، [فكرة] الجامعة العربية، التي تكاد تتغلب على كل مذهب آخر، وقد عرف الجميع انها فكرتي، والخلاصة فقد دخلت المعمعة وأخذني التيار.

في المساء ذهبت لأعلّم مس ردلر Ridler فلم أجدها، فذهبت الى بيت صديقي الماجور ريتشموند، قلت له: لقد تألفت الأندية الوطنية في كل محل من المدن والقرى، وقد أرسل كل ناد من يمثله في الجمعية القومية التي توالي اجتماعاتها الآن في القدس، ومع أني كنت من الساعين في ذلك، إلا أني أخشى أن تكون هذه الحركة مصنوعة، وهذا موكول إلى الأيام. انقسم الناس الى مذاهب مختلفة، وهنا عددت له المذاهب التي تقدم ذكرها في يوميّي هذه، فلتراجع في يومية ١٨ ك٢ غ سنة ١٩١٩م، ثم قلت له أما رأيي الذي ناديت به فهو الجامعة العربية وعددت له فوائد هذا الرأي ومما أذكره بالسرور أنه أصبح الرأي السائد في البلاد، هذا رأينا ولم نقم بهذه الحركة الا اعتماداً على ثلاثة أمور: (١) مساعدتنا للحلفاء، وعددت له أنواع هذه المساعدة (٢) وعد الحلفاء أنهم إنما خاضوا هذه الحرب لتحرير الأمم الضعيفة، و (٣) اعتماداً على انتشار الفكرة الديمقراطية في أوربا وكثرة أنصارها. إلا أن هناك عثرات كثيرة في طريقنا، منها عثرات داخلية، أهمها الجبن والجهل وتفرق الكلمة والأغراض الشخصية، ومنها عثرات خارجية أهمها مصالح أوربا والحركة الصهيونية. والأمل أن نتوفق بإزالة هذه العثرات، وتذليل ما يعترضنا من

العقبات، ثم قصصت عليه بيني وبينه، ما دار بيني وبين الكولونويل ووترس تيلر، فارتاح الى كلامي وشجعني على العمل.

الخميس ٣٠ ك٢ غ سنة ١٩١٩م[٦]

لا يسعني إلا أن أشكر الظروف التي ساقتني إلى الصديق الماجور ريتشموند أو ساقته إليّ، فقد كان هو أول من عرفت من الانكليز، كما كان أول من عرفني منهم، ولا تزيد الأيام هذه العلاقة بيني وبينه الا استحكاماً، وسيكون لها شأن إن شاء الله والأيام آتية.

بعد الجلسة الأولى والثانية تعرضت في حديثي لانتقاد أعمال الانكليز في فلسطين، ومما أشرت إليه وقوفهم في جانب الرهبان الأرثوذكس ضد الملة الارثوذكسية، ومحاولتهم اسقاط البطريرك داميانوس، فأمطت اللثام عن حقيقة المسألة، مما كان له وقع لديه، فلم يسعه إلا أن يخاطب الجنرال ستورس بشأني تلفونياً، فاستدعاني هذا اليه فشرحت له الأمر، ثم لم نلبث أن بلغت أن البطريرك راجع الى القدس، وكان ذلك فاتحة الأعمال. ثم جعلنا في كل ليلة نخوض في أبحاث مختلفة، مما زاده معرفة بي، ومما لا بد من ذكره هنا، أني لا أجلس مع أحد إلا وقعت منه موقعاً جليلاً. لم أدخل النهضة الأرثوذكسية، إلا وقد ملكت قلوب الناس، في القدس وسائر فلسطين وما وراء الأردن حتى رجال الحكومة. وفي مدة الحرب كان بيتي منتدى كل أديب، تعرفت برستم بك حيدر والأستاذ عبد القادر المغربي وزين العابدين أفندي، وسائر أساتذة الكلية الصلاحية، فأصبحوا من خلص أصدقائي، يكفي ما كنت ألقاه من عطف المرحوم حسين أفندي سليم والمفتي، وسائر أفراد الأسرة الحسينية. تعرفت بأطباء الهلال الأحمر يوم كان سريّ مريضاً، فأقبلوا على العناية به عنايتهم بأعز الناس عليهم، كأني صديقهم بل أخوهم الحميم. تعرفت بمستر ييل ذلك الصديق الأبرّ، فأنزلني من قلبه مكاناً رفيعاً وأحسن الظن بي كثيراً، وأجمل رعايتي. لم أتعرف بأحد في دمشق إلا نلت حظوة لديه. في فرارنا [من دمشق] إلى جبل الدروز فالبادية كنت موضع عطف رفاقي ورعايتهم، وفي مدة اقامتنا في القرية لم يبق أحد من سلطان بك الاطرش الى خادم المضافة إلا انعطف عليّ بود واختصني بإعزازه. ثم جئنا إلى مقر الأمير (فيصل)، فلم أكن ألقى إلا البشاشة والانعطاف، ثم جئت إلى مصر فلم أتعرف بأحد إلا قدرني فوق قدري، ثم جئت إلى القدس فتعرفت بالماجور ريتشموند فلقيت منه كل اكرام وحفاوة، ثم جعل يدبّر لي التلاميذ، وينوه باسمي عند كبار القوم من الانكليز. أشير إلى ذلك ليس على سبيل التمدُّح والإعجاب بالنفس، بل على سبيل

---

(٦) هذه اليومية وردت في «كذا أنا يا دنيا» على أنها يومية ١٩١٩/١/١٦، على غير ما ورد في الأصل الذي نثبته هنا.

الاستغراب. هل ذلك لسعة علمي واختباري، وأنا لا أجهل أن رأس مالي نزر يسير ولا سيما بالنسبة الى كثيرين من أصدقائي المصريين والانكليز، وكلهم من أهل الفضل والعلم والبيوتات الكريمة، أم هل هناك أسباب أخرى؟ ! إذا لم أكن مخدوعاً فلا بد أن يكون ذلك راجعاً إلى أسباب عديدة أشير إلى بعضها هنا :

(١) أسلوبي في الحياة الذي أكاد أنفرد به. إن الحياة والقوة والنشاط والسرور والعفاف من أكبر الدواعي التي تستدعي الإعجاب، وهذا يحتمل كلاماً طويلاً ليس هذا محلّه

(٢) سلامة النية واستقامة المبدأ والإخلاص والصراحة، لا يمكن إلا أن يكون لها وقع حسن في النفوس. مهما استوحش الناس مني وأساؤوا الظن بي، فإنهم لا يلبثون أن يرجعوا إلى الثقة بي، وإيلائي جانب الاحترام. لا أقول إلا ما أعتقده، ولا أعتقد شيئاً إلا بإخلاص وأمانة، لا أجعل للغرض والهوى سبيلاً إليّ أو تأثيراً عليّ. لا يستطيع أحد أن يستشف من كلامي أو تصرفي شيئاً من الدناءة، أنزه نفسي عما يشينها، بل عن بعض ما يشينها كما قال الجرجاني

(٣) تشبثي بالجديد الصحيح ونبذ القديم البالي، فأنا ابن نفسي، ومن كان ابن نفسه كان حقيقاً أن يقدر قدره (٤) إن سفراتي العديدة واختلاطي بالناس من كل طبقة، وما قدّر لي من أن تكون حياتي مفعمة بالحوادث المهمّة، كل ذلك جعلني أقابل الحقائق وجهاً لوجه، وأكسبني ملكة أعرف بها أخلاق الناس وأفهم حقائقهم، فلا أجلس مع أحد إلا عرفت كيف أورد معه وأصدر. ليست معرفتي إلا نتفاً من هنا ومن هناك، لا تملأ دماغ طفل، فضلاً عن دماغ رجل في سني، ولكنها ليست سطحية ولا تقليدية ولا مستعارة من أحد، وليس فيها شيء من البلور أو الجمود. نعم إن جانباً كبيراً مما أعرف استفدته من المطالعة أو الاحتكاك بالناس، ولكنه لم يلبث أن أصبح جزءاً من نفسي، ولعلي لا أبالغ إذا قلت: إني من الأفراد القليلين الذين يفهمون ما يعرفون، ويعيشون بموجب تلك المعرفة، معرفتي قليلة ولكنها حية نامية، وإذا كانت المعرفة حية نامية فهي قوة، بهذه القوة أقابل الناس فأنال الحظوة لديهم.

(٥) لا أنكر فضل أصدقائي القليلين الذين يروجونني عند الناس، فكأنني أستمد نفوذاً منهم، فليس انعطاف الناس إلا جزءاً من انعطافهم، ولا شك أني من أسعد الناس بأصدقائي، وهذا من حسن حظي والدنيا حظوظ وإقبال

(٦) تطوعي في الاشتغال بالمسائل العمومية، ونصرة المبادئ القويمة والآراء الصحيحة، وبث الحياة أينما كنت وتنوير البصائر، وقد تقاضاني ذلك تضحية أوقات ومصالح وتحمل أتعاب، بل تعريض نفسي للخطر، ولم أدخل معركة إلا أقول مع عنترة: أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم.

أخلص في النصح وأبذل الود، وأوثر الغير على نفسي، ولا أتشبث برأيي إذا بدا لي أني على خطأ، هذه من أسباب عديدة أكسبتني رضى الناس وعطفهم، على أنه لا يخلو أن يكون هناك كثيرون يسيئون الظن بي، لأسباب لا أعلمها والله أعلم وبهذا القدر كفاية...

ذهبت اليوم بعد الظهر إلى جبل الزيتون وقد مزجت الصفين معاً ، فمن جملة الألفاظ التي عرفتهم بها لفظة خواجا ، فما كان من أحد الضباط إلا قال : «بخشيش خواجا» بخشيش خواجا ، ثم قال : هكذا يقولون هنا . فتهيجت أعصابي وتبوخ الدم في وجهي ووقفت له وقفة المصارع، وقلت له كلا لا تقول هكذا ، كيف تستطيع أن تقول ذلك وأنت لم تعرفنا ولم تعِش بيننا ولم تعرف لغتنا ، نعم قد يقول ذلك بعض المتسولين على الطرق ، فهل تظن أن كل الناس مثلهم ، وهذه اللفظة ليست عربيّة ، لا تستطيع أن تحكم على البلاد من بعض ألفاظ تسمعها من أفواه المتسولين على الطرق ، لا تستطيع أن تعرف البلاد من نوافذ اللوكندة ، لا تستطيع أن تعرف البلاد من شهر أو شهرين أو سنة أو سنتين . نعم نحن نخجل من هذه اللفظة ولو خرجت من أفواه المتسولين ، ولكن لا تستطيعون أنتم أيها الأوربيون أن تعيرونا بها ، فقد سافرت إلى أوربا وإلى أميركا ، وقد رأيت أن بلادكم هي بلاد البخشيش ، فخدمة بواخركم بل رؤساء الخدم وكلهم يتقاضون معاشات ليست قليلة ، بل قد تنظر الى الواحد منهم فتظنه قنصلاً ، يزعجون الركاب في طلب البخشيش ، وكذلك الخدمة في اللوكندات والمطاعم ومحال القهوة ، بل وفي المنازل يطلبون البخشيش . والأولاد عندكم قبل عيد الميلاد يطوفون على البيوت وفي أيديهم علب صغيرة Boxes ، ولعل كلمة بخشيش أصلها Boxes ، قلت ذلك وصوتي يتهدّج من الغضب ، فلم ينبس أحد منهم بكلمة .

بعد الدرس ركبت الأوتوموبيل ، وجئت الى بيت الكولونيل ووترس تيلر فوجدته جالساً وراء طاولته يكتب ، فقال : اعذرني اليوم فإن دماغي كليل [متعب] فلنجلس ولنتكلم ، سألني عن الرأي العام في البلاد ، فقلت له : اسمح لي أن أقص عليك تاريخ الرأي العام من قبل الحرب الى الآن ، فقد تطور تطورات مختلفة لا بد من الاشارة اليها . حين أعلن الجهاد الديني كانت البلاد اسلامية ، ومعنى ذلك أن كل عربي أو تركي تناسى وطنيته وقال : أنا مسلم قبل كل شيء ، فكان الرأي العام ضد الحلفاء ولا سيما ضد الانكليز ، هذا هو الدور الأول ، ثم بعد ارتداد العثمانيين عن ترعة السويس ، جعل الألمان والاتراك يقولون إن العرب هم الخائنون ، تنبهت العاطفة الوطنيّة وظهرت كلمة عرب وترك في طول البلاد وعرضها . العرب يقولون : نحن عرب قبل كل شيء ، والترك يقولون : نحن ترك قبل كل شيء ، ونتيجة ذلك صار العرب ينظرون الى الترك والألمان كأعداء ، ومالوا بعواطفهم إلى انكلترا وحلفائها ، وقد وسع الخرق بين الفريقين سياسة تركيا الخرقاء . صار العرب ينظرون الى انكلترا كقائدة الأمم ونصيرة العدل والحرية ، ويتمنون لها النصر ، وينتظرون قدومها يوماً فيوماً ، وكم كانوا يتضجرون من إبطائها ، هذا هو الدور الثاني ، ولكن بعد الاحتلال لم يلبث الرأي العام أن اختلف وأصبح نافراً من الانكليز . فقال : ما السبب؟ قلت : أعرف بعض الاسباب لا كلها .

(١) وعدكم لليهود ان تعطوهم فلسطين وطناً قومياً لهم ، وعملكم هذا لم ينفر الفلسطينيين فقط ، بل نفر العالم

العربي كله. فقال: هذا صحيح، وقد أشرت إلى ذلك في تقريري الذي أكتبه الآن، فكان يجب أن نقول: إن الحكومة الانكليزية تساعد اليهود في تسهيل سبل المهاجرة إلى فلسطين لا في اتخاذها وطناً قومياً لهم

(٢) اعتباركم البلاد بلاد أعداء لا بلاد أصدقاء، كانت البلاد بلاد أعداء حين كان الترك والألمان فيها، واما وقد خرج الترك والألمان منها فلم يبق إلا الأصدقاء، احتللتم منازل كثيرة للوطنيين ولم تدفعوا أجرتها، أخذتم أشياء كثيرة من حبوب وحيوانات وغيرها ولم تدفعوا ثمنها، كثير من البيوت نهب أثاثها ورياشها وحلى النساء كغنائم حربية، أقمتم محجراً صحياً بين فلسطين ومصر لا يدخله إلا العرب، إلى اليوم لم تطلقوا سبيل أسرى العرب، الى اليوم لا تزال البلاد تحت الادارة العرفية، لا تزالون تتجسسون [على] العرب وتحصون عليهم أنفاسهم، لا يزال البريد وسائر ما يكتب أو يطبع تحت المراقبة، في المسألة الأرثوذكسية وقفتم في جانب شرذمة من صعاليك الرهبان ضد الوطنيين، كل ذلك ترك في النفوس أثراً سيئاً.

(٣) البلاد إسلامية، فمنذ احتللتم البلاد اعتز صعاليك المسيحيين واليهود وشمخوا برؤوسهم الى السحاب، بعد أن كانوا أذل من وتد، وجعلوا ينظرون من وظائفهم الصغيرة إلى مسلمي البلاد نظرة الكبير إلى الصغير، بل نظرة السيد إلى المسود، بل نظرة الشامت، ثم جعلوا يتقمصون لباس الأجنبية وينزعون الشعائر الوطنية، فاستبدلوا الطربوش بالبرنيطة، وجعلوا يتبادلون التحية، بل يتخاطبون باللغة الانكليزية، لم تبق امرأة مسيحية ممن كنّ يلبسن الإزار إلا رمته وظهرت سافرة، جعلوا يؤسسون الجمعيات الدينية الطائفية، وليس في جمعياتهم ما يشتم منه رائحة وطنية. تهافتت المسيحيات على أشغال كثيرة في الجيش، مما لم يعهد قبل اليوم في بلادنا. جعل بعض أصحاب الحوانيت من المسيحيين يستخدمون فتيات اليهود في حوانيتهم لاستدعاء اقبال الانكليز عليهم، مما تستوحش منه النفس الشرقية. جعلوا يعارضون المسلمين في آمالهم القوميّة، فصار الكاثوليك يروجون مصالح فرنسا، والروم الارثوذكس مصالح الروس أو مصالح الإنكليز، أو على الأقل يعارضون المصلحة الوطنية، وصار اليهود يمشون في الأرض مرحاً، ويرفعون في احتفالاتهم الأعلام الصهيونية، وجعلتم منهم الحكام والموظفين في دوائر كثيرة، مما لم يشغلوه قبل اليوم، إذا أراد اليهودي أن يسافر من محل إلى آخر في البلاد، أو من فلسطين إلى مصر فما أسهل أن يأخذ جوازاً بذلك، وهو معفى من الاقامة في المحجر الصحيّ، على حين لا يستطيع الوطني ذلك. كل ذلك جعل الوطنيين يعتقدون ان احتلالكم البلاد يقضي على وطنيتهم، وأنهم سيصبحون بازاء المسيحيين واليهود اذلاء مستضعفين، لا قيمة لهم ولا نفوذ.

(٤) آسف جداً أن أقول: إن بعض ضباطكم يرتشون، كان العالم بأسره يعجب بأخلاقكم الراقية وينظر إليكم كقادة الأمم، كان صيتكم حسناً وذكركم طيباً وسمعتكم حميدة وخصالكم ممدوحة، فإذا خسرتم

سمعتكم الطيبة فقد خسرتم كل شيء . فتأثر لكلامي تأثراً عظيماً وأعاره جانب اهتمامه وقال: آسف جداً أني تأخرت في مجيئي إلى هذه البلاد ، ولكن أرجو أن أتمكن من إزالة كل أثر سيء إن شاء الله . هذه خلاصة ما دار بيني وبينه ، وبهذا القدر كفاية . وردتني رسالة من أخي يوسف باسم سريّ يقدّم فيها إلى سريّ عشرة فرنكات ودولاراً أميركياً ، ويقول فيها : إن الحكومة ستدفع إلى أمي خمس ليرات انكليزية كل شهر ، وإنه سيجيء في الربيع ، فسررنا كثيراً وحمدنا الله على سلامته ، ولعله كان مجروحاً ، لأنه يقول : إنه صرف في المستشفيات نحو ثلاثة أشهر .

الجمعة ٣١ ك ٢ غ سنة ١٩١٩م

بعد الظهر ذهبت علمت صفي في العمارة الروسية ، فدفع لي أحدهم رسمه ستين غرشاً ، وكان قد تأخر عن الدفع في المرة الماضية ، ثم ذهبت لأعلّم اللفتننت بنت فلم أجده ، وفي المساء اشتد بي السعال فذهبت فاعتذرت إلى مس ردلر وإلى المأجور ريتشموند .

في المساء تناول العشاء عندنا الخواجا الياس طرزي .

السبت أول شباط غ سنة ١٩١٩م

كان البرد شديداً والهواء عنيفاً ، فأرسلت [=اتصلت] تلفونياً اعتذر الى صفي في العمارة الألمانية في جبل الزيتون ، ثم أمطرت السماء بعد الظهر ، ومع ذلك فلم يسعني إلا أن ذهبت إلى تلميذي الكولونيل ووترس تيلر ، فما وصلت إلا وقد بللني المطر فاهتموا بي وأحضروا لي «جكيتاً» فنزعت جاكيتي ووضعته أمام موقد النار . كان اليوم ميعاد حفلة التكريم التي أقامتها جمعيات القدس للجمعية العمومية ، وكان الحضور كثيرين ، وقد دعي الجنرال ستورس والكولونيل ولترس تيلر وتعدد الخطباء ، وقد أحدثت هذه الحفلة الدوي الذي نريده . كلفني الكولونيل ولترس تيلر ان أحمل إلى جمعيات القدس شكره على دعوتهم له .

يتردد عليّ من يوم إلى آخر الخواجا سفير ، أحد رجال الصهيونيين ليباحثني في المسألة الصهيونية ، فقلت له : إذا استطعت أن تأتيني بما أجمعت على طلبه أمتك ، درسناه معاً وأطلعتك على رأيي في ما يمكن وما لا يمكن منه ، فوعد أن يأتني بذلك . . لا شك أن أكبر خطر على البلاد هي الحركة الصهيونية إذا خيرنا بين الاحتلال الأجنبي أو الاحتلال اليهودي ، اخترنا الاحتلال الأجنبي لأن الأجنبي لا يتخذ بلادنا وطناً له ، ومهما طال أمد الاحتلال فهو إلى أجل ولا خوف منه على وطنيتنا ، فإننا سنبقى وطنيين مع الاستقلال أو الاحتلال ،

وقد احتل الصليبيون قبل اليوم بلادنا نحو جيلين ثم رحلوا ، كما احتللنا نحن الأندلس ، وكما احتل الروس والألمان والنمساويون بولونيا ، والترك البلاد العربية والبلاد اليونانية والبلقان . وأما اليهود إذا جاؤوا بلادنا فإنهم ينازعوننا البقاء فيها ولا يخرجون منها ، ولذلك لا بد من أخذ الأهبة واتخاذ كل ما نستطيعه من الأسباب والوسائل لدفع هذا الخطر ، ولا واسطة لدفع هذا الخطر مثل الجامعة العربية ، إذ يشترك العرب قاطبة في مقاومة الحركة الصهيونية ، لا فلسطين وحدها . وإذا كنا لا نستطيع أن نوصد أبوابنا أمام سيل المهاجرين فلا بد من شروط . إذا كانت أميركا تقبل المهاجرين من أية أمة كانت ومهما كان عددهم ، فإن معدتها قوية تهضم كل من جاء إليها ، وأما نحن ولا نزال في عهد طفوليتنا ، فإن معَدنا لا تقوى على هضم أحد ، بل مما لا شك فيه أن المهاجرين يبتلعوننا ويهضموننا ، ولذلك لا بد لنا أن نطلب من أوربا أن تسمح لنا أن نوصد أبوابنا الآن لمدة عشرين سنة على الأقل ، ريثما نبلغ أشدنا ونقوى معدنا . وبعد ذلك اشترطنا على المهاجرين مثل هذه الشروط :

(١) نفحص المهاجرين فحصاً طبياً فلا نقبل إلا من استوفى الشرائط الصحية ، لأننا لا نحب أن يجيئنا المهاجرون بأمراضهم .

(٢) لا نقبل فتاة أو امرأة إلا إذا كان لها ولي معها أو في البلاد .

(٣) لا نقبل أحداً إلا إذا كان يحسن عملاً أو كان معه من المال ما يكفيه ثلاثة أشهر على الأقل ، وقد نعيّن القيمة فلا نقبل أحداً يكون عالة علينا .

(٤) لا يجوز لأحد أن يعيش إلا في المناطق التي نعينها له .

(٥) لا نقبل أحداً في جنسيتنا إلا بعد أن يمر عليه في بلادنا عشر سنوات أو خمس عشرة ، وكان مستوفياً شروط التجنس التي سنضعها .

(٦) كل أبناء المهاجرين مجبرون أن يتعلموا في مدارسنا ، أو في مدارسهم التي تقبل بروغرامنا .

(٧) لا نقبل من المهاجرين إلا مقداراً تحتمله حالة البلاد .

(٨) لنا الحق أن نبعد من المهاجرين من تقتضي مصلحة البلاد إبعاده ، سواء كان أجنبياً أو متجنساً بجنسيتنا .

(٩) لا ينال المهاجر وظيفة في الجيش أو في إدارة البلاد إلا لدرجة معلومة ، وذلك في الجيل الثاني من تجنسه ، وإذا كان حاملاً شهادة من مدارسنا .

(١٠) لا يجوز للمهاجرين أن يقوموا بمشروع كمدرسة أو مستشفى أو مصرف أو غير ذلك ، إلا إذا كان عمومياً غير منحصر فيهم .

هذه أهم الشروط في اعتقادي ولا بد من درسها وإعادة النظر فيها . . ولا بد من أن نبادر الى ارسال مندوبين الى مؤتمر الصلح لعرض مطاليبنا على دول أوربا .

في المساء جاء واصف جوهرية وتوفيق أخوه وأبو جميل وصبحي وجورج خميس وموسى العلمي، ثم جاء الياس ترزي وشكري ديب، وكانت أختي ميليا عندنا فسهرنا إلى نحو نصف الليل، وواصف يضرب على عوده وأخوه يساعده في الغناء .

الأحد في ٢ شباط غ ١٩١٩م

انتظرت بعد الظهر الماجور ريتشموند، لأنه وعدني أن يزورني اليوم فلم يجئ في المساء، جاء أبو الفضل وابراهيم سعيد الحسيني والحاج أمين الحسيني ومحمد يوسف الخطيب وعبد الصمد العلمي، قالوا: إن المضبطة التي قدمناها إلى الجمعية العمومية باسم الشبيبة نقترح فيها ضم فلسطين إلى سوريا، واتخاذ كل الوسائط لدفع الخطر الصهيوني، قد قبلت بالإجماع، إلاّ أن بعض مندوبي القدس، قال: هذه باسم فريق من الشبيبة لا باسم القدس عموماً، فسررنا من قبولها عند الجميع، وإن كنّا لم نملك أنفسنا من التأثر لاعتراض مندوب القدس. البعض قال: إذا قبل الاقتراح فلنسكت عن الجمعية الإسلامية المسيحية لئلا ننصرف إلى التنازع فنفشل، والبعض قال: لا بدّ من وضع حدّ لهذه الجمعية، فإذا سكتنا عنها اليوم استمرت على خطتها العقيمة. كان يجب أن نتلافى ذلك قبل وقوعه، كان يجب أن نهدمها ونؤلف جمعية قانونية مملوءة حياةً ونشاطاً. إن جمعية مثل هذه الجمعية لا تضمّ إلاّ رؤوس الأسر ممّن عاشوا في كنف الحكومة العثمانية، وتربّوا على مبادئها وتخلّقوا بأخلاقها، لا يمكن أن تكون سياستها إلاّ سياسة التملّق والتزلّف، فضلاً عن ضعف الرأي وسخافة العقل وقصر النظر. أخيراً رأينا أن نعمل مضبطة برأينا السياسي، نوقعها بإمضاءات أهل القدس عموماً، نحفظها لحين الحاجة، أو نقدمها للجمعية العمومية لتستند عليها في ما تقرّره.

الاثنين في ٣ شباط غ سنة ١٩١٩م

علمت صفّي في العمارة الروسية، ثم علمت اللفتننت بَنت، ومن هناك عرجت على مكتب الماجور ريتشموند فتحدثنا قليلاً في المسألة العمومية، ثم كلفني أن أرجئ الدرس الليلة إلى مساء الأربعاء، لأن بعض أصدقائه من جملتهم الجنرال ستورس سيتناولون العشاء عنده، ومن هناك ذهبت فعلّمت مس ردلر. لا بدّ لي من العودة إلى بيان خطّتنا السياسية؛ إذا كنّا ندعو إلى الجامعة العربية فيجب أن نوحّد سياستنا في كل البلاد

العربية، ولذلك كان يجب أن يعقد مؤتمر ليس من أهل فلسطين فقط، بل من كل البلاد. وعندي أنه يجب بعد أن تنتهي الجمعية العمومية من أعمالها هنا، أن يذهب مندوبوها من قبلها إلى سوريا ليجتمعوا بمندوبي سوريا، ليقرروا معهم مصير البلاد. ثم بعد ذلك ليرسلوا وفداً إلى أوربا ليجتمع مع الأمير فيصل، ويبلغه قرار الأمة العربية. ثم إذا كانت خطتنا الجامعة العربية، فلا يجوز أن يكون لنا في مؤتمر الصلح إلاّ هيئة ممثلة واحدة، لا أن ترسل كل مقاطعة ممثلين عنها، كأننا أمم متفرقة.

الثلاثاء في ٤ شباط غ سنة ١٩١٩م

وصلتني رسالة من أخي يوسف فيها بعض صوره مع رفاقه، يذكر فيها أن قد وصلته رسالتي التي أرسلتها إليه قبل اليوم باللغة العربية، فكنت أقرأها وأنا أرتجف كأنني على وشك البكاء. بعد الظهر ذهبت إلى جبل الزيتون فعلمت تلاميذي ثم جئت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر فجلسنا نتحدث، قلت له: إن سياستنا الداخلية أن نؤلف جامعة عربية كبرى، ولذلك لا يسعنا إلاّ أن نحتج على اتفاقكم مع فرنسا بخصوص سوريا، لأمرين، أولاً، لأن ذلك يخرج سوريا من الجامعة العربية، وثانياً، لأن المدنية الفرنساوية لا توافق مزاجنا الروحي. فقال: لست أكتمك أن هذا الاتفاق الذي جرى بين بعض رجال الإنكليز وبعض رجال فرنسا لم تعترف به إنكلترا. قلت: إذا أردنا أن نكون أمّة عربية فلا غنى لنا عن أن نقتبس عن أوربا وأن نتمثل بها، وإذا عرضنا كل أمم أوربا وأميركا أمامنا وقابلنا بين الواحدة والأخرى لنختار إحداها لتكون قدوتنا في سبيل حياتنا القومية، فلا نختار إلاّ إنكلترا، لأننا لا نعجب بشيء إعجابنا بأخلاق الأمّة الإنكليزية وآدابها ومبادئها. نحن لا نعجب بالغنى ولا الظرف والكياسة ولا العلم، إعجابنا بالعظمة والحرية والاستقلال والشجاعة والشرف والنبل، نحن أمة تتعشق المجد وهذا فطرة فينا، فلو اطلعت على أدبياتنا لرأيتها طافحة بذلك. ولسنا نجد من أمم أوربا أمة تلائم روحها روحنا مثل الأمة الإنكليزية.. لسنا ننكر أننا نكاد نكون أمماً متفرقة متباينة في الأخلاق والأميال والعوائد، حتى كدنا نختلف في اللغة، ولكن إذا تألفت الجامعة العربية، وحدنا التعليم والتربية في كل مدارسنا، وبثثنا فيها روح أدبياتنا التي تشبه من وجوه كثيرة الأدبيات الإنكليزية. نحن لا نخالف على سوريا أن تصبح يوماً من الأيام فرنساوية، فإنها ستظل عربية سواء كانت مستقلة أو تحت نفوذ فرنسا، ولكن إذا انفصلت عنّا لم نستطع أن نبث في مدارسها الروح التي سنبثها في مدارسنا، ولذلك نحن نأمل من إنكلترا أن تساعدنا على أن تكون سوريا من الجامعة العربية. هذه سياستنا الداخلية، وأما سياستنا الخارجية فإننا سنتركها للأمير فيصل، الذي يمثل الأمة العربية، وهو أدرى بالخطة المثلى التي سيتعقبها، ولا شك أنها ستنطبق على رضى الإنكليز، لأنهم

أصدقاؤه. فاستحسن [تيلر] السياستين وشجعنا على الجري عليهما . . ثم قال لي : إني سأنتخبك لتكون في نظارة المعارف العمومية فشكرته. ثم قرأ لي شيئاً من تقاريره إلى حكومته، فرأيت أنه أشار إلى كل الملاحظات التي ذكرتها له. ثم تكلمنا عن الصهيونية، فذكرت له أننا نود لو نستطيع أن نمنع المهاجرة الآن لمدة عشرين سنة، وإذا لم نتوفق إلى ذلك فلا بد لنا من شروط، وهنا ذكرت له الشروط التي أشرت إليها في غير هذا الموضع من يوميتي فاستحسنها . ثم ركبنا الأوتوموبيل إلى دار الحكومة [في] باب العمود حيث ودعته. رفعت اليوم الجمعية [العمومية] إلى الحكومة احتجاجها على مطامع الصهيونيين. في المساء سهرنا في لوكندة مرقس، فدعتنا وفود فلسطين إلى غرفة هناك، وقالوا : إننا نحن اتفقنا على اعتبار فلسطين جزءاً من سوريا العربية المستقلة، ولكن مندوبيكم لا يزالون يصرّون على فكرة فلسطين للفلسطينيين، فنرجوكم أن تقنعوهم ليوافقونا، أو على الأقل أن ترسلوا إلينا مضابط ممضاة من الأهالي بالموافقة على رأينا، لنستند إليها عند الاقتضاء، فأرجأناهم إلى يوم أو يومين.

الأربعاء في ٥ شباط غ سنة ١٩١٩م

جاءني قبل الظهر أبو الفضل ومحمد يوسف الخطيب، وانتظرنا الدكتور زكي أبو السعود والحاج أمين الحسيني فلم يجيئا، فقمنا وذهبنا إلى الجمعية العمومية التي تعقد جلساتها في دار الحكومة القديم في ديوان المتصرف. في الطريق التقينا بشكري أفندي التاجي وهو من الذين يدعون أن تكون فلسطين للفلسطينيين، فتناوله أبو الفضل وقرعه تقريعاً أليماً، قال له : إن فكرة فلسطين للفلسطينيين ليست إلاّ فكرة صهيونية، ثم تركناه وجئنا إلى دار الحكومة، فإذا هي دار مهجورة قد نبت بين بلاطها العشب، وأصبحت في حالة يرثى لها تنعي من بناها، أين سكانك أيتها الدار؟ أين مأموروك؟ أين المتصرف وقومندان الجاندرمة ومدير البوليس، ورئيس الجزاء ومدير التحريرات والمحاسب وسائر كَتَبته؟ لم أدخلك قبل اليوم إلاّ استشعرت أنّ مصيرك إلى الخراب، وقد قدّر لي أن أرى خرابك؛ أن أراك مهجورة؛ أن أرى سقوط تلك الدولة الجاهلة الجائرة المستبدة المرتشية، التي كان ينخر عظامها سوء الاستعمال وسوء الإدارة، واليوم قد اتخذت الجمعيات الوطنية ديوان المتصرف فيك منتدى لاجتماعاتهم القوميّة يتباحثون، لا في امتصاص دم الأمة والعمل على إذلالها وقتلها، بل في استقلالها وتوفير أسباب تقدمها وارتقائها .

والليالي من الزمان حبالى ... مثقلاتٌ يلدن كل عجيبة

إلاّ أني تشاءمت من الاجتماع فيك، فقد خشيت أن تسري إلى المجتمعين فيك روح متصرفك وسائر

مأموريك، خشيت أن يحسبوا أنفسهم لا يزالون مُثّلاً أمام تلك الحكومة الجائرة، فيميلوا إلى سياسة التملّق والمداهنة، وينصرفوا إلى تحرّي الأغراض الشخصية والمآرب الذاتية، خشيت أن تظهر لهم في جوّ هذه الغرفة أشباح رشيد بك وماجد بك وتوفيق بك من متصرفي القدس السابقين، أو شبح جمال باشا فيخرّوا للأذقان سُجَّداً. على أنهم أصبحوا اليوم أحراراً وأباة ضيم فلا خوف من ذلك. دخلنا الديوان وكان غاصّاً بوفود فلسطين، إلاّ أن عارف باشا الداوودي رئيس الجمعية العمومية تخلّف عن الحضور، وكان قصدنا من الحضور أن نرى وجه الخلاف بين القدسيين وسائر وفود فلسطين، لعلنا نتمكن من إزالته. ولكن بسبب غياب عارف باشا أجّلنا النظر في ذلك إلى جلسة أخرى، قال يعقوب فرّاج أحد الأعضاء القدسيين في الجمعية العمومية: إن الجمعية الإسلامية المسيحية قيدتنا أن لا نتكلم إلاّ في ما يدفع الخطر الصهيوني، فقلنا: هذا شطر من غاية الجمعية العمومية لا كلّ غايتها، والشطر الآخر هو تقرير مصير البلاد، فقال: هذا لم نتوفق بالبحث فيه، فقال يوسف العيسى: إن رأي القدسيين استقلال فلسطين استقلالاً تاماً، وأن تحكم نفسها على قاعدة اللامركزية، ثم لم يسعني أن وقفت وبيّنت رأيي، وهو أن ندعو إلى الجامعة العربية كما تدعو كلّ أمة إلى تكوين جامعة كبرى منها، فإذا تألّفت جامعتنا نظرنا في كيفية الحكم، فإما أن نختار اللامركزية أو عدمها، وهذا لا نطلبه من أوربا، ولكن نطلبه بعضنا من بعض، فإنه من شؤوننا الداخلية. ثم قال أبو الفضل: إذا كنّا نخشى من الخطر الصهيوني فاستقلال فلسطين عن الجامعة العربية واتخاذها اللامركزية قاعدة للحكم، يمهّدان السبيل للخطر الصهيوني. هذا خلاصة ما دار في هذه الجلسة.. بعد الظهر لم أتمكن من تعليم صفي في العمارة الروسية. وفي الساعة الرابعة والنصف كان موعد حفلة التكريم التي أقامتها وفود فلسطين لشكر المدير العام الجنرال ستورس، فذهبنا إلى لوكندة مرقس، فافتتح الجلسة الشيخ راغب الدجاني عضو يافا، ثم تعاقب الخطباء وهم الشيخ سعيد مفتي طولكرم، ويوسف العيسى وصلاح الدين الصفدي، وكانت خلاصة كلامهم الشكر والاعتراف بفضل إنكلترا، وطلب مساعدتها في تحرير الأمة العربية وتكوين استقلالها وجامعتها، وكان خطاب يوسف العيسى أوقع في النفوس، وكان في نيّتي أن أتكلّم ولكن فضّت الجلسة.. فأرسلت أعتذر إلى مس ردلر ثم ذهبت فعلمت الماجور ريتشموند....

الخميس في ٦ شباط غ سنة ١٩١٩م

في الساعة التاسعة صباحاً جاءني أبو الفضل، فذهبنا معاً إلى بيت الجمعية في دار الحكومة القديمة، وكان فريق كبير من أعضاء الجمعية الإسلامية المسيحية هناك، ثم جاء الحاج أمين الحسيني، فجعلنا نحاول إقناعهم أن

يوافقوا الجمعية الفلسطينية في قرارها ، فجعلوا يعارضوننا بأقوال تشف عن اعتقادهم إننا إذا توسعنا في مطالبنا لم نظفر بشيء ، فقلنا : إذا كنا نعتقد أن لا بد من النزول على حكمهم والرضى بما يرضون ، فلماذا نتعب أنفسنا ونعقد الاجتماعات ، ونتباحث ، إذا كان القصد من اجتماعنا أن نربط رقابنا بحبل ، ثم نذهب ونضرع إليهم أن يستلموا طرفه ويقبلوا أن ندخل تحت حكمهم ، فوا ذلاه . . . إذا كان القصد من الاجتماع إبداء رأي الأمّة فلتكن لها جرأة وحريّة لأن تبدي رأيها الخاص الذي يترجم عن شعورها الطبيعي ، فإذا أمكن تنفيذ رأيها فبه وإلاّ فليعملوا ما يشاؤون ، وأما إذا كانوا يقصدون منّا أن ننسى أنفسنا ، ونتصامّ عن نداء الوطنيّة فلا نقول إلاّ ما يُريدون ، فالأحسن أن نفضّ اجتماعاتنا ، وينصرف كل منا إلى شؤونه الخاصة ، خيرٌ لنا أن يحكمونا بالرغم عنّا من أن نطلب حكمهم طلباً ، ونسترحم أن نكون تحت حمايتهم استرحاماً . إذا طلبنا أن نكون أحراراً مستقلّين فلم يُجيبونا إلى طلبنا ، كان ذلك أدعى لاحترامهم لنا على الأقلّ ، وإلاّ حسبونا من سقط المتاع ، ونظروا إلينا كما ينظرون إلى عبيد أذلاّء مستضعفين لا شأن لنا ولا قيمة . ثمّ أخذ الحاج أمين الحسيني ، يُفنّد آراءَهم ويُبيّن لهم مواطن الضعف فيها . ثم قام أبو الفضل وجعل يُناشدهم بكلّ مقدس لديهم أن يعدلوا عن فكرة استقلال فلسطين ، الاستقلال التام ، وعن اتخاذ قاعدة اللامركزية للحكم ، فإن ذلك يُعرّض فلسطين للخطر الصهيوني ، وخير واسطة لدفعه أن ندمج أنفسنا في سوريا . فقال قائل : كيف نقبل بعد أن كنا عبيداً للأتراك أن نكون عبيداً للسوريّين يتحكّمون بنا كيف يشاؤون؟ قلنا : لا نكون عبيداً للسوريّين ولكن شركاء في الحكم ، وهنا قام إبراهيم شمّاس وقال : يجب أن تعلموا أن الإنكليز هم الذين فتحوا هذه البلاد ، وأن الحكومة الآن هي حكومة إنكليزية . فثار ثائر أبو الفضل وقال : إن في سوريا فدائيّين يُقاومون كلّ حكم أجنبي ، فما كان من أعضاء الجمعية إلاّ أن انتفضوا وقالوا : نحن لا نسمع مثل هذا الكلام وخرجوا . غضبوا من كلام أبي الفضل ، ولم يغضبوا من كلام إبراهيم الشمّاس ، الذي كان أشبه بالتهديد . إن ذلك نهاية الضعف والجبن فلا حول ولا . . . بعد الظهر علّمت صفّي في العمارة الألمانية في جبل الزيتون ، ثم جئت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر ، وبعد الدرس تكلّمنا عن عمدة المدارس ، فسألته من ينتخب هذه الهيئة؟ فقال : أنا . فقلت : من هم الأعضاء؟ فقال ستؤلّف من ثمانية أعضاء ، مسيحي واحد هو أنت ، واثنان مسلمان ، ربّما كان أحدهما الشيخ حسام الدين جار الله ، والآخر إسماعيل بك ، وواحد يهودي ، ومستر سايكس ، ومدير المعارف ، ومدير من كل مدرسة ، فقلت له : أرجوك إذا عملت شيئاً مثل هذا فتحرَّ أن تكون العمدة حيّة نافعة ، لا أن يكون فيها أعضاء لا يصلحون لشيء .

الجمعة في ٧ شباط غ/ ١٩١٩م

جاءَني في الصباح الخواجا سفير الإسرائيلي ، وإذ كنت على أهبة الخروج مشى معي ، فسألني عن أعمال المؤتمر

الفلسطيني، فقلت له: ختم جلساته وسيُسافر كل إلى بلاده، اليوم أو غداً، وقد رفع تقاريره إلى الحكومة، وهي تشتمل على أمرين: الأوّل الاحتجاج على مطامع الصهيونيّة في فلسطين، وبيان ما يلحق البلاد من الأضرار المادية والأدبية من مجيئهم إليها، ويُقال: إنه تقرير طويل جداً أحاط بالموضوع من كلّ جهاته. والأمر الثاني إلحاق فلسطين بسوريا على أن تكونا كلتاهما من الجامعة العربية، فظهرت على وجهه علائم الانقباض واليأس. لم يزل عارف باشا الداوودي مصراً على رأيه، وامتنع عن توقيع قرار المؤتمر الفلسطيني بخصوص إلحاق فلسطين بسوريا، ولكن المؤتمر، تمكّن من حمل شكري الكارمي على توقيعه، وقد وقّعه بإيعاز من الجمعية الكاثوليكية، لأنها تعتقد أن في هذا الإلحاق خدمة لمصلحة فرنسا، ثم ذهب الشيخ راغب الدجاني مع عمر أبي جميل إلى قرية عمواس لتكليف عبد الحميد أبو غوش بتوقيع القرار، ولعلّه لا يمتنع لأنه فرنسويّ النزعة.. أما يعقوب فرّاج فامتنع عن توقيعه، لا لأنه يُخالف في هذا الإلحاق، ولكن لأنه مرتبط بقرار جمعيته.

ذهبتُ إلى دار الحكومة، فقيل لي: إن عارف باشا الداوودي واسكندر منسى ورفيقه رشيد الحاج إبراهيم عند الكولونيل ووترس تيلر، ثم التقيت بهم وبغيرهم من الأعضاء فطلبت منهم أن يتصوّروا وأن يرفعوا نسخة عن تقاريرهم إلى الأمير فيصل، وأن يُرسلوا وفداً إلى سوريا لإبلاغ السوريّين قراراتنا، والاتفاق معهم عليها فوعدوا أن يقوموا بذلك... بعد الظهر علّمت صفّي في العمارة الروسية، ثم ذهبت فعلّمت اللفتننت بَنِت. في المساء ثارت العواصف وهطلت الأمطار فلم أذهب إلى مس ردلر ولا إلى الماجور ريتشموند لأن الشمسية لا تقيني الأمطار فضلاً عن أنها لا تصلح في أيام العواصف. سهر عندنا موسى العلمي، ومستر همند، وهو جندي من جملة الذين سكنوا في دار مسس واي في أوّل الاحتلال، دخل الحرب هو وأبوه وهو ماجور، وأربعة من إخوته، فقتل أبوه وإخوته الأربعة، فجعل يحدثنا عن حياة الجندي الإنكليزي، فإذا الجندية في كلّ أمّة ليست إلاّ عبوديّة، فلتسقط.

السبت في ٨ شباط غ/ ١٩١٩م

فاتني أن أذكر في يوميّة أمس، أن حدّاد بك مدير الأمن العام في دمشق قد جاء منذ يومين إلى القدس، فأحبّ أن يجتمع بالبطريرك والجمعية الأرثوذكسية، وقال لهم إنه لم يُعارض في رجوع البطريرك في أوّل الأمر، إلاّ لأنه كان مأموراً بذلك، وأما الآن فإنه يقف إلى جانب الملّة ويُطالب بحقوقها. عذر أقبح من ذنب. ثم أحبّ أن يجتمع بي فأرسل إليّ بواسطة حنّا اسطفان أن أُوافيه إلى دار الحكومة الساعة الثانية والنصف بعد الظهر. فكتبت إلى حنّا رسالة، قلت له فيها: إذا أحبّ حدّاد بك أن يراني فإني في بيتي من الساعة العاشرة إلى الظهر كل يوم. يظنّ حدّاد بك أني طوع إشارته يأمر فأُطيع، تعاليت عن ذلك علواً كبيراً.. ذهبت بعد الظهر لأُعلّم

صفّي في العمارة الألمانية في جبل الزيتون، فلم أُدرك الأوتوموبيل فذهبت ماشياً، ثم جئت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر فعلّمته، وبعد الدرس جعلنا نتحدّث في مواضيع مختلفة، من جملتها أني قابلت بين الأمّة العربية والأمة الإنكليزية، قلت: إن الأمّة العربيّة بواسطة الإسلام ابتلعت أُمماً كثيرة، فانتشرت لغتها وحروفها في كلّ أُمّة دخلت الإسلام، والذي ساعد على ذلك أمران: القرآن والحجّ. فكلّ مسلم يجب أن يقرأ القرآن، أي يجب أن يتعرَّب، إذ لا يجوز ترجمة القرآن إلى لغة أُخرى، ويجب أن يحجّ، ومعنى الحجّ الرجوع إلى البداوة أو الدخول فيها، فكل من حجّ يجب أن يلبس ثوب البداوة يحلق رأسه وينزع ثيابه ويلتف بإحرام ويُهرول ويكشف رأسه للشمس ويرمي الجمار ويُلبّي إلخ. فالقرآن والحجّ يُعرّبان كلّ مسلم. ولفهم القرآن يجب التأدّب بآداب اللغة العربيّة والوقوف على دقائقها وأحكامها وأدبيّاتها وتاريخها، بحيث تحل اللغة العربيّة من كلّ مسلم محل لغته الأولى. والذي ساعد في انتشار اللغة العربيّة واستدعى الاقبال عليها أمران: إنها لغة جميلة، غنيّة، واسعة، راقية، إذا عدّت اللغات كانت في أعلى مرتبة منها. والثاني اعتقاد أنها لغة الوحي، لغة الله وملائكته، ومن لا يحبّ أن يتعلّم لغة الله من المؤمنين؟ وقد حاولت اللغة اللاتينية واللغة اليونانية أن تكونا لغة الدين، ولكن لم تجدا في الإنجيل ما يُشير إلى ذلك، فلم تلبثا أن هجرتا ولم تنفعهما أدبيّاتهما الرّاقية شيئاً. وكانت نتيجة دخول أجناس عديدة في الأُمّة العربيّة أن احتشدت قرائح مختلفة أنتجت أدبيّات راقية جميلة. فأدبيّات اللغة العربية ليست نتاج القريحة العربيّة، بل هي نتاج قرائح مختلفة، بحيث كادت تكون أدبيّات عموميّة تشتمّ منها الأدبيّات اليونانية والفارسية والهندية والسريانية وكل الأمم الإسلاميّة، فهي أحرى أن تكون أدبيّات الإسلام لا أدبيّات العرب، بل لو ساعدها الحظّ لأصبحت لغة عامّة في الدنيا، ولكن أوربا والنصرانية حوّلتا مدّها إلى جزر.. ولا يشبه الأُمّة العربية من الأمم إلاّ الأُمّة الإنكليزية، فإنها ابتلعت أُمماً مختلفة بفضل الاستعمار كما ابتلعتها تلك بفضل الدين، فكلّ الأُمم التي تدخل إحدى مستعمرات إنكلترا مثل الولايات المتحدة وكندا وأوستراليا وغيرها، لا تلبث أن تصبح إنكليزية، فليس في العالم أُمّة مثل الأُمّة الإنكليزية في قوّة معدتها، وكانت النتيجة أن احتشدت قرائح مختلفة في العالم الإنكليزي، فأدبيّات الإنكليز ليست نتاج القريحة الإنكليزية، بل هي نتاج قرائح مختلفة، على حين نرى أن أدبيّات كلّ أُمّة من أُمم العالم عامّة وأوربا خاصّة، محصورة في أُمّتها نتاج قريحتها. فأدبيّات فرنسا مثلاً نتاج القريحة الفرنساويّة، وأدبيّات ألمانيا نتاج القريحة الألمانيّة. الأُمّة العربيّة والأُمّة الإنكليزيّة من أعجب الأُمم، وهيهات أن يتّفق لأمّة من الأمم ما اتفق لهما... هذا موضوع واسع لذيذ يحتاج إلى مقالة برأسها، ولعل لي عودة إليه... بعد الدرس دفع لي [الكولونيل ولترس] ثلاث ليرات مصريّة.

الأحد في ٩ شباط غ /١٩١٩م

زارني قبل الظهر يوسف العيسى وعزّت دروزة، وقالوا: ختمنا جلساتنا أمس، وقرّرنا أن يكون الاجتماع الثاني بعد ثلاثة أشهر في نابلس، وانتخبنا وفدين الواحد إلى باريس، مؤلّف من توفيق حمّاد من نابلس وجبران كرما من الناصرة والشيخ راغب الدجاني من يافا، والآخر إلى سوريا، وسيكون فيه يوسف العيسى. وبعد قليل خرجنا فسمعنا أن حدّاد بك جمع القدسيّين في دائرة البلدية، ثم في بيت الجمعية وعرض عليهم أن تكون فلسطين مستقلّة إدارياً تحت حماية بريطانيا، ثم لما رأى القدسيّون أن الجمعية العمومية لم تحفل بهم، ولم تنتخب أحداً منهم أبرقوا وأرعدوا وعزموا على الاعتراض والاحتجاج. قال البعض منهم: انتخبوا سعيد أفندي الحسيني ليكون من جملة الموفدين إلى باريس فترضى القدس ويفضّ هذا الخلاف، فلمّا رأيت ذلك تركتهم وشأنهم وجئت إلى بيتي. إذا كان هؤلاء أبناءك أيتها الأُمّة العربيّة فعلى مستقبلك وآمالك السلام.. في المساء جاءَت أختي ميليا مع موسى العلمي ثم جاء عمر وصبحي وجورج خميس وواصف جوهرية وأخوه توفيق، وسهرنا إلى نصف الليل. أخذنا اليوم رسالة من أديب يقول [فيها]: إنه والسليمين على صحّة تامّة.. جاء اليوم طبيب الأسنان الإنكليزي فأجّرناه القسم الثاني من الدار بعشرين ليرة، ودفع خمس ليرات سلفاً.

الاثنين في ١٠ شباط غ / ١٩١٩م

بعد الظهر علّمت صفّي في العمارة الروسية، وقد حضره تلميذان جديدان، ثمّ ذهبت فعلّمت اللفتننت بَنِت، وفي المساء علّمت مس ردلر، ومن هناك ذهبت إلى بيت صديقي الماجور ريتشموند، فقال: بسبب أنه مسافر إلى بلاد الإنكليز بعد مدّة وجيزة يرى نفسه مضطراً أن يوقف درسه الآن. تكلمنا في مواضيع مختلفة منها التطوُّر الجديد الذي أصبحت بلادنا على وشك الدخول فيه، أو النزاع بين العالم القديم والعالم الجديد. هذه ليست أوّل مرّة زحف فيها الغرب على الشرق، أو الجديد على القديم. فماذا نعمل الآن، هل نتشبّه بأوربا في كلّ شيء، فنجعل الشرق نسخة عن الغرب، وبعبارة أُخرى هل نحوّل الشرق غرباً أو نتمسّك بشرقيّتنا مع إدخال بعض إصلاحات عليها، أيهما أسعد الغرب أو الشرق؟ هذا موضوع واسع يحتاج إلى بحث وتروّ. لقد عنيت بهذا الموضوع قبل اليوم، ولقد اتفق لي ما قلّما يتفق لغيري من السفر إلى أوربا وأميركا والمعيشة فيهما والاختلاط بالناس من كل الطبقات. تعرّفت بأساتذة وأطبّاء وعلماء وقسوس وضبّاط، واشتغلت مع العمّال في المعامل، عرفت شيئاً كثيراً عن المرأة، فضلاً عمّا عرفته من أحوال أوربا وأميركا الروحية والعقلية من المطالعة مدة ربع قرن. فإذا جاز لي أن أقول كلمتي في هذا الموضوع، فإني أرى أن الشرق أسعد حالاً من الغرب، ولست أُحاول

أن أسرد الأسباب كبيرها وصغيرها ، وأشبع الكلام على كلّ سبب ، فإن ذلك مما يطول فيه الكلام، ولا يتّسع له المقام، فأكتفي بذكر بعض الأسباب، وأترك توفية الموضوع إلى فرصة أُخرى : الغرب وطن الحكومات الراقية المنظمة، وبقدر ما تكون الحكومات راقية منظمة تقلّ حرية الأُمم والعكس بالعكس. الحكومات في أوربا تتداخل في كل شيء وبيدها زمام كل شيء ، تتداخل في التربية والتعليم والصناعة والزراعة والتجارة، بحيث تستطيع أن تستخدم كل شيء في المجرى الذي تريده، وبفضل نظامها المحكم لا يستطيع أحد أن يتملّص من نفوذها وسلطتها . وما أشبه الحكومات في أوربا بسلطة الكنيسة الكاثوليكية، فإنها سلطة منظّمة تأخذ بمخنق شعبها بيد من حديد . . . والذي يتملص من الكنيسة الكاثوليكية في أوربا تتناوله الحكومة، فهو على كل حال ليس إلاّ عبداً ، ومن العجب أن تكون أوربا مهد الكثلكة كما هي مهد الحكومات الراقية المنظمة. وإذا قابلنا الشرق بالغرب من هذه الجهة، لم نرَ فيه هذه القيود المنظمة بل رأيناه أقرب إلى الفوضى منه إلى النظام، فرئاسته الدينية وحكوماته تكادان أن تكونا اسماً بلا مسمّى. كأن الشرق لا يُطيق النظام أو الخضوع لرئاسة دينية كانت أو زمنيّة. وإذا كان فيه شيء من النظام، فهو أجنبيّ عنه أو مصطبغ بصبغة أجنبيّة. إن الرئاسات الدينية أو الزمنية كادت تتلاشى في الشرق. خُذْ مثلاً البلاد العثمانية، فإن حكومتها بلغت من الضعف إلى درجة أنها كانت تتملّق شعوبها ، وتخشى جانبهم، وتتطلّب رضاهم، بل إن كثيراً من مقاطعاتها كانت بلا حكومة مثل الحجاز وجبل الدروز، فإنها لم تكن تستطيع أن تجنّد أحداً منهم أو تضرب عليهم الضرائب، بل إن سوريا وفلسطين كان ولاتها وحكّامها آلة في يد الأهالي . . وكذلك الرئاسة الدينيّة فيها ، فإنها كانت اسماً بلا مسمّى. لم يكن للمسيحي الأرثوذكسي من يسأله هل صليت ، هل اعترفت؟ أو من يقول له : لا تقرأ الكتاب الفلاني ؛ لا تشترك في الجمعية الفلانية ؛ لا ترسل ولدك إلى المدرسة الفلانية ؛ لا تعمل كذا أو اعمل كذا ، وكذلك المسلم فإنه لم يكن هناك من يضغط على فكره ويعبث بقلبه ويتصرّف بروحه ، بل كان حراً مطلقاً . . . وإذا كان في الشرق رئاسات دينية فهي أجنبيّة، وقِسْ على البلاد العثمانية سائر البلاد الشرقية، ولذلك فإن الشرق أكثر حرية من الغرب. لا يمكن أن تكون حرية مع رئاسات دينية وحكومات منظمة. وقد حاول الغرب مراراً أن يتملّص من هذه النظامات الثقيلة فلم يستطع إلى ذلك سبيلاً ، لأن الرئاسة سواء كانت روحية أو سياسيّة، إذا كانت منظمة فهي قويّة، وإذا حاول الشرق أن يقتبس هذه الأساليب المنظمة، فعلى حريته السلام.

أوربا بلاد المعامل والمناجم، والسواد الأعظم من الناس من الرجال والنساء والصبيان والبنات حتى الأطفال، عمّال. لا تسل عن العمّال، مساكين العمّال ليسوا إلاّ عبيداً بل آلات صمّاء ، بل حيوانات بكماء ، ولا يتّسع المقام لأن أعدّد مضار المعامل بالتفصيل فأكتفي بالإشارة إليها ، وأذكر أني كتبت مقالة طويلة عن المعامل يوم كنت في

أميركا ، فإذا عثرت عليها بين أوراقي أثبتها في يوميّتي هنا أو نشرتها في إحدى الجرائد السوريّة أو المصريّة ، أحذّر قومي من إنشاء المعامل أو تأسيس المحال التجاريّة الكبرى ، فهي لعنة على الإنسانية كما نرى :

(١) المعامل تقتل الصحّة ، من العمّال من اشتغل الساعات الطوال أمام النار ، ومنهم من يشتغل في غرف مشبعة رطوبة أو بخاراً حاراً ، وأكثرهم يشتغلون تحت الأرض أو في أروقة مظلمة لا تدخلها الشمس ولا يتجدّد هواؤها ، ولذلك نرى العمّال صفر الوجوه نحاف الأجسام ، لا يتضخّم منهم غير أيديهم وأرجلهم

(٢) المعامل تقتل العقل ، لأن العامل قد يعيش العمر كله ، وهو يزاول عملاً واحداً لا دخل فيه للعقل ، إما إيقاد النار أو الكناسة أو العتالة أو ضرب مسامير ، إلى غير ذلك من الأعمال الجزئية ، لأن الآلات الميكانيكية هي التي تعمل كل شيء

(٣) المعامل تقتل الحريّة لأن العامل لا يستطيع عملاً تاماً ، فلا يستطيع أن يستقلّ بنفسه ، ولذلك فهو مضطرّ أن يشتغل في المعامل وإلاّ مات جوعاً ، فإذا دخل المعمل استخدموه في العمل الذي يُريدون ، فلا يستطيع أن يقول لا أشتغل كذا ، لا أوقد النار أو أكنس مثلاً ، بل في أي عمل استخدموه أحبّه أو لم يحبّه اضطرّ أن يقبل صاغراً . وفي أوقات الانتخابات لا يستطيع إلاّ أن يبيع صوته لصاحب المعمل ، يتصرّف به كيفما شاء

(٤) المعامل تقتل الشرف وتحطّ الأخلاق وتفسد الآداب ، وهنا أجلّ القلم عن ذكر حياة العمّال والعاملات ، فإنها مما يمزّق القلب بل يندى له الجبين حياءً

(٥) المعامل تقتل عاطفة السرور في العامل ، لأنه قد يشيب ويشيخ في المعمل ، وهو يعمل عملاً واحداً بسيطاً ، لا تنوّع فيه ولا مجال لإعمال الفكر ، فيدخل المعمل ويخرج منه وهو متكرّه متضجّر إلى آخر ما هنالك . هذه هي أوربا ، فإذا اقتبسنا أساليبها في الحياة قتلنا الشرق قتلاً . لا شكّ أن الشرق على علاّته أسعد وأرقى ، وأكثر حريّة لأسباب عديدة ، أهمها ما تقدم ذكره .

الثلاثاء في ١١ شباط غ/ ١٩١٩م

بعد الظهر علّمت صفّي في العمارة الألمانية ، ثم جئت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر ، فاستغرقت أحاديثنا الوقت كلّه .

الأربعاء في ١٢ شباط غ / ١٩١٩م

بعد الظهر علّمت صفّي في العمارة الروسيّة ، ثم رجعت إلى البيت أكتب وأقرأ .

زارني بعد الساعة الخامسة أبو الفضل، والدكتور زكي أبو السعود وحسن الدجاني ومحمد يوسف الخطيب، فجعلنا نتكلّم في الأحوال الحاضرة، قلت: إن تصرّف بعض رجال القدس من أصحاب الأغراض الذاتية يسوئ سمعتنا ويُحبط آمالنا، نحن نريد الوحدة العربية والاستقلال وهم يُحاولون التزلّف من الحكومة الحاضرة طمعاً في الوجاهة لديها. إذا لم نكن مستقلين، فلنكن محترمين على الأقل. وبعد حديث قصير قالوا: جاء اليوم سليم عبد الرحمن، أحد الرفاق الذين هربت معهم من دمشق، فقلت: لنذهب لزيارته فذهبنا، وتبادلنا القُبلات، وإذ كنت مضطراً للذهاب لدرسي، استأذنت وذهبت إلى بيت مس ردلر فاعتذرت، وأجّلنا الدرس إلى الغد. اليوم دعيت إلى دائرة الاستخبارات، فسألوني عن زين العابدين شاه أحد أساتذة الكلية الصلاحية، فقلت: لم أعرفه إلا مشتغلاً بالعلم منصرفاً إلى تأليف كتاب في تاريخ الأديان، وقد كنا متلازمين في القدس، وفي دمشق، فلم أسمعه يوماً تعرّض للأبحاث السياسيّة. هذا ما دعوني لأجله بحسب الظاهر، ولكن لعلّهم أرادوا أن يعرفوا شيئاً عني لا عن زين العابدين، فقالوا: هل كنت في دمشق حين دخل الإنكليز، فقد بلغنا أنهم أوقفوه؟ فقلت: كنت قد هربت من دمشق قبل ذلك بمدة طويلة، فقالوا: نعم نعم كنا سمعنا بذلك، كأنهم كانوا ناسين فذكرتهم، وكيف كانت طريقكم؟ فقلت: هربنا إلى جبل الدروز ثم اجتزنا البادية إلى العقبة فمصر. ثم قالوا: وهل قرأت ما نشرته إحدى الجرائد الإنكليزية، من أن الأمير فيصل طلب أن تكون البلاد العربية تحت حماية أميركا، فقلت: قرأت ذلك، ولكن لم أُصدّقه لأن هذه الجريدة نقلت قبل اليوم أخباراً عارية عن الصحّة، فقالوا: إن هذا الخبر نشر في أهم الجرائد الأوربيّة، فقلت: إذا صح ذلك فأنا أُفسّره لكم، لعلّ الأمير فيصل رأى أن للإنكليز وللفرنسويين مصالح في بلاده، ولم يعرف كيف يتخلّص من الفريقين إلاّ بطلب حماية أميركا، أو لعلّ الإنكليز أوعزوا إليه بذلك، لأنهم يأمنون جانب أميركا أكثر من جانب فرنسا، ومن هم الأميركان أليسوا إنكليزاً؟ فإذا كانت البلاد تحت حماية أميركا فكأنها تحت حماية إنكلترا، فقالوا: لا شكّ أن هناك مشاكل كثيرة يصعب حلها، فقلت: أكبر ما نتخوّف منه الآن هو أن تنظم بلادنا على الأساليب الأوربية أو الأميركية، فإن ذلك يذهب بحريّتها وسعادتها كما ذهب بحريّة أوربا وأميركا وسعادتهما، وهنا دخلنا في التفاصيل. ثمّ قلت: إذا كنتم ممن يعنون بهذه الأبحاث، فأرجو أن تشرّفوا إلى بيتي فنتكلّم ملياً، وقبل أن أنصرف، قلت لهم: أرجوكم أن لا تكلّفوني مرّة ثانية للمجيء هنا، فإني أكره هذه الأماكن، فضحكوا وخرجت.

الخميس في ١٣ شباط غ/ ١٩١٩م

زرت قبل الظهر سليم عبد الرحمن ورفيقه إبراهيم أبو الهدى في لوكندة مرقس، ثم صعدت إلى جبل الزيتون

إلى العمارة الألمانية، وإذ كان أكثر التلاميذ متغيّبين مرّنت الحاضرين منهم قليلاً، ثم جعلنا نتحدّث في الحالة الحاضرة. قابلنا في أوّل الأمر بين المصريّين والسوريّين. فقلت: إن السوريّين وإن كانوا إخوان المصريّين إلاّ أنهم أرقى وذلك لأمرين: أوّلاً، لأن الإقليم السوريّ غير الإقليم المصري. وثانياً، لأن السوريّين من الجنس الأبيض الخالص، فإذا توفّرت لهم الأسباب كانوا أمّة راقية، فقالوا: لا بُدَّ لكم من اقتباس مدنية أوربا والجري على أساليبها، فقلت: هذا الذي نخشاه الآن لأننا لا نغبط أوربا ولا نحسدها، بل اسمحوا لي أن أقول: إننا نشفق عليكم، فقالوا: ولماذا؟ فقلت: لأنكم لستم أحراراً ولا سعداء. نحن أسعد وأكثر حريّة منكم. نحن أسعد لأن حياتنا أسهل بفضل إقليمنا الجميل، وأما أنتم فحاجاتكم أكثر، تحتاجون إلى التغذية والتدفئة أكثر منا، وأما أننا أكثر حرية منكم، فلأن ليس عندنا حكومات أو رئاسات دينية منظمة تتحكّم بنا كما تشاء، وتقبض على مخنقنا بيد من حديد. فقالوا: ولكن لا تستطيعون أن تحكموا أنفسكم، فقد كنتم بالأمس عبيداً للأتراك، فقلت: لم نكن عبيداً، بل لم نكن نشعر بوجود حكومة لأنها كانت ضعيفة جداً، وإذا كنا لا نستطيع أن نحكم أنفسنا، فذلك ليس ذنبنا، بل هو ذنب الغير الذي يطمع بنا ويُحاول اغتصاب حقوقنا. فلو تركنا لأنفسنا لكنا بألف نعمة، وإذا تمكّن الغير من التحكّم بنا، فليس ذلك دليلاً على أننا ضعفاء، ولكنه دليل على أن الغير قويّ، وسبب قوّته حكومة منظمة وشعوب كالأنعام. فهذه القوّة التي تفتخرون بها لدليل على أنكم عبيد مسخّرون تسوقكم حكوماتكم حيث تشاء وتضحّي بالألوف منكم لأسباب تختلقها، وليس من يسألها ماذا تعملين، ثم توهمكم أنكم ملكتم العالم. ما الفائدة من امتلاككم العالم، وأنتم عبيد مسخّرون؟ ليس الغرض من هذه الحياة امتلاك العالم ولكن الغرض أن نكون سعداء أحراراً، قالوا ولكننا متمدّنون، عندنا المدارس الراقية والمكاتب والمتاحف والمصانع والسكك الحديدية والترامات والتلفون والتلغراف، وغير ذلك مما ليس عندكم منه شيء. قلت: ما أسهل أن نقتبس ذلك عنكم، إذا لم نَرَ بُدّاً من اقتباسه. على أننا عشنا وعاش غيرنا قبلنا بدونه. وماذا استفدتم من مدنيّتكم؟ هل أصبحتم أصحّ أجساماً؟ هل تضاعفت فيكم قوّة البصر أو السمع أو اللمس أو الشمّ أو الذوق؟ هل صيّرتكم هذه المدنية أقوى في أعضائكم الداخلية أو الخارجيّة؟ قالوا: نعيش أكثر منكم، قلت: ذلك يحتاج إلى إثبات، ولو فتّشتم لوجدتم أننا أصحّ منكم أجساماً وأطول أعماراً. على أن الشأن كلّه ليس في طول العمر، بل في سعادة العمر، وإذا لم تكونوا سعداء فطول أعماركم زيادة في شقائكم. قالوا: نحن نزيد وأنتم إذا لم تنقصوا فإنكم لا تزيدون، قلت: هذه الزيادة ليست في مصلحتكم بل في مصلحة حكوماتكم، إذ يكثر عبيدها وخدمها. قالوا: أنتم تحتاجون إلينا في كلّ شيء، فلولا معاملنا ومصانعنا لم يكن عندكم شيء، قلت: لقد عشنا قبل اليوم بدون أن نحتاج إليكم، وما يضرّنا إذا كنا نحتاج

إليكم ما دمنا نستطيع أن نتمتّع بما تشتغلون. إننا نستفيد من مصنوعاتكم أكثر منكم، فأنتم تشتغلون لغيركم، فمثلنا مثل خاصّتكم أو سادتكم الذين يستريحون وأنتم تتعبون. لستم إلاّ صُنّاعاً بالنسبة إلينا لو تدرون. كان يجب أن تقولوا ليشتغل كلٌّ لنفسه، ولكنكم اخترتم النصيب الأخسّ في هذه الحياة، فقالوا: ولكن تدفعون ثمن هذه المصنوعات، فقلت: إذاً أنتم تحتاجون إلى أموالنا كما نحتاج إلى مصنوعاتكم، فنحن الأغنياء وأنتم الفقراء، وليت هذه الأموال تتسرّب إلى جيوبكم، ولكنها تتسرّب إلى خزائن أرباب الأموال فيكم، فهم يغنون وأنتم لا تملكون شيئاً، فمساكين أنتم لستم إلاّ عبيداً في هذه المدنيّة... ولا يتّسع المقام لأن أُتابع الكتابة [في] ما دار بيني وبينهم من تتمّة الحديث، ولا بُدَّ أن نعود إليه فأذكره في حينه. رجعت من هناك إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر فلم يكن هناك، وقد فهمت من امرأته أنه عقد اليوم مؤتمراً في العمارة الألمانية في جبل الزيتون، حضره جميع الحكّام العسكريّين في فلسطين، وبعد قليل جاء الكولونيل ومعه حاكم حيفا وحاكم طبريا العسكريّان، فجلسنا حول مائدة الشاي، وفي أثناء الحديث قال لي الكولونيل: لقد عثرت على مثل عربي يناسبكم في الأحوال الحاضرة، وهو «الصبر مفتاح الفرج»، ولم أدرِ ماذا يقصد. ثم قمنا فذهبت إلى بيت مس ردلر فعلمتها. وفي رجوعي عرجت على بيت الخواجا كريكوريان الذي جاء بالأمس من مصر، فعزّيته وأخذت صورة أرسلها إليّ أشيل.

الجمعة في ١٤ شباط غ/ ١٩١٩م

بعد الظهر علّمت صفي في العمارة الروسية، ثم ذهبت فعلّمت اللفتننت بَنِت، ومن هناك ذهبت فعلّمت مس ردلر، وفي المساء زارني سليم عبد الرحمن ورفيقه إبراهيم أبو الهدى وأخوا الأستاذ الشيخ عبد القادر المصغر ومحمد يوسف الخطيب وعمر أبو جميل فتكلّمنا في الأحوال الحاضرة، قال لي سليم عبد الرحمن: إن النشيد[٧] الذي نظمته في جبل الدروز قد أصبح النشيد الوطني في سوريا، فلا يعقد اجتماع أو يتألّف موكب إلا أنشدوه.

---

(٧) نص نشيد خليل السكاكيني.

أيها المولى العظيم — فخر كل العرب
ملكك الملك الفخيم — ملك جدك النبي
نحو هذا الملك سيروا — قبل فوت الزمن
وعلى الخصم أغيروا — لخلاص الوطن
جددوا العهد القديما — ذلك العهد المجيد
واسلكوا النهج القويما — واتبعوا الرأي السديد

لم نعد في ذا الزمان — أمة مستعبدة
ليس يجدينا التواني — والليالي مسعدة
في زمان الحرب نُقبل — كالأتي المنهمر
وعلى الأعداء نحمل — ليس فينا من يفر
ان نعش عشنا كراما — أو نمت متنا كرام
همنا نردي اللئاما — همنا نردي اللئام

السبت في ١٥ شباط غ / ١٩١٩م

خصصت ما قبل الظهر لنفسي، فألعب وأستحمّ وأفطر وأجلس إلى طاولتي أُدخّن وأقرأ أو أكتب. إلاّ أن كتبي وأوراقي لا تزال في بيت إسعاف أفندي، لم أتمكن إلى الآن من إحضارها. ولذلك لا أزال أشعر أني كالراحلين. أكبر لذة عندي أن أقرأ وأكتب، ولذلك لا بد لي من مكتبة حافلة أجمع فيها أنفس الكتب وأهمها. من المواضيع التي تحدثني نفسي أن أكتب فيها، أن أتصوّر أن رجلاً هبط من المرّيخ فأحبّ أن يختار لنفسه وطناً يسكن فيه، ولغة يتكلم بها، ودِيناً يدين به، وزيّاً يتزيّا به إلى آخر ما هنالك من مقومات الحياة، فكيف يجب أن يكون اختياره. لا بدّ لي من وضع رسالة في هذا الموضوع أضمنها ما يعن لي، والأمور مرهونة بأوقاتها. بعد الظهر علّمت صفي في العمارة الألمانية في جبل الزيتون، ثم جئت إلى بيت الكولونيل فعلمته. ونحن ذاهبان في الأوتوموبيل قال لي: لقد اقترح بالأمس في جلسة الحكام أن يُباح بيع الأراضي فعارضت في ذلك، فشكرته، ثم قال: جاء رجل إنكليزي وأحبّ أن يأخذ لوكندة فاست، فدفع ستة وثلاثين ألف ليرة لمدة معلومة، فما كان من اليهود إلاّ أن دفعوا ستة وأربعين ألف ليرة، فلما رأيت ذلك فتحت اللوكندة على حساب العسكرية.. زارنا اليوم الظهر غبطة البطريرك ومعه الأرشمندريت تيموثاوس، وهذه أوّل مرة زارني فيها غبطته.

الأحد في ١٦ شباط غ/ ١٩١٩م

من تصفّح يوميّتي هذه، رأى أني فوضويّ لا أحبّ النظام في حال، لأن النظام مهما كان له من الحسنات، فهو قيد سيئاته أكثر من حسناته، وهذه فطرة فيّ منذ أوّل نشأتي، حرّرت نفسي من عوائد الوسط الذي أعيش فيه، فكلّ طرقي وأساليبي في الحياة غير مألوفة، ثم حرّرت نفسي من الدين، ثم حرّرت عقلي من العقائد والتقاليد والمعلومات القديمة، ثم أنا أحاول اليوم أن أُحرّر نفسي من كل سلطة، وسأبسط أفكاري في هذا الموضوع في فرصة أُخرى. وردتنا اليوم عدّة رسائل من أديب، منها رسائل إلى أخته المرحومة كاتينكو. تألّمت سلطانة اليوم من أسنانها.

الاثنين في ١٧ شباط غ/ ١٩١٩م

أخذت سريّاً نزلة صدريّة، فكثر سعاله وجعل تنفسه يشبه الصفير. لا بدّ أن أُدبّر خادمة تغني سلطانة عن الاهتمام بشؤون البيت، لتنصرف إلى الاهتمام بسريّ وتعليمه، فقد عزمت أن لا أُرسله إلى مدرسة في هذه البلاد لئلاّ يسري إليه فساد مبادئها، واعوجاج أخلاقها، وتعلق به سخافاتها وترّهاتها. خير له أن ينشأ أُمّياً، ولكن صحيح الجسم حُرّ النفس والعقل، إلى أن يحين أجله فيذهب من هذا العالم فيستريح، من أن يدخل المدارس فيتعلّم الغثّ والسّمين والصحيح والفاسد، ويخرج منها صغير النفس ضيّق العقل مشوّه الطبع، عبداً للتقاليد البالية والأوهام السخيفة. لأنّ

مدارسنا بل مدارس العالم كلّه، لا تزال في قبضة رجال الدين أو تحت سلطة الحكومة، ولا يزال أساتذتها من الصعاليك صغار النفوس سخفاء العقول، عبيد الأوهام والتقاليد، مما لا يتّسع المقام للإفاضة فيه.. بعد الظهر علّمت صفّي في العمارة الروسية، ولم يحضر من التلاميذ إلا ثلاثة، ثم ذهبت لأعلّم اللفتننت بَنِت فلم أجده. تعرّفت بالخواجا مغبغب وهو أخو قرينة صديقي ورفيق المدرسة عطا الله اثناسيوس، فقال لي: إنه مسافر غداً إلى مصر ليجيء بعائلته، فكلّفته إبلاغ سلامي إلى عطا الله اثناسيوس وأشيل وفرج. ثم ذهبت فعلّمت مس ردلر.

الثلاثاء في ١٨ شباط غ/ ١٩١٩م

دعوت الطبيب توفيق باز لعيادة سريّ وأمّه، ودفعت له حسابه القديم. اشتريت ربطة رقبة جديدة بخمسة وعشرين غرشاً. صعدت إلى جبل الزيتون إلى العمارة الألمانية فعلّمت صفّي، ثم جئت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر فعلّمته.

يقول رجال الدين: إنه إذا ألغي الدين خرب العالم، ويقول رجال الحكومة: إنه إذا ألغيت الحكومات أكل الناس بعضهم بعضاً، كأن الإنسان شيطان رجيم أو حيوان مفترس، فلا بدّ له من لجام من حديد يكبح جماحه ويمنع شرّه، فكان الدين لجاماً والحكومات سوطاً. لولا الدين والحكومات لتآخى البشر وعاشوا بسلام، وهذا أمر مفروغ منه، فلا حاجة لإعادة البحث فيه... علّمت اليوم صفّي في العمارة الروسية ومس ردلر. في المساء زارني أبو الفضل ومحمد يوسف الخطيب وعمر الزعني فقرأت لهم شيئاً من يوميّتي، ثمّ تكلّمنا عن الصهيونيّة. البلاد ليست خالية ليتخذها اليهود وطناً قوميّاً لهم، فإما أن يشتروها من سكانها، ومهما باع الوطني من أرضه فلا يبيع كلّ أرضه، وإما أن يقنعوا الأهالي أن يقبلوا أن يكونوا تحت حكم اليهود، ولن يقبل الأهالي ذلك، وإما أن يقتنع اليهود أن يكونوا تحت حكم الأهالي، وهذا لا يقبله اليهود، فلا يزال الأمر مشكلاً ولعلّه لا يحلّ إلى الأبد.

الأربعاء في ١٩ شباط غ/١٩١٩م

بعد الظهر علّمت صفّي في العمارة الروسية، وفي المساء علّمت مس ردلر. أكره الحركة الصهيونية لأنها مبنية على فكرة قديمة. ليس الذي يطلبه اليهود هو الوطن القومي، ولكنهم يطلبون أن يكون لهم سلطة، يطلبون أن يكون لهم ملك وكأنهم يُعيدون ذات الطلب الذي طلبوه من النبي صموئيل فحذرهم منه، فأصرّوا على طلبه (صموئيل الأوّل ص٨ من العدد ١٠- ٢٢) وليس سعيهم في إحياء لغتهم التي ماتت من عهد بعيد جداً، لأنهم يعتقدون أن لغتهم أجمل اللغات وأوسعها وأغناها، بل هي ليست في شيء من ذلك، ولكنهم يحاولون إحياء لغتهم لتأييد تلك السلطة، فهم في ذلك على حدّ المثل القائل: يا حبّذا الإمارة ولو على الحجارة. بل يحاولون إحياء الديانة اليهودية، وهم يعرفون

أنها ليست من الأديان الراقية التي تلائم روح العصر، ولكن يحبونها لتأييد تلك السلطة. يطلبون ذلك في عصر يحاول فيه الناس هدم السلطات وخلع نيرها الثقيل. كل الناس يحاولون أن يكونوا مثل اليهود اليوم، واليهود يحاولون أن يكونوا مثل الناس قبل اليوم. الناس يحاولون هدم الحواجز الدينية والسياسية والجنسية، وجعل الإنسانية كلها أمّة واحدة بدلاً من أمم متعادية، واليهود يحاولون تجديد هذه الحواجز المتداعية وتكوين أمّة قائمة بنفسها، الناس يحاولون إلغاء الجمعيات وإحياء الفردية، واليهود يحاولون تكوين جمعية منهم يفنى فيها أفرادهم. ماذا ينقصكم أيها اليهود؟ أوطن والعالم كلّه وطن لكم، أينقصكم نفوذٌ وأنتم أصحاب الكلمة النافذة في هذا العالم، تقولون إن الناس يحتقروننا ويضطهدوننا، فهل إذا كنتم أصحاب وطن خاص بكم يعطف الناس عليكم ويحترمونكم؟ ليس احتقار الناس لكم لأنكم لستم أصحاب وطن، ولكن لأسباب أخرى يجب أن تزيلوها، وإلاّ فإذا كان لكم وطن خاص بكم أو لم يكن فالناس لا ينظرون إليكم إلاّ باحتقار. فيجب أن تفتّشوا عن أسباب هذا الاحتقار، قبل أن تفتّشوا عن وطن لو تعقلون.. إن اجتهادكم في أن يكون لكم وطن لا يمكن إلاّ أن يكون عن أحد أمرين: إما ترويج فكرة قديمة، وأجدر بالناس أن يقاوموكم فيها، أو جمع قواكم لتتمكنوا من الانتقام من الإنسانية ولو من مجاوريكم، وهذه نية سيّئة تزيد الحقد في صدور الناس عليكم، وعلى الحالين فأنتم لا تزالون، حيث أنتم، أمّة محتقرة مكروهة. إذا كنتم بدون وطن خاصّ بكم فاضطهدكم الناس وجدتم من يشعر معكم ويحزن لحزنكم، وأما إذا كنتم أصحاب وطن فاضطهدكم الناس لم تجدوا من تأخذه الرأفة بكم، لأنهم يقولون حينئذٍ: إن السبب منكم وفيكم، وبهذا القدر كفاية.

الخميس في ٢٠ شباط غ سنة ١٩١٩م

قد أصبح من حاجة نفسي، بل من أكبر دواعي سروري، أن أجلس كل يوم إلى طاولتي أكتب يوميتي، أضمّنها تأثراتي وخواطري وأهمّ حوادث نهاري، وقد جريت على هذه الخطة منذ كنت طفلاً، ولكن لم أتخذ يومية قانونية إلاّ منذ نحو إحدى وعشرين سنة، لم أنقطع عن الكتابة إلاّ فترات قليلة لشواغل تحول دون ذلك، من مرض أو سفر أو فتور. وفوائد هذه الطريقة عديدة، لا يتّسع المقام لتعدادها، وعندي أنه لا بد أن تصبح الكتابة في المستقبل يوميات، لأن الكتابة إذا لم تكن منتزعة من الحياة فلا قيمة لها... تمرّ بي أيام في هذه الحياة أسأم فيها العيش وأتبرّم بالوجود، ولكن لا ألبث أن أخرج من عهدة ذلك السأم بفضل الأسلوب الذي أعيش عليه. لا يخلو أن يكون الإنسان في هذه الحياة إما ظالماً أو مظلوماً، ولأني لا أحبّ أن أكون ظالماً ولا مظلوماً، كنت حقيقاً أن تمرّ بي أيام أكره فيها الحياة... أرسل إليّ تلاميذي في العمارة الألمانية في جبل الزيتون، أنهم لا يستطيعون أن يأخذوا درساً اليوم، فاغتنمت الفرصة ونمت بعد الظهر لا عن نعاس، ولكن لأتوارى قليلاً عن

الحياة، ثم ذهبت في الساعة الرابعة إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر فعلّمته. اتفقت اليوم مع تلميذ جديد اسمه مستر أشبي على ثلاثة دروس في الأسبوع، من الساعة التاسعة إلاّ ربعاً إلى العاشرة إلاّ ربعاً من صباح الاثنين والأربعاء والجمعة بستين شلناً في الشهر وسأبدأ معه من الغد.

الجمعة في ٢١ شباط غ سنة ١٩١٩م

ذهبت صباحاً إلى تلميذي الجديد، وبعد الظهر علّمت صفّي في العمارة الروسية، ثم ذهبت فعلّمت اللفتننت بَنت فدفع لي عشرين شلناً من أصل الحساب، ثم ذهبت فعلّمت مس ردلر فدفعت لي أربعين شلناً عن دروس سابقة. لا أزال منقبض الصدر. أخذت اليوم رسالة من الدكتور طنوس قعوار من دمشق، فسررت لسلامته، بعد أن طوّحت به الطوائح، وخاض غمرات المنايا في جبال القفقاس وسهول إيران وصحارى العراق.

السبت في ٢٢ شباط غ سنة ١٩١٩م

الطقس جميل جداً، ذهبت بعد الظهر إلى العمارة الألمانية في جبل الزيتون، وأخذت معي سرياً وأمّه، وبعد الدرس نزلنا في أوتوموبيل خصوصي إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر، وكان اليوم عيد ميلاد امرأته، وبعد تناول الشاي اشتغلت مع الكولونيل في الدرس، قال لي: إنه أخذ رسالة من أحد أصدقائه في مؤتمر الصلح يقول فيها إن الإنكليز والفرنساويين والأميركان على وفاق تامّ. ورد نبأ أن إسبانياً أطلق الرصاص على كليمنصو رجل فرنسا، فأصابته رصاصتان في كتفه، ولأنه يجاوز الثامنة والسبعين من العمر، فحالته خطرة، ويُقال، إن تلك دسيسة ألمانية والله أعلم. ذكرنا مصرع اللورد كتشنر، فقال: لقد مات في وقته، دعا الامة للتطوع فلبّته لأنها تثق به، ولكنه بعد ذلك أحب أن يعمل كل شيء بنفسه، ولم يعد يقيم لأحد وزناً، وهذا يعرّضه لغلطات كثيرة، فكان موته في وقته، ثم ذكرنا اللورد لويد جورج [٨]، فقال: إنه خدم الأمّة باستنهاض همة العمال، لأنه موضع ثقتهم، إذ كان دائماً يبثّ فيهم روح الاعتصاب، ويقول لهم: يجب أن يهتم العامل بمصلحته قبل مصلحة بلاده، وهو اليوم يجني ثمرة آرائه، لأن العمّال يعتصبون ولا يستطيع أن يمنعهم من الاعتصاب. ثم ذكرنا مستر اسكويث، فقال: إنه ليس بارعاً إلاّ في الكلام. وبعد حديث قصير في مواضيع أُخرى، قمنا فأركبنا في أوتوموبيله إلى دار الحكومة فشكرناه.. في المساء زارنا أبو الفضل ومحمد يوسف الخطيب وعزيز الخالدي. كانت دائرة المعارف قد استدعت قبل بضعة أيام رؤساء النادي العربي والمنتدى الأدبي وجمعية الإخاء والعفاف،

---

(٨) لويد جورج: رئيس وزراء بريطاني كان داعماً للحركة الصهيونية.

لتفاوضهم بشأن احتجاج كانت الجمعيات المذكورة قد قدمته بخصوص المدارس، وكانت لهجته شديدة، احتجوا فيه على تقليل الدروس الدينية والدروس العربية، ووضع رسم على التلميذات لا تستطيع الفقيرات منهن أن يدفعنه، وعلى نقل المدرسة إلى محلّ آخر مكشوف، فقال مدير المعارف: إنه سيؤلف قومسيون للمعارف يفوض إليه أمر المدارس، فهو سينظر في مطاليبهم.. ثم زارنا بعدهم صبحي وأبو جميل وموسى [العلمي] وجورج خميس.

الأحد في ٢٣ شباط غ سنة ١٩١٩م

نمت بعد الغداء قليلاً، ثم جاء صبحي في عربة، فذهبنا إلى المصلبة، وكان قد سبقنا إليها أبو جميل وحنا حمامة وجورج خميس، فوجدنا هناك جماعة كبيرة: بيت فراج وبيت مشبك وبيت عبده وبيت شكري ديب، فجلسنا معهم وذهب صبحي إلى جماعته على الجبل الثاني المقابل، ثم قمنا من هناك نحو الساعة الخامسة فمالوا بنا إلى بيت مشبك فملنا فقدموا لنا بعض الشراب فشربنا، ثم رجعنا إلى البيت وبعد العشاء جاء صبحي وأبو جميل وحنا حمامة وجورج خميس وموسى العلمي، فسهرنا إلى نحو الساعة التاسعة والنصف، فقرأت لهم شيئاً من يوميّاتي وتذكّرنا أيام دمشق واجتماعاتنا وسهراتنا وغدواتنا إلى الربوة.

الاثنين في ٢٤ شباط غ سنة ١٩١٩م

ذهبت في الصباح فعلّمت مستر أشبي، ومن هناك عرجت على أمي، وكانت سلطانة وسري قد سبقاني، فجلسنا قليلاً ثم جئنا إلى البيت، وبعد الظهر علّمت صفّي في العمارة الروسية، وبعد الدرس كلّفني اثنان من الصف أن أعطيهما دروساً وحدهما من الساعة الخامسة والنصف إلى الساعة السادسة والنصف بعد ظهر الثلاثاء والخميس والسبت، وسأبدأ معهما من الغد، لأنهما أقدر من بقية الصف وأذكى. ومن هناك ذهبت فعلّمت اللفتننت بَنِت. وبعد الدرس لقيت صديقي الماجور ريتشموند، فوعد أن يزورنا يوم الأحد، ثم ذهبت فعلّمت مس ردلر. لقيت الخواجا ألتر ليفين، فقال لي: إنه دفع ليرتين للخواجا شكري جميل، وهما المبلغ الذي دفعه إلينا في السلط يوم كنا على طريقنا إلى الشام، وترك عنده قيمة خمسة ريالات باسم الخواجا ميخائيل القزاز، وهي القيمة التي دفعها إلينا في أريحا في ذلك اليوم المشؤوم. وردتني رسالة من المعلم نخلة يعاتبني فيها على انقطاعي عن الكتابة إليه، ويقول: إنه سيستعفي من شغله في دمشق في أواخر هذا الشهر، ويرجع إلى القدس في الثلث الأوّل من شهر آذار، ويرى أن ينزل ضيفاً على جماعة الأميركان لبضعة أيام، ريثما يدبّر داراً

يسكن فيها ، فخطر لنا أن ينزل في المستعمرة الألمانية في المحلّ الذي كنّا نسكن فيه ، فإنه لا يزال في يدنا .

الثلاثاء في ٢٥ شباط غ سنة ١٩١٩م

صعدت إلى جبل الزيتون إلى العمارة الألمانية ، فعلّمت صفّي ولم يحضر منهم غير أربعة . طلب مني أحدهم أن أعطيه درساً وحده ، فأمهلته في الجواب إلى أن أرى ما يقرّ عليه رأي البقية ، فإذا أجمعوا رأيهم على الدرس دبّرت له وقتاً آخر ، ولو أخذته في الساعة ذاتها . ثم جئت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر فكان معيناً من التعب ، ومع ذلك فقد أعطيته درساً ، ثم أركبني في أوتوموبيله إلى العطفة التي تؤدي إلى المستعمرة الروسية ، فنزلت وشكرته وذهبت إلى تلميذيّ الماجور ولسن والكبتن لامبرت ، وهما من أعضاء الصف في العمارة الروسية ، فأعطيتهما الدرس الأوّل ، وقد عزما أن يقنعا بقية الصفّ أن يأخذوا دروسهم وحدهم .

الأربعاء في ٢٦ شباط غ سنة ١٩١٩م

علّمت مستر أشبي . كان اليوم ميعاد افتتاح مستشفى العيون الإنكليزي ، الذي دمّره الأتراك يوم انسحابهم من القدس فأعاد بناءه الإنكليز ، فجاء الجنرال اللنبي [٩] الساعة الثانية بعد الظهر فافتتح المستشفى ، ثم غادر القدس الساعة الرابعة إلى مصر وكانت الأمطار تهطل بغزارة . في الساعة الثانية بعد الظهر علّمت صفي في العمارة الروسية ، وفي المساء علّمت مس ردلر .

الخميس في ٢٧ شباط غ سنة ١٩١٩

أخذت رسالة من أخي يوسف وفيها عدّة رسوم من رسمه وحده ومع بعض رفاقه ، يقول فيها : إنه لا يزال ينتظر صدور رخصة له بالمجيء إلى القدس ، فعسى أن يكون ذلك قريباً ، وكذلك وردتني رسالة من جورج يعقوب الحلبي من أميركا ، يهنئني فيها برجوعي إلى البلاد سالماً .

بعد الظهر جاءني إشعار من الماجور تدمن مدير المعارف ، أن صفّي في العمارة الألمانية في جبل الزيتون يرجوني أن نؤجّل درس اليوم إلى يوم السبت ، وفي الوقت ذاته جاءني إشعار من الحاكم ووترس تيلر ، يكلّفني فيه أن أذهب إليه الساعة الثانية والنصف بعد الظهر بدلاً من الساعة الرابعة ، فذهبت فعلّمته وفي الساعة

---

(٩) هو الجنرال البريطاني ادموند اللنبي الذي احتل مدينة القدس عام ١٩١٧ .

سري يتوسط والديه في صورة تعود للعام ١٩١٩ . (مجموعة عائلة السكاكيني)

الخامسة والنصف ذهبت إلى العمارة الروسية، فعلّمت تلميذيّ الكابتن لامبرت رئيس الجزاء، والماجور ولسن رئيس أطباء الصحيّة. في المساء جاء أبو جميل وصبحي وموسى، وسهروا عندنا إلى نحو الساعة التاسعة. أجبت أستاذي على رسالته.

الجمعة في ٢٨ شباط غ سنة ١٩١٩م

ذهبت صباحاً فعلّمت المستر أشبي، وبعد الظهر ذهبت لأُعلّم صفّي في العمارة الروسية، فلم يحضر غير اثنين من التلاميذ فعلّمتهما، ثم ذهبت لأُعلّم مستر بَنِت فلم أجده هناك، فعرجت على مكتب الصديق الماجور ريتشموند أنتظره، وبعد قليل أرسل إليّ ورقة يقول فيها: إنه لا يقدر أن يأخذ درساً اليوم.. وفي المساء ذهبت لأُعلّم مس ردلر فوجدتها مضطربة الأعصاب مقطبة الوجه غضباً، ولولا إشفاقي عليها، لقمت ولم أعلّمها، ولكن تحاملت على نفسي إلى أن بقي من الوقت نحو عشر دقائق، فأوقفت الدرس وقمت، فقالت: لم ينتهِ الوقت بعد، فقلت: كنت أحبّ أن أقوم قبل الآن، لأنني لا أستطيع أن أعلمك وأنت في هذه الحالة، ثم خرجت وأنا أعذر أختي ميليا على تركها المدرسة، لأن مثل هذه الرئيسة لا يستطيع أحد أن يشتغل معها. ولولا ترفّعي عن مُناصبة أمثالها العداء، لكنت سعيت منذ الغد في فصلها عن المدرسة وإرجاعها من حيث جاءَت. ولعل أحسن طريقة للتخلص منها هي أن أعزّز مدرسة أختي، وأجعل سلطانة تتكفّل بتعليم اللغة الإنكليزية فيها، ليزيد إقبال التلميذات عليها، فإذا رأت مس ردلر مدرستها خالية خاوية استعفت من تلقاء ذاتها... منذ رجعت إلى القدس لم تزل تمرّ بي أيام تتكشّف لي فيها الدنيا عن طفائف لا قيمة لها فأكره الحياة، ولولا أسلوبي الذي لا أخلّ به يوماً من الأيام لتسمّم شعوري وتولاني السأم وصرت إلى الملال والاعياء، ولكن أسلوبي يخلقني كل يوم خلقاً جديداً. ومع ذلك فلست أنكر أن هذه الدروس الخصوصيّة ليست العمل الذي أحبّه، لأنها ليست إلاّ تعليم حروف وكلمات، ولا سيّما وأكثر تلاميذي ليسوا أذكياء فلا أتلذّذ في تعليمهم، فأحرِ بي وأنا أرى التلميذ ينسى في يومه ما تعلّمه أمس، ولا يستطيع أن يقول جملة، إلاّ بعد أن يكدّ ذهنه ويجهد نفسه، ثم تخرج الجملة من فمه يلعن بعضها بعضاً، أحرِ بي والحالة هذه أن يأخذني التعب أكثر منهم، فلا أخرج من الدرس إلاّ وقد بلغت روحي التراقي.. أين هذا من أن أتولى إدارة مدرسة أشتغل فيها بإحياء نفوس الأحداث وتنوير بصائرهم وتوسيع مداركهم وإرهاف أذهانهم وتقويم أخلاقهم وإفراغهم في القالب الذي أريده، أحرِ بمثل هذا العمل أن يشرح صدري ويملأ نفسي سروراً فأغتبط بالحياة..

السبت في أوّل آذار غ سنة ١٩١٩م

بعد أن خلقت نفسي خلقاً جديداً ، ذهبت بعد الظهر إلى العمارة الألمانية في جبل الزيتون فكان درسي في الساعة الأولى مع اللفتننت لك مساعد مدير المعارف وحده ، وفي الساعةالثانية مع الكبتن ملز وحده أيضاً بدلاً من الصف المزدوج، فكان الدرسان ألذّ وأفيد . طلب مني أن أعطي صفّاً جديداً ألّفه الكولونيل كريتن دروساً من الساعة الثانية إلى الثالثة بعد الظهر ، من يوم الاثنين والأربعاء والجمعة فوعدت أن أنظر في ذلك . ثم جئت إلى منزل الكولونيل ووترس تيلر ، فتحدثنا قليلاً قبل الدرس في بعض الأمور . قال لي : إنه أنهى تقريره عن هيئة للمعارف تؤلف من أهل الخبرة من الوطنيين ، ورفعه اليوم إلى الجنرال ستورس ، فإذا صدق عليه كنت أنا من جملة أعضاء هذه الهيئة ، فشكرته . . . ذكر لي نقطاً كثيرة من تقريره كأنها من إملائي ، ولعلّ الماجور تدمن مدير المعارف عرضها عليه فأثبتها في تقريره . إذا انتدبت لهذا العمل كانت المسؤولية عظمى جداً . ثمّ ذهبت إلى العمارة الروسية فعلمت رئيس الأطباء ورئيس الجزاء . بعد الدرس ساقنا الحديث إلى فلسفة اللغات ، فقلت لهما : من تدبّر اللغات رأى قسماً كبيراً منها مبنياً على تقليد أصوات الحيوانات والطيور ، لأن الإنسان التاريخي عاش دهراً طويلاً على صيد الحيوانات والطيور وتربيتها ، فكان يصرف أكثر أوقاته في الغابات والأدغال مترصداً في كلمته ، وكان يقلّد أصوات الحيوانات والطيور ليستكشف مكامنها فيصيدها ، ولذلك تكاد تكون اللغات البشرية لغات الطيور والحيوانات لا لغات البشر . ثم نظرنا في سرّ وجود حروف حلقية في اللغة العربية ، فقلت : قد يكون لذلك سببان : الأوّل ، أن العرب لما كانوا أهل قفر وصحارى كانت عنايتهم بالجِمال أكثر من عنايتهم بسائر الحيوانات فقلدوا أصواتها ، ومن تدبّر اللغة العربيّة رأى لأكثر مفرداتها علاقة بالجمل ، والثاني ، لما كان العرب سكان قفر حارّ يعيشون في الهواء الطلق ، لم يكن لهم بدّ من فتح أفواههم لإخراج ما يجيش في صدورهم من الأنفاس الحارة واستنشاق الهواء استبراداً ، فقويت بذلك حلوقهم ، وليس أحسن واسطة لتقوية الحلوق من تعريضها للهواء الجافّ الطلق النقيّ . وإذا تأثّر الإنسان فإنه يعتمد في إظهار تأثّراته على العضو القوي فيه ، فإذا كانت يده ، قوية استعمل يده وإذا كانت رجله قوية رفس بها الأرض ، وإذا كانت أسنانه قوية كشّر عن أنيابه أو أصرّ على أسنانه ، وإذا كانت رقبته قوية انتفخت أوداجه ، وإذا كان رأسه قوياً تهيّأ للنطاح ، وإذا كان صدره قوياً تجمّع في صدره . كذلك إذا أراد الكلام ، فإنه يعتمد على العضو القويّ من أعضاء صوته ، فإذا كان لسانه قويّاً اعتمد على لسانه ، أو أسنانه قويّة اعتمد على أسنانه ، أو شفتاه اعتمد على شفتيه ، أو حَلْقُهُ اعتمد على حلقه . ولما كانت حلوق العرب قوية للأسباب التي ذكرناها ، لم يكن بدّ من الاعتماد عليها . ثم لا بدّ من الإشارة إلى سبب آخر ، وهو أنه لما كانت العرب أمّة مستقلّة حارة الطبع شديدة التأثّر ، فهي لا تطيق الهمس والغمغمة ، بل تميل إلى الصراحة

والوضوح ولا تتكلم إلاّ عن تأثّر، وأنها تعني ما تقول كما ذكرت ذلك في أحد خطبي في الكلية الصلاحيّة، وليس أدلّ على التأثر من الأصوات الحلقية لأنها أعمق الأصوات.. وإذا لم يكن بدٌ من علاقة بين اللفظ والمعنى بحيث تكون اللفظة دالّة على معناها مفسّرة لذاتها، فلست أدري كيف لا يكون حرف حلقي في كلمة حلق وحب وحق وحَرّ وسُخط وغضب... لا بدّ لي من التوسّع في هذا الموضوع في فرصة أُخرى.

الأحد في ٢ آذار غ سنة ١٩١٩م

جاء بالأمس من دمشق الأستاذ الشيخ عبد القادر المظفر فذهبت بعد الظهر للتسليم عليه، وفي الساعة الخامسة زارنا الماجور ريتشموند صديقي الأبرّ فتناولنا الشاي، فوعدني حين يرجع إلى بلاد الإنكليز، أن يسعى في تدبير شغل لي في دار الفنون كأستاذ للغة العربيّة، فإذا أظفرتني الأيام بهذه الأمنية كنت سعيداً وضمنت سعادة سريّ وأمّه. وبعد انصرافه ذهبت زرت مدير المعارف الماجور تدمن. تكلمنا عن المدارس، قلت: من جملة المسائل التي تحتاج إلى بحث وإمعان نظر: هل ندخل لغة أجنبية إلى مدارس القرى أم نقتصر على اللغة العربيّة؟ يخطر لي الآن أن إدخال لغة أجنبية إلى مدارس القرى قد يؤدي بهم تدريجاً إلى الزهد في معيشة القرى والعناية بالأرض، ويولد في نفوسهم عاطفة ميل إلى معيشة المدن وهذا يضرّ بمصلحة البلاد، لأننا لا نحب أن نجعل في بلادنا مدناً كبيرة كلندن وباريس ونيويورك تجذب أهل البرّ إليها فتفسد أخلاقهم وتسمّم دماءَهم وتقلّل عدد العاملين في الأَرض. على أننا لا نغفل عن إدخال تحسين كبير في حالة الفلاّح ليغتبط بحياته، ولا يعود يعتبر نفسه محتقراً.. ومدارس القرى في نظري هي أهمّ المدارس وأولاها بالعناية، وتوخّي الحكمة في الدروس التي يجب أن نعلّمها، والروح التي يجب أن ننبّها. وأما مدارس المدن فلما كان لا بدّ فيها من لغة أجنبية، فيجب أن نبدأ بها في بستان الأطفال، ونوفيها حقها من العناية في بقية المدارس، ليتقنها أولادنا إتقانهم للغتهم، لا أن نكتفي منها بمعرفة سطحية، كما كان شأنها في بقية المدارس الأجنبيّة، لأننا سنعتمد في دورنا هذا الجديد على الاقتباس من اللغات الأوربية والانتفاع بها، ولا نستطيع ذلك إلاّ إذا عرفناها معرفة تامّة.. ثم لا غنى لنا مثل بقية الأمم الشرقية، بل كثير من الأمم الغربيّة عن إرسال عدد من أولادنا في كل سنة إلى مدارس أوربا الراقية ليتخرجوا فيها، فلا نستطيع ذلك إلاّ إذا كانوا يحسنون إحدى اللغات الأجنبيّة كأبنائها. ومعلوم أن هذا التوفر على العناية بها، لا يكون إلاّ في مدرسة أو مدرستين من مدارس البلاد، لأن الذين تمكنهم أموالهم من متابعة دروسهم في مدارسنا، ثم الذهاب إلى مدارس أوربا هم قليلون جداً، فمن العبث أن نراعي في مدارسنا مصلحة أفراد قليلين ونهمل مصلحة الفريق الأكبر.. ثم سألني عن كتب مدرسية في الجغرافيا والتاريخ والرياضيات وسائر العلوم، فقلت: ليس في لغتنا كتب مستوفية

الشروط يصحّ الاعتماد عليها ، ولذلك فمن رأيي أن لا نضع في أيدي التلاميذ كتباً منها بل نعلمهم بدون كتاب، وأما الأساتذة فيجب أن لا يعتمدوا على كتاب واحد بل أن يرجعوا في دروسهم إلى كتب عديدة ، فضلاً عن أن ذلك أوفر [مادياً] لأن حالة المعارف وحالة الأهالي المالية لا تمكنهم من شراء الكتب . وقد جربت على هذه الطريقة في مدرستي فوفّرت على الأهالي نفقات كثيرة ، وفوق ذلك فإن التعليم بدون كتب يكون تعليماً حيّاً نافعاً . ثمّ تكلمنا عن أساليب التعليم وطرق التربية ، فقلت : يجب أن يكون للمعلّمين جمعيّة يلقّنون فيها أصول التعليم والتربية ، وإلاّ فلا نأمن من أن يجروا على طرق قديمة عقيمة مضرّة ، ثم تكلمنا عن هيئة للمعارف تؤلف من الأهالي من أهل الخبرة والاقتدار ، فقال : ستؤلف هذه الهيئة في القريب العاجل . هذه خلاصة ما دار بيني وبينه .

الاثنين في ٣ آذار غ سنة ١٩١٩م

ذهبت صباحاً فعلّمت المستر أشبي ، فدفع لي ستين شلناً عن اثني عشر درساً ، أخذ منها لحدّ الآن خمسة دروس . وبعد الظهر علّمت صفّي في العمارة الروسية ، واتفقت معهم أن يكون الدرس من الساعة السابعة إلى الثامنة من الاثنين والأربعاء والجمعة بدلاً من الساعة الثانية ، وبذلك أتمكّن من أخذ الصفّ الجديد في العمارة الألمانية في الأوقات ذاتها ، ثم ذهبت فعلّمت اللفتننت بَنِت ومن هناك ذهبت فعلّمت مس ردلر ، وقد رأيت من تصرفها ما زهدني في تعليمها . دفعت لي عشرين شلناً . جاء اليوم الكابتن جوبلنك طبيب الأسنان الذي أجرناه القسم الآخر من الدار ، واعتذر عن دفع بقية القيمة من الأجرة ، إذ تأخّرت القيمة التي طلبها من بلاده واتفقت معه أن أعطيه دروساً ثلاث مرّات في الأسبوع من الساعة الحادية عشرة والنصف إلى الثانية عشرة والنصف من يوم الاثنين والأربعاء والجمعة من كل أسبوع، وربما ابتدأنا من يوم الجمعة القادم .

الثلاثاء في ٤ آذار غ سنة ١٩١٩م

السماء متلبّدة بالغيوم والأمطار تتدفّق كأنها من أفواه القُرب والبرد شديد ، فلم يسعني إلاّ أن أعدل عن الذهاب إلى جبل الزيتون إلى العمارة الألمانية . بعد الظهر ذهبت علّمت الكولونيل ووترس تيلر ، وبعد الدرس أوصلني في أوتوموبيله إلى العمارة الروسية ، حيث علّمت رئيس الجزاء الكابتن لامبرت وحده ، وقد فهمت منه أن رفيقه الماجور ولسن قد يوقف الدرس الآن ، لأنه ربما ذهب إلى بلاد الإنكليز ، وقد رأى رئيس الجزاء أن يجعل دروسه أربعة بدلاً من ثلاثة لعلّه يتمكّن من تحصيل حظّ صالح من اللغة ، يمكّنه من اجتياز الامتحان الذي يكون في شهر نيسان ، وسيكون درسه الرابع يوم الجمعة من الساعة العاشرة والنصف إلى الحادية عشرة والنصف .

الأربعاء في ٥ آذار غ سنة ١٩١٩م

ذهبت صباحاً فعلّمت المستر أشبي، وبعد الظهر علّمت مس ردلر وصفّ العمارة الروسيّة. لا تزال الرياح تعصف والأمطار تهطل. كان سريّ واقفاً بإزاء النافذة والسماء تمطر بَرَداً، فسأل: ما هذا؟ فقالت له أُمّه: هذا «خَرَنزَع»، وقلت له: هذا بَرَد، ولكنه تعلّق باللفظة الأولى لأن وزنها يسترعي السمع أكثر من الثانية، ولأنها غريبة الوزن والحروف، فكانت أولى بالعناية من تلك. وهذا شأن طبيعي في البشر ولا سيّما الأحداث عند تعلّمهم اللغة. إذا عرضت لهم لفظتان بمعنى واحد صرفوا عنايتهم إلى أغربها وأصعبها . . . ثم لاحظت فيه أمراً آخر أدهشني، فإنه أخذ الشمسية وجعل يفتحها ويطويها واخترع لفظة لحكاية صوتها في الأمرين، فقال: إذا فتحتها عملت «تُشُك» وإذا طويتها عملت تُشِك بضمّ الشين في الأولى وكسرها في الثانية، فحسبت أن ذلك كان منه اتفاقاً، فسألته كيف تعمل عند الفتح فقال تشُك وعند التنزيل، فقال تشِك، كأنه اختار ضمّ الشين عند الرفع والكسر عند التنزيل لأنّ الضمّ صوت مرتفع والكسر صوت منخفض، مناسب بين حركة الشين وحركة الشمسيّة. . . لم يزل منذ كان طفلاً مولعاً بالكتب والأوراق والأقلام، وقد اشتدّ فيه الميل في هذه الأيام إليها، وتنبّهت قواه فصار يُلاحظ ويستفحص ويستفهم ويستنتج ويُعلّل، فلولا أني عزمت أن أُؤجّل تعليمه إلى أن يستوفي نموّه الجسدي والعقلي لابتدأت بتعليمه القراءَة والكتابة منذ الآن.

الخميس في ٦ آذار غ سنة ١٩١٩م

ذهبت بعد الظهر إلى العمارة الألمانية في جبل الزيتون فعلّمت Capt Mills، ثم جئت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر، فقال دعنا من الدرس اليوم ولنتحدث، فجلسنا حول الموقد، وأخذنا ندخّن ونشرب الشاي ونتحدّث. قال سأترك القدس بعد أيام إلى الناصرة، فقلت: ولِمَ؟ قال، قسمنا البلاد إلى ثلاث أو أربع مناطق كبيرة: القدس وتوابعها، والناصرة وتوابعها، وعكا وتوابعها ونابلس وتوابعها. وقد اخترت الناصرة، وذلك خيرٌ عندي من أن أشتغل مع الجنرال ستورس في القدس، فتلقيت هذا الخبر بالأسف، وقلت: كنا على أيام تركيا إذا أحببنا حاكماً، فأرادت الحكومة أن تنقله إلى محلّ آخر نتمسّك به ونرسل التلغرافات تلو التلغراف في طلب بقائه عندنا، فلو جاز ذلك عندكم لقامت القدس بأسرها تطلب بقاءَك، لأنها تحبّك وتحترمك، بعكس الجنرال ستورس فإنه مكروه سيّئ السمعة يكرهونه كحاكم لأنه يقول كثيراً ولا يفعل شيئاً، فهو أشبه بالحكّام الأتراك الذين لم يكونوا يعرفون إلاّ سياسة التملّق. فضلاً عمّا يرون من الخلل وسوء الإدارة وتفشي الرشوة واصطناع زيد دون عمر، على حين كانوا ينتظرون أن يروا منه حاكماً إنكليزياً ليسوس البلاد بالحزم والعدل، لا أن يترك القديم على

قدَمه. هذا كحاكم. ثم يكرهونه كرجل لأن الشائع عندهم أنه مولع بالنساء منحطّ الأخلاق، لدرجة أنه لا يستنكف أن يخلو بالمرأة في مكتبه.. ولو أطلق سراح الأقلام لكتبنا فيه الفصول الطوال وكشفنا كل مخبأ، ولم ننفرد نحن بالتذمُّر من هذه الحالة، بل أن كثيرين من الضباط الإنكليز يتذمّرون منها أيضاً، كثيرون من ضباط الإنكليز طلبوا أن يحضروا نساءَهم من بلاد الانكليز فلم يسمح لهم، على حين أن كثيرين ممن هم في معيته قد أحضروا نساءهم، فكيف يجوز للبعض ما لا يجوز للبعض الآخر. فقال: ليست هذه الطريقة إنكليزية. ولا بدّ أن تكشف كل هذه الأمور فتقع التبعة عليه، وقد كرّهني بالبقاء معه، إنه كذوب يشير بالشيء فإذا كانت النتيجة سيّئة ألقى التبعة على غيره، وإذا عمل غيره ممن هم معه عملاً حسناً انتحله لنفسه. وضعت في مدة تغيّب الجنرال مني تقارير كثيرة رفعها هو باسمه، ولكن الآن لما جاء الجنرال مني رفعت إليه التقارير ذاتها، فلا بدّ أن يعرف الجنرال مني كذبه وسوء إدارته. ثم ركبنا الأوتوموبيل وخرجنا. دعوته لتناول الشاي هو وقرينته فشكرني.. ثم ذهبت فعلّمت الكابتن لامبرت رئيس الجزاء.

الجمعة في ٧ آذار غ سنة ١٩١٩م

خرجت الساعة التاسعة فعلّمت مستر أشبي، ثم ذهبت فعلّمت رئيس الجزاء من الساعة العاشرة والنصف إلى الحادية عشرة والنصف، ثم ذهبت فعلّمت Capt. Jopling إلى نحو الساعة الواحدة بعد الظهر، وهذا الدرس الأوّل، فدفع لي ستين شلناً عن اثني عشر درساً سلفاً، ومن هناك ذهبت رأساً إلى جبل الزيتون إلى العمارة الألمانية، ولم يتّسع لي الوقت لأن أذهب إلى البيت فأتناول الغداء، فاكتفيت بأن أخذت في طريقي معمولتين [كعكتي معمول] من دكان سليم السلفيتي فأكلتهما، وكان الصفّ مؤلّفاً من الكولونيل كريتن Col. Cryekton واثنين آخرين فعلمتهم لأوّل مرّة، ثم نزلت مع الكولونيل المذكور في أوتوموبيله وذهبت إلى دار الحكومة لأعلّم اللفتننت بَنت، فلم أجده، ولكن وجدت تلميذاً آخر جديداً أرسله إلى الجنرال ستورس، فعلمته لأول مرة على أن يأخذ ثلاثة دروس في الأسبوع، فعرضت عليه أن يكون درسه من الساعة التاسعة إلى العاشرة من صباح الثلاثاء والخميس والسبت، فوعد أن ينظر في ذلك، ثم ذهبت لأعلّم مس ردلر فوجدت منها ورقة تقول: إنها مضطرة أن تقف درسها الآن، وتركت لي عشرة شلنات آخر الحساب. ثم ذهبت لأعلّم صفي في العمارة الروسية، فوجدتهم مشغولين، فيكون جملة ما دخلني اليوم من دروسي خمسة وعشرين شلناً، وهذا أعظم دخل أصبته في يوم واحد، منذ اشتغلت بالتعليم في مدّة خمس وعشرين سنة.

السبت في ٨ آذار غ سنة ١٩١٩م

الطقس جميل وقد بلغنا أن بئر أيوب [في سلوان] طلع أو نزل [من شدّة المطر] كما يقولون، فرغبت إلى سلطانة أن تأخذ سريّاً إليه. ذهبت بعد الظهر إلى العمارة الألمانية في جبل الزيتون فعلّمت Capt Mills، ومن هناك جئت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر فجلسنا نتحدّث في مواضيع مختلفة، وعدني أن يكتب الليلة إلى بلاد الإنكليز ليدبّر لي شغلاً في المدرسة الشرقية، التي أُنشئت حديثاً في لندن، يا حبّذا لو صحّت الأحلام. يرى أن الجنرال مني لم يجيء إلاّ ليقيم بضعة أشهر ثم يرجع، وحينئذ فقد يرجع هو إلى القدس، وهو يظنّ أن مركز الجنرال ستورس متقلقل. وقبل أن نفترق وعد أن يزورني غداً مع امرأته لتناول الشاي في الساعة الرابعة بعد الظهر. ثم ذهبت فعلّمت رئيس الجزاء. في المساء جاءت أمي وأختي ميليا وأبو جميل وصبحي وجورج خميس وحنا حمامة فسهرنا إلى نحو الساعة التاسعة والنصف.. ابتدأت سلطانة تعلّم سريّاً القراءَة الإنكليزية على أسلوب انظر واقرأ look & say فأخذ الكتاب وقرأ درسه الأوّل، فسررت سروراً عظيماً، وعزمنا أن نشتري له لوحاً حجرياً ودفاتر وأقلاماً كهدية على درسه الأوّل وعسى أن تتوفق لأن نجعل منه ولداً نفخر به ونعتمد عليه إن شاء الله.

الأحد في ٩ آذار غ سنة ١٩١٩م

اشتريت لسريّ حذاء أصفر بمئة وعشرة غروش، وطابة باثني عشر غرشاً ونصف... إذا استمرّ دخلي على ما هو عليه الآن جعلنا مصروفنا في الشهر من ثماني ليرات إلى عشر، ووفينا بالباقي أجرة الدار وسددنا الديون تدريجاً والله المستعان... بعد الظهر جاء الكولونيل ووترس تيلر وامرأته لتناول الشاي.. أعد انتقاله من القدس إلى الناصرة من سوءِ حظي، وإلاّ فقد تمكنت بواسطته من خدمة بلادي لما كنت ألقاه منه من الاصغاء إلى آرائي، وإحلالها محلّ الاعتبار ولتوثق عرى الصداقة بيننا. عرضت عليه أن القدس استاءَت كثيراً حين سمعت بعزمه على السفر إلى الناصرة، وأنها تنوي أن تقيم له حفلة شاي إعلاناً لشكرها له على محبّته للبلاد وعطفه عليها وسعيه في خدمتها، فقال لا بدّ أن أسأل الجنرال مني. قال لي: إنه كتب ليلة أمس رسالة إلى بلاد الإنكليز في تدبير شغل لي في المدرسة الشرقية كأستاذ للغة العربية فشكرته. امتدت الزيارة إلى الساعة السابعة حين ذهبت معه إلى بيته. وعدني أن يدبّر لي أوتوموبيلاً لننزل به إلى يافا أو أريحا ونرجع في اليوم ذاته... في المساء ذهبت مع موسى العلمي إلى بيت الماجور تدمن مدير المعارف، لنستفهم منه عن شروط الدخول في جامعة كمبردج، ثم ذهبت إلى بيت يعقوب فرّاج، ولم نلبث حتى توافد بعض أبناء الطائفة الأرثوذكسية. رأت

جمعية الإخاء الأرثوذكسي أن تنتخب هيئة من الملة الأرثوذكسية لتتولى الاهتمام بمصالح الملة، فرشحت عشرة أشخاص عرضتهم على الملة لينتخبوا خمسة منهم فاعترض البعض على الترشيح، لأن فيه سلباً لحرية الملة، ولأن بعضهم لم يكونوا في جملة المرشحين فاجتمعوا الليلة لحل هذا المشكل. وقد جعل البعض عدم وجودي في المرشحين واسطة للاعتراض، فأعلنت لهم أني لا أستطيع لأسباب كثيرة من الاشتغال بأمور الطائفة، ثم انسللت وتركتهم في جدال عنيف.

الاثنين في ١٠ آذار غ سنة ١٩١٩م

ذهبت فعلمت مستر أشبي، ثم ذهبت فعلّمت الكابتن جوبلنك وبعد الدرس كانت سلطانة قد جاءَت مع سرّي ينتظرانني في ملتقى الطرق، بالقرب من المستشفى الإيطالي، ولما جاء الأوتوموبيل ركبنا وصعدنا إلى العمارة الألمانية، فذهبنا إلى الدكة [المقعد الإسمنتي] القائمة على الجانب الشرقي من العمارة وجلسنا في ظلها، وتناولنا الغداء، ثم ذهبت فعلّمت الكولونيل كريتن ورفيقيه، وبعد الدرس نزلنا في أوتوموبيل، فذهبت سلطانة إلى المستشفى الإنكليزي تزور معلّمتها كاتي، وذهبت أنا إلى دار الحكومة لأعلّم اللفتننت بَنِت فلم أجده، فرجعت فجلست في الحديقة البلديّة أُدخّن وأقرأ مجلة الهلال[١٠]. يظهر لي مما أقرأه في هذه الأيام أن أفكار الناس قد تولاّها الكلال، كما تولى كل القوى البشرية بسبب هذه الحرب، فلا تكاد تقرأ ما يستدعي انتباهك واهتمامك، أو تعثر على مقالة تتجلّى بين أسطرها روح النشاط والحياة ولذلك فقلما تجد في مطالعاتك تلذّذاً... ثم مررت على يعقوب ابن خالتي وأخيه متري، فذهبنا إلى بيت راغب بك على طريق رام الله فسلّمنا عليه، وفي رجوعنا دعاني يعقوب فشربنا قليلاً، ثم جئت إلى البيت فوجدت هناك أختي ميليا، وابن خالي سابا وصبحي أفندي وموسى أفندي العلمي.

الثلاثاء في ١١ آذار غ سنة ١٩١٩م

لم أذهب اليوم إلى العمارة الألمانية في جبل الزيتون، لأن الكابتن مِلْز ذهب إلى مصر لإحضار امرأته، واللفتننت لك لم يرجع بعد. فنمت بعد الغداء قليلاً وحين قمت شعرت بقوة ونشاط وسرور، فلا شكّ أن القيلولة من دواعي حفظ الشباب، ويا حبّذا لو تساعد الأحوال أن أُحافظ عليها. إذا كان غيري ممن هم في

(١٠) مجلة الهلال: مجلة علمية صحية تاريخية أدبية، صدر العدد الأول منها العام ١٨٩٢، محررها جورجي زيدان، لقيت قبولاً وانتشاراً واسعين، عاشت حوالي قرن من الزمان وكتب فيها عمالقة الفكر والأدب في مصر والعالم العربي.

سني أو أصغر مني يمشون كل يوم إلى الشيخوخة في أجسامهم ونفوسهم، فإني كل يوم أجُدّد شبابي وأستعيد غضاضتي ورونقي، مما أصبح موضع إعجاب كل من رآني. حتى أن الشعرات البيض التي فاجأتني بها أيام الشدّة في عارضيّ وقذالي وشواربي أخذت تختفي، مما استغرب له الأصدقاء. هذا ولا تزال أحوالي قلقة وعيشتي مختلّة، فكيف إذا تحسّنت أحوالي وأشرق نجم سعدي وأدركت من زماني ما أريد؟ . . . بعد النوم ذهبت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر فوجدت عنده بعض الضيوف فجلسنا حول مائدة الشاي، وقد كنت أحبّ أن أخلو به لنتبادل الحديث، فعسى أن أتمكّن من ذلك في المرّة الآتية. . ثم ذهبت فعلّمت رئيس الجزاء. وبعد الدرس جئت إلى البيت على أمل أن أتناول عشائي، وأذهب إلى روضة المعارف حيث يقيم النادي العربي حفلة تكريم للأستاذ الشيخ عبدالقادر المظفر، ولكن جئت متأخّراً ولم أخلص من العشاء إلاّ وقد ذهب الوقت، فاضطررت إلى البقاء في البيت آسفاً، وكان عندنا صبحي وموسى.

الأربعاء في ١٢ آذار غ سنة ١٩١٩م

ذهبت صباحاً فعلّمت مستر أشبي ثم ذهبت فعلّمت الكابتن جوبلنك، ومن هناك ذهبت إلى محطة الأوتوموبيل بالقرب من المستشفى الإيطالي، حيث وافتني سلطانة وسريّ فصعدنا إلى جبل الزيتون وأوينا إلى محلنا السابق وتناولنا غداءنا، ثم ذهبت فعلّمت صفّ الكولونيل Cryekton فدفعوا لي ستين شلناً عن اثني عشر درساً سلفاً . . .

عرجت اليوم على مكتب الصديق الماجور ريتشموند في دار الحكومة، فقال لي: إن الجنرال ستورس ينوي أن يدعوك أنت والمفتي لتناول العشاء معه، ثم يعرض عليكما أموراً ذات شأن، ويأخذ رأيكما فيها . . وصلتنا اليوم رسالتان من أخي يوسف، الواحدة باسم أمي، والأُخرى باسم سريّ، وفيها خمسون فرنكاً هدية لسريّ. يقول فيهما: إنه كان طلب من الحكومة الأميركية أن ترخّص له في المجيء إلى القدس، فجاءهُ الجواب أن ذلك غير ممكن في الوقت الحاضر فأسفنا كثيراً، وأن فرقته [العسكرية] تنتظر الآن الأمر بالذهاب، إما إلى ألمانيا أو إلى أميركا . . وهو يتمنّى أن يكون الأمر بالذهاب إلى أميركا، ولعلّه يتمكّن بعد ذلك من المجيء إلى القدس، فيجتمع الشمل بعد هذا الفراق الطويل إن شاء الله.

الخميس في ١٣ آذار غ/ سنة ١٩١٩م

لم يكن عليّ شغل إلى الساعة الرابعة بعد الظهر. بعد الغداء نمت قليلاً ثم ذهبت إلى بيت الكولونيل ووترس

تيلر، وبعد قليل جاء الجنرال مَني فعرفني به وجلسنا حول مائدة الشاي، وكنت أحبّ أن أغتنم الفرصة لأتعرّف بالرجل، ولكن شغلتني مدام تيلر بالحديث، فلم أشترك مع الجنرال والكولونيل في حديثهما، وبعد أن شربنا الشاي قام الجنرال مني وذهب، فسألني الكولونيل: كيف رأيت الجنرال مني فقلت: ليس من السهل أن تعرف الرجل الإنكليزي من جلسة قصيرة مثل جلستنا، قد تعرف الرجل من أية أمّة كانت في جلسة قصيرة، وأما الرجل الإنكليزي فلا، لأن الإنكليزي لا يظهر نفسه، ومع ذلك فقد عرفت شيئاً عنه. أوّلاً، من ينظر إلى الجنرال عرف لأوّل وهلة أنه إنكليزي وليس فرنسوياً أو ألمانياً مثلاً، لأنه يحمل في وجهه وسائر ملامحه الشكل الإنكليزي، كما أن [من] ينظر إلى الكولونيل ووترس تيلر عرف لأوّل وهلة أنه إنكليزي، وأما الجنرال ستورس فقد تحسبه ألمانياً. فقال الكولونيل: ومن الغرائب أن الجنرال ستورس نزل مرّة إلى بورت سعيد، ولم يكن معه أوراق فحسبوه ألمانياً، فأوقفوهُ إلى أن أرسلت من قبلي من فحص أمره فتركوه. ثانياً، ظهر لي أنه عسكريّ. فقال الكولونيل: إن الجنرال مني معدود من القوّاد الكبار. ثالثاً، ظهر لي أنه طيّب القلب وأنه يمثل الإنكليزي الحقيقيّ، إلا أني لم أتبيّن في ملامحه أنه من الأذكياء السريعي الخاطر، ولعلّ ذلك لأن الرجل لا يظهر نفسه.. ثم قال لي الكولونيل: إن الجنرال قال له في أثناء الحديث إنك ستسرّ في بيتك هذا في فصل الصيف، ولست أدري، هل قال ذلك وهو يعني أني سأبقى في القدس أو لا .... ثمّ قال: إن اقتراحي بتأليف هيئة للمعارف قد قبل وستكون أنت من أعضائه، وستؤلف هيئة لمدارس البنات ستكون مسس [سلطانة] سكاكيني من أعضائها، فسألته ومن سيكون في هيئتنا أيضاً، فقال: محمد الإمام والسكسك وعدد كثيرين آخرين، فقلت في نفسي: والسكسك أيضاً؟ ولكن لا بدّ لي من أن ننتظر إلى أن نعقد جلساتنا، وحينئذ أذكر رأيي في هذه الهيئة، ومهما يكن الأمر فقد نجحت في تأليف هذه الهيئة، فقد كنت المقترح لها الساعي في تأليفها، ولعل هناك من يخشى من وجودي فيها، فسعى في انتخاب أعضاء لها لا يغلي دمي ودمهم في قدر[11]. لا تكون هيئة للمعارف نافعة إلاّ إذا استوفت الشروط الآتية: (١) أن تكون ذات سلطة مستقلة في عملها لا يتداخل أحد في أعمالها، تضع البروغرامات، تنتخب الأساتذة أو ترفضهم، تعيّن درجاتهم ومعاشاتهم، تختار الكتب، تناظر على المدارس والأساتذة، تكلّف الأساتذة بتقديم امتحان في مواضيع تعيّنها لهم في كل سنة، تضع الأستاذ أو ترفعه، تقبله أو ترفضه إلى غير ذلك. (٢) أن تكون مؤلفة من ذوي الاختبار والكفاية والوطنيّة. (٣) أن تكون وطنيّة محضة. (٤) أن تكون قليلة العدد لأن الكثرة قد تدعو إلى الخلاف. (٥) أن يكون انتخاب بعض أعضائها من قبل الأمّة لا أن يعيّنوا تعييناً، والبعض الآخر من أساتذة المدارس ومديريها. كل مدرسة تنتخب أحد أساتذتها أو مديرها ليمثلها في تلك الهيئة، وإلاّ فلا فائدة من هذه

(١١) كناية عن عدم الانسجام مطلقاً.

الهيئة، وأنا أول من يستعفي منها . . . بعد ذلك ذهبت فعلّمت رئيس الجزاء . ثم جئت إلى البيت فجاء أبو جميل وجورج خميس وموسى، وأما صبحي فقد ذهب بالأمس إلى يافا ، ولم يرجع منها بعد .

الجمعة في ١٤ آذار غ/ سنة ١٩١٩م

يبلغ سريّ في هذا اليوم الخامسة والنصف من عمره . . إذا أردت أن تولد مرّة ثانية، فتزوّج وليكن لك ولد . لست أشفق إلا على أولئك الذين يجاوزون سنّ الزواج ولا يتزوّجون . لا يغتبط الإنسان بهذه الحياة إلا على قدر ما فيه من الحياة، وما في صدره من الآمال، فإذا نقصت قواه الحيوية، فلم يعد يحسّ بنشاط الشباب، ولم يعد شعره يلمع ولا عيناه تبرقان، ولا فؤاده يخفق سروراً ، ولا وجهه يتألّق بشراً ، انصرفت القلوب عنه وأصبح من سقط المتاع، وإذا لم يدرك آماله وهو في ميعة الشباب، فلا تسمو نفسه إلى أمل، وقد ذوى شبابه ورث إهابه . . ولكنه إذا تزوّج وأحسن في الاختيار ثم رزق ولداً ، فما ينقص من حياته يعوّضه بحياة ولده . فإذا أشرق وجه ولده فكأنّ وجهه أشرق، وإذا أقبل عليه ولده وعيناه تلمعان فكأنّ عينيه هو تلمعان، وإذا رأى ولده يضحك ويلعب، فكأنه هو يضحك ويلعب . وإذا أدرك ولده سنّ الشباب فصار ذا شجى وترنّم، فكأنما هو الذي يشجى ويترنّم . كم يتمنّى الواحد إذا جاوز سن الصغر لو يرجع صغيراً فيدخل المدرسة ويتعلم ما فاته تعلّمه، إما عن إهمال من والديه أو عن قلّة وسائلهما ، فإذا لم يكن له ولد صرف بقية العمر يتحسّر ويتندّم ويلعن سوء حظه، ولكن إذا كان له ولد تدارك ما فاته في نفسه في ولده . والخلاصة فإنه إذا كان الأعزب يعيش عمراً ، عاش المتزوّج عمرين . . . ذهبت صباحاً فعلّمت مستر أشبي، ومن هناك ذهبت فعلّمت رئيس الجزاء ، ثم ذهبت لأعلّم الكابتن جوبلنك، فقال: أرسلت إليك خبراً بأني لا أستطيع أن آخذ درساً اليوم، وقد دفعت إلى أمّ سريّ خمس عشرة ليرة بقية أجرة الدار . وبعد الظهر علّمت صفي في العمارة الروسية، ثم ذهبت فعلّمت اللفتننت بَنِت . . . أرسل إلينا الحاكم إشعاراً بتعييني في هيئة المعارف، وتعيين سلطانة في هيئة المعارف لمدارس البنات، وفي المساء عرجت على المنتدى الأدبي فإذا هناك اجتماع عقده أصحاب المنتدى الأدبي وأصحاب النادي العربي، لتوحيد الجمعيتين تحت اسم جديد وقوانين جديدة، وقد فوّضوا الأمر إلى هيئة أنا من جملة أعضائها فخضنا في البحث ملياً وأجّلنا إعادة النظر في الأمر إلى الغد . رجعت إلى البيت فوجدت أختي ميليا وابن خالتي مرّي .

السبت في ١٥ آذار غ/ سنة ١٩١٩م

دفعت إلى صاحب الدار، إحدى وعشرين ليرة مصرية، وقد دفعت له قبل تسع ليرات فيكون مجموع ما وصله

مني ثلاثين ليرة . . حاولت أن أنام بعد الظهر فلم أنم ، فقمت ودخلت الحمّام وأخذت حمّاماً ثانياً ، فأحسست بنشاط ولذة . ثم ذهبت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر ، فقرأ عليّ تقريراً بخصوص مهاجري اليهود ، إذا قرّر مؤتمر الصلح أن تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود ، مؤدّاه أن تؤخذ الأراضي المتروكة والمهملة من أصحابها ، وتسلم لجمعية المهاجرين لاستثمارها ، ويكون أصحاب الأراضي الأصليون كمساهمين ، إذا زاد دخل تلك الأراضي زادت حصتهم من ذلك الدخل ، وقد وعدني أن يعطيني نسخة من ذلك التقرير بعد أن يرفعه إلى حكومته ، وحينئذ أدرسه وأعلّق عليه ملاحظاتي . على أني أعتقد أنه إذا قرّر مؤتمر الصلح أن تكون البلاد وطناً قومياً لليهود ، فمهما اتخذنا من الوسائط لحماية حقوق الوطنيّين الأصليّين ، فلا بدّ أن يضطروا مع الزمان إلى الجلاء عن هذه البلاد . يقولون : إن عدد الأهالي قليل جداً بالنسبة إلى الأرض ، فلا يحقّ لهم أن يملكوا هذه الأراضي ولا يستثمروها ، ولكن إذا كان عددنا قليلاً اليوم فإنه قابل الزيادة ، إما من الداخل ، أي إذا تحسّنت الأحوال وراعينا في معيشتنا الأصول الصحية زاد النسل وقلّت الوفيّات ، أو من الخارج ، أي بانضمام غيرنا إلينا من أبناء العرب في البلاد كلّها . فإذا أخذنا الأراضي المتروكة أو المهملة من الأهالي فمعنى ذلك الحكم علينا أن لا نزيد ، وإذا زدنا فليس أمامنا إلاّ المهاجرة من هذه البلاد إلى غيرها . اليهود يحق لهم أن يزيدوا وأما نحن فلا ، وهذا حكم جائر . . . ثم إن فريقاً كبيراً من الأهالي لا يملكون شيئاً من الأراضي ، فماذا يكون حكمهم ، هل يستطيعون أن يقفوا أمام تيار المهاجرة اليهودية؟ هل يستطيع الصانع أو التاجر أو غيرهما أن يناظرا الصانع أو التاجر اليهوديّ الذي لا يجيء إلى هذه البلاد ليعيش ، ولكن ليبيد غيره . . إذا لم تكن هذه البلاد للعرب فلتكن للأمم كلها ، وإذا لم تشاؤوا إلاّ أن تعطوها لليهود ، فأعطونا حق الدفاع عن أنفسنا إلى أن نفنى عن آخرنا . ذلك خير من أن نموت موت الجبناء موت الأذلاّء . . . بعد أن تكلمنا في هذا الموضوع ملياً ، انتقل إلى حديثه الشخصي ، فقال لي : طلبت بالأمس من الحكومة أن تدفع لي فرق المعاش يوم كنت وكيل حاكم القدس فرفضت ، فأحلت طلبي على الديوان العسكري فرفض الجنرال ستورس ذلك فأصررت على طلبي ، مما استشففت منه أنه إذا طال الأمر بينهما على هذه الحال ، فلا بدّ أن يفضي إلى القتال . ثم خرجنا فركب هو وامرأته على حصانيهما وركبت أنا الأوتوموبيل ، فأوصلني إلى العمارة الروسية فاعتذرت إلى رئيس الجزاء ، وجئت إلى المنتدى الأدبي ، فإذا الجدال بين أصحاب النادي وأصحاب المنتدى محتدم ، فظهر لي أن توحيد الجمعيتين متعذّر ، بل لا فائدة منه ، لأن كل فريق لا يُحسن الظن بالثاني ، ولم يكن البحث في الاتحاد ، إلا ليزيد النفور ويُوغر الصدور .

الأحد في ١٦ آذار غ/ سنة ١٩١٩م

استحممت مرتين في الصباح وبعد الظهر . تغدّى سريّ عند جدّته . بعد الساعة الرابعة جاءت أختي ومتري

ابن خالتي وأبو جميل وأبو منتورة وأبو بيترو، فخرجنا نمشي على طريق دير المصلبة. أشرت على متري أن يبادر إلى الزواج وهو لا يزال في إبان شبابه. إذا لم يكن الزواج وللشباب رونق ورواء فليس زواجاً.. فقال: لم أجد إلى اليوم الفتاة التي أريدها لا في القدس ولا في يافا. فنصحت له أن يتزوّج إنكليزيّة، وإلاّ فليذهب إلى مصر فلعلّه يجد فتاته. ثم قلت له: تحدثني نفسي أن أسعى في تأليف جمعية عائليّة، فنعقد الاجتماعات اللطيفة ونحيي عاطفة السرور، فهذه الحياة الفاترة لا أطيقها. ولذلك ربما توسّلت إلى ذلك ببث الحياة في جمعية الإخاء الأرثوذكسي، فأهتم بكل فروعها بنوع الموسيقى والتمثيل ونوع الخطابة، ثم نعقد اجتماعاً عائليّاً مرّة في كل أسبوعين أو في الشهر، يتخلّله لعب وموسيقى وغناء... ونحن راجعون كان أولاد عبده ومشبّك الصغار يلعبون بالطابة، فاشترك سريّ معهم فجعل يركض وراء الطابة يدافع غيره إلى أن توردت وجنتاه وكلّله العرق، فعزمت أن أشتري طابة رجل [=كرة قدم] لتأخذه أمّه كلّ يوم بعد الظهر، وتدعو أولاد عبده ومشبّك ليلعبوا معه، فإن ذلك يُقوي جسمه ويكسبه رشاقة وخفّة، ويملأ نفسه سروراً. في المساء سهرنا في البيت.

الاثنين في ١٧ آذار غ/ سنة ١٩١٩م

تباحثت مع كثيرين من الأصدقاء بخصوص توحيد النادي العربي والمنتدى الأدبي، فرأيت أن الأوفق أن يستقلّ كلّ واحد بعمله، لأن توحيدهما وفي القلوب فراغ وحزازات يعجّل في خرابهما، وقد عزمت أن أسعى في بث الحياة في كل منهما، وتأليف هيئة إدارة لكل منهما من نخبة الشبّان القادرين على العمل الصادقين في الوطنية، ثم أن اهتم بجمعية الإخاء الأرثوذكسي، فأحوّلهما إلى جمعية نافعة مفيدة، وسأُشير إلى ما يتم في حينه إن شاء الله. ذهبت صباحاً فعلّمت مستر أشبي، ثم ذهبت فعلّمت طبيب الأسنان، ومن هناك صعدت إلى العمارة الألمانية فعلّمت صفّي، ولم يزل الكولونيل كريتن متغيّباً في مصر. ثم جئت إلى العمارة الروسية فعلّمت صفي. أرسل إليّ اللفتننت بَنِت أنه لا يستطيع أن يأخذ درساً اليوم. في المساء زارني راغب بك النشاشيبي والأستاذ عبد القادر المظفر وراغب أفندي العفيفي وحلمي أفندي الحسيني، فقرأت لهم شيئاً من يوميّاتي عن تاريخ الحركة الفكرية منذ رجوعي من مصر إلى الآن.. وفي المساء بعد العشاء ذهبت مع سلطانة إلى الحفلة الموسيقية التي أقيمت احتفالاً بافتتاح المدرسة الموسيقية، التي ستكون تحت رعاية الجنرال اللنبي، وكنا أرسلنا سريّاً لينام عند جدّته وهذه أوّل ليلة قضاها بعيداً عنا. أرسلت اليوم جواباً إلى الحاكم ووترس تيلر بقبولي أن أكون عضواً في الهيئة العمومية للمعارف، وقبول سلطانة أن تكون في عداد أعضاء هيئة السيّدات.

الثلاثاء في ١٨ آذار غ/ سنة ١٩١٩م

نمت بعد الغداء وبعد النوم استحممت للمرة الثانية . . مهما بلغت أجرة هذه الدار في السنة التالية، فإني سأُجرّب أن أبقى فيها ، وليس ذلك إلاّ لأنّ ماءَها يصل إليها من ماء العروب، ولأن فيها مضخّة (دوشاً) بحيث تكاد تشبه دور مصر . ذهبت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر فجعلنا نتكلم عن تقريره بخصوص مهاجرة اليهود إلى فلسطين، واتخاذها وطناً قوميّاً لهم، فقال ما رأيك فيه؟ فقلت: حكمت فيه على الوطنيين بعدم الزيادة فكأنّك حكمت عليهم بالانقراض، فقال: أتعرف ماذا قال الجنرال ستورس عنه حين عرضته عليه؟ . قال: إن الصهيونيين لا يقبلون به . فقلت: لا أعرف الرجل، ولكن لعلّه يتعمّد مخالفتك، فإذا وقفت بجانب الصهيونيين وقف هو بجانب الوطنيين، وإذا وقفت بجانب الوطنيين وقف هو بجانب الصهيونيين . . ثم سألني عن رأيي في هيئة المعارف . فقلت: لم أقبل أن أكون عضواً فيها إلاّ إكراماً لخاطرك، ففي أوّل يوم تسافر فيه من القدس أستعفي من هذه الهيئة . فقال: ولماذا؟ فقلت: لأن ليس لنا صلاحيّة في وضع بروغرام الدروس ولا اختيار الكتب أو اختيار المعلّمين . فقال: متى اجتمعنا لأوّل مرّة نظرنا في ذلك، والذي تقرّره الهيئة ينفّذ . ثم قلت: إن هيئة المعارف عيّنتها الحكومة، وكان يجب أن يعطى هذا الحقّ للمدارس وللأهالي . فقال: سننظر في ذلك متى اجتمعنا . . ثم ودّعته وجئت إلى العمارة الروسية لأعلّم رئيس الجزاء فوجدته مشغولاً .

الأربعاء في ١٩ آذار غ/ سنة ١٩١٩م

كنّا نعرّي سريّاً ونلبسه أو نحمّمه أمام بعض الأصدقاء، ممّن يتّفق أن يكونوا حاضرين ولا يخجل، ولكنه أخذ في هذه الأيام يخجل أن يتعرّى أمام أحد إلاّ أمامي وأمام أمّه . بالأمس جئنا لنحمّمه وكان صبحي أفندي عويضة حاضراً فأبى أن يتعرّى أمامه، وطلب منه أن يخرج وينتظر في الغرفة الثانية ريثما ينتهي حمّامه . إلى اليوم لا نزال نحن الثلاثة أنا وهو وأمّه نتعرّى ونلبس بعضنا أمام بعض، فهل نستمر على ذلك أم نمسك عن التعرّي أمام سريّ . الوالدون مختلفون في ذلك، البعض يتعرّى أمام أولاده والبعض لا . . وإني أميل أن أكون من الفريق الأوّل، وسأُعيد نظري في هذه المسألة . . علّمت مستر أشبي وصفّي في العمارة الألمانية في جبل الزيتون، وصفّي في العمارة الروسية وطبيب الأسنان . في المساء ذهبت مع سلطانة وسريّ إلى بيت فرّاج، حيث جاء راغب بك النشاشيبي وقسطاطي أفندي سابا فشربنا قليلاً، ثمّ نامت سلطانة وسريّ في بيت فرّاج، وجئت إلى البيت ونمت وحدي . . .

الخميس في ٢٠ آذار غ/ سنة ١٩١٩م

نمت بعد الظهر قليلاً، ثم استحممت للمرّة الثانية. في الساعة الرابعة ذهبت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر، فقال لي: إنه مسافر في آخر الشهر إلى الناصرة، فأسفت كثيراً. عرض عليّ أن يأخذني معه كمستشار له، فشكرته، وقلت له: يا حبّذا لو أستطيع ذلك، ولكن الأولى أن تعيّن واحداً من أبناء تلك البلاد.. ثم ركبنا وذهبنا إلى دار الحكومة. عرضت عليه في الطريق أن لي صديقاً أحبّ أن أُدبّر له شغلاً في الحكومة، وهو صبحي عويضة، فقال لي: أرسله إليّ غداً.. ذهبت فعلّمت رئيس الجزاء ثم جئت إلى البيت، فجاء صبحي وأبو جميل وموسى وجورج خميس. سأسعى من الغد في إقامة حفلة شاي لوداع الكولونيل.

الجمعة في ٢١ آذار غ/ سنة ١٩١٩م

ذهبت صباحاً فعلّمت مستر أشبي، وأنا هناك جاء صهري تودر قريطم يعرض عليه حساب شغل كلّفه به، فاغتنمت الفرصة وقلت له: إنه من أقاربي وهو حدّاد بارع وتستطيع أن تثق به، فوعد أن يعطيه شغلاً. بعد الدرس عرجت على مكتب الماجور ريتشموند فدعاني للجلوس، وقدم لي سيكارة، وسألني: ما رأيك في حركة مصر؟[١٢] فقلت له: يقال إن قنصل أميركا هو الذي شجّع المصريين على حركتهم هذه، ومهما يكن الأمر، فلا يخلو أن يكون هناك اصبع أوربي أو أجنبي، فقال: وما رأي أهل هذه البلاد، فقلت: لست أكتمك أن فريقاً كبيراً يحبّذها. فقال: وهل تظنّ أن أهل فلسطين يقومون بحركة مثلها، فقلت: إذا لم يُعجّل مؤتمر الصلح في أعماله ويبين مصير هذه البلاد ازدادت الخواطر قلقاً. ولا شيء يقلق الخواطر في هذه البلاد مثل المسألة الصهيونية، ولا يمرّ يوم إلاّ ازداد اهتمام الناس بها، فإذا رأى الناس أن الحكومة تشجع الحركة الصهيونية، ثم رأوا من اليهود صلفاً وقحة، فلا يستبعد أن يقوموا بمظاهرات ضد اليهود بما يشبه الحركة المصرية، وأعظم النار من مستصغر الشرر. يأس الأهالي من جهة، وصَلَف اليهود من جهة أُخرى. ثم قلت له: متى نعود إلى اجتماعاتنا السابقة؟ فقال: أنا مسافر إلى مصر الآن مع الجنرال ستورس لبضعة أيام، فمتى رجعت فلا بدّ أن نعين ليلة في

---

(١٢) ثورة مصر ١٩١٩: انتفاضة اندلعت في مطلع آذار ١٩١٩ ضد الإنكليز بعد أن قامت باعتقال أربعة من زعماء حزب الوفد - في ٨/ آذار/ ١٩١٩ وهم: سعد زغلول، ومحمد محمود، واسماعيل صدقي، وحمد الباسل، ونفيهم إلى جزيرة مالطة. بدأت أحداث الانتفاضة بخروج الطلبة بمظاهرات عارمة، رافقها إضراب عمال القاهرة، وتوقفت حركة الترام، وأضرب موظفو المصالح الحكومية. وسرعان ما عم البلاد كلها إضراب شامل. تعامل البريطانيون مع الانتفاضة بمنتهى القسوة والقمع واستخدمت المدرعات والطائرات ومختلف الأسلحة لقمع الأهالي، وكان الجنرال اللنبي المندوب السامي المسؤول عن قمع الأهالي، في نيسان ١٩١٩ تم إخماد الانتفاضة.

الأسبوع نجتمع فيها ، ونعود إلى أبحاثنا اللذيذة. فقلت له: إن لي صديقاً في مصر أحبّ أن تتعرّف به، فقال: أعطني رسالة منك إليه لعلّي أتمكّن من الاجتماع به، فكتبت له رسالة إلى أشيل سيقلي. ثم تركته وجئت إلى مكتب الكولونيل ووترس تيلر، فسألني عن الحركة المصرية، مما تبيّنت منه أن الحكومة قلقة خوفاً من أن تسري العدوى إلى هذه البلاد . . . بعد الظهر ذهبت إلى العمارة الألمانية في جبل الزيتون، فعلّمت صفّي ثم جئت إلى العمارة الروسية، فعلّمت صفّي الآخر، ثم ذهبت فعلّمت طبيب الأسنان، ثم رئيس الجزاء، فيكون مجموع ما دخلني من دروسي في هذا النهار خمسة وعشرين شلناً، ولذلك فإن نفسي تحدّثني أن أُفتّش عن قطعة أرض جميلة، أبني فيها قصراً فخيماً تملأ جوانبه الفضاء، وتعانق شرفاته قطع السحاب الممطر . . .

السبت في ٢٢ آذار غ/ سنة ١٩١٩م

تغيّب الجنرال مني عن القدس وسافر الجنرال ستورس مع الماجور ريتشموند إلى مصر، فصارت الوكالة إلى الكولونيل ووترس تيلر، فقامت الجمعية الإسلامية المسيحيّة تطلب أن تقوم بمظاهرة كبرى ضد مطامع الصهيونيين، ويقال: إن الجنرال ستورس أوعز إلى بعض كبار المسلمين بذلك، فسافر إلى مصر، حتى إذا وقع ما يكدّر كانت المسؤولية على غيره، وقد كانت نيّة الجمعيّة الإسلامية المسيحيّة أن تقوم بالمظاهرة غداً ، ولمّا رأوا أن ذلك لا يتم في يوم، قالوا ليكون بعد يومين أو ثلاثة، بقصد أن يقوموا بحركتهم هذه قبل رجوع الجنرال ستورس، فأحسّ بذلك يعقوب ابن خالتي وغيره من أعضاء الجمعية، فعارضوا في أن تكون المظاهرة الآن، وأصرّوا على أن تكون بعد رجوع الجنرال ستورس، ولم يزالوا بهم حتى صرّح الفريق الآخر، أنهم لم ينووا القيام بهذه المظاهرة، إلاّ بعد أن أوعز إليهم الجنرال ستورس بها ووعدهم بالمساعدة، فقال يعقوب وجماعته: إذاً لنذكر في طلبنا أن الجنرال ستورس وعدنا بذلك، وعلى ذلك تم الاتفاق فراجعوا الكولونيل ووترس تيلر فأمهلهم إلى يوم الاثنين ريثما يُراجع الجنرال مني . . . بعد الظهر علّمت الكبتن ملز في العمارة الألمانية في جبل الزيتون، ثم جئت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر، فجعل يُحدّثني عن أمر المظاهرة، وقد استشففت من كلامه، أنه يتخوّف من المسألة، ولذلك أحال الطلب إلى الجنرال مني. ثم قال: جاءَني بالأمس صبحي أفندي عويضة فسُررت به كثيراً، وإننا في احتياج إلى أمثاله، ولما كنا قد قرّرنا أن يكون في كلّ دائرة ضابط وطني، فسأجرّب أن أجعله ضابطاً برتبة لفتننت فشكرته. ثم قلت له: مرّ عليكم نحو سنة ونصف في هذه البلاد، وأنتم لا تعرفون أحداً ولا أحد يعرفكم، ولذلك أقترح عليك إنشاء منتدى إنكليزي عربي للرجال، وآخر للنساء تقدم به مسس تيلر للتعارف والتآلف كما كان يفعل الألمان والنمسويون، فقد أسّسوا في كل بلد منتدى لهذا الغرض، ولم ينجحوا لكره

الوطنيين للألمان والنمسويين، ولكن إذا أسّستم أنتم مثل هذه الأندية، فإن الوطنيين لا يلبثون أن يقبلوا عليها، وكذلك اقترحت عليه تأسيس مدارس ليلية لتعليم اللغة الإنكليزية مجّاناً أو برسم قليل، فارتاح إلى اقتراحي هذا. ثم استنهضت همّة مسس تيلر في تأسيس منتدى للنساء، وقلت لها: كم قرأت عن الرجال العظام أن نساءَهم كانت تشاركهم في أعمالهم، ولذلك أحبّ أن يكون لك يد في كل أعمال الكولونيل، فأشرق وجهها، وبدت عليه علائم الاهتمام. ثم ركبنا الأوتوموبيل إلى دار الحكومة. ثم جئت الى العمارة الروسية لأعلّم رئيس الجزاء فاعتذر بأنه يشعر بتكسّر في جسمه، فذهبت إلى النادي العربي، فلقيت هناك أبا الفضل والشيخ عبد القادر المظفر والحاج أمين الحسيني وآخرين، فجعلنا نتكلم عن المظاهرة، فقلت لهم: إذا أردنا القيام بمظاهرة، فلتكن مظاهرة كبيرة تقوم بها فلسطين كلها لا القدس وحدها، اعلاناً للرأي العام، وأن هناك نفرة عامة من الحركة الصهيونية واحتجاجاً على ما يدعيه الصهيونيون من أنهم أصحاب البلاد، وأنهم على وفاق مع العرب، بل بلغت منهم القحة أن جعلوا يوهمون الرأي العام في أوربا، أن العرب هم الذين يطلبون من الصهيونيين ان يجيئوا إلى البلاد ليعمروها ويرقوها.. ثم يجب أن نتابع ارسال تلغرافات الاحتجاج الى مؤتمر الصلح، لأنه بلغني أنه قد جاء أمر بأن لا تعارض الحكومة المحتلة في ارسال التلغرافات إلى مؤتمر الصلح. ثم لا يغني كل ذلك عن ارسال مندوبين الى مؤتمر الصلح، فإن اليهود قد أحاطوا برجال السياسة في العالم كله، فإذا لم يكن لنا هناك من يهتم بمسألتنا، فلا نطمع أن يهتم بها أحد، فاتفقنا أن نعقد اجتماعاً في صباح الغد في بيتنا يحضره اثنان من النادي العربي والمنتدى الأدبي وجمعية الاخاء والعفاف، وجمعية الاخاء الأرثوذكسي والجمعية الكاثوليكية، لنضع بروغراماً للمظاهرة، ثم نعرضه على الجمعية الاسلامية المسيحية لتشترك معنا فيه.

في المساء زارني يعقوب ابن خالتي، وكان موضوع حديثنا أمر هذه المظاهرة، وتتبعنا منشأ هذه الفكرة، فوجدنا أنها نشأت خارج الجمعية الإسلامية، وأن أول من اهتم بها هم المفتي ورئيس البلدية وعارف باشا، وأن الذي أوعز إليهم بها هو الجنرال ستورس، وأنه ذهب إلى مصر لتتم في غيابه، حتى إذا وقع ما يكدّر وقعت المسأولية على غيره، ولئلا يتهمه الصهيونيون أنه يشتغل ضدهم. ومهما كان الحال، فلا بد أن الكولونيل ووترس تيلر يناله شيء من هذه المظاهرة، فإذا حصل ما يكدّر كان هو المسأول، وإذا تمت المظاهرة بالسلام غضب الصهيونيون عليه، ولكن ساء فأله فقد افتضح أمره، وأصبح البيان الذي قدمته الجمعية الإسلامية المسيحية للحكومة، وقد ذكروا فيه أن الجنرال ستورس وعدهم بذلك، حجة عليه. وفوق ذلك فقد أجلنا المظاهرة الى أن يرجع الجنرال ستورس، فكل تدابيره ذهبت سدى، بل نفرت الأهالي منه، ولا شك أن الحكومة لا ترضى عن ذلك، وما قولك بالصهيونيين؟. ومن الجهة الأخرى جمعت القلوب حول الكولونيل ووترس تيلر خصمه.. ثم عرضت على يعقوب أن تقدم الجمعيات

المختلفة استدعاء الى الجنرال مني تطلب فيه ابقاء الكولونيل ووترس تيلر في القدس فوعد أن يهتم بذلك، فإذا نجحنا في ذلك كان به، وإلا فيكفي أن تعرف الحكومة أن الشخص الذي يحبه الأهالي هو الكولونيل ووترس تيلر لا الجنرال ستورس، وإذا لم يكن بد من ذهاب الكولونيل ووترس تيلر الى الناصرة أقمنا له حفلة شاي.

الأحد في ٢٣ آذار غ سنة ١٩١٩م

انتظرت أعضاء الأندية حسب اتفاقنا أمس، فلم يجئ غير الأستاذ عبد القادر المظفر ويعقوب ابن خالتي، ثم جاء راغب بك النشاشيبي اتفاقاً . . اجتمع في هذا الصباح بعض أعضاء الجمعية الإسلامية المسيحية، ومن جملتهم يعقوب ابن خالتي في نادي المجلس البلدي، وقد حضر الاجتماع سعيد أفندي الحسيني، فكان من رأي موسى كاظم باشا وسعيد أفندي أنه إذا لم تكن المظاهرة غداً أو بعده فالأولى العدول عنها بتاتاً . ما معنى هذا الاصرار أن تكون المظاهرة في هذين اليومين، وإلا فالعدول عنها أولى، فهل ذلك عن اتفاق بينهم وبين الجنرال ستورس، فإذا كانت النتيجة حسنة اعتدها له الوطنيون خدمة كبرى، ولم يستأ منه الصهيونيون لأنه كان غائباً، وإذا كانت النتيجة سيئة، وقعت المسأولية على غيره، ولكن الرأي العام في القدس مجمع على تأجيل المظاهرة الى رجوع الجنرال ستورس، ولذلك جاء اليوم موسى كاظم بنغمة جديدة، وهي ابطال المظاهرة بتاتاً فلم يلق رأيه قبولاً . .

كان في النية أن أذهب مع يعقوب ابن خالتي نحو الساعة العاشرة الى دار الحكومة لألتقي بالكولونيل ووترس تيلر، ولكن، ذهب الوقت فأجلنا الزيارة الى الغد . وذهبت عند الساعة الرابعة الى بيت الكولونيل ووترس تيلر فجلسنا حول مائدة الشاي، وخضنا في حديث المظاهرة، فأطلعته على ما أجمع عليه الرأي العام من تأجيلها الى أن يرجع الجنرال ستورس، وإذا تأخر رجوعه، ولم يكن بد من المظاهرة، فليكلف الأندية الوطنية كلها أن تكون مسؤولة عن نظام المظاهرة.

ثم اتفقت معه ان نزوره أنا وابن خالتي غداً الساعة العاشرة صباحاً .

في المساء زارنا يعقوب ابن خالتي، فتذاكرنا في أمر ابقاء الكولونيل ووترس تيلر في القدس، فقال: يكاد يكون هناك اجماع على محبة هذا الرجل، وراغب بك النشاشيبي يشترك معنا، ولا بد من حمل الجمعية الإسلامية المسيحية على الاشتراك مع جميع الأندية على طلب ابقائه في القدس . . لماذا يكره الناس الجنرال ستورس؟ أهم الأسباب أنه آثر المفتي والأسرة الحسينية على الجميع، فلولا هذا الايثار، لقال الناس: إنه نعم الرجل. لا نحب أو نكره إلا لأغراض شخصية . . فلو حللنا كره الناس للجنرال ستورس لوجدناه أنه كره للأسرة الحسينية لا للجنرال نفسه، والله أعلم بالسرائر.

الاثنين في ٢٤ آذار غ سنة ١٩١٩م

أرسل إليّ مستر أشبي، أنه مشغول في هذا الأسبوع، وطلب أن نؤجل الدرس إلى يوم الاثنين القادم. ذهبت في الصباح مع يعقوب ابن خالتي، فزرنا الكولونيل ووترس تيلر، فأقبل علينا بأنسه ولطفه. قال له يعقوب: إن الجمعية الإسلامية المسيحية سترفع إليه احتجاجاً ضد الصهيونيين، ليرسل إلى مؤتمر الصلح، فقال: لست أمانع في ذلك، ثم تكلمنا عن المظاهرة، فأرانا جوابه الى الجمعية الإسلامية يطلب فيه منهم بيان يوم المظاهرة، وأسماء المسؤولين، وتقدير عدد المتظاهرين وأسماء الخطباء، وبيان المواضيع التي يتكلمون عنها. وقال: إذا لم تروا بداً من المظاهرة السلمية، فلا بد من اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتجري في مجراها، وربما أمرت اليهود أن يلزموا بيوتهم في أثناء المظاهرة..

بعد الظهر ذهبت إلى العمارة الألمانية في جبل الزيتون، فعلّمت صف الكولونيل كريتن، إلا أن الكولونيل تغيب عن الدرس اليوم أيضاً، ثم جئت إلى العمارة الروسية، فعلّمت الصف الآخر، ثم ذهبت إلى دار الحكومة لأعلّم اللفتننت بَنِت فلم أجده، ثم ذهبت إلى المستشفى الألماني لأعلّم طبيب الأسنان الكابتن جوبلنك فلم أجده، وفي المساء ذهبنا الى بيت يعقوب ابن خالتي وسهرنا هناك، ثم نامت سلطانة وسريّ عندهم وجئت الى البيت.

الثلاثاء في ٢٥ آذار غ سنة ١٩١٩م

ذهبت بعد الظهر إلى العمارة الألمانية في جبل الزيتون، واستأنفت الدرس مع اللفتننت لك Legge، فقد رجع بالأمس من مصر ثم علمت Capt mills، وبعد الدرس ركبت الاوتوموبيل، وجئت الى بيت الكولونيل، حيث وافتني أم سريّ وسريّ فتناولنا الشاي، ثم ذهبت لأعلّم رئيس الجزاء فلم أجده.

في المساء دعانا يعقوب ابن خالتي لتناول العشاء مع أحد أصدقاء mr yale وكانت أمي وأختي هناك، وبعد العشاء بقليل اضطررت أن أذهب مع أمي وأختي أوصلهما الى البيت، ونامت سلطانة وسريّ في بيت يعقوب.

الأربعاء في ٢٦ اذار غ سنة ١٩١٩م

زارني نحو الساعة الواحدة بعد الظهر، وأنا على أهبة الخروج الى العمارة الألمانية راغب بك النشاشيبي، فلم يسعني إلا أن أترك الدرس وأجلس إليه، فخضنا في أحاديث مختلفة، سألته عن رأيه في الجنرال ستورس،

فقال: كل الناس مجمعون على كرهه، فقلت له: أظن أن السبب في ذلك اعتماده السياسة الفردية فهو منذ جاء لم يعرف إلا المفتي وبعض أفراد الأسرة الحسينية، لا يصدر إلا عن رأيهم ولا يصدرون إلا عن رأيه، على حين أنه كان يجب أن تكون هناك هيئة تمثل الرأي العام أمام الحكومة، وتكون واسطة بين الأمة وبين الحكومة، وإلا فلا يؤمن أن الفرد الواحد أو الأسرة الواحدة قد تؤثر المصلحة الشخصية على المصلحة العمومية، أو قد يكون هناك اتفاقات سرية لا يطلع عليها الرأي العام، كما جرى الى اليوم، ولا سيما في أمر المظاهرة ضد مطامع الصهيونيين. ثم سألته عن رأيه في الكولونيل ووترس تيلر، فقال: لم ألق أحداً إلا أثنى عليه، فعرضت عليه طلب ابقائه في القدس، فاستحسنه، فكتبنا صورة استدعاء الى الجنرال مني بطلب ابقاء الكولونيل في القدس وعد أن يحمل الجمعية الإسلامية المسيحية والمنتدى الأدبي وجمعية الاخاء والعفاف على توقيعها، لا بل كان من رأيه أن نطلب وضع الكولونيل ووترس تيلر في محل الجنرال ستورس. ثم تكلمنا عن مصير البلاد، فقال: إذا لم تخولنا الحكومات الاستقلال التام، ولم يكن لنا بد أن ننتدب احدى الدول للعناية بنا، فالرأي أن ننتدب الحكومة الانكليزية، وما نراه الآن من سوء الإدارة فناشئ عن الجنرال ستورس، لا عن الحكومة الانكليزية.

فقلت: يظهر لي أن البلاد صائرة الى ما تقول أردنا أو لم نرد، فإن الحكومات حين نظرت في أمر المستعمرات الألمانية والأملاك التركية، قررت أولاً أن لا تعاد مستعمرات ألمانيا إلى ألمانيا، ولا أملاك تركيا الى تركيا، ثم قررت أن هذه البلاد لا تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها، فلم يبق إلا الانتداب، ثم ضيقوا دائرة الانتداب، وقالوا: لا تنتدب إلا احدى دول اربع، واشترطوا أن تكون الدولة المنتدبة هي الدولة القريبة ذات المصالح، ومعنى ذلك أننا لا نستطيع إلا انتداب دولة واحدة وهي الدولة الانكليزية، فلا نستطيع أن ننتدب أميركا، لأنهم يقولون: إن اميركا بعيدة وليس لها مصالح في هذه البلاد. فهم أطلقوا حريتنا في الانتداب بحسب الظاهر، ولكن سلبونا الحرية بما وضعوه من الشروط. ثم نظرنا في: هل تستطيع البلاد أن تحكم نفسها بنفسها؟ هل عندنا رجال كرجال بلغاريا أو سربيا أو اليونان بل الأرمن، هل نجد بين رجالنا من يصلح أن يكون مديراً عاماً أو ناظر مالية أو ناظر معارف أو ناظر البوسطة والتلغراف أو مدير البوليس؟ من منا إذا تولى أمراً قام بأعبائه أحسن قيام؟ هو ذا الحكومة العربية في سوريا تعزل كل يوم مأموريها وتنصب غيرهم؟ وسوء الاستعمال وسوء الادارة لا يزالان متفشيين، مما ضاقت به الحكومة ذرعاً. قد نستطيع الاستقلال إذا انتدبنا مستشارين، ولكن أيهما أضمن لسير الأعمال وتنظيم الأحوال، أن نكون نحن الرؤساء وهم المستشارين أو بالعكس؟ والخلاصة فإن هناك أموراً كثيرة تحتاج الى درس، فاتفقنا أن نجتمع مراراً أنا وهو ويعقوب ابن خالتي وندرس كل الأمور، نقدّر مثلاً أن البلاد ستأخذ استقلالها، فندرس كيف يكون ذلك الاستقلال، وكيف يكون شكل الحكومة، وماذا نعمل

وماذا نترك، حتى إذا استلمنا ادارة بلادنا كان كل شيء مهيئاً، ثم نقدر مثلاً أن لا بد من الاحتلال، فندرس الشروط التي يجب أن نشترطها على الدولة المحتلة، وما هي الخطة التي يجب أن نتبعها مع تلك الدولة، ثم نقدّر أن مؤتمر الصلح أباح المهاجرة الصهيونية فندرس الشروط التي نشترطها على المهاجرين الينا، وما هي الوسائل التي يجب أن نتخذها لدفع الخطر، الى آخر ما هنالك من التقديرات التي قد تصير بلادنا إليها.

استغرقت جلستنا وقتاً طويلاً، ثم قمنا فذهبت الى العمارة الروسية فعلمت صفي، ثم ذهبت لأعلّم طبيب الأسنان فوجدته مشغولاً، وأجلنا الدرس الى الأسبوع القادم.

وفي أول المساء ذهبت مع سلطانة وسريّ إلى بيت فراج، فسهرنا قليلاً ثم رجعنا إلى البيت.

الخميس في ٢٧ اذار غ سنة ١٩١٩م

دعاني بالأمس أبو الفضل لحضور الحفلة المدرسية في المدرسة الرشيدية التي هو مديرها، فذهبت في الساعة العاشرة، فامتدت الحفلة إلى الظهر، ثم ركبت مع راغب بك النشاشيبي في عربته وجئت إلى البيت، وبعد قليل جاء راغب بك ويعقوب ابن خالتي، فاتفقنا أن نزور الكولونيل ووترس تيلر في بيته اليوم بعد الظهر. ثم ذهبت الى العمارة الألمانية في جبل الزيتون فعلمت اللفتننت لك، فدفع لي ستين شلناً، ثم علمت الكابتن ملز، وبعد الدرس جئت الى بيت الكولونيل ووترس تيلر، حيث وجدت أن راغب بك ويعقوب ابن خالتي قد سبقاني. قال الكولونيل: إنه اجتمع بالأمس بالجنرال مني وشرح له الحالة الحاضرة، وانتقد الخطة التي جرت عليها الحكومة بإزاء الأهالي منذ الاحتلال الى اليوم، ونصح له أن يتعرف بالناس ويقف على رغائبهم وأفكارهم بنفسه، وأن تكون سياسة الحكومة بعد اليوم سياسة علنية، فارتاح الجنرال مني إلى رأيه، وسيدعو من الغد الجمعية الإسلامية المسيحية مع بعض الوجهاء لمفاوضتهم بأمر المظاهرة. واقترح الكولونيل على الجنرال أن يطلبوا من مؤتمر الصلح صورة المطاليب التي قدمها الصهيونيون لينشروها في البلاد، ليطلع عليها الناس، وأن يبيحوا للأهالي انتقادها والاحتجاج عليها، فليس من العدل أن تطرح مسألة فلسطين على بساط البحث وأهالي فلسطين لا يعرفون عن ذلك شيئاً، ثم قال: إن مؤتمر الصلح قد رفض كثيراً من مطالب الصهيونيين.. ثم تكلمنا عن المظاهرة، فقال: إن الحكومة لا تعارض، فيجب عليكم أن تبذلوا الوسع في أن تكون المظاهرة كبيرة..

ثم خرجنا فركب يعقوب مع راغب بك في عربته، وركبت أنا مع الكولونيل في أوتوموبيله إلى دار الحكومة. ثم ذهبت لأعلّم رئيس الجزاء فوجدته قلق الفكر على ابنته التي أبلغته امرأته في آخر رسالة لها أنها مريضة، فأجلنا الدرس إلى الغد.

في المساء ذهبت مع راغب بك وأبي الفضل الى بيت يعقوب ابن خالتي، وقررنا المبادرة الى توقيع الاستدعاء بطلب ابقاء الكولونيل ووترس تيلر في القدس من قبل الأندية الوطنية كلها، والى الاهتمام بأمر المظاهرة.

الجمعة في ٢٨ آذار غ سنة ١٩١٩م

اعتذرت إلى كل تلاميذي، وتفرغت للاهتمام بأمر الاستدعاء وأمر المظاهرة، عرضنا الاستدعاء على المنتدى الأدبي فوقعها ثم عرضناها على الجمعية الكاثوليكية فلم تتأخر في توقيعها، وبعد الظهر اجتمعنا في النادي العربي للاهتمام بأمر المظاهرة وتنظيمها، فاعترض رشدي أفندي الإمام على المظاهرة، لأنها مقصورة على الاحتجاج على مطامع الصهيونيين فقط، وكان من رأيه أن تكون للاحتجاج على مطامع الدول الأوربية في بلادنا أيضاً، وكثر الأخذ والرد في هذا الموضوع. وبينما نحن كذلك إذ ورد خبر من الجمعية الإسلامية، أنها عدلت الآن عن المظاهرة فانفض الاجتماع. عرضنا الاستدعاء على النادي العربي ليوقعوه، فقالوا: أمهلونا إلى أن تجتمع الهيئة وتقرر ذلك، وكنا عرضناه على جمعية الاخاء والعفاف الإسلامية، فأحجمت عن توقيعها خشية أن يكون ذلك تداخلاً في أمور الحكومة، فكدت أيأس من النجاح، ولكن رأيت أن نمهل الجمعيتين إلى الغد، لعلنا نستطيع أن نحملهما على توقيع الاستدعاء.

كل هذا الاضطراب في أعمالنا منشأه كثرة الأندية، بحيث أن كل نادٍ أصبح من همه الوحيد مناظرة النادي الآخر، مما صرف الجميع عن الاهتمام بالمصلحة العامة.

ذهبت في المساء إلى بيت يعقوب ابن خالتي، أستفهم عمّا تم في اجتماعهم بالجنرال مني، فقال: جاءنا الجنرال مني بقرار مكتوب، قال فيه: إن الحكومة البريطانية تحافظ على حقوقكم، وأما المظاهرة فلا تستطيع الحكومة إلا أن تلقي المسأولية على الجمعية الاسلامية المسيحية، فاحتجت الجمعية المذكورة على ذلك، وعدلت عن المظاهرة. لا شك أن ذلك من صنع الجنرال ستورس.

السبت في ٢٩ آذار غ سنة ١٩١٩م

دعا راغب بك النشاشيبي الكولونيل ووترس تيلر وامرأته لتناول العشاء مساء الأحد، وكلفني أن أبلغه الدعوة، فذهبت إلى مكتبه اليوم صباحاً، قلت له: كنت أعتقد أن جلسة أمس ستكون فاتحة دور جديد تتقرب فيه الحكومة من الأهالي، وتتفاهم معهم رأساً، ولكن ما أسرع ما خاب الظن، ولا شك أن الجنرال ستورس هو الذي أفسد العمل الذي عملناه.. فقال: دخل عليّ اليوم وهو يبرق ويرعد، وسألني من الذي أشار

على الجنرال مني باتباع هذه الخطة، فقلت له: أنا، فاحتدم الجدال بيني وبينه، ثم اعتذر وحاول أن يسترضيني، فدعاني للعشاء فرفضت، فلم يزل بي حتى قبلت دعوته، وسنتناول العشاء عنده غداً لنتعرف بأمه وأخته، ولذلك لا أستطيع أن ألبي دعوة راغب بك بكل أسف، إلا إذا أمكن تأجيل الدعوة إلى مساء يوم الاثنين، لأن الجنرال مني أجّل سفري بضعة أيام أخرى... ثم جئت إلى البيت، وكان الطقس حاراً فاستحممت مرة ثانية وجلسنا للغداء، وإذا ببوليس يقول: إن الجنرال ستورس يدعوك إليه الآن في دار الحكومة، فلبست وذهبت، فقال: نتكلم بالعربية أو بالانكليزية، فقلت له: كما تريد، فتكلم بالانكليزية، فقال: لماذا عدلت الجمعية الإسلامية المسيحية عن المظاهرة؟ الحكومة طلبت من الجمعية أن تكون مسألولة عن كل شيء، لأنها تعرف أنه لا يخلو اجتماع كبير مثل هذا من بعض الرعاع الذين قد يحاولون العبث بالنظام، فإذا كانت الجمعية لا تتكفل بأخذ كل الاحتياطات، فكيف تكون ممثلة للرأي العام، مسموعة الكلمة عند الجميع؟ فكان يجب أن تضع يدها في يد الحكومة وتقبل أن تكون مسألولة. ولو كنت أنا من أعضاء هذه الجمعية لأخذت المسألولية على نفسي. الحكومة لا تقصد بالقاء شيء من المسألولية على الجمعية ممانعة الأهالي عن المظاهرة، وهم يعرفون أني أنا الذي اقترحت عليهم القيام بهذه المظاهرة، فكان يجب أن يقوموا بها حالاً، ولذلك دعوتك لأكلفك أن تبذل وسعك في اقناع الجمعية بأن تعود الى المظاهرة، وأنا أبذل وسعي لدى الجنرال مني أن يساعدهم في ذلك. وأنت تعرف أن الجنرال مني عسكري لا يعرف كيف يعامل الأهالي، ولذلك لم أستغرب وقوع سوء التفاهم بينه وبين الجمعية. ثم دخلت أمه وأخته فعرفني بهما، وقال لهما: خليل السكاكيني من زعماء الأهالي، وهو رجل مخيف لا بد لي إذا قابلته أن أكون على حذر والمسدس في يدي، قال ذلك وهو يضحك، فوعدته أن أراجع الجمعية، ثم خرجت وأنا أقول في نفسي، أفسدت العمل بالأمس فجئت تصلحه اليوم، ومن الذي أشار عليه أن يختصني بهذا التكليف، وأنا لست من الجمعية ولا أنتسب إلى جمعية أخرى، ولم أعرفه ولم يعرفني قبل اليوم، إلا يوم راجعته في مسألة ارجاع البطريرك داميانوس.. ثم عرجت على يعقوب ابن خالتي، فقصصت عليه ما دار بيني وبين الجنرال ستورس، وكلفته أن ينوب عني في ابلاغ الجمعية ما قاله لي، ثم ذهبت إلى جبل الزيتون الى العمارة الألمانية فعلّمت كبتن لك، ثم علّمت كبتن ملز فسألني: لماذا يريد الناس أن يقوموا بالمظاهرة؟ فقلت: لأن ليس لهم واسطة أخرى للاحتجاج أو لإعلان رغائبهم. لا جريدة تكون لسان حال الأمة، ولا هيئة تمثل الرأي العام فلم يبق إلا المظاهرة. والذي يدعو الناس إلى المظاهرة هو عدم معرفتهم بما يجري في مؤتمر الصلح وجهلهم ما طلبه الصهيونيون وما قبل من مطالبهم وما رفض، ثم تبجح اليهود في صحفهم أن الحكومات وعدتهم بتحقيق آمالهم وأمانيهم، ثم اعتقادهم أن لليهود نفوذاً كبيراً ووسائط عديدة للتأثير على رجال السياسة،

على حين أن ليس للعرب من يهتم بمصالحهم ويعنى بالدفاع عن حقوقهم. ثم هم يرون من الجهة الأخرى أن الحكومات الأوربية وحكومة الولايات المتحدة يعطفون على الصهيونيين، ويعدونهم بتحقيق آمالهم، لأن اليهود لا يستطيعون أن يجيئوا إلى هذه البلاد إلا برضى العرب، أو إذا هاجمهم اليهود بجيوشهم فأجْلَوهُم عن البلاد، ولأن العرب يعارضون في مجيء اليهود، واليهود لا يستطيعون من تلقاء أنفسهم أن يحتلوا البلاد، فلم يبق إلا أن الأمم الأوربية هي التي ستنيلهم أمنيتهم، ولذلك لا عجب إذا اعتقد العرب أن الأمم الأوربية تساعد اليهود ضد العرب، وهم معذورون إذا نفروا من الأمم الأوربية. ومهما قال الأوربيون إنهم يهتمون بمصالح العرب ويعطفون عليهم فلا يصدقون، فوقوف أوربا في جانب الصهيونيين ساء العرب أجمعين من مسلمين ومسيحيين.. ثم تركته وجئت إلى بيت الكولونيل [تيلر] فتحدثنا عن المظاهرة، قلت له: إن وقوف الحكومة في وجه المظاهرة كسر قلوب الأهالي، وجعلهم يعتقدون أن الحكومة تظاهر [=تساند] اليهود، وصاروا يخشون إذا سلّمت العناية بهذه البلاد للحكومة الانكليزية أن يقعوا بين نارين: الاحتلال الاجنبي والمهاجرة اليهودية التي تدل القرائن على أن الاحتلال الاجنبي سيمهّد لها السبيل، على حين كانوا يقدرون أن الاحتلال الأجنبي سيساعدهم على دفع الخطر الصهيوني، وكان عنده Cape Camp رئيس قلم الاستخبارات، فقال: هل أستطيع أن أراك لبضع دقائق اليوم أو غداً، فقلت له: ألم أقل لك قبل اليوم إني لا أحب أن أجيء إلى دائرتك؟ فضحكنا. فقال: تجيء الى بيتي لا إلى دائرتي، فوعدته أن أمرّ عليه غداً. ثم جئت إلى العمارة الروسية فاعتذرت الى رئيس الجزاء، ونزلت رأساً إلى دار الجمعية الإسلامية المسيحية، فوجدت هناك عارف باشا الداوودي ومحمد يوسف العلمي وموسى البديري ولطفي أبو صوان، فأبلغتهم ما كلفني به الجنرال ستورس، فقالوا: كان يعقوب أفندي فراج [عندنا] وأبلغنا ذلك عن لسانك، ولكن الجمعية قررت عدم القيام بالمظاهرة، لأننا لا نستطيع أن نكون مسؤولين.

الأحد في ٣٠ آذار غ سنة ١٩١٩م

لم تشرق شمس هذا النهار إلا والجند قد تفرقوا في المدينة هنا وهناك بسلاحهم الكامل، ببنادقهم ومتريليوزاتهم، ومرت فرقة الصليب الأحمر بأدواتها ومحاملها كأن البلاد في حالة حربيّة..

زارني قبل الظهر يعقوب ابن خالتي وراغب بك النشاشيبي، فجعلنا نتكلم عن عمل الحكومة هذا، فرأينا أن ندعو بعض وجهاء المدينة للنظر في ذلك، فاجتمعنا بعد الظهر في المجلس البلدي، ثم ذهبنا الى بيت موسى كاظم باشا الحسيني، وأرسلنا ندعو المفتي وسعيد أفندي الحسيني واسماعيل بك الحسيني، ولما تم عددنا

ركبنا الى العمارة الألمانية في جبل الزيتون، وطلبنا مواجهة الجنرال مني، وكلفنا المفتي أن يتولى الكلام، وإذ لم يكن هناك من يترجم، كلفوني بالترجمة، وكانت خلاصة الكلام أن عمل الحكومة اليوم دلّ الناس على أن الحكومة لا تثق بهم، وأنها تسيء الظن بهم وتعتبرهم مشاغبين وثواراً، وأنهم ينوون الغدر ويضمرون العداوة للحكومة ولليهود، أو أن يكون هناك وشاية من قِبَل بعض المفسدين، فصوروا للحكومة أن العرب ينوون الغدر باليهود والبطش بهم، فصدقت الحكومة وشايتهم، فقال الجنرال: إن الحكومة لم تتخذ هذه الاحتياطات إلا لسببين: الأول أنها عرفت مما دار بينها وبين الجمعية الإسلامية المسيحية أن الجمعية المذكورة لا تستطيع أن تكون مسأولة، وقد عدلت الجمعية عن القيام بالمظاهرة في الدقيقة الأخيرة، ولم يتسع الوقت لأن يعرف جميع الناس ولا سيما أهل البر قرار الجمعية، فقدّرت الحكومة أنه قد يجتمع الناس وقد يجيء أهل البر، فبثت الجنود هنا وهناك على سبيل الاحتياط، والسبب الآخر أن قومندان القدس أجرى ما أجراه على سبيل التمرين. فقلنا لو ركض راكض في هذا النهار، أو اختصم اثنان لقامت القدس وقعدت وتداخل الجند، ولأنهم يعتقدون الشر في الأهالي، فقد يستعملون الشدّة في غير محلها، فينقضي الأمر إلى نتائج لم يقصدها أحد، ولم تكن في الحسبان، ثم كلفناه أن تعلن الحكومة قصدها من هذا العمل تهدئة للخواطر، وازالة لسوء التأثير فوعدنا بذلك. وقبل أن نقوم طلبنا منه باسم الأهالي أن يبقى الكولونيل ووترس تيلر في القدس فقال: يا حبذا ذلك فإن الكولونيل صديقي، ولكن أرسلته إلى الناصرة ترفيعاً له، ولأني احتاج الى مثله هناك.

ثم خرجنا وكان عددنا عشرة: المفتي وكاظم باشا وعارف باشا الداوودي وسعيد أفندي الحسيني، واسماعيل بك الحسيني وراغب بك النشاشيبي واسحق أفندي البديري، ويعقوب فراج وأنضوني الغوري وأنا . . .

وردتني رسالة من أستاذي السيد نخلة زريق، أنه سيترك دمشق في ٣٠ الجاري، ويصل القدس يوم الاثنين، ويكلفني أن أكون أنا وأبو داود على المحطة. . عمل صبحي أفندي عويضة [طبخة] قِدرة، وتناولنا الغداء معاً في بيتنا، وكنا قد دعونا شكري الجمل فحضر.

زرت في هذا الصباح الكابتن كمب رئيس قلم الاستخبارات، فجعل يسألني عن المظاهرة وماذا يقصد الناس بها، وهل يمكن أن يغتنم الناس تجمع الزائرين من مسلمين ومسيحيين في أسبوع العيد الكبير ويقوموا بمظاهرة كبرى، وهل يكون هناك مانع من دخول بعض الجند من اليهود إلى كنيسة القيامة يوم سبت النور؟ فقلت له: إن الأمر يتوقف على حكمة الحكومة، فإذا استمرت على تأييد جانب اليهود فازداد أولئك صلفاً، نمت العداوة وتهيجت الخواطر. قد تستطيع الحكومة أن تتخذ كل الاحتياطات، ولكنها لا تستطيع أن تمنع الخواطر أن تهيج

والنفوس أن تتأثر، وإذا ألمت بالناس نوبة جنون، فكل احتياطاتها لا تجدي نفعاً.

زرت بعد الظهر قبل أن يتم اجتماعنا في المجلس البلدي الكولونيل ووترس تيلر، وأريته المضبطة بطلب ابقائه في القدس موقعة من قِبل الجمعيات والأندية كلها مسيحية وإسلامية، فقابلها بالشكر الجميل.

وقبل أن أختم هذا النهار، لا بد لي أن أقول كلمتي بخصوص المظاهرة: لا شك أن اليهود خافوا كثيراً، لم يزالوا من أمد بعيد يحاولون التقرب من الأمة العربية، ولكن رأوا في هذا الأسبوع اجماع الناس على كرههم. ثم إن الحكومة بعملها اليوم قد دلت الناس على أنها تخاف أكثر من اليهود، وأن امتناع الأهالي عن المظاهرة كان أدعى لتخوف اليهود والحكومة، لأنهم لو حاولوا القيام بالمظاهرة، فلربما لم يتوفقوا الى القيام بمظاهرة كبرى، لأن المظاهرات لا بد لها من تدبير محكم واستعداد عظيم، فلو قمنا بمظاهرة ولم تكن كبيرة مستجمعة الشروط لكان تأثيرها قليلاً.. ثم ان احتجاجنا على ما اتخذته الحكومة من التدابير اليوم، لا شك أنه يحمل الحكومة على احترام جانبنا والتبصّر في معاملتنا..

جاء اليوم حسن أفندي الدجاني من دمشق، يحمل إليّ رسالة من نوري السعيد ياور الأمير فيصل، ورئيس أركان حربه يستدعيني إلى دمشق... وإذ لم يتسع الوقت لأن أستفهم من حسن أفندي عن أمر هذه الدعوة، أرجأت ذلك الى فرصة أخرى.

كل يوم يزداد شعوري بحاجتي الى التوسع في معرفة اللغة الانكليزية، فلا بدّ لي أن أدبّر وقتاً لدرسها ومطالعة كتبها وجرائدها ومجلاتها.

الاثنين في ٣١ آذار غ سنة ١٩١٩م

اعتذرت الى مستر أشبي عن تأخري عن الدرس اليوم، ثم ذهبت مع سريّ في عربة صبحي أفندي إلى المحطة لاستقبال أستاذي، ثم جاء قسطاكي أفندي سابا وراغب بك النشاشيبي وموسى أفندي العلمي وأبو داود، فتأخر القطار الى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر، ولكن لم يكن الأستاذ فيه فرجعنا. وكان اليوم ميعاد درس صفي في العمارة الألمانية، ولكن كنت قد اعتذرت أمس مساءً بأني لا أستطيع أن أذهب اليوم.

ذهبت إلى دار الحكومة لأعلم اللفتننت بَنِت فلم أجده، ثم ذهبت لأعلم طبيب الأسنان فلم أجده أيضاً، فيكون مجموع ما خسرته اليوم عشرين شلناً.

في المساء ذهبت مع يعقوب ابن خالتي ومتري اخيه إلى بيت راغب بك النشاشيبي لتناول العشاء، وبعد قليل جاء الكولونيل ووترس تيلر وامرأته، وكان هناك جودت النشاشيبي وشريف وفخري ابناء عمه. كان

العشاء فاخراً جداً ولا عجب، فإن مائدة راغب بك مشهورة. امتدت سهرتنا الى الساعة الحادية عشرة، ثم ركبت مع الكولونيل وامرأته في الأوتوموبيل. قال لي إن هذه أجمل ليلة لقيها في القدس.

الثلاثاء في أول نيسان غ سنة ١٩١٩م

ذهبت في الصباح فعلّمت مستر أشبي عن درس أمس، ثم ذهبت بعد الظهر فعلّمت تلميذيّ اللفتننت لك والكابتن ملز، قال لي الكابتن ملز: إن الجنرال مني سُرَّ جداً من المضبطة التي رفعت إليه بطلب ابقاء الكولونيل ووترس تيلر في القدس والحكومة الإنكليزية تقدر رجالها الذين يستطيعون أن يكتسبوا وداد الناس وثقتهم.. قلت له: إن مكانه انكلترا تتوقف على الذين نعاملهم من أبنائها هنا، ولكن يسوؤني كثيراً أن أقول: إن بعض رجالكم قد أساؤوا التصرّف، ولم يخلصوا لحكومتهم، فنفروا الأهالي منهم ومن حكومتهم، وقد عرفنا قبل اليوم بالاختبار أن نفوذ الدول الأوربية في بلادنا كان يتوقف على شخصية قنصلها أو من يمثلها من مستخدمي تلك القنصلية، فإذا كان الشخص محبوباً كانت أمته أو دولته محبوبة، والعكس بالعكس.

في نفسي خواطر كثيرة أمسك القلم عن بيانها إلى حينها. أتصور أمامي مجالاً واسعاً للعمل، سأمثل دوري فيه والأمور مرهونة بأوقاتها.

انتظرت الأوتوموبيل فلم يجئ، فاضطررت أن أنزل ماشياً، فلم أتمكن من زيارة الكولونيل فذهبت رأساً إلى تلميذي رئيس الجزاء فعلمته.

الأربعاء في ٢ نيسان غ سنة ١٩١٩م

ذهبت صباحاً فعلّمت مستر أشبي، وبعد الدرس أطللت على صديقي الماجور رتشموند فتكلمنا عن المظاهرة، فقلت: لقد عظمتم أمر المظاهرة وتصورتم لها شكلاً هائلاً، فكان يجب أن تسألوا من تعتمدونهم من الأهالي، قبل أن تقرروا اتخاذ تلك التدابير العظيمة، فقال: لقد سألنا الناس في مصر عن المظاهرات قبل وقوعها فمنهم من شك في أنها ستكون، ومنهم من صغّر أمرها كثيراً. فقلت: إن المظاهرات في مصر ليست بنت يومها ولا أسبوعها ولا شهرها، بل هي أمر مدبّر من زمان طويل، وأما مظاهرتنا فلم تخطر في بال أحد قبل اليوم. بل الأرجح أنه موعز بها من قِبل بعض رجال الحكومة.. ثم قال: قلت لك قبل اليوم إن الجنرال ستورس ينوي أن يدعوك للعشاء أنت والمفتي، ثم سافر إلى مصر، فضلاً عما شغله من الأشغال والشواغل فأخر الدعوة وهو الآن ينتظر قليلاً فيدعوكما. ثم تركته وجئت إلى مكتب الكولونيل ووترس تيلر، فقال: إن الجنرال ستورس كلفني

اليوم أن أتأخر عن السفر لمدة ثلاثة أسابيع أخرى، فقلت له: لا أتأخر إلا إذا كلفني بذلك الجنرال مني، وفي نيتي إذا كلفني الجنرال مني بذلك أن أشترط عليه أن لا يكون لي علاقة بالجنرال ستورس، لأني لا آمن من هذا الرجل.

بعد الظهر صعدت إلى العمارة الألمانية في جبل الزيتون، فوجدت تلميذين من صفي متغيبين فأجلنا الدرس إلى يوم الجمعة، ثم نزلت ماشياً إلى بيت أبو جميل، وكانت سلطانة قد سبقتني إلى هناك، وبعد أن جلسنا قليلاً، ذهبت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر، فقال: تناولت الغداء اليوم مع الجنرال مني، وكلفني بالبقاء في القدس ثلاثة أسابيع أخرى ريثما تنقضي أيام الأعياد، واتفقت معه إذا راجعني الأهالي في أمر بينهم وبين الجنرال ستورس أن أرسلهم إليه، أي إلى الجنرال مني رأساً. قلت له: إن هذه الأيام هي أهم أيام القدس، فيجب على الحكومة أن تدرس الأمور مع نخبة من أهالي القدس لتكون على بصيرة في كل ما تأتيه...

وردت اليوم رسالة من أخي يوسف إلى أمه وفيها ستون فرنكاً لها.

في المساء جاء واصف جوهرية وأبو جميل وصبحي وموسى وحنا حمامة، وجورج خميس ومتري ابن خالتي وأختي ميليا، فسهرنا الى الساعة الحادية عشرة، وواصف يضرب على عوده ويغني.

الخميس في ٣ نيسان غ سنة ١٩١٩م

اشتريت حذاءً أصفر (بوت) بمئة وعشرين غرشاً، ولست أظنه يعيش أكثر من شهر، لقيت شكري فيعاني فتبادلنا القبلات، وجاء معي الى البيت، فجلسنا ندخن ونتذكر أيامنا في دمشق...

بعد الظهر صعدت إلى العمارة الألمانية في جبل الزيتون، لأعلّم تلميذيّ اللفتننت لك والكابتن ملز، فلم أجد غير الأول، وأما الثاني فقد جاءت امرأته من مصر، فهو مهتم بتدبير منزله الجديد. قضينا الساعة كلّها في أحاديث مختلفة بدل الدرس. قال لي: إنه سيعود إلى بلاده لأنه لا يرى أن المعيشة في فلسطين ستكون هادئة جميلة كما كان ينتظر، فإن الاختلاف بين العرب واليهود سيولّد مشاكل كثيرة، فقلت: لا حلّ لهذه المشاكل ولا سبيل لتداركها إلا إذا منعتم اليهود من المهاجرة الى فلسطين، فإن منع اليهود من المهاجرة أهون من ارغام الأهالي على قبولهم. إن مجيء اليهود إلى فلسطين يهدّد البلاد العربية كلها، لأن فلسطين لا تسع اليهود كلهم. ثم جئت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر فشربنا الشاي ودخنا. سألته: هل وجد شغلاً لصبحي عويضة، فقال: سآخذه معي إلى الناصرة، فقلت: بلغنا ان قسطندي لباط عيّن كمساعد للحاكم في بيت لحم، فإذا لم يأخذ محله، في القدس شخص آخر فلنعين صبحي في محله، فقال إذا اختار ذلك فالأمر سهل. ثم ذهبت فعلّمت رئيس

الجزاء ، وبعد الدرس جئت الى البيت فلقيت هناك أبا الفضل ومحمد يوسف الخطيب وشريف النشاشيبي وحربي الأيوبي ، فسألوني عن رأيي في دعوة نوري السعيد لي ولشريف ، فقلت : الرأي أن ننتظر ورود طلب رسمي منه . ثم عرضت عليهم أن تؤلف جمعية جديدة في القدس نسميها «جمعية فوق العادة» ، غرضها درس الأمور كلها ، وليكن شعارها : قدّروا كل شيءٍ واستعدوا . . على العشاء كسر أحد أسناني الأمامية العليا ، ولكن نفسي ، كما قال المتنبي ، لها ظفران كل ظفر أعده ، وناب إذا لم يبق في الفم نابُ .

الجمعة في ٤ نيسان غ سنة ١٩١٩م

ذهبت في الصباح إلى دار الحكومة في العمارة الألمانية ، بالقرب من باب العمود ، فعلّمت مستر اشبي ، وبعد الدرس أطللت على الماجور ريتشموند ، فاتفقنا أن نشرب الشاي في بيتنا يوم الأحد ، الساعة الرابعة بعد الظهر ، ثم جئت إلى مكتب الكولونيل ووترس تيلر ، وقبل أن أدخل مرّ بي الجنرال ستورس فتصافحنا ، ووقف الواحد منا إلى الآخر وقفة المصارع ، وجعل يحدّد نظره في عيني كأنه يستطلع مكنونات صدري ، فقابلته بالمثل برأس مرفوع وعين لا تطرف . فجعل يسألني سؤالات متقطعة : كيف حالك كيف حال الجمعية الأرثوذكسية؟ كيف حالك؟ كيف كل شي؟ ثم سألني هل رأيت الماجور ريتشموند؟ فقلت له : كنت الآن عنده ، ثم قال : سأبلغكم خبراً طيباً . ثم سار في طريقه ، ودخلت أنا إلى مكتب الكولونيل ووترس تيلر ، فقال : ورد نبأ من الجنرال اللنبي يقول أن قد خرجت هيئة من الدول العظمى الى سوريا وفلسطين ، لتطلع على الرأي العام في البلاد . بلغوا الأهالي أن لا يصدقوا كل ما يقرأون في الجرائد . . لعل هذا هو الخبر الطيب الذي عناه الجنرال ستورس . ثم قال لي : أرسلت بالأمس رسالة الى الدكتور ولسن رئيس الجمهورية الأميركية أقول فيها : هل تريد أميركا أن ترسل مئتي ألف عسكري الى فلسطين لتملك البلاد لليهود؟ أما انكلترا فلا تريد ذلك ، لأنها لا تريد أن تثير العالم الإسلامي عليها لأجل اليهود . العرب لا يريدون اليهود واليهود لا يستطيعون أن يجيئوا إلى هذه البلاد إلا إذا ساعدتهم أوربا ، فأي دولة تأخذ على نفسها هذا العمل؟ فشكرته ، ثم قال : لقد عيّنا صبحي أفندي عويضة في محل قسطندي لباط فبلغه ذلك ، وقبل أن أقوم قلت له : لي صديق من تلاميذي يحسن العربية والانكليزية والافرنسية والايطالية ، وهو في الحادية والعشرين من عمره ، واسمه حنا حمامة ، فإذا رأيت أن تساعدني في تدبير شغل له ، كنت لك من الشاكرين ، ودفعت إليه الرسالة التي كتبها حنا الى الجنرال مني في طلب شغل فأبقاها عنده . ثم ذهبت فعلّمت رئيس الجزاء . وبعد الظهر صعدت إلى جبل الزيتون فعلّمت الكابتن ميسن واللفتننت بَنِت وأما الكولونيل كربتن والكابتن سوندورس ، فالأول مشغول والثاني متغيب في الاسكندرية . وبعد الدرس جئت الى

دار الكولونيل ووترس تيلر، فأخذته هو وامرأته الى بيت يعقوب فراج، حيث تناولنا الشاي.

قد يظن من يرى علاقتي بالانكليز أني استسهل حكمهم علينا. مهما بلغ حبي للانكليز ومهما أعجبت بأخلاقهم، فإني أفضل أن نكون مستقلين ندبر أنفسنا بأنفسنا، ولو ارتكبنا كل يوم مئات من الأغلاط. تقول جمعية الأمم: لا تستطيعون أن تحكموا أنفسكم بأنفسكم، ولا بد لكم أن تنتدبوا احدى الدول العظمى لتدربكم على الاستقلال. إذا لم نتعلم الاستقلال بأنفسنا فلا يعلمنا اياه أحد. بل إن ذلك المعلم الصالح إذا دخل بلادنا فلا يخرج منها إلا مكرهاً...

جاءتني رسالة من أستاذي يقول فيها أن قد تأخر سفره ريثما يرد الجواب من الحكومة في القدس، أن لا محذور من رجوعه. نفي بسبب الانكليز، والانكليز يتخوفون من رجوعه، فهنا كل العجب.

في المساء ذهبت مع سلطانة وسري إلى بيت شكري ديب، حيث اجتمع الأولاد المرتلون الذين يدربهم قسطندي الخوري على الترتيل، فعلمتهم النشيد الوطني: «أيها المولى العظيم» ووقف سري بين الأولاد يرتل معهم. وبعد الدور الأول كلفوني أن ألقنهم الدور الثاني، فبادر سري يلقنهم اياه، وقال لقسطندي الخوري: أنا علمتك اياه قبل اليوم..

ثم جئنا الى البيت ونفسي سابحة في عالم التصورات.. لقد كشفت هذه الحرب القناع عن حقائق الناس أفراداً وأمماً، فعرف الناس بعضهم بعضاً، وعرفت الأمم بعضها بعضاً. قال ابن مسكويه: لا يطيب العيش إلا بالظن الجميل. فما قولك إذا ساء الظن وضاعت الثقة، لم يسبق للبشر حادث أحتكوا فيه بعضهم ببعض مثل هذا الحادث.. سأتناول هذا الموضوع بالبسط في فرصة أخرى إن شاء الله.

السبت في ٥ نيسان غ سنة ١٩١٩م

أرجعنا بعض الأشياء التي بقيت لمسس واي عندنا، واسترجعت خزانة كتبي من بيت أبي الفضل. صعدت بعد الظهر إلى جبل الزيتون فعلمت اللفتننت لك، وإذ لم أجد أوتوموبيلاً رجعت ماشياً، وذهبت رأساً الى بيت الكولونيل ووترس تيلر فلم أجد أحداً.. ثم ذهبت الى العمارة الروسية لأعلّم رئيس الجزاء، فخضنا في أحاديث مختلفة استغرقت الوقت كله. كانت السلطة في أول عهد البشرية في يد رجال الدين، ثم شاركهم فيها رجال السيف، ثم ظهرت سلطة ثالثة وهي سلطة الأغنياء وأرباب الأموال. إذا قابلنا الشرق بالغرب رأينا الشرق اسعد من الغرب، لأن هذه السلطات الثلاث ضعيفة فيه...

الأحد في ٦ نيسان غ سنة ١٩١٩م

زارني في الصباح محمد يوسف الخطيب، فقال: استدعت الحكومة بالأمس مساءً عشرة أشخاص، موسى شفيق الخالدي ومحمد يوسف العلمي والشيخ سعيد الخطيب والشيخ محمد صالح والحاج أمين الحسيني وغيرهم، فقال لهم الجنرال ستورس: يجب أن تعلموا أن انكلترا قوية، فيجب أن تخلدوا الى السكينة، وقد نفيت اليوم عبد القادر العلمي. بعد أيام قليلة ستجيء هيئة من قبل الدول العظمى للوقوف على حالة البلاد وآراء الناس، فيجب أن تكونوا يداً واحدة مع انكلترا، الخ مما سأتحراه من الأشخاص الذين طلبهم أنفسهم. زارني قبل الظهر راغب بك النشاشيبي وأخوه فهمي ويعقوب فراج وقسطاكي، بعد الظهر نمت وفي المساء ذهبنا إلى بيت فراج.

الاثنين في ٧ نيسان غ سنة ١٩١٩م

ذهبت في الصباح فعلمت مستر اشبي، وبعد الدرس عرجت على مكتب الكولونيل ووترس تيلر، وبعد قليل جاء موسى كاظم باشا الحسيني واسماعيل بك الحسيني، فتكلمنا عن حفلات النبي موسى والعيد الكبير [= عيد الأضحى].

بعد الظهر ذهبت الى جبل الزيتون، فعلمت صفي وقد حضره الكولونيل كريتن هذه المرة. ثم جئت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر، فتناولنا الشاي، وقد كان هناك الكابتن كمب، رئيس قلم الاستخبارات، فسألوني عن رأيي في الهيئة التي ستجيء الى فلسطين وسوريا، فقلت: أخشى أن ترجع كما جاءت، لأن أحوال البلاد وآراء الناس معروفة لدى دول أوربا، ولو فرضنا أنهم لا يعرفون حالتنا، فكيف يعرفونها وليس لنا هيئة تمثل الرأي العام، ففي مثل هذه الحالة لا بد أنهم يعتمدون كل واحد منهم على تقارير معتمدي دولته في هذه البلاد، فالانكليزي يستسقي من المصادر الانكليزية، والافرنسي يعتمد على تقارير قنصلية فرنسا وهكذا البقية.. وإذا لم يجتمع المؤتمر الفلسطيني ويكلف بإبداء رغائبه بصراحة وحرية، فلا شك أن الهيئة الدولية، سينظر كل عضو منها الى هذه البلاد بعينه هو لا بعين الحقيقة، والإنسان مهما تجرد عن الغرض والهوى، فإنه يتمثل الأشياء حسب اعتباره، لا حسب حقيقتها، والخلاصة فإن أملنا في هذه الهيئة ضعيف.. ثم علّمت طبيب الأسنان.

الثلاثاء في ٨ نيسان غ سنة ١٩١٩م

ذهبت بعد الظهر إلى جبل الزيتون، لأعلّم اللفتننت لك فاعتذر، فرجعت رأساً الى بيت الكولونيل ووترس

تيلر، وبعد قليل جاء يعقوب ابن خالتي مع امرأته للزيارة.

في المساء ذهبت الى اجتماع عقده بعض الشبان في نادي جمعية اتحاد الشبان المسيحيين، لتأسيس نادي الألعاب الرياضية، وكلفتُ بالخطابة في فوائد هذا النادي، ثم كلف نحو عشرة أشخاص أنا من جملتهم لسنّ قوانين لهذا النادي.

ذهبت اليوم لأعلّم رئيس الجزاء فاعتذر. لا بد لي من التفتيش عن عمل آخر، فإن هذه الدروس الخصوصية لا يعتمد عليها.

الأربعاء في ٩ نيسان غ سنة ١٩١٩م

لم أذهب اليوم إلى مستر اشبي، لأنه سافر الى مصر ليستقبل أسرته، أمرأته وأولاده.

ذهبت بعد الظهر الى العمارة الألمانية في جبل الزيتون وعلّمت صفي، ولم يحضر الدرس إلا اثنان منهم، ثم نزلت الى البلد وقد ضاقت أخلاقي، واستولى عليّ الضجر. وردتنا رسالة طويلة من أديب.

الخميس في ١٠ نيسان غ سنة ١٩١٩م

زرت في الصباح الكولونيل ووترس تيلر في مكتبه في دار الحكومة. طلب إليّ قبل اليوم أن يأخذني معه الى الناصرة كمستشار محليّ، فخطر لي اليوم أن أجيبه إلى طلبه، لأني رأيت أني لا أستطيع أن أعتمد في معيشتي على الدروس الخصوصية، لأنها غير منظمة، فقد يكون دخلي في شهر كثيراً وفي آخر قليلاً جداً، فضلاً عن أني لا أجد فيها سروراً، ولكن عدت فعدلت عن هذه الفكرة، لأن الاستخدام قد يتقاضاني [=يتطلب مني] أن أعمل ما لا يوافق مبدأي ولا أعتقد صحته، ولذلك قررت أن أنظم دروسي إلى أن يتيسر لي باب آخر للمعيشة وعلى الله الاتكال.

ذهبت بعد الظهر إلى العمارة الألمانية في جبل الزيتون لأعلّم اللفتننت لك، فانتظرته نحو ثلاثة أرباع الساعة فلم يجئ، فلم يسعني إلا أخذت أوتوموبيلاً ورجعت إلى البيت.

سمعت أن أستاذي السيد نخلة زريق قد جاء اليوم في قطار الظهر، ولم أعرف أين نزل. ذهبت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر فشربنا الشاي، قلت: إن الجمعية الارثوذكسية التي يرأسها يعقوب فراج عزمت أن تكلّف البطريرك ان يقدم لك صليب القبر المقدس، كعلامة على محبتهم لك، فقابل ذلك بالشكر. عزم أن يدعونا للعشاء أنا ويعقوب فراج وراغب بك النشاشيبي مساء يوم الأحد القادم.. ثم ذهبت فعلّمت رئيس الجزاء،

وبعد الدرس تكلمنا عن الحركة المصرية، قلت: بلغنا أن الجنرال اللنبي قد أحضر زغلول باشا[١٣] من منفاه، وأرسله إلى مؤتمر الصلح في باريس، وقد كان يجب أن يفعلوا ذلك من أول الأمر، فإذا كان هناك مسألة مصرية فهم الذين خلقوها بسوء ادارتهم. لو أجابت الحكومة المصريين الى مطاليبهم لماتت الحركة في مهدها، ولكن المقاومة قوتها. قد تكون الفكرة في أول أمرها صغيرة ضعيفة، فإذا لم يهتم بها أحد فقد تموت أو تقف عند حدها، ولكن إذا قوبلت بالاهتمام والمقاومة، فالأرجح أنها تنمو وتكبر وتتطور، ولا واسطة لتلافي الأمر بعد استفحاله إلا التساهل، والكبير إذا تساهل لا يحط ذلك من قدره، ولا يحمل على ضعفه، بل بالعكس يؤخذ ذلك دليلاً على كرم أخلاقه.. تساهل الكبير مروءة، وتساهل الصغير ضعف وفشل. وكيف يعتبر تساهل الانكليز ضعفاً، وهم الذين سحقوا ألمانيا وحملوا أعباء الحرب العامة على عواتقهم، فلو شاؤوا لهدموا مصر تهديماً، وجعلوا عاليها سافلها، وليست المسألة مسألة قوة أو ضعف، ولكنها مسألة حسن ادارة أو سوئها، فإذا اسأتم الإدارة، فلا بد أن يتعلم الناس الثورة وقد جربوها الآن، وربما اتفقت كل مستعمراتكم على القيام بثورة عامة في وقت واحد. وما مثل الحكومات والأمم إلا مثل أرباب الأموال والعمال، كان يعتصب العمال في معمل واحد فلا يبالي بهم أرباب الأموال، لأن لهم معامل أخرى تعوض عليهم ما يخسرونه باعتصاب العمال في ذلك المعمل، ثم اتحد العمال في كل المعامل التي من جنس واحد، فما كان من أرباب الأموال إلا أنهم قابلوهم باتحاد مثله، فدفع ذلك العمال الى تعميم الاتحاد، فإذا اضطروا الى الاعتصاب اعتصب معهم كل العمال في كل معمل، ولا بد أن ينجحوا. ويجدر بالحكومة الانكليزية أن تتخوف [من] قيام مستعمراتها كلها دفعة واحدة. ولا واسطة لدفع هذا الخطر، إلا إذا أحسنت الحكومة سياستها واختارت لإدارة البلاد أحسن رجالها وأخلصهم نيّة، وأحرصهم على المصلحة العامة لا المصلحة الشخصية.

هذه خلاصة ما دار بيني وبينه، ثم جئت إلى البيت، فوجدت رسالة من صديقي الماجور ريتشموند يكلفني فيها أنا وسلطانة لتناول الغداء يوم الأحد مع الجنرال ستورس. ما معنى هذه الدعوة؟...

الجمعة في ١١ نيسان غ سنة ١٩١٩م

ذهبت صباحاً فعلّمت رئيس الجزاء، ثم جئت إلى البيت فأخذت سلطانة وسرياً ومررنا على لوكندة فاست، فأخذنا مسس ملز امرأة صديقي، وأحد تلاميذي الكابتن ملز لنتفرج على حفلة العَلَم (علم النبي موسى)، فنزلنا إلى دار حسن بك الترجمان، التي تطلّ على الحرم، وأردنا الدخول إليها من باب دار الشيخ

(١٣) المقصود سعد زغلول باشا زعيم حزب الوفد المصري.

أمين الأنصاري، وما كدنا نطرق الباب حتى أسرع إلينا أحد الجنود الهنود ولكمني في يدي، وقال: أنتم يهود، باللغة الانكليزية، ولكنه لا يعرف منها غير تلك الجملة، فحاولت أن أفهمه أننا لسنا يهوداً فلم يفهم وجعل يرطن بلغته، وجعلت أقول له باللغة الإنكليزية: إننا لسنا يهوداً، فما كان منه إلا أن وضع أحد أصابعه على فمي كأنه يعني أن أكف عن الكلام، ثم لما رأى أني لم أعره اهتماماً ولم أتحرك من موضعي استلّ حربته وأهوى بها على عنقي يقصد التهويل، فلم أبد أقل اهتمام، وكأنه فهم من ملامح وجهي وعدم اهتمامي، أننا لسنا يهوداً، فجعل يرفع يده إلى رأسه ويضعها كأنه يعتذر، فأمهلته قليلاً ريثما يمر موكب كان آتياً الى الحرم، ولما اتسعت الطريق نزلنا وذهبنا. لو كان غيري في محلي، فإما أن يخاف ويحاول الهرب أو يصيح أو تأخذه الحدة فيقابل ذلك الجندي بالخشونة، فيجتمع الناس ويتداخلون في الأمر فيقع اضطراب عظيم. كان يجب على الحكومة أن تكلف البوليس الوطني بهذه المهمة، أو تجعل هناك من يفهم لغة الناس أو يتكلم بلغة يفهمها الناس، لئلا يقع سوء تفاهم يؤدي إلى نتائج لم تكن في الحسبان..

خرجنا من باب الأسباط، فالتقينا بميليا وماري حنانيا وأختها الكسندرا ومشينا الى الكنيسة التي بقرب كنيسة العذراء، وإذ كانت مسس ملز مضطرة إلى الرجوع الى اللوكندة قبل الساعة الواحدة. بعد الظهر تركنا سرياً مع ميليا ورجعنا. ثم جئنا الى البيت فتغدينا ونمنا، وبعد النوم استحممت مرة ثانية ثم مررت على يعقوب ابن خالتي، وذهبنا فسلمنا على أستاذي السيد نخلة، وكان هناك راغب بك النشاشيبي وعلي أفندي جار الله وكامل بك صوايا وآخرون، فلما قمنا دعانا جار الله فذهبنا معه أنا ويعقوب، وكامل بك وراغب بك فشربنا قليلاً، ثم رجع كلٌّ منا إلى بيته. زارنا في المساء موسى العلمي وصبحي عويضة.

السبت في ١٢ نيسان غ سنة ١٩١٩م

ذهبت في الصباح إلى دار الحكومة، فعرجت على مكتب الكولونيل ووترس تيلر فلم أجده هناك فذهبت إلى مكتب الماجور ريتشموند فجلست إليه. قلت: أخذت رسالتك التي تكلفني فيها باسم الجنرال ستورس لتناول الغداء معه أنا وسلطانة، ولكن لست أكتمك أني لست أحب هذه الدعوات، فضلاً عن أني ليس عندي ولا عند سلطانة من الثياب ما يليق بمثل هذه الدعوات، لأننا خارجون من عهدة أيام صعبة، وقد كنت في البادية قبل مجيئي الى القدس، فقال: لا تجعل أمر الثياب سبباً لعدم قبولك الدعوة فإن الجنرال ستورس يريد أن يراك أنت، لا أن يرى ثيابك، فلو جئت بقميص النوم لقبلناك.. فلم يسعني إلا قبول الدعوة. نحو الظهر زارني الحاج أمين الحسيني واسحق درويش فقالا: جاء من نابلس عزت دروزة وحافظ كنعان، وهما يريدان أن يجتمعا ببعض

رجال القدس للتفاهم ولتقرير ما يجب أن نطلبه من لجنة الدول الآتية الى القدس قريباً ، وقد اتفقنا أن نجتمع اليوم بعد الظهر في بيت سعيد أفندي الحسيني أو اسماعيل بك الحسيني ، وقد جئنا نكلفك بالحضور ، فلم أر بداً أن أجيب الدعوة ، فعدلت عن الذهاب إلى العمارة الألمانية في جبل الزيتون لأعلّم اللفتننت لك ، وبعد الغداء التقيت براغب بك النشاشيبي فمشينا الى بيت يعقوب ابن خالتي لنأخذه معنا . قال راغب بك : إني قد فهمت أن عزت دروزة وحافظ كنعان لم يجيئا من تلقاء أنفسهما ، بل دعاهما المفتي ، ولم يدعهما المفتي ويهتم بهذا الاجتماع ، إلا بايعاز من الجنرال ستورس ، فقلنا : لا بأس من حضور هذا الاجتماع وسماع ما يعرض فيه من الآراء . ثم مشينا الى بيت اسماعيل بك فوجدنا هناك المفتي وسعيد أفندي الحسيني وموسى كاظم باشا ، وعارف باشا الدجاني وعلي أفندي جار الله والشيخ راغب الدجاني من يافا ، واسعاف أفندي النشاشيبي والحاج أمين أفندي الحسيني وعزت دروزة وحافظ كنعان ، فاتفقت الآراء على هذه الصورة :

(١) أن تكون سوريا ، التي تمتد من جبال طورس شمالاً الى ترعة السويس جنوباً ، مستقلة استقلالاً تاماً ضمن الوحدة العربية .

(٢) أن تكون فلسطين التي هي جزء لا ينفك عن سوريا مستقلة استقلالاً داخلياً ، تختار حكامها من الوطنيين ، وتسن قوانينها بنفسها حسب رغائب أهلها وحاجات البلاد .

(٣) نرفض مهاجرة الصهيونيين ونحتج على أمانيهم في فلسطين بكل قوانا ، وأما اليهود الأصليون الذين كانوا في البلاد قبل الحرب ، فإننا نعتبرهم وطنيين ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

ثم استأذنت فخرجت وجئت الى العمارة الروسية ، فعلمت رئيس الجزاء ، ولما رجعت إلى البيت وجدت سرياً محموماً وقد تقيأ مراراً . وكانت الليلة موعد اجتماع في بيت يعقوب ابن خالتي لسنّ قوانين لنادي الألعاب الرياضية ، فذهبت واعتذرت .

الأحد في ١٣ نيسان غ سنة ١٩١٩م

لبث سريّ يتضوّر من الحمى الليل كله فلم ننم ، واليوم أعطيناه شربة وقد أقلعت الحمى عنه ، زارني قبل الظهر موسى العلمي ثم يعقوب ابن خالتي ، وعند الظهر جاءت ميليا فتركنا سرياً عندها ، وذهبت أنا وسلطانة إلى بيت الجنرال ستورس لتناول الغداء ، قال لي : منذ دخلنا القدس إلى الآن لم نزل نستخدم رجال البوليس الذين كانوا على عهد تركيا ، ونحن نعرف أن أكثرهم كانوا يرتشون ويسيئون استعمال وظائفهم ، ولكننا الى الآن لم نرَ منهم شيئاً من هذا ، على أن اليهود يجيئونني كل يوم ، هذا البوليس عمل كذا ، وهذا البوليس عمل كذا على عهد الأتراك ، فما

رأيك، فقلت: إذا أردنا أن نأخذ رجال البوليس بأعمالهم على عهد الأتراك، وجب أن نأخذ المأمورين كلهم بل الأمة كلها، لأن الفساد كان متفشياً في طول البلاد وعرضها. ثم سألني: هل تعرف الشيخ عبد القادر المظفر؟ قلت: أنا أعرف الناس به وإني مدين له ما دمت حياً، فقد أنقذني من الموت ودفع عني ما كان يتهددني من الخطر، ومنع أن ينالني سوء، فإنه كان ذا نفوذ كبير في دمشق، وقد استعمل نفوذه في خدمة الإنسانية.. ثم انتقلنا في الحديث الى مسألة اللجنة الدولية التي ستجيء إلى فلسطين وسوريا والعراق، فقال: إن فرنسا ادعت أن لها مصالح كثيرة في سوريا وفلسطين، واتخذت ذلك سبباً لأن تكون هي الدولة المنتدبة من قِبل جمعية الأمم للوكالة على سوريا وفلسطين، فقال لويد جورج: قد يكون لك مصالح هناك، ولكن الوكالة على سوريا وفلسطين تبنى على رغبات الأهالي لا على مصالح الدول فيها حسب مبدأ ولسن. وأخيراً اقترح ولسن ارسال لجنة للوقوف على رغبات الأهالي، فوافقت انكلترا على ذلك فلم يسع فرنسا إلا القبول بارسال هذه اللجنة. فقلت: لست أكتمك أن الرأي العام في البلاد يكاد يجمع على انتداب أميركا، لأنهم رأوا أن انكلترا هي التي وعدت اليهود بإعطائهم فلسطين كوطن قومي لهم، ثم رأوا من صنيع الإنكليز في البلاد أنهم يشجعون الحركة الصهيونية، فإذا انتدبت انكلترا للوكالة على سوريا وفلسطين عملت على تحقيق أماني الصهيونيين، هذا من جهة، ثم إذا أخذت انكلترا فلسطين تشبث الفرنساويون بأخذ سوريا وهذا لا يوافقنا لأننا لا نريد أن نتجزأ، ويتولى كل جزء من بلادنا دولة، بل إذا لم يكن بد من الانتداب فنحب أن تكون البلاد كلها في عهدة دولة واحدة حرصاً على وحدتنا، ولأن انكلترا وفرنسا تتنازعان النفوذ على بلادنا، فإننا مضطرون أن نختار أميركا. الأمة التي تخلصنا من الصهيونية وتخلصنا من التجزء آثرناها على غيرها. يا حبذا لو تستطيع الأمة الانكليزية أن تنيلنا ذلك، ولكن إذا لم تستطع فليس أمامنا إلا أميركا، وأما فرنسا فلا توافقنا بوجه من الوجوه، لأن مزاجها لا يوافق مزاجنا.

هذه خلاصة ما دار بيننا من الحديث، ثم شكرنا وخرجنا.

بعد الظهر زارتنا الآنسة دكسن ابنة المرحوم مستر دكسن قنصل انكلترا في القدس، ثم جاء راغب بك النشاشيبي ويعقوب ابن خالتي واخوه متري وأبو الفضل وصبحي عويضة.. قال لي أبو الفضل: إن الجنرال ستورس استدعاه وخاطبه بما خاطب به موسى شفيق ومحمد يوسف العلمي وبقية الأشخاص الذين استدعاهم مساء يوم السبت الواقع في ٥ نيسان، فقلت له: البلاد مملوءة من الجواسيس ولا يخلو أن يكون لك أعداء وحساد، فالأوفق أن لا تثق بالناس والزم المدرسة وقف عليها كل اهتمامك وكفى. ثم قمنا نحو الساعة السادسة وذهبنا الى بيت يعقوب فشربنا قليلاً من العرق، ثم جاءتنا عربة فذهبنا الى بيت الكولونيل ووترس تيلر، وكان هناك الكابتن لو وهو شاب رضي الأخلاق محبوب عند الجميع، فجلسنا حول مائدة الطعام فشربنا

«أتيرا» ، ثم شربنا في أثناء الطعام شامبانيا ، ثم نبيذاً فانطلقت الألسنة وصار راغب بك يتكلم بكل الألسنة بالانكليزية والافرنسية والعربية ، ومن وقت إلى آخر يكلفني بالترجمة ، فلا أعي ماذا يقول فأكلف يعقوب بالنيابة عني ، فيتكلم تارة بالافرنسية وتارة بالانكليزية الفصحى ، وقبل الانصراف شربنا «وسكي» وتسمى الكأس الأخيرة "night cap" وخرجنا نحو الساعة الثانية عشرة وحالتنا تدل على أنها سكرة انكليزية . وأما أنا فأعد هذا اليوم من أيام السياسة . تغديت مع الجنرال ستورس وتعشيت مع الكولونيل ووترس تيلر .

الاثنين في ١٤ نيسان غ سنة ١٩١٩م

كرّست هذا النهار للراحة فاستغرق حمامي في الصباح وقتاً طويلاً ، ثم نمت بعد الغداء ما يزيد على الساعتين ، وبعد النوم زارنا راغب بك النشاشيبي ويعقوب ابن خالتي فتحدثنا عن ليلة أمس ونحن نضحك .

الثلاثاء في ١٥ نيسان غ سنة ١٩١٩م

ذهبت في الصباح فاطللت على مكتب الكولونيل ووترس تيلر ، فناولني سيكاراً من سيكاره الفاخر ، وجعلنا نتحدث ، قلت : مع ما نحن عليه من التطلع الى مجيء اللجنة الدولية للوقوف على رغائب الأهالي ، فإننا نود لو تتأخر قليلاً ليتسع لنا الوقت لنكوّن رأياً عاماً في البلاد قبل مجيئها . وربما احتجنا الى ارسال وفود الى سوريا لتعميم فكرتنا فيها . ولأننا لا نريد انتداب فرنسا للوكالة علينا لأنها لا توافق مزاجنا ، فلا يبقى أمامنا إلا انكلترا وأميركا ، فأي الدولتين نختار فقال : لست أظن أن أميركا تقبل هذه الوكالة ، فقلت : لسنا على ثقة من ذلك ، بل هناك قرائن كثيرة تدل على أنها لا ترفض ، ومهما يكن الأمر ، فإن لنا شروطاً على الدولة التي ننتدبها من الدولتين المذكورتين وهي :

(١) لا صهيونية (٢) لا تجزئة (٣) لا مهاجرة .

فالدولة التي تؤمننا على هذه الشروط آثرناها على غيرها . ثم قلت له : متى نستطيع أن نجتمع بك أنا وراغب بك ويعقوب فراج ، للبحث في هذا الموضوع؟ فقال : غداً بعد الظهر . . .

كان اليوم ميعاد مجيء الموكب الخليلي ، فخرج الجنرال ستورس والكولونيل ووترس تيلر الى باب الخليل لاستقباله ، وكانت الموسيقى العسكرية تتقدم الموكب ، فسبحان مغيّر الأحوال .

ذهبت بعد الظهر الى العمارة الألمانية في جبل الزيتون ، وعلّمت اللفتننت لك ، ثم رجعت إلى البيت ، فزارنا راغب بك فأطلعته على ما دار بيني وبين الكولونيل ووترس تيلر ، ثم جاء محمد العسلي والدكتور نسيبة ،

فتناولنا الشاي ثم قمنا ، فذهبت الى العمارة الروسية فعلّمت رئيس الجزاء ، وبعد الدرس خضنا في مواضيع مختلفة لذيذة .

الأربعاء ١٦ نيسان غ سنة ١٩١٩م

ذهبت صباحاً إلى دار الحكومة ، فعرجت على مكتب الماجور ريتشموند ، فكلفني بترجمة صورة أثر كتابي على بعض جدران قبة الصخرة . لم يزل منذ جاء الى القدس يدرس الحرم فوجد النقوش والكتابات والزخارف لم تكن على صورتها الحالية ، بل كانوا كلما سقطت بلاطة بسبب المطر أو الجليد تداركوا الجدران بالترميم ، ولكن بدون أن يراعوا الوضع الأصلي ، ومع الزمان تغير الشكل الأصلي كل التغيّر ، فنرى النقوش التي كان يجب أن تكون في أعلى الجدار قد وضعت في غير محلها ، بلاطة من هنا وبلاطة من هنا ، بدون أن تلائم الواحدة أختها . وقد وضع بذلك رسالة طويلة دقيقة تشف عن درس عميق ونظر دقيق ، وفي نية الحكومة أن تعيد النقوش والزخارف والآثار الكتابية الى وضعها الأصلي .

ذهبت بعد الظهر الى العمارة الألمانية في جبل الزيتون ، فعلمت صفي ، وقد حضر كل أعضائه ، ومن هناك جئت الى البيت حيث وافاني راغب بك ويعقوب ابن خالتي فأخذنا عربة وذهبنا الى بيت الكولونيل ووترس تيلر ، فبحثنا في شروطنا التي سنعرضها على الدولة التي سننتدبها للوكالة علينا ، وهي لا صهيونية لا تقسيم لا مهاجرة ، فوافقنا عليها ، وقال : خير حل لهذا المشكل أن ننتدب أميركا للوكالة على تركيا وأرمينيا ، وانكلترا على البلاد العربية ، وتعطى الأستانة لفرنسا ، فنمنع بذلك تقسيم البلاد الى أجزاء يتولى كل قسم دولة ، ونرضي الدول الثلاث . فقلنا : إن الذي نحب أن تعرفه ، هل ذلك رأي انكلترا أو رأيه هو ، فقال : هذا رأيي ، ولكن سأعرضه على الدكتور ولسن ولويد جورج . فقلنا : إذا وافقت الدول على هذا الرأي سعينا في تعميم هذه الفكرة في سوريا وفلسطين ، وقبل أن نقوم انتقدنا السياسة الفردية التي جرت عليها الحكومة الانكليزية في القدس وأكثر جهات فلسطين ، فقال : إن الحكومة ستؤلف مجالس شورى من الأهالي ، وبذلك تقضي على السياسة الفردية ، ثم عرضنا عليه مسألة عمر بيطار الذي نفاه الانكليز منذ سبعة أشهر من يافا ، ورجوناه أن يسعى في ارجاعه ، فكلف راغب بك أن يقدّم له استدعاء بذلك ، وهو يبذل وسعه لإرجاعه فشكرناه وخرجنا .

جئنا الى البيت فكانت هناك رمزة فيعاني ورفيقتان لها من بيت معلوف .

وفي المساء ذهبت الى نادي اتحاد الشبان المسيحيين ، فقرأت قوانين نادي الألعاب الرياضية مادة مادة فوافق عليها الجميع ، وأما أنا فلم أوقعها لما رأيت من تشديدهم في حصرها في المسيحيين دون غيرهم ، بحجة أنها عائلية .

الخميس في ١٧ نيسان غ سنة ١٩١٩م

خرجنا من السابعة والنصف أنا وسلطانة وسري وصبحي عويضة، وذهبنا لحضور حفلة الغسل في ساحة كنيسة القيامة، ووقفنا بازاء التخت، والتقينا هناك بيعقوب ابن خالتي واخيه متري، وكان معهما ميليا ونايفة، ثم ذهبنا الى باب الأسباط وجلسنا في القهوة على جانب الباب الشمالي، ثم جاء شكري ديب وامرأته ويوسف قرط وامرأته وغيرهم، بحيث بلغ عدد جماعتنا نحو الخمسة عشر، ثم جعلت المواكب تمر من أمامنا بعضها في إثر بعض، وهي تهزج أهازيج حماسية وترقص إلى نحو الساعة الثالثة بعد الظهر، ثم قمنا وقد أخذ منا الجوع والتعب كل مأخذ.

طلب صاحب القهوة عن كل شخص عشرة غروش، فبادر صبحي أفندي عويضة ودفع له ليرة مصرية عن الجميع. شهدت هذه الحفلات مراراً في حياتي، ولكن لم أشهدها كمفكر مثل هذه المرة، ولا بأس من الاشارة الى بعض ملاحظاتي وتأثراتي ولو باختصار.

(١) إن عيد النبي موسى في القدس عيد سياسي لا ديني. لما كان المسيحيون يتوافدون من كل أقطار العالم الى القدس في هذه الأيام، اقتضت السياسة أن يكون للمسلمين عيد في القدس يقع في هذه الأيام أيضاً، يتوافدون إليه من كل البلاد المجاورة قبائل قبائل، ومواكب مواكب، بأعلامهم وسلاحهم كأنهم ذاهبون الى القتال، وإدارة أوقاف النبي موسى تقدم لهم الطعام مهما بلغ عددهم، من يوم ينزلون الى معهد النبي موسى بجوار أريحا الى أن يرجعوا، والحكومة تشترك في الاستقبال بهذا العيد فتنصب مرفقاً بالقرب من باب الأسباط يحيي العلم النبوي عند نزوله وعند صعوده، وتحتاط المواكب بالجند والفرسان، وكان ذلك لأنهم كانوا يخافون أن يتواطأ المسيحيون فيجيئوا تحت اسم حجاج وزائرين فيأخذوا البلاد، وقد خلق المسلمون هذا العيد على إثر الصلح الذي تم بينهم وبين الصليبيين.. ولولا ما البسوا هذا العيد من الثوب الديني، ولولا ما يبذلونه من الطعام، لم يجتمع الناس ولم يحتفل به أحد، ولا سيما وقد زالت الأسباب التي خلقوا هذا العيد لأجلها من أمد بعيد...

(٢) من يقابل بين أعياد الأمة اليهودية وأعياد الأمة العربية يرَ فرقاً كبيراً. اليهود في أعيادهم يبكون وينوحون، لأن أكثر أعيادهم جعلت تذكاراً للمصائب التي حلت بهم، وأما المسلمون فأعيادهم حماسية يهزجون فيها الأهازيج الحماسية ويرفعون الأعلام ويسيرون مواكب مواكب، فاليهودي يخرج من عيده مخدّر الحس ذابل النفس حزيناً كئيباً والمسلم يخرج من عيده وقد امتلأ صدره حماسة وعنفواناً، والأمة التي أعيادها ليست إلا بكاء لا مستقبل لها.

إذا لم يكن بدّ من أن يكون للأمة أعياد، فلتكن مثل هذه الأعياد، وإذا لم يكن بدٌّ أن يكون لها غناء ورقص

فليكن مثل هذه الأهازيج ومثل هذا الرقص. لا تغني الا أهازيج ولا ترقص إلا بالسيوف. ومما عجبت له أن كل واحد من أهل البر يعرف تلك الأهازيج، ويحسن كل ضروب الرقص، بل كنت أرى أن كثيرين منهم يحسن الضرب على الناي والشبّابة [ة]، كأن كل ذلك من لوازم حياتهم ، إلا أني لاحظت أن القرى البعيدة عن المدن أشد رجولية وحماسة من القرى القريبة من المدن، بل قد رأيت في أهازيج القرى القريبة ورقصها آثار الضعف والتخنث. فبينا ترى أهل القرى البعيدة أضخم اجساماً وأقوى أصواتاً وأشد حماسة وأفخم أزياء، ترى أهل القرى القريبة أنحف أجساماً وأضعف أصواتاً وأقلّ حماسة، وترى الواحد منهم بعمامة والآخر بعقال والآخر بطربوش، الواحد بعباءة والآخر بساكو، وكذلك ترى بينهم اختلافاً كبيراً في الأحذية، فالواحد يلبس الجوارب والأحذية الصفراء، والآخر عاري القدمين، ومما أضحكني بل سمج في عيني، أن رأيت في بعض مواكب أهل القرى القريبة، واحداً مكشوف الرأس وقد فرق شعره كأنه من رجال الصالون، وآخر يحمل في يده عصا سوداء مفضضة اليد بدلاً من السيف، مما لا يلتئم مع هذه الحفلات والمواكب.

(٣) من الأهازيج المألوفة «يا عين كوني صبّارة»، وقد كانوا قبل اليوم يقولون من جملة اعدادها «يا موت خود النصارى» فاستبدلوها اليوم بقولهم «يا موت خود السكارى»، وإن كانت كلمة سكارى في عرفهم كناية عن النصارى.. وقد أدخلوا اسم فيصل في كل أهازيجهم، فالهزيج الذي كانوا يقولون في أوله «لا تفتكر يا علي» جعلوا يقولون لا تفتكر يا فيصل. وقد بلغني أن الشبيبة في القدس اغتنمت الفرصة، فاجتمعت بشيوخ القرى وانبثت بين الجماعات تعالج العاطفة الوطنية وقد وضعت هزيجاً جديداً لقنته لكل المواكب وهو «يا عزيز عيني فليحيى الجيش العربي»..

لا شك أن الجماعات لا تقاد إلا بعواطفها، ولا يمكن أن تتأثر إلا إذا كانت عواطفها متنبهة، وأحسن الأوقات لذلك مثل هذه الأعياد والحفلات، وأحسن واسطة للتأثير على عواطف الجماعات الأغاني والأهازيج، ولا سيما في بلاد مثل بلادنا. أغاني البر وأهازيجه قديمة، فإذا أردنا ادخال روح جديدة على البلاد، فليس إلا أن نضع أغاني وأهازيج جديدة، وإلا فإذا حاولنا ادخال روح جديدة والعواطف نائمة، فإننا نحاول عبثاً. والأغاني والأهازيج لا تعيش إلا إذا كانت بلغة الناس ونغماتهم، كما أنك لا تستطيع أن تشتغل مع الجماعات، إلا إذا كنت واحداً منهم تتزيا بزيهم وتغني أغانيهم وترقص معهم، ومما أثبته هنا أن أحد العامة في القدس يشتغل بتجارة الخيل واسمه خميس، أقام وليمة لكل رجال جبل الخليل، وهم يبلغون الألف على حسابه الخاص، وقد رأيته بينهم يدخل الى كل موكب وينشد لهم وهم يردون عليه. مثل هذا قد يؤثر على الألوف أكثر من كل انسان غيره. إذا أردنا احياء العاطفة الوطنية فليس إلا أن نؤلف

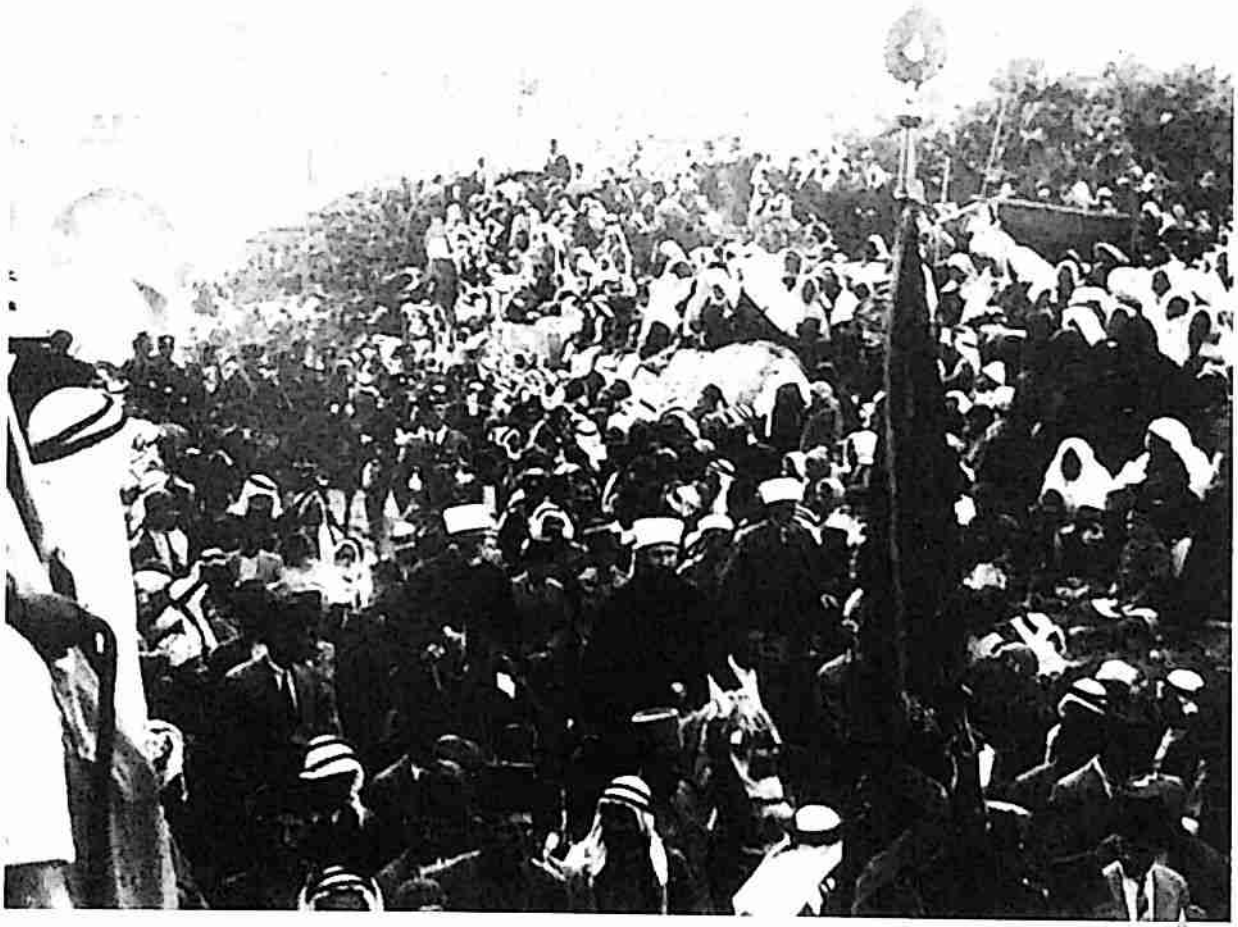

الحاج أمين الحسيني في استقبال موكب الخليل الى موسم النبي موسى في القدس العام ١٩١٩ .
(مجموعة عائلة السكاكيني)

مجلساً نضم إليه شعراء البر، نوعز اليهم أن يضعوا أغاني جديدة، ونجعل لكل بلد شيخ شباب يقود المواكب، ونجدد الرقص القديم ونحسنه، ونعلمهم استعمال السلاح والرقص بالسيف، إلى آخر ما هنالك مما يتكفل باحياء الحماسة في الصدور، وتجديد عهد الفروسية وافراغ الأمة في قالب جديد.

(٤) إن العاطفة الوطنية التي ظهرت آثارها في هذا العيد، لا تستطيع عاطفة أخرى أن تزاحمها، فإذا أخذنا للأمر أهبته ظهرت هذه العاطفة في السنة القادمة بصورة مدهشة، والأمور مرهونة بأوقاتها.

الجمعة في ١٨ نيسان غ سنة ١٩١٩م

لقيت الأستاذ عبد القادر المظفر فقال لي إنه مسافر إلى دمشق في هذا المساء، فذهبت معه إلى بيته أودعه. عرض عليّ أن يسعى حين يصل الى دمشق أن يستدعيني لمجلس المعارف الذي تألف في دمشق. كلفته أن يعمم فكرتنا في سوريا وهي لا صهيونية، لا تجزئة، لا مهاجرة. إذا توفقت لأن أكون في خدمة الأمير اتسع أمامي مجال العمل، وعملت على تحقيق ما يخالج صدري من الآمال إن شاء الله.

في المساء نام سري عند جدته، وذهبت مع ميليا وسلطانة وصبحي وموسى الى حضور رواية شهداء العرب، التي يقوم بتمثيلها النادي العربي، وكان فيها من المواقف ما استوكف الدموع.

السبت في ١٩ نيسان غ ١٩١٩م

أخذت سلطانة وميليا وسريا الى كنيسة القيامة، حيث دبر لنا بيترو خميس وميخائيل اطليل محلاً يطل على القبر من جهة محل الأرمن، فتركتهم هناك وتجولت قليلاً، الازدحام أقل منه في كل سنة، ولكن لأن الأمر موكول الى البوليس والجاندرمة وعددهم قليل، جعل الناس وبينهم النساء والأولاد يتجمعون في نقطة واحدة أمام القبر بحيث لم يتركوا محلاً للمرور..

كانت العادة في هذين اليومين أن تقفل الحانات ويمنع بيع المسكرات، ولكن هذه السنة لم تتعرض الحكومة لذلك، فاغتنم الشبان الفرصة وأقبلوا على الشرب، ولما كان ميعاد دخولهم الى مواقفهم حول كوة القبر دخلوا وقد أخذ السكر منهم. وقد كانت العادة أيضاً أن يفتش كل منهم قبل الدخول فيؤخذ منهم السلاح والعصي، ولكن هذه السنة دخلوا الكنيسة وفي أيديهم العصيّ.

تعب سريّ من الوقوف فأخذته وخرجت به، وبعد أن انتهت حفلة النور، أخذت سلطانة وميليا وسرياً وصعدنا الى البطريركية وجلسنا نستريح فقدموا لنا قهوة. وفي المساء زارنا شكري الفيعاني فقمنا لنحضر حفلة

الحبش، ولكن وجدنا أنها انتهت قبل وصولنا فرجعنا الى البيت، وسهرنا الى الحادية عشرة والنصف، واتفقنا ان ندعو واصف جوهرية وبعض الأصدقاء لليلة غد.

الأحد في ٢٠ نيسان غ سنة ١٩١٩م

أخذت أنا ويعقوب ابن خالتي الكولونيل ووترس تيلر وامرأته الى دار ابينا ابراهيم ليتفرجا على نزول البطريرك في موكبه الاكليركي الى كنيسة القيامة، قالا: إنهما لم يريا أفخم من هذه الحفلة قبل اليوم، ثم أدخلناهما الى الكنيسة حيث جلس الكولونيل على الكرسي المعد للجنرال ستورس، وقدموا لامرأته كرسياً آخر.

كانت البطريركية قد دعت الجنرال ستورس لحضور هذه الحفلة فاعتذر، ولم يكلف أحداً غيره ليمثل الحكومة البريطانية، فقام الكولونيل ووترس تيلر بذلك اتفاقاً، وبعد قليل خرجنا.

بعد الظهر ذهبت سلطانة الى كنيسة المطران الانكليزية، وفي المساء جاء شكري الفيعاني وأخته رمزة والآنسة نجلا معلوف وواصف جوهرية، وأخوه توفيق وموسى العلمي وصبحي وأبو جميل، فسهرنا الى نحو الساعة الحادية عشرة والنصف.

الاثنين في ٢١ نيسان غ سنة ١٩١٩م

كان في النية أن نأخذ الكولونيل ووترس تيلر وامرأته الى حفلة دير الأرمن، ولكن فهمنا أن الأرمن لا يقومون بهذه الحفلة هذه السنة.

زارنا في الصباح يعقوب ابن خالتي وخالي جورج، ثم ذهبت مع يعقوب لمعايدة البطريرك. وبعد ذلك أخذت يعقوب ويوسف قرط وسليمان وداود وابراهيم شماس، وذهبنا لنعايد الأستاذ نخلة زريق باسم جمعية الاخاء الارثوذكسي فلم نجده هناك.

بعد الظهر ذهبت مع سلطانة، فزرنا خالي جورج وأختي فروسو وابنة عمي بربارة ويعقوب ابن خالتي.

زارني بعد الظهر قبل أن أذهب مع سلطانة لزيارتنا المذكورة أبو الفضل فتكلمنا في مواضيع مختلفة، قلت: إن معيشة العرب قبل الإسلام بغزو بعضهم بعضاً جعلتهم أمة حربية، ثم جاء الإسلام فوفق بينهم وجمع كلمتهم ودفعهم الى غزو العالم. ففي الدور الأول حارب بعضهم بعضاً، وفي الدور الثاني حاربوا العالم وهم لا يزالون يعيشون الى الآن على هذه الروح، فإذا لم يجدوا من يحاربون فإنهم يخلقون عدواً خيالياً، فلا يجتمعون في حفلاتهم إلا هزجوا أهازيجهم الحماسية، كأنهم زاحفون للقتال ولا عدو أمامهم يقولون «لا تفكر يا علي»، وليس

هناك علي ولا قتال إلا في الخيال، إن أمة فيها مثل هذه الروح لا تموت.. إما أن يحاربوا بعضهم بعضاً، أو ان يحاربوا العالم أو يخلقوا عدواً خيالياً.

حصرنا شروطنا مع الدولة التي ننتخبها للوكالة علينا في ثلاثة، وهي لا صهيونية، لا تقسيم، لا مهاجرة، واليوم خطر لي أن أزيد شرطاً رابعاً وهو لا امتيازات.

الثلاثاء في ٢٢ نيسان غ سنة ١٩١٩م

ابتدأت اليوم بتعليم الكابتن بولاق، وسيأخذ ثلاثة دروس في الأسبوع من الثامنة والنصف إلى التاسعة والنصف صباحاً يوم الثلاثاء والخميس والسبت دفع لي ستين شلناً عن اثني عشر درساً سلفاً. بعد الدرس دخلت على الكولونيل ووترس تيلر، ثم جاء اسماعيل بك ويعقوب ابن خالتي فتكلمنا عن مصير البلاد، فقلنا: سنؤلف من البلاد العربية سوريا وفلسطين والعراق والحجاز ولايات متحدة تشترك في المسائل العمومية، وتستقل كل واحدة في حكم نفسها بنفسها، لأن شكل الحكومة الذي يوافق الحجاز لا يوافق فلسطين مثلاً. وأهم المسائل العمومية الجندية والتجارة والتعليم والسكك الحديدية، ولذلك لا يوافقنا بوجه من الوجوه أن تتجزأ بلادنا فيتولى كل جزء دولة، لأن ذلك يجعل منّا مع الزمان أمماً مختلفة لا أمة واحدة. ثم تكلمنا عن الشروط التي سنطلبها من اللجنة الدولية، وهي: لا صهيونية، لا تقسيم، لا مهاجرة، وعرضت عليهم الشرط الرابع وهو لا امتيازات..

إن للبلاد العربية مزايا كثيرة تجعل لها أهمية عظمى، أولاً موقعها الجغرافي، فهي بلاد واسعة كثيرة الشطوط [=السواحل] طيبة الاقليم، خصبة التربة كثيرة الخبرات، فضلاً عن أنها بلاد مقدسة عند جميع الأديان.

ثانياً، كثيرة السكان، وإذا توفرت لهم الأسباب أصبحوا أمة راقية لا يستهان بها.. ولذلك لا عجب إذا تزاحمت الدول العظمى في طلب الوكالة عليها.

بعد الظهر صعدت الى العمارة الألمانية في جبل الزيتون وعلّمت اللفتننت لك. وفي الساعة الخامسة ذهبت أنا وراغب بك ويعقوب ابن خالتي الى بيت الكولونيل ووترس تيلر، قال: زارني هذا الصباح الخواجا كيد موفداً من قبل الجنرال اللنبي للوقوف على آراء الناس في البلاد، فأطلعته على كل ما دار بيننا وأعطيته أسماءكم ليجتمع بكم. ثم قال: أنا مسافر يوم الجمعة، وأول عمل سأقوم به تأليف مجلس عمومي من الأهالي، وقد وعدني الجنرال مني أن يجيء إلى الناصرة ليقيم شهراً، وحينئذ يتسع الوقت لأن أبسط له آرائي وآراء الناس، وسأحمله على تأليف مجلس عمومي في فلسطين. ثم ودعنا وخرجنا، كانت الليلة موعد تمثيل الرواية فران البندقية التي ستمثلها لجنة التمثيل الارثوذكسية، ولكن لم أتمكن من الذهاب إليها.

الأربعاء في ٢٣ نيسان غ سنة ١٩١٩م

في الصباح علمت مستر أشبي، وبعد الظهر صعدت الى العمارة الألمانية في جبل الزيتون فعلّمت صفي آخر درس، ثم اتفقت مع الكولونيل كريتن أن أعطيه درساً وحده يوم الثلاثاء والخميس والسبت من الثالثة الى الرابعة من كل أسبوع، واتفقت مع الكابتن سوندرس أن أعطيه درساً وحده يوم الاثنين والاربعاء و الجمعة من الثانية الى الثالثة، ثم جئت الى العمارة الروسية فعلّمت رئيس الجزاء، ثم ذهبت لأعلم الكابتن جوبلنك طبيب الاسنان، فقيل لي: إنه ذهب إلى اللد.

في المساء سهر عندنا أبو جميل وأبو داود وجورج خميس، وجاءت ابنة عمي حنة وأولادها وأم جليل وابنها قسطندي، وركّبنا كاسات هواء لسريّ لأنه يسعل.

الخميس في ٢٤ نيسان غ سنة ١٩١٩م

ذهبت في الصباح فعلّمت الكابتن بولاق. زارني قبل الظهر راغب بك، فجعلنا نتجاذب البحث في أمور بلادنا. أكبر خطر على الأمة العربية:

(١) الصهيونية، إذا لم نتحد في مقاومة الصهيونية ذهبت فلسطين من أيدينا وعرضنا غيرها للخطر. وإذا خسرت أمة بلادها فقد خسرت كل شيء. إذا أردنا أن يكون لنا مستقبل مجيد فيجب أن نحتفظ ببلادنا، بكل قطعة منها، وما دام لنا بلاد فمستقبلنا مضمون.

(٢) الخطر الثاني التجزئة، مهما بلغنا من الانحطاط، ومهما اختلفنا في الأخلاق والأذواق والعوائد [=العادات]، فإن تلافي ذلك ميسور إذا اتحدنا، ولكن إذا تجزأت بلادنا وأصبحت كل قطعة من بلادنا في يد دولة، فإننا لا نلبث أن نصبح أمماً مختلفة لا تزيدنا الأيام إلا اختلافاً.

قد يستوحش الفلسطيني من السوريّ أو السوري من الفلسطيني أو كلاهما من الحجازي، أو الحجازي من الجميع، فلا يجوز أن يكون ذلك سبباً لتقاطعنا وانشقاقنا بعضنا عن بعض.

لا نستطيع أن يكون لنا وجود قوميّ إلا إذا بقيت بلادنا لنا من أقصاها إلى أقصاها، وجمعتنا الوحدة العربية. وإذا لم يكن بدّ من الوصاية الأوربية علينا، فليكن ذلك إلى دولة واحدة لا اثنتين أو ثلاث. لو كانت بلادنا صغيرة وعددنا قليلاً لم يعبأ بنا أحد. لا يحترم أحد جانبنا إلا إذا ألفنا وحدة كبيرة. بلادنا واسعة حسنة الموقع كثيرة الشطوط وافرة الخيرات عظيمة الأهمية وعددنا كثير، وفينا قابلية لأن نتعلم ونترقى،

وإذا وحدنا التعليم وبثثنا روحاً عالية في النفوس، كنا أمة عظيمة حرية أن يخطب ودها أو يخشى جانبها . . لا غنى لنا عن أن نستعين بأوربا ونقتبس عنها فما هي الدولة التي يوافقنا أن نختارها . أمامنا ثلاث مدنيات، المدنية الافرنسية وهي مدنية الظرف والكياسة والنحافة، والمدنية الألمانية وهي مدنية القوة والمدنية الانكليزية، وهي مزيج من المدنيتين، فالانكليزي أشبه بالافرنسي في لطفه وكياسته وانتصاره للحق وميله إلى الخير والجمال، وأشبه بالألماني في رجوليته وقوته ونشاطه وإقدامه، ولذلك فإني أرى أن المدنية الانكليزية هي أنسب المدنيات الثلاث لنا . المدنية الافرنسية تميل بنا الى التخنُّث، والمدنية الألمانية تميل بنا الى القسوة والخشونة، ولكن المدنية الانكليزية لطف بلا تخنث وقوة بلا خشونة، وخير الأمور الوسط . . .

قال [الرئيس الأميركي] ولسن: إن البلاد التي لا تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها توكل بها دولة من دول أوربا أو الولايات المتحدة، ولكن بشرطين: الأول أن تطلق الحرية للأهالي في اختيار الدولة التي يريدونها، والثاني أن تكون الدولة الموكلة بهم مسأولة أمام جمعية الأمم، وأي دولة من الدول تدخل تحت هذين الشرطين. لانكلترا وفرنسا مصالح ومطامع في بلادنا، وكلٌ منهما تخشى أن لا يقع الاختيار عليها، ومصلحتنا تقتضي اختيار دولة لا دولتين، فإذا اخترنا انكلترا غضبت فرنسا، وإذا اخترنا فرنسا غضبت انكلترا، ولا شك أن كلتيهما تفضلان أن تأخذا البلاد أخذاً، لا أن تختارا اختياراً، وسواء أخذت احدى هذه الدول بلادنا أخذاً أو اختيرت اختياراً، فإنها تفضل أن تكون حرة في أعمالها، لا ان تكون مسأولة أمام جمعية الأمم، ولذلك أكاد أرجح أننا سنترك لأنفسنا، أو نضطر الى اختيار أميركا، أو أن يلغى أحد هذين الشرطين أو كلاهما معاً، والله أعلم . . .

بعد الظهر صعدت الى جبل الزيتون الى العمارة الألمانية لأعلّم اللفتننت لك، فخضنا في أحاديث مختلفة ولم نأخذ درساً . ثم جئت الى بيت الكولونيل ووترس تيلر فوجدت عنده بعض الضباط جاؤوا لوداعه، قال لي: إنه كلف بالأمس بالذهاب الى حيفا لا الى الناصرة، وقد رأيت على وجهه علائم الأسف على ترك القدس. سألته عن ميعاد سفره، قال: سأسافر غداً صباحاً قبل الساعة الخامسة، ولكنني ذاهب الآن لمواجهة الجنرال مني، وقد نفد ميعاد السفر، أو أن أكلف بشيء آخر؟ وسأرسل لك خبراً في المساء، فودعته آسفاً . . ثم ذهبت فعلّمت رئيس الجزاء .

الجمعة في ٢٥ نيسان غ سنة ١٩١٩م

أصبح سري اليوم محموماً فلزم الفراش، ولعل ذلك من تأثير الأسبوعين الماضيين عليه، فقبل خمسة عشر

يوماً ذهب ليتفرج على حفلة انزال علم النبي موسى فتعرض للشمس وتعب كثيراً ، وما رجع إلى البيت إلا وقد أخذته الحمى ، ثم أقلعت عنه في اليوم الثاني . وكذلك أخذناه يوم رجوع علم النبي موسى وأكثرنا من أخذه معنا في النهار والليل ، وقد نام مرتين أو ثلاثاً عند جدته ، كل ذلك أتعبه وعرّضه للشمس في النهار ، والبرد في الليل فعاودته الحمى اليوم ، فدعونا له الطبيب توفيق باز الحداد فوجد لوزتيه متضخمتان ، فأعطاه مسهلاً زيت خروع ، ودواء آخر للشرب وكينا سفوفا والله الشافي . ثم أخذت الطبيب الى أمي ، فقد لزمت الفراش أيضاً منذ يومين لألم في خاصرتها ، ولعل ذلك عن لفحة هواء ، لأنها لم تترك حفلة من حفلات الليل أو النهار إلا حضرتها . .

ذهبت في الصباح فعلّمت مستر أشبي ، وبعد الدرس لقيت مسس تيلر راجعة من اللد من وداع زوجها الكريم ، فأظهرت أسف الجميع على سفره من القدس .

جاءني خبر من الكابتن سوندرس أن أؤجل الدرس الى يوم الاثنين . . وبعد الظهر ذهبت فعلّمت رئيس الجزاء ، اتفقت مع راغب بك ، أن نزور مسس تيلر غداً بعد الظهر .

السبت في ٢٦ نيسان غ سنة ١٩١٩م

ذهبت صباحاً فعلّمت الكابتن بولاق ، وقبل أن أصعد إلى جبل الزيتون ، أخذت حماماً ثانياً . علّمت اللفتننت لك ، وأعطيت الكولونيل كريتن الدرس الأول ، ثم نزلت في الأوتوموبيل الكبير إلى المستشفى الايطالي ، ومن هناك مشيت إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر على أمل أن يوافيني إلى هناك راغب بك ويعقوب فراج ، حسب اتفاقنا أمس ، فلم أجدهما فرجعت إلى البيت ، وقد ثارت عاصفة شديدة كادت تقتلع البيوت وتطيّر الناس والحيوانات ، لا أذكر أني شهدت مثلها قبل اليوم ، فلم أصل البيت إلا وقد تراكم عليّ الغبار كأني كنت مدفوناً بالرمال . أخذني منذ يومين اسهال خفيف ، وقبل أن أخرج أخذت حماماً ثالثاً . ذهبت إلى العمارة الروسية لأعلّم رئيس الجزاء ، ولكن بسبب فوات الوقت أجلنا الدرس . زارتنا مسس تيلر لتودعنا ، أهدت سرّياً طابة رِجْل [=كرة قدم] ، وسلطانة زجاجة نبيذ ، وأهدتني زجاجة وسكي وعلبة سيكار فاخر . وشكرتني إلى سلطانة على ما قدمته للكولونيل من الخدمة والمساعدة . . لا شك أن سفر الكولونيل من القدس من سوء حظي ، وسأستوحش له كثيراً . بل أعد سفره من سوء حظنا ، فقد كان يظهر من الانعطاف إلينا ما لو ساعد الحظ وبقي في القدس ، لكنا توفقنا به إلى خدمة البلاد أحسن خدمة . سيكون له بيننا أجمل ذكر . تحدثني نفسي أن أعتزل السياسة وألزم بيتي . لست أظن أن الزمان يجود علينا بمثله .

الأحد في ٢٧ نيسان غ سنة ١٩١٩م

زارني قبل الظهر راغب بك النشاشيبي والخواجا أترليفين، وكنا قد اتفقنا أن نتناول الشاي اليوم في بيت راغب بك أنا وكثير من الأصدقاء، إلا أنه وردتني في هذا الصباح رسالة من الجنرال ستورس يدعوني فيها أنا وسلطانة وأختي ميليا لتناول الشاي، فاعتذرت إلى راغب بك ووعدت أن أوافيهم عند المساء. لا يزال سريّ محموماً، وقد ظهر لنا أن سبب الحمى التهاب الغُدة النكفية[١٤]، وهذا المرض متفش في القدس في هذه الأيام. وكأنه أصابه شيء من الصداع فجعل يقول: إن «عقلي يوجعني»، لأنه لاحظ مراراً أننا نشير إلى الصدغ حين نذكر العقل، فحسب أن الصدغ يسمى عقلاً، ولكنه أحس أن للعقل معنى آخر، فما كان يقول عقلي يوجعني إلا أردف بقوله، عقلي يقول لي أن أشرب أو أنام مثلاً، اشارة إلى المعنى الثاني. زارتنا قبل الظهر مس ليفي وهي يهودية صديقة سلطانة، فأهدت سريّاً قميص نوم. وقد تتابعت الهدايا على سريّ في هذا الاسبوع، ففي يوم الجمعة زارنا طبيب الأسنان الكابتن جوبلنك، فأهداه كتاب صور طلبه من بلاد الانكليز باسم سريّ، ثم أهدته مس تيلر طابة الرجل، واليوم جاءه قميص النوم والله الموفق ... بعد الظهر جاءت حنة ابنة عمي فتركنا سريّاً إلى عهدتها ثم ذهبنا أنا وسلطانة وميليا إلى بيت الجنرال ستورس، وقد كان المدعوون كثيرين، جرجي الحمصي وابنته ومتري سلامة وامرأته، ولطفي أبو صوان وامرأته، ومدير البنك العثماني وامرأته، ولازرس الأرمني، وكان هناك الماجور ريتشموند وشخص آخر انكليزي، فكان الجنرال ستورس وامرأته وأمه وأخته يتجولون بين المدعوين من الواحد إلى الآخر، وقف إليّ الجنرال ستورس، وقال: يشيعون هنا أن اللجنة الدولية لا تجيء، فقلت: أبطأت، فحسب الناس أن الدول الأوربية والولايات المتحدة اتفقوا، فلم يبق من حاجة إلى مجيء اللجنة، فقال: ولكنها ستجيء وأظن أن الفرنساويين هم الذين يشيعون بين الناس أنها لا تجيء ولعل مصلحة الفرنساويين تقتضي عدم مجيء تلك اللجنة. فقلت: إذا لم تجئ اللجنة فاختار الأهالي انكلترا أو أميركا تسنى للفرنساويين أن يقولوا: لقد اغتصبتم البلاد اغتصاباً. ثم قال: جعلنا ميزانية البلدية هذه السنة ثلاثين ألف ليرة، خصصنا خمسة عشر الفاً منها للإدارة الصحية، وفي نيتي أن أعين ستة أعضاء جدداً، اثنين من المسلمين واثنين من المسيحيين واثنين من اليهود، فقلت: هل يكون ذلك بالتعيين أو بالانتخاب، فقال: بالتعيين لأن الأحوال الحاضرة لا تساعد على اعتماد طريقة الانتخاب، ثم قال: وقد عزمت أن أعينك أنت من المسيحيين، فقلت: أنا؟ أنا لا أصلح لمثل هذه الوظيفة، فقال:

---

(١٤) النكفي مرض معد يصيب الأشخاص من سن ٥ - ٢٠ سنة، لكن معظم الحالات تحدث لدى الأطفال، ويكثر حدوث المرض في الشتاء والربيع، ومسبب المرض فيروس النكاف وهو أحد الفيروسات المخاطية، ويعطي المرض مناعة طول الحياة غالباً، وتتراوح مدة حضانته من ١٢ - ٣٠ يوماً.

بالعكس، أحب أن أعينك لتحملهم على العمل بنشاط، فقلت: يا حبذا لو أصلح لذلك، ولكن إذا لم يكن بدٌ أن يكون في عداد الأعضاء إثنان من المسيحيين، دبرنا لكم اثنين ممن يصلحون لمثل ذلك... ثم جلست إلى أخته فجعلنا نتحدث في أمور مختلفة، فسألتني هل عندكم شعراء؟ فقلت لها: إن الشعراء كثيرون ولكنهم لا يقابلون بشعرائنا القدماء، فقالت: هل نظمت الشعر، فقلت لها: أولعت به منذ الصغر، ولكنني أهملته من زمان طويل، فقالت: في أي المواضيع نظمت، فقلت لها: الغزل والرثاء، ثم تطرقنا في الحديث إلى ذكر المدارس، فقلت لها: كانت المدارس في أيدي رجال الدين فاستعملوها في خدمة مصلحتهم، ولم يكونوا أمناء للعلم، ثم صارت إلى أيدي الحكومات، ولا يمكن أن تترقى المدارس وتخلص من سوء الاستعمال، إلا إذا تحررت من يد رجال الدين ويد الحكومات، فالمدارس الخصوصية هي أرقى المدارس، قالت: هل المدارس عندكم اجبارية أو اختيارية، فقلت: اختيارية وأنا أكره المدارس الاجبارية، فقالت: ولكن هناك كثيرون لا يرسلون أولادهم إلى المدرسة، بل يؤثرون الاستفادة من عملهم، فقلت: يجب أن نشوقهم إلى ارسال أولادهم إلى المدرسة، لا نجبرهم اجباراً، وإذا كانوا فقراء فنؤلف جمعيات لمساعدتهم إلى أن يستوفي أولادهم قسطهم من التعلم. ثم رأيت هذه المواضيع أعلى من أن تدركها فتاة في سنها، فغيرت الحديث، ثم استأذنا فخرجنا وخرج الجميع. فذهبت أنا وسلطانة وأختي إلى بيت الكولونيل ووترس تيلر نودع مسس تيلر. ثم نزلت سلطانة وميليا إلى البيت، وذهبت أنا إلى بيت راغب بك النشاشيبي، فوجدت هناك يعقوب ابن خالتي ومتري أخاه وبشارة حبيب، والخواجات راحيل ويوسف البينا وعلي جار الله، وأما بقية الضيوف فكانوا قد ذهبوا بعد تناول الشاي.. ليس بين كبار المسلمين من يخالط المسيحيين أكثر من راغب بك، ولا يستطيع أحد أن يجاري راغب بك في ولائمه وحفلاته.

الاثنين في ٢٨ نيسان غ سنة ١٩١٩م

ذهبت صباحاً فعلمت مستر أشبي، وبعد الدرس ذهبت معه، فتسلقنا السور من عند باب الساهرة[١٥]، ومشينا عليه إلى نحو باب الأسباط[١٦]، وأراني التصليحات التي قام بها في السور، وفي نية الحكومة أن تتولى إصلاح بقية السور، بحيث يستطيع الواحد أن يمشي على السور كله، وأن تنشىء حدائق حول السور من الداخل والخارج.. جاء اليوم الطبيب توفيق باز الحداد وجزم بأن سريّا مصاب بتضخم اللوزتين، لا بالتهاب النكفة كما توهمنا. بعد الظهر صعدت إلى العمارة الألمانية في جبل الزيتون وعلمت الكابتن سوندرس لأول مرة،

(١٥) باب الساهرة: أحد أبواب القدس القديمة ويقع في الجانب الشمالي لسور القدس.

(١٦) باب الأسباط: أحد أبواب القدس، ويقع في أول الحائط الشرقي لسور القدس، ويسمى باب الأسود.

ثم جئت إلى البلد ، فذهبت وعلمت طبيب الأسنان الكابتن جوبلنك ثم عرجت على بيت الكولونيل ووترس تيلر فقيل لي : إن مسس تيلر سافرت . في المساء عرجت على بيت يعقوب ابن خالتي قليلاً ثم جئت إلى البيت .

الثلاثاء في ٢٩ نيسان غ سنة ١٩١٩م

ذهبت صباحاً لأعلّم الكابتن بولاق ، فقال : أرسلت إليك خبراً أني لم أعد استطيع أن آخذ درساً في الصباح ، فاتفقنا أن نجعل الدرس الساعة الرابعة والنصف من يوم الثلاثاء والخميس والسبت ، ثم جئت إلى البيت ، وبعد قليل زارني راغب بك ، فأطلعته على ما دار بيني وبين الجنرال ستورس يوم الأحد ، قال : إن زيادة أعضاء المجلس البلدي بالتعيين لا بالانتخاب فكرة المفتي وجماعته ، لأنهم يخافون إذا جرى الانتخاب أن تخرج رئاسة المجلس من أيديهم . ثم تكلمنا عن سياسة الجنرال ستورس ، فقلت : لا يزال على سياسته الفردية ، فكان يجب أن يجعل زيادة أعضاء المجلس البلدي أو تجديدهم بالانتخاب ، فانتزع هذا الحق من الأهالي وخص به نفسه لاصطناع زيد وعمرو ، ولذلك يجب أن نمتنع عن قبول عضوية المجلس إلى أن يتحول عن سياسته الفردية . ومجاراته في سياسته الفردية يضعنا [= يقلل قدرنا] في نظره . حتى ولو قبل أن يكون تجديد أعضاء المجلس بالانتخاب ، فلا يجب أن يقنعنا ذلك . البلاد تحتاج إلى مجلس عمومي يتولى ادارة البلاد ، فإذا لم يكن لنا هذا المجلس أضعنا حقوقنا وأضعنا كرامتنا . فسياستنا يجب أن تكون مبنية على هذين المبدأين ، حفظ كرامتنا وحفظ حقوقنا . وعضوية المجلس البلدي ليست كل شيء ، لنتلقاها بالقبول والرضى . يظن الجنرال ستورس أنه إذا عين هذا في وظيفة ، ودعا ذاك إلى الغداء أو الشاي ، وابتسم لهذا وزار ذاك ، أنه عمل كل شيء . ولسوء الحظ يجد كثيرين يستفيدون من هذه السياسة الفردية ، إن في خطته هذه احتقارا لنا وضياعاً لحقوقنا . فماذا يجب أن نعمل؟ أكبر عثرة في طريقنا هم أولئك الذين يجارونه في سياسته . ولكن هذه السياسة عقيمة ، فلا بد أن تسقط من تلقاء ذاتها ، والأمور مرهونة بأوقاتها . . بعد الظهر صعدت إلى جبل الزيتون إلى العمارة الألمانية ، فعلّمت اللفتننت لك ، ثم الكولونيل كريتون ثم جئت إلى البيت . . وفي الساعة الخامسة والنصف عرجت على رئيس الجزاء ، أسأله عن نتيجة امتحانه الذي كان موعده في هذا الصباح ، فوجدته مطمئناً إلى أجوبته ، ثم أخذنا فرصة لمدة اسبوع . وبعد ذلك صعدت إلى بيت الخواجا يوسف البينا بجانب مدرسة راتزبون ، حيث سبقني يعقوب ابن خالتي وأخوه مرّي وراغب بك النشاشيبي والخواجات راحيل وبطرس حلاق وبشارة حبيب ، ثم جاء كامل صوايا وعلي جار الله وقسطاكي سابا ، فجلسنا حول مائدة الشراب إلى نحو الساعة العاشرة مساءً ، حين ودعت أنا ويعقوب وعلي جاد الله وكامل صوايا وأما البقية فتركناهم يلعبون . بلغنا اليوم أن الكولونيل ووترس تيلر رُقي إلى جنرال ، ولكن الخبر يحتاج إلى اثبات .

الأربعاء في ٣٠ نيسان غ سنة ١٩١٩م

اقلعت الحمى عن سريّ منذ يومين، وزال الورم تحت أذنه. ذهبت في الصباح فعلّمت مستر أشبي. ثم جئت إلى البيت فزارني الخواجا يوسف ميوماس، وقال: إنهم سينشئون مدرسة ليلية، وكلفني أن أتولى تدريس اللغة العربية فيها فأمهلته في الجواب إلى أسبوع. مرّ علي وقت طويل وأنا فارغ الجيب لا أملك شيئاً، نعيش على حواضر [= المتوفر في] البيت. زارني قبل الظهر الكابتن سوندرس أحد تلاميذي في العمارة الألمانية في جبل الزيتون، وقال: لا يستطيع أن يأخذ درساً اليوم، وبما أنهم سيبدأون من الغد أول أيار يشتغلون من الثانية إلى الرابعة بعد الظهر، كلفني أن أصعد إليهم غداً حسب العادة لنتفق على وقت آخر. في الساعة الرابعة ذهبت إلى دار الحكومة عند باب العمود، وعلّمت تلميذي الكابتن بولاق، واتفقت معه أن يكون درسنا بعد اليوم من الساعة السادسة إلى السابعة بعد الظهر. ثم عرجت على مكتب صديقي الماجور ريتشموند، وكنا اتفقنا قبل اليوم أن ألقي محاضرة في الحرم الشريف، أضمنها خلاصة أبحاثه في قبة الصخرة، ولكن رأى اليوم أن يؤجل هذه المحاضرة إلى أن ينتهي من وضع كتابه في ذلك ... أخذت اليوم ربع ليرة من أبي داود فاشتريت بها بعض حاجات البيت. زارني اليوم قبل الظهر أستاذي السيد نخلة زريق مع جرجي متى، فقرأت عليهما بعض يومياتي فارتاحا إليها. كنت أحس اليوم بفتور في جسمي ونفسي، اقترحت على حلمي الحسيني أن نؤلف صفاً ليلياً لإلقاء محاضرات في مواضيع مختلفة، منها علم الاجتماع ترقية لفكر الشبيبة في القدس في دورنا الجديد هذا. بلغنا اليوم أن الأمير فيصل وصل إلى دمشق. فهل أذهب إلى دمشق أو أكتب إلى بعض أصدقائي هناك، ليسعوا في تدبير عمل لي أو أبقى في القدس أو أذهب إلى مصر، لا يزال هذا الأمر يقلق فكري. إذا أمنت على معيشتي اتسع أمامي مجال العمل وكنت من العاملين في انهاض البلاد وتنوير البصائر وقيادة الرأي العام.

غالى بنفسي عرفاني بقيمتها ... فصنتها عن رخيص القدر مبتذلِ

الخميس في أول أيار غ سنة ١٩١٩م

ذهبت في الصباح إلى المستشفى الألماني، واتفقت مع الكابتن جوبلنك أن نجعل الدرس من الساعة الثانية والنصف إلى الثالثة والنصف بعد الظهر، من يوم الاثنين والأربعاء والجمعة، لأتفرغ بعد الساعة الرابعة لبقية دروسي. زارني قبل الظهر أستاذي السيد نخلة زريق، فاتفقنا أن نجتمع بعد الظهر في بيت راغب بك لتناول الشاي. وقبل أن أخرج استحممت مرة ثانية، ثم جئت إلى المستشفى الايطالي أنتظر الأوتوموبيل، لأصعد إلى

جبل الزيتون إلى العمارة الألمانية لأتفق مع تلاميذي هناك على وقت آخر، فلم يجئ فاضطررت أن أرجع إلى البيت فنمت، وبعد النوم زارني أبو الفضل فجعلنا نتكلم في أمور كثيرة. مدارسنا لا ترتقي [إلى] حاجة البلاد، إلا إذا تطوّع للتعليم فيها الطبقة الراقية من الأمة من أصحاب النفوس الكبيرة والهمم العالية، والوطنية الصادقة والأخلاق الفاضلة، وإلا فإذا احتقرنا مهنة التعليم وتركناها للصعاليك الجياع العراة المتملقين المداهنين، فأحر بنا أن نكون كمن يتجرّع السمّ بيده. نحتاج إلى مدارس ترفع النفوس لا تضعها، ترقي الأخلاق لا تفسدها، تربي الناشئة على المبادئ العالية لا المبادئ الواطئة، وذلك لا يستطيعه إلا كبار الناس لا صغارهم.. ثم استحممت مرة ثالثة ومررت على يعقوب ابن خالتي وذهبنا إلى بيت راغب بك، وكان هناك الخواجا أيوب كسميد والمفتي وعبد السلام باشا واسماعيل بك الحسيني وسعيد أفندي الحسيني، ومحمود الراغب الحسيني وجودت النشاشيبي وعلي جار الله، وعارف باشا الدجاني والأستاذ نخلة زريق وشريف النشاشيبي، وفخري النشاشيبي، فتعرفنا بالخواجا كسميد، وهو مسافر غداً إلى مصر لبضعة أيام، وسأترك كلمتي فيه إلى أن أدرسه في الاجتماعات التالية.

الجمعة في ٢ أيار غ سنة ١٩١٩م

ذهبت في الصباح فعلمت مستر أشبي، ثم عرجت على مكتب صبحي عويضة، فأستدنت منه ليرة مصرية، علاوة على ما استدنت منه قبل اليوم، فجئت إلى صيدلية جرجي مشحور، فدفعت له أربعين غرشاً ثمن الدواء، ثم جئت إلى البيت فوجدت أختي ميليا هناك فتناقرتا [تجادلتا، هي وسلطانة] على شيء تافه، أما ميليا فخرجت تبكي، وأما سلطانة فصعد الدم إلى وجهها، ولم تلبث أن جعلت تبكي، وأما أنا فوددت لو تنشق الأرض وتبتلعني ... أويت إلى الفراش فنمت متخلصاً من اليقظة ثم استحممت مرة ثانية، وخرجت إلى دار الحكومة أنتظر الأوتوموبيل لأصعد إلى العمارة الألمانية في جبل الزيتون، فلم يجئ فخاطبت الكابتن سوندرس بالتلفون، فقال [إنه سوف] يزورني غداً في البيت لنتفق على الوقت، وعلى واسطة أذهب بها إلى جبل الزيتون وأرجع، فذهبت أزور أمي أنا وصبحي فعبأت لي أركيلة فدخنت، ثم قمنا وخرجنا وخرجت ميليا معنا فعرجنا على الخياط كوهين، وأخذت منه بدلتي ودفعت له بقية الحساب ليرة ونصفاً استدنتهما من ميليا، وكنت قد دفعت له سلفاً ليرة، فتكون الأجرة ليرتين ونصف. وفي الساعة السادسة ذهبت فعلّمت الكابتن بولاق، وبعد الدرس عرجت على بيت ابن خالتي، فشربت قليلاً من العرق، ثم جئت إلى البيت فوجدت سلطانة قد رجعت هي وسريّ وناما، فتعشيت وحدي وعبأت أركيلتي، وجلست أدخن وأفكر.

السبت في ٣ أيار غ سنة ١٩١٩م

مع تشبثي بالحياة واغتباطي بها ، ونزوعي إلى أبعد المطالب وتوفّر قواي الحيوية ، مما لا يكاد يجاريني فيه أحد ، مع كل ذلك لا يسعني إلا أن أقول أنه قد تمر بي أيام يستولي عليّ فيها اليأس . معيشتي لا تزال مختلّة وحياتي لا تزال قلقة ، بثت مبدأي وروحي في كل بيت إلا في بيتي . لم أستطع إلى اليوم أن أجعل من سلطانة شريكة لي في أسلوبي وأفكاري ومنازعي . كنت أقدّر إذا رزقنا ولداً ، أن أتمكن أنا وسلطانة من تربيته وتعليمه على أصح أسلوب وأقوم مبدأ ، بحيث نجعل منه مثالاً راقياً ، وكان أكبر اعتمادي في ذلك على سلطانة ، لما كنت أتوسمه فيها من الذكاء وعلو الهمة ، ولكن إلى اليوم لم تتوفق في ذلك فمن نوكّل به . إذا لم نتول ذلك نحن بأنفسنا ، فهل نعهد بذلك إلى غيرنا ؟ بعد الظهر نمت ثم استحممت وبعد ذلك نزلت إلى دار الجمعية الاسلامية المسيحية ، وكان هناك من أعضائها المسلمين عارف باشا الدجاني ومحمد يوسف العلمي والشيخ طاهر أبو السعود وآخران من القرى ، ومن أعضائها الارثوذكس يعقوب فراج والياس مشبك وابراهيم شماس ، ومن اعضائها اللاتين شكري الكارمي وبطرس الحلاق ولطفي أو صوان . أحد عشر عضوا من أربعين ، وقيل لي إنه لا يحضر الاجتماع أكثر من هذا العدد ، فقلت : إذا كنتم ممثلي الأمة فيجب أن تحرصوا أن تكون جمعيتكم مملوءة حياة ونشاط ، وإلا فافسحوا المحل لغيركم . يجتمعون مرة في كل أسبوع يفتتحون جلساتهم ويختمونها بدون قراءة وقائع أو تقرير أمر ، كأنهم مجتمعون في قهوة . يمر الشهر تلو الشهر ولا يدفع أحد منهم اشتراكه ، بحيث يضيقون ذرعاً كل شهر بأجرة البواب . والخلاصة فإنها جمعية على وشك الاحتضار .

اقترحت عليهم أولاً أن يحتفلوا بعيد الاستقلال الذي يقع في ٩ شعبان الموافق ٩ أيار ، اقترحت ذلك وأنا أعلم أن المسلمين منهم يوافقون عليه ، وأما المسيحيون فقالوا : أي استقلال؟ قلت : تذكرون أن الأمة العربية مرّ عليها أجيال وهي تحت حكم غيرها ، وقد بلغ الاستبداد بها أشده في مدة هذه الحرب وهي خانعة ذليلة لا تستطيع حراكاً ، بل لا تحلم أن يقوم لها قائمة ، إلى أن ابتدأت الثورة العربية في التاسع من شعبان في الحجاز ، في ذلك اليوم خطت الأمة العربية أول خطوة في سبيل استقلالها ، فيجب أن نحترم ذلك اليوم ونعتبره عيداً وطنياً ، وإذا لم ننل استقلالنا إلى اليوم ، فعلى أمل أن ناله يوماً من الأيام ، ألا ترون أن اليهود جعلوا يعيدون عيد استقلالهم منذ فاه بلفور بتلك الكلمة ، يعيدون لاستقلالهم الموعود به ، أفلا يجب نحن بالأحرى أن نعيد لاستقلالنا وقد خطونا في سبيله خطوات عديدة . ليس استقلال اليهود أقرب منالاً من استقلالنا ، ثم إن الأمة الاسلامية قررت الاحتفال بهذا اليوم ، فيجب علينا نحن المسيحيين أن

نشترك معهم فيه، لا نظهر مظهر الأجانب عنهم، فوافق الارثوذكسيون على ذلك، وأما اللاتين فقالوا : لا نستطيع أن نعطيكم جواباً إلى أن نفاوض جمعيتنا . ثم اقترحت أن تؤلف هيئة للمعارف من ذوي الكفاية والاقتدار فكلفوني أن أضع تقريراً بذلك ليرفعوه إلى الحكومة . ثم أخبرتهم أن الحكومة تنوي زيادة أعضاء المجلس البلدي بالتعيين لا بالانتخاب، فاقترحت عليهم أن يطالبوا الحكومة أن تكون هذه الزيادة بالانتخاب، ثم قلنا إن حاجة البلاد ماسّة إلى تأسيس مجلس عمومي أو مجلس ادارة على الأقل، فقرروا مطالبة الحكومة بذلك أيضاً ، فالتقارير أربعة وهي :

(١) ابلاغ الحكومة أن الأمة ستحتفل في ٩ شعبان بعيد الاستقلال.

(٢) مطالبة الحكومة بتأليف هيئة للمعارف.

(٣) مطالبة الحكومة أن يجدد أعضاء المجلس البلدي أو يزادوا بالانتخاب لا بالتعيين.

(٤) مطالبة الحكومة بتأليف مجلس إدارة.

في نية محمد يوسف العلمي وعارف باشا الداوودي وآخرين أن يذهبوا إلى دمشق على حسابهم الخاص، للتسليم على الأمير فيصل، فاقترحت أن ننتدب وفداً من فلسطين للتسليم عليه باسم الأمة، ولكن قالوا : لا نستطيع أن نجمع من الناس شيئاً من المال في الوقت الحاضر، فليذهب من يذهب على حسابه الخاص. كنت أود لو تساعدني حالتي المالية من الذهاب مع الذاهبين، وقد سمعت أن أستاذي السيد نخلة زريق ربما ذهب معهم.

الأحد في ٤ أيارغ سنة ١٩١٩م

زارني قبل الظهر عارف باشا الداوودي وعبد القادر طهبوب ويعقوب ابن خالتي، فجعلنا نتكلم في الأحوال الحاضرة. خطر لي اليوم أن انشئ مجلة شهرية أنشر فيها ما يعن للخاطر الكليل، وسأدرس هذا الموضوع.

الأثنين في ٥ أيارغ سنة ١٩١٩م

علّمت مستر أشبي، وبعد الظهر علّمت طبيب الأسنان جوبلنك، وفي المساء علّمت الكابتن بولاق. وردتنا رسالة طويلة من أديب.

الثلاثاء في ٦ أيارغ سنة ١٩١٩م

كان اليوم عيد تتويج ملك الأنكليز، وقد اتفق أن اليوم أيضاً عيد القديس جورجيوس، فأقام البطريرك قداساً

في كنيسة القيامة، حضرها الجنرال ستورس مع بعض الضباط، فأخذت سلطانة وسريّاً وذهبنا إلى الكنيسة. وضع الرهبان كرسيا فخماً للجنرال ستورس وكراسي عديدة لسائر المدعوين، وهذه أول مرة وضعت فيها كراس في الكنيسة الأرثوذكسية، ولعل ذلك تأثير الاحتلال الانكليزي. حانت من الجنرال ستورس التفاتة فرآنا، فأوعز إلى حنا اسطفان أن يدعونا للجلوس.. قبل الظهر ذهبت مع يعقوب ابن خالتي والياس مشبك وأفتيم مشبك وحنا ياسمينة فعيّدنا على خالي جورج. وردتنا اليوم رسالة من يعقوب باسم أمي يقول لها: إذا لم تردها النقود من اميركا، فلتأخذ من أبناء خالتي ما تحتاج إليه ريثما تردها النقود.. بعد الظهر عرجت على رئيس الجزاء فاتفقنا أن نبدأ بالدرس يوم السبت القادم.. وقد اعتمد أن يأخذ درسين في الأسبوع بدلاً من أربعة. سألته عن نتيجة الامتحان فقال إنه لم يجتزه، وقد عزم أن يستعد للامتحان الثاني الذي سيكون في شهر حزيران. في المساء ذهبنا إلى بيت شكري ديب، نعيد على ولده جورج، اقترحت عليهم أن نؤلف جمعية للعائلات تعين كل عائلة يوم استقبال، فقرروا أن يكون يوم استقبالهم يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وسنبدأ بهذه الاجتماعات يوم الثلاثاء القادم.

الأربعاء في ٧ أيار غ سنة ١٩١٩م

ذهبت في الصباح فعلمت مستر أشبي. خطر لي اليوم أن أكتب إلى عيسى العيسى في دمشق، أن يسعى في تدبير شغل لي هناك. ذهبت في المساء لأعلّم الكابتن بولاق فوجدته معيى من التعب، فجلست إليه قليلاً ثم رجعت إلى البيت.

الخميس في ٨ أيار غ سنة ١٩١٩م

صرفت هذا النهار بدون شغل، وعلى هذا التقدير فإنه لا يدخلني في الشهر شيء يذكر. أضنّ بنفسي في دورنا الجديد هذا أن أقف وقفة المتفرج، أن أكون من سقط المتاع، لا في العير ولا النفير، أن أرى البلاد تحتاج إلى كل ابنائها فلا أعرض نفسي ولا ينتدبني أحد، كأني من عالم الأموات لا عالم الأحياء، نعم أكبر نفسي أن يعمل العاملون في بناء وجودنا القومي ولا يكون لي فيه يد. الأعمال كثيرة وإذا لم أكن مغترّاً بنفسي، فإني أشعر أني ممن يستطيعون عملاً. لم تكن حياتي في ما مضى إلا استعداداً لمثل هذا اليوم. لقد آن أن أبذل ما أدخره من القوى وأكتسبه من الاختبار، وإلا استولى عليّ الخمول ورجعت إلى الوراء. البلاد تحتاج إلى توحيد التعليم والتربية وبنائهما على أساس وطني، ولما كانت دمشق هي قلب البلاد الحيّ ودماغها المفكر، فيجب أن أسعى

أن أكون في نظارة معارفها ، فإذا توفقت إلى ذلك خدمت بلادي أحسن خدمة ، وضمنت مستقبلي إن شاء الله . . كان اليوم عيد مولد موسى العلمي فذهبت مع سلطانة وسريّ فعيّدنا عليه . كانت الليلة موعد خطبة ابن أخي حنا على إحدى بنات جريس فاشة ، فدعاني لحضور الخطبة ، وهو يعرف وأمه تعرف أني لا أحب أن يكون لي علاقة بهم . في المساء ذهبت مع يعقوب ابن خالتي إلى دار الجمعية الأرثوذكسية ، مدرسة البنات القديمة ، فغص ناديها بالحاضرين فوقفت فيهم خطيباً ، فقلت : مع ما تعرفون وأعرف من النقط الضعيفة في الملة الارثوذكسية ، فإني افتخر أن انتمي إلى هذه الملة لأسباب عديدة . أولاً ، لأنها حرة ، رئاستها الروحية تابعة لها وليست هي تابعة لرئاستها ، ومصلحة الملة أن تبقى رئاستها ضعيفة ، إذا لم تستطع أن تتخلص منها بتاتاً ، وفي أول يوم تنظم رئاستها وتقبض على مخنق الشعب بيد من حديد ، وتتداخل في كل شؤون الطائفة ، فإني أول من يستعفي من هذه الملة ، أو أول من يثير عليها حرباً . وثانياً ، لأن الملة الأرثوذكسية بالنسبة إلى بقية الطوائف المسيحية أقرب إلى الرجولية ، ولعل ذلك لأنها أقدم الطوائف وأكثرها عدداً ، ولأن رئاستها الروحية ضعيفة . وثالثاً ، لأنها ذكية . أرقى الطوائف الملة الأرثودكسية ، استفادت من المدارس الأجنبية اكثر من غيرها ، لان رئاستها لم تتداخل في شأنها ، فمنعتها من الاستفادة من تلك المدارس . وأنصح للملة الأرثوذكسية ان تتحد . لا يجب أن يقوم بإزاء هذه الجمعية جمعية أخرى . يوم قمنا بالنهضة الأرثوذكسية كان كثيرون لسوء الحظ لا يدركون مبدأها السامي ، بل كان كثيرون من زعمائها يجرون فيها على مبادئ واطئة ، وأما اليوم فإني أرجو من زعماء الملة أن يرقوا المبدأ ، وفي الملة استعداد لقبول أرقى المبادئ إن شاء الله .

الجمعة في ٩ أيار غ سنة ١٩١٩م

كان اليوم عيد استقلال العرب . بل عيد حياتها ، لأنه لو لم يقم العرب ويخلعوا النير التركي لنفّذ الترك خطتهم في تشتيت العرب ، وإجلائهم عن بلادهم واستعبادهم إلى الأبد . الاستقلال معناه القيام بالنفس والاعتماد عليها . ليس استقلال الأمم هو الاستقلال المرغوب فيه ، بل استقلال الأفراد هو خير استقلال . إذا كنت مستقلاً بنفسك ، فإذا كانت حكومتك منك أو غريبة عنك فأنت حرّ . وإلا فسواء استقلت بلادك أو لم تستقل فأنت مسلوب الحرية عاجز ضعيف . . احتفل النادي العربي والمنتدى الأدبي بهذا العيد ، وقد جاءتني دعوة منهما ولكنني لم أستطع أن أذهب إلى النادي العربي ، لأن موعد الاحتفال كان الساعة الثالثة بعد الظهر ، فاكتفيت بالذهاب إلى المنتدى الأدبي ، حضر الاحتفال معتمدو الدول والجنرال ستورس وحاشية من الضباط ، وكان المدعوون كثيرين ، افتتح الحفلة فخري النشاشيبي ، ثم تلاه من الخطباء صليبا الجوزي وعزيز الخالدي فأنشد

قصيدة، وكان لابساً الزي العربي، ثم تلاه حربي الأيوبي، وكانت موسيقى المستعمرة الاميركانية تعزف بين الخطاب والآخر. ثم أنشد الغلمان الصغار الذين يدربهم قسطندي الخوري على الترتيل والغناء، قصيدة السموأل على نغم من توقيعه... ثم عزفت الموسيقى النغم الوطني الانكليزي فالمرسيليس، والناس وقوف، وختمت الحفلة بالنشيد الوطني الذي وضعته في جبل الدروز، يوم التحقنا بالجيش العربي «أيها المولى العظيم».. الاستقلال الاستقلال، يجب على كل انسان وعلى كل أمة أن يكون له أو لها وجود شخصي. أحب أمة الانكليز، وأعجب بأخلاقها ومبادئها وقوتها وعظمتها، أعجب بشكسبير ودارون وهربرت سبنسر وغيرهم من نوابغ الانكليز ولكنني لست انكليزياً.

أحب فرنسا تلك الأمة العظيمة الذكية النجيبة، ولكنني لست فرنسوياً، أحب إيطاليا أمة الفنون الجميلة والظرف والكياسة، ولكنني لست ايطالياً، أحب أميركا تلك الأمة الحرة النشيطة النبيلة، ولكنني لست أميركياً. أحب أوربا وأميركا ولكن، لا أحب أن أتجرد عن شرقيتي. قد أقتبس العلم والأدب عن أوربا وأميركا، قد أعيش فيهما، قد أنبذ شيئاً كثيراً من أخلاقي وآدابي وعوائدي وتقاليدي، قد أسأم معيشتي كشرقي، قد أحزن لحالتي وأخجل من عيوبي وأيأس من تحقيق آمالي ورغائبي، بل قد أود لو أتبرأ من شرقيتي، ولكن لا أستطيع إلا أن أكون شرقياً.. لا أحب أن أفني نفسي في غيري، لا أحب الالتحاق بأحد، أحب أن يكون لي شخصية، أحب أن يكون لي وجود ذاتي، أحب إذا سعدت أن أسعد بنفسي، وإذا شقيت أن أشقى بنفسي، أحب أن أحكم نفسي بنفسي والسلام.

ذهبت في الصباح فعلمت مستر أشبي، فدفع لي ستين شلناً عن اثني عشر درساً، تبتدئ من درس اليوم، وفي المساء علمت الكابتن بولاق.

السبت في ١٠ أيارغ سنة ١٩١٩م

منذ بضعة أيام ألقت حكومة غزة القبض على الحاج سعيد الشوا وابنه رشدي، لأنها وجدت عندهما بعض أدوات حديدية وخشبية مما يخص الجيش الانكليزي، فالبستهما الثوب الأزرق، وساقت الأب إلى القدس مشياً على الأقدام مكبلاً بالحديد، وزجت الابن في السجن يعمل مع سائر السجناء بالأشغال الشاقة، ولكن مفتي القدس شفع بالأب فذهب الجنرال ستورس بنفسه إلى السجن، وأطلق سراحه وطيّب خاطره، ووعده أن يفسخ حكم المحكمة عليه. يقول الناس: إن الحاج سعيد الشوا امتص دم العباد ونهب الأراضي في قضاء غزة وقضاء بئر السبع، وألحق ضرراً بكثيرين من الناس، بل يقال: إن كثيرين من الذين شنقوا ونفوا في عهد تركيا كان

له ولولده يد في ذلك، فلما وقعا في يد الحكومة قالوا: ذلك ما جنت أيديهما. ثم لما سمعوا بالإفراج عنهما، قالوا: إن الحكومة الإنكليزية تصطنع المفتي لأغراض لها والله أعلم.

جاء اليوم الجنرال اللنبي إلى القدس، ويقال: إنه سيغادرها اليوم أو غداً إلى الشمال.. لا أنظر في هذه الدنيا نظرة المفكر المتفحص إلا تولاني اليأس والانقباض. لا تقع عيني على أحد إلا تقيأته. لا أرى حسنة إلا رأيت سيئات. ترى فلاناً فتحسبه عزيز النفس كبيرها، ولكنك لا تلبث أن تراه عند حاجته أذل من وتد. ترى فلاناً ناجحاً لا يطرق باباً أو يحاول عملاً إلا كان التوفيق حليفه، فتفتش عن أسباب نجاحه لعلك تجد هناك اجتهاداً أو اقتداراً أو استحقاقاً، فلا تجد إلا الرجاء والالتماس والمداهنة والتمليق.. رئيس الاستئناف رجل فظ الأخلاق بذيء اللسان لا يكف نهاره كله عن إهانة أعضاء محكمته، بالأمس قال لترجمانه: قل لفلان، وهو إن لقيته في الطريق أو اجتمعت به في مجلس، حسبت من ظواهره أنه عزيز النفس حريص على كرامته، قل له: أنت حمار، فلم تأخذه أنفة، فيقابل الإهانة بمثلها أو ينسحب من وظيفته، بل مسح تلك الاهانة بجلده، وصبر على فظاظة رئيسه، وظل يوهم الناس أنه سيد كريم.. ترى فلاناً فتظنه من سادات البلاد يترفع عن مخالطة الناس ولا يخالط إلا كبار القوم، ذلك السيد لا يستنكف في الخفاء أن يقبّل أذيال الحاكم ويلتمس عطاءَه، أو يزعجه كل يوم في تعيين ابنه أو أحد أقاربه في وظيفة يتمكن فيها من السلب والنهب.. النجاح أمنية كل إنسان، ولكن يجب أن يكون مبنياً على الاجتهاد والاقتدار والاستحقاق، فلا ينجح إلاّ المجتهدون. لا أن يكون مما ينال بالرجاء والبكاء. إذا كانت هذه طريق النجاح فما أجمل القناعة ولله درّ القائل:

رأيت القناعة أصل الغنى ... فصرت بأذيالها متمسكْ

فلا ذا يراني على بابه ... ولا ذا يراني به متهمكْ

وصرت غنياً بلا درهمٍ ... أمرّ على الناس شبه الملكْ

ذهبت بعد الظهر لأعلّم رئيس الجزاء فلم أجده. هذه حالة الدروس الخصوصية، فكيف أعتمد عليها، ثم ذهبت إلى دار الجمعية الإسلامية المسيحية لأعرض عليها تقريري عن هيئة المعارف، فلم أجد أحداً، وسأثبت هذا التقرير في غير هذا المحل...

الأحد في ١١ أيار غ سنة ١٩١٩م

دعينا لتناول الشاي في بيت راغب بك النشاشيبي، وكان هناك معتمد دولة فرنسا المسيو دوريه، والخواجات راحيل وسليم الخوري وموريس بكري وقسطاكي سابا ومفتش العدلية مكاريوس، ومدير البنك

العثماني، ومستر فلمنك مكاتب [= مراسل] الجرائد الأميركية صديق مستر بيل، ويعقوب ابن خالتي والدكتور بسكال وكامل صوايا وفخري النشاشيبي وشريف النشاشيبي وفهمي أخو راغب بك وأنا. وقد دعا راغب بك أيضاً مدير البوليس الكابتن متسن والكابتن بولاق والكابتن لو والماجور يورك. ولكنهم لم يحضروا فأرسلوا يعتذرون، وكانت مائدة الشاي فاخرة جداً.

الفصل الثاني

البحث عن دور مختلف

الاثنين في ١٢ أيار غ سنة ١٩١٩م

ذهبت في الصباح فعلمت مستر أشبي. زارني قبل الظهر أستاذي السيد نخلة زريق، فخضنا في مواضيع مختلفة استغرقت وقتاً طويلاً، لا بأس من الإشارة إلى بعضها هنا :

(١) إن جمعيات التبشير الإنكليزية على اختلاف أنواعها ونزعاتها ستشترك معاً في تأسيس كلية إنكليزية في القدس، يكون المطران الإنكليزي رئيسها الشرفي، وستكون أرقى كلية في البلاد، وستعنى باللغة العربية أشدّ عناية. ومع ما أعتقده من اقتدار الأمة الانكليزية على القيام بمثل هذه المشاريع، وما أقدره من فوائد هذه الكلية للبلاد، فإني لا أزال أشك في أنها تأتي بالفائدة المطلوبة لأسباب عديدة، أهمها أن القائمين بها سيكونون من رجال التبشير.

(٢) اشترك معي في النظر في أمر مستقبلي، فقلت له: إذا تألفت الوحدة العربية، فلا بد أن يكون هناك نظارة أو وزارة للمعارف، وحينئذ فلا بد من أن يكون لي مركز فيها، سواء كان مركز تلك النظارة في فلسطين أو في سوريا. ثم إذا تقرر أن تكون انكلترا هي الوصيّة على هذه البلاد، فلا بد أن الانكليز يؤسسون مدرسة شرقية في لندن، يعلّمون فيها اللغة العربية، يتخرج فيها المرشحون للوظائف العسكرية والملكية في بلادنا، فإذا كان ذلك فإني أرجو أن أكون أستاذ اللغة العربية في تلك المدرسة، فأنتقل بعائلتي الى بلاد الانكليز، وإذا لم يكن في ذلك إلا أني أعيش مع سلطانة وسريّ في وسط راقٍ لكفى، وإذا لم يكن لا هذا ولا ذاك فلا بد من السفر إلى أميركا.

(٣) حللنا حالة بعض الأسر الإسلامية في القدس تحليلاً بسيكولوجيا. وجدنا أن بعض الأسر عاشت قبل اليوم على الوظائف، فكان لها نفوذ كبير في البلاد، لأن أهم الوظائف كانت في يدها، وليس ذلك فقط، بل عاشت بظل أوقاف الأنبياء والمرسلين ولم يكن لها مورد تعيش منه إلا الوظائف والأوقاف، فكانت النتيجة أنها اعتادت النفوذ والسلطة من جهة، وانحطت أخلاقها من جهة أخرى، فلما أدركت هذا الدور [= المرحلة] الجديد خشيت على نفوذها أن يشركها فيه غيرها، فحاولت أن تحصره في نفسها ولا تستنكف في سبيل ذلك من استعمال أية واسطة كانت، فهي تحاول جهدها أن تكون هي المقربة من الحكومة صيانة لنفوذها واحتياطاً للمعيشة، لأنها ليس لها مورد آخر تعيش منه، وليست تستطيع عملاً آخر تعتمد عليه. فنفر الرأي العام منها لأنها تؤثر مصلحتها الخاصة على كل مصلحة، على حين ترى أن بعض الأسر الأخرى تزاحمها في النفوذ، ولكن بخدمة المصلحة العامة

والتقرب من الأمّة لا من الحكومة، وشتان بينهما والله أعلم بما بدا وما اختفى.

(٤) كثيرون من الناس تقربوا من الحكومة التركية قبل اليوم، بخدمة أغراضها وتأييد مبادئها ومشايعتها في كل ما تقول أو تعمل، بل منهم من كان يتجسس لها، على حين كنا وكان كثيرون معنا نحاول التأثير على الرأي العام وتنبيهه الى الصواب، فكنت أعقد الاجتماعات الليلية في بيتي، فكان يحضرها عشرات من المسلمين، وقد عرضت نفسي بذلك لغضب الحكومة التركية، وقد ساعدت الأحوال أن نجحنا في عملنا وغيرنا الرأي العام، فبعد أن كان ضد الحلفاء أصبح ينظر إليهم كمخلّصين للعالم، وقد نفيت ونفي كثيرون بسبب ذلك، فلما جاء الإنكليز لم نلبث أن رأينا أولئك الحشرات، مقبلين على مداهنة الحكومة الانكليزية والتقرب منها، فاسترسلت اليهم بالثقة واستخدمتهم في مصالحها، على حين كان يجب أن تستوحش منهم وتهملهم تأديباً لهم، ولولا كرم الأخلاق وشرف المبدأ وعزة النفس، لتوليت اظهار حقائقهم، ولكن لن أفعل، فليطمئنوا.

بعد الظهر ذهبت فعلّمت طبيب الأسنان، فقال لي: إنه ورده أمر بترك الخدمة العسكرية، ولذلك فهو سيباشر عمله كطبيب أسنان بعد أيام قليلة، ثم ذهبت فعلّمت صفي الجديد الذي ألفه مستر مارتن، قسيس الكنيسة الانكليزية داخل باب الخليل، وهو مؤلف منه ومن خمس سيدات، ثم ذهبت فعلّمت الكابتن بولاق.

الثلاثاء في ١٣ أيار غ سنة ١٩١٩م

(١) كانت النهضة الأرثوذكسية قبل اليوم قائمة على ثلاثة مبادئ:

* الرئاسة الروحية أجنبية، فإذا لم تكن وطنية فيجب أن تراعي حقوق الوطنيين.
* الرئاسة الروحية معوجة، فيجب أن تستقيم.
* الرئاسة الروحية مختلّة، فيجب أن تنظم.

وبعبارة أخرى، كانت عبارة عن قيام شعب وطني ضد رئاسة أجنبية، وقيام شعب ضد اكليروسه، بغض النظر عن كونه وطنياً أو أجنبياً، أي: حاولت الملة الأرثوذكسية قبل اليوم أمرين: التخلص من الرئاسة الأجنبية واصلاح الاكليروس، وأما اليوم فإن النهضة أخذت وجهة أخرى، وهي أن الملة الارثوذكسية نفسها تحتاج الى اصلاح كبير، فيجب أن نفتش عن مواطن الضعف فيها فنتداركها بالاصلاح. البلاد تحتاج الى فئة متنورة تمشي في طليعة الأمة كلها، ولما كانت الملة الارثوذكسية حرّة، ليس لرئاستها الروحية أقل سلطة عليها، وبناءً على

ما فيها من الاستعداد والقابلية، فيجب أن تكون هي تلك الفئة المتنورة، يجب أن تكون هي الحزب الوطني الحرّ في البلاد. على هذا المبدأ سأعالج هذه النهضة مرة أخرى والله المستعان.

(٢) في أميركا مدارس ليلية عالية يتخرج فيها من لم تمكنه أحواله من متابعة دروسه في مدارس النهار، وهي أشبه بكلية أو جامعة ليلية، ومثل هذه المدارس لا تنقطع الحاجة إليها. وقد خطر لي من مدة أن نؤسس مدرسة ليلية على مثل تلك المدارس. البلاد تحتاج الى فئة متنورة تتولى قيادة الرأي العام، ولسوء الحظ أدركنا هذا الدور الجديد وليس للرأي العام من يتولى قيادته. قد نتدارك ذلك في المستقبل بأن نرسل النابغين في مدارسنا لمتابعة دروسهم في مدارس أوربا أو أميركا، وهذا يستغرق لا أقل من عشر سنوات، فمن الآن إلى أن نتمكن من تعليم عدد قليل من أبنائنا في المدارس العالية في أوربا أو أميركا، يجب أن تسد حاجة البلاد بتأسيس مدرسة عالية ليلية. في البلاد فريق كبير من الشبان الذين تعلّموا في مدارسنا، ثم جاءت الحرب وشغلت الناس، مثل هؤلاء لا يجوز أن يكتفوا بما حصلوه، وما أحوجهم إلى مدرسة ليلية تغنيهم بعض الغناء، تقسم هذه المدرسة الى قسمين في أول الأمر، قسم أدبي ندرس فيه اللغة العربية بتوسّع وتعمق، واللغتان الانكليزية والافرنسية، وقسم علمي تدرس فيه بعض العلوم حسب حاجة الطالبين، وفي مقدمة تلك الفروع علم الاجتماع، والمقصود من تدريس هذا الفرع ادخال أفكار جديدة في حياة الأمة. مثل هذا العمل يحتاج الى جمعية تقوم به، ولذلك لم أزل من أمد قصير أحث النادي العربي والمنتدى الأدبي على القيام به، فإذا لم ينهضا له جربت أن أقوم به وحدي. المعرفة نوعان: ما تعيه في صدرك، وما تعرف مصادره، فمعرفتي اللغة العربية مما أعيه بصدري، ولكن هناك معلومات كثيرة أعتبرها من معلوماتي، لأني استطيع أن أرجع الى مصادرها حالاً. فعلم الاجتماع مما أستطيع أن أرجع الى مصادره، فإذا لم يكن هناك من يتولى تدريس هذا الفرع توليته بنفسي وعلى الله الاتكال.

(٣) بعد الظهر زارني Mr jackson henning صديق Mr yale وقد جاء الى القدس منذ أشهر كمكاتب لبعض الصحف الأميركية، فخضنا في مواضيع مختلفة، قلت: نخشى في دورنا هذا أن يأخذنا التيار فنجري في حياتنا الجديدة على الأساليب الأوربية في كل شيء. نخشى أن يكون عندنا حكومة منظمة قوية، تقبض على مخنقنا بيد من حديد. يقولون: إن الحكومة الديمقراطية من الشعب وللشعب. مهما كانت الحكومة، فإذا كانت منظمة قوية فإنها لا تلبث أن تخرج من يد الشعب وتتسلط عليه وتتصرف به كما تشاء، وتشاء مطامع القائمين بها وأهواؤهم. أكثر حكومات أوربا أو أميركا كانت قبل هذه الحرب ديمقراطية، ولكن لم يمنع ذلك القائمين بها من التصرف بأممهم كما يشاؤون. هو ذا الحكومة الانكليزية، فإن الناقمين عليها أكثر من الراضين عنها، ومع ذلك فإنهم مغلوبون على أمرهم، لا يستطيعون أن يعملوا شيئاً. إذا لم يكن بدٌّ من حكومة، فيجب

أن تكون ضعيفة لا تتداخل في كل شيء . ما هي وظيفة الحكومة؟ المحافظة على الأمن والعدل وقيادة الأمة في سبل التقدم والترقي . إذا كانت هذه وظيفة الحكومة في العالم ، فمعناه إذا لم يكن حكومة اختل الأمن وضاع العدل وانحطت الأمة . . كأن الأمم الأوربية لولا حكوماتها لكانت أمماً شريرة ظالمة خاملة لا يؤمن شرها ولا يرجى خيرها ، وإذا كانت كذلك الى اليوم مع وجود الحكومات الراقية ، فذلك دليل على أن الحكومات مهما اختلفت أنواعها لا فائدة منها بل ضررها ثابت . لو كان للحكومات فائدة لكانت الأمم الأوربية أسعد الأمم وأقربها الى الكمالات الإنسانية . فإما أن نسلم أن الحكومات لا فائدة منها ، وإما أن نعترف أن أمم أوربا منحطة ، فنقول : إن الأمة الفلانية مثلاً شريرة سيئة الخلق رديئة الطبع شرهة شرسة مخاتلة كذابة ، إلى آخر ما هنالك من الصفات ، فجعلت الحكومة لتمنع شرها ، وأنها لا تعرف النظافة ، فجعلت الحكومة لتهتم بالنظافة ، وأنها فاسدة الذوق لا تعرف الترتيب ، فجعلت الحكومة لتقوم ذوقها وتضع لها رسوماً بالطرق والأبنية ، وأنها لا تعرف أصول الصحة ، فجعلت الحكومة لتعلّمها أصول الصحة ، وتتخذ التدابير اللازمة لتمنع تفشي الأمراض والأوبئة ، وأنها لا تعرف قيمة العلم ، فجعلت الحكومة لتؤسس لها المدارس وتجبرها على ارسال أولادها إليها ، بل جعلت الحكومة لتراقب الأوزان والعيارات وتمنع العربات من الازدحام في الطرق ، والاطباء والصيادلة الدجالين من غش الناس ، والآباء من اهتضام حقوق أولادهم ، والأخ من اغتصاب حق أخيه ، والجار من الاعتداء على جاره والقوي ، من أكل الضعيف ، والغني من الاستبداد بالفقير ، فكل أمة تكون لها حكومة تسجل على نفسها الانحطاط ، وكل حكومة تكون أمتها منحطة كان ذلك دليلاً على أنها لا تستطيع الاصلاح أو أنها لا تريده . . فأمم أوربا وأميركا التي تفاخر الأولين والآخرين بمدنيتها وارتقائها وحريتها واستقلالها وأنفتها وإبائها وتعقلها ورزانتها ، وسلامة ذوقها وبعد نظرها وصحة مبادئها وشرف أخلاقها ، لا تزال في نظر حكوماتها شريرة جاهلة خاملة . ومن هم الحكام؟ في أكثر ممالك أوربا وأميركا الحكام هم رؤساء الأحزاب ، فأقوى الأحزاب وأكثرها عدداً هم الذين يتولون الحكم ويراعون في أحكامهم مصلحة حزبهم ، وتضطر بقية الأحزاب أن ترضخ لحكمهم إلى أن تتقوى ويكثر أتباعها ، وتعرض الفرصة المناسبة فتنتزع الحكم من أيدي الحزب الآخر . وكيف تتألف الأحزاب في كل مملكة أو أمة ، أفراد يتنازعون السيادة فيؤلف كل منهم حزباً يشد أزره ، فأبرعهم في الخطابة وأكثرهم وسائل ، فاز على مزاحميه . رأينا ذلك في روزفلت وتافت وبراين في أميركا ، وفي اسكويث ولويد جورج في انكلترا ، وبوانكاريه وكلمنصو وكايو في فرنسا . . كلّ منهم يخطئ الآخر ويستعين بالأمة على تأييده دون مزاحميه . . وقد انتهى الأمر الآن أن انقسمت البلاد إلى طبقات الخاصة والعامة أو أصحاب الأموال والعمال ، وكل منهم يحقد على الآخر ويضمر له الشر ، وما دام الأمر كذلك فلا راحة ولا سلام ، وما نراه من القلق

والاضطراب في العالم كله ناشئ عن ذلك. وإننا في دورنا الجديد نخشى أن تتسرب إلينا العدوى. نريد حكومة ضعيفة لا تتداخل في كل شيء، ولا تنتمي الى حزب من الأحزاب، نريد حكومة تكون مثل أب للأمة أو خادم لها..

ثم انتقلنا في الحديث إلى الحياة التي نتطلبها، فقلت: إن الحياة التي نريدها يجب أن تكون جميلة سهلة سعيدة مستقلة. نحب أن نعيش من بلادنا لا أن نكون عالة على غيرنا، نحب أن نعيش من أرضنا لا من مصنوعاتنا، فقال: لا تقوى الأمم إلا إذا باعت غيرها من مصنوعاتها، فقلت: نحن نبيع وأنتم تبيعون فمن يشتري. لا نحن نبيع ولا أنتم تبيعون، ليشتغل كل لنفسه وليكف كل حاجته. فقال: ولكن هذا يفضي بكم الى الكسل، فقلت: لا يفضي إلى الكسل ولكن الى سهولة المعيشة. فقال: ولكن قد تكثر حاجاتكم فالثياب التي تلبسها وأدوات البيت التي ترضى بها قد لا يرضى بها ولدك، فقلت: لا نحب أن نبني سعادتنا على كثرة الأشياء، ولكن على حالة نفسية، أي نحب أن تكون سعادتنا من الداخل لا من الخارج.

ثم انتقلنا الى المدارس، فقلت: نحب أن تكون مدارسنا حرة مثل سائر مرافق الأمة، فكما أن كل إنسان حرّ أن ينشئ جريدة أو يؤلف كتاباً أو يفتح دكاناً، كذلك يجب أن يكون حراً أن يفتح مدرسة يعلم فيها ما يشاء على الطريقة التي يريدها، والمدرسة التي تتلقى حاجات البلاد ورغبات الأهالي بفضائها عاشت وإلا ماتت، كما أن كل جريدة يستفيد منها الجمهور أقبل عليها وإلا أعرض عنها، فلا تلبث أن تموت. فقال: المدارس لا تعيش من وارداتها، فيجب أن تشترك الأمة في الانفاق عليها، ويجب أن يكون التعليم اجبارياً ليتعلم الجميع على السواء، ضرائب إجبارية وتعليم إجباريّ ولا يستطيع ذلك إلا حكومة منظمة ديمقراطية، فقلت: كم في المئة عندكم لا يرسلون أولادهم الى المدرسة الا مجبرين، وهنا وقع في حيرة، لأنه إذا قال إنهم كثيرون وضع من قدر أمته ووصفها بالجهل والخمول، وإذا قال: إنهم قليلون فليس من الحكمة أن نضع قانون الإجبار على الجميع لأجل أسرة أو أسرتين في كل بلد. فقال: إن عددهم ليس كثيراً وليس قليلاً، فقلت مهما كان عددهم فلا حاجة الى الإجبار، لأن الإجبار إذا عمم التعليم فإنه يفسد أخلاق الأمة، فإذا كانت أممكم راقية عرفت قيمة العلم فأقبلت عليه من تلقاء ذاتها، وإذا كان هناك فريق صغير لا يعرف قيمة العلم فيجب أن نسوقه إليه ونعرفه قيمته، وإذا كان يعرف قيمة التعليم ولكن هناك أسباباً أخرى تضطره الى ارسال أولاده الى العمل، فيجب أن تزيلوا تلك الأسباب، هذا من جهة، ثم كم في المئة عندكم لا ينشطون العلم بمد يد المساعدة؟ وهنا وقع في الحيرة أيضاً، فقلت: مهما كان عددهم فإن أمة لا تساعد العلم إلا مجبرة لهي أمة منحطة الأخلاق. تقرأ من وقت إلى آخر في الجرائد الأوربية أو الأميركية ان المشتري الفلاني وهب المدرسة الفلانية

مبلغاً طائلاً، بمثل أولئك يعتز العلم وترتقي البلاد، ولعلكم إذا رفعتم قانون الدفع الاجباري يكثر عددهم، ولكن الاجبار يعود الأغنياء منكم أن تكتفي بدفع الضريبة. وعلى كل حال فإن التعليم الاجباري والدفع الاجباري خولا الحكومة أن تقبض على أزمة التعليم، وهنا ضرر آخر، لأن الحكومة تضع البروغرامات التي توافقها وتربي الأمة على المبادئ التي توافق مصلحتها.

كان التعليم في فرنسا في يد رجال الدين، وكانوا يجمعون الأموال على طريق الهبات والإحسانات، فلما رأت الحكومة أن التعليم أصبح آلة في يد الرهبان تستخدمها لأغراضها ومصالحها، انتزعت الحكومة تلك الآلة من يد الرهبان لتستعملها هي في سبيل اغراضها ومصالحها. لا يجوز أن يكون العلم آلة في يد فئة دون أخرى لئلا يساء استعماله.

الرهبان كانوا يريدون الأمة على مبادئ الملكية لأن في ذلك مصلحة لهم، فجعلت الحكومة تربيهم على مبادئ الجمهورية، لأن في ذلك مصلحتها، وعلى الحالين أسيء استعماله. ولذلك نحن نحب أن يكون العلم في بلادنا حراً...

هذه خلاصة ما دار بيني وبينه، وهذه أبحاث جديدة، وقد كتبتها باختصار على أمل أن أعود إليها في فرصة أخرى إن شاء الله.

الأربعاء في ١٤ أيار غ سنة ١٩١٩م

علمت في الصباح مستر أشبي، ولم يكن عليّ شغل آخر اليوم، عرجت على الكابتن لامبرت رئيس الجزاء فطلب إليّ أن أذهب اليه يوم الجمعة بعد الظهر لنستأنف دروسنا، ودفع لي عشرين شلناً بقية حسابه...

يقولون: إنكم لا تستطيعون أن تحكموا أنفسكم بأنفسكم، فيجب أن تختاروا إحدى الدول الأوربية لتعلمكم الحكم الذاتي. لم نسمع ولم نقرأ في التاريخ أن أمة علّمت غيرها الاستقلال، بل لم نسمع ولم نقرأ في التاريخ أن حكومة علّمت أمتها الاستقلال. إذا كانت الحكومات تتحكم بأممها فكيف بغيرهم، قد تطلق الحكومة لأمتها شيئاً من الحرية، ولكنها لا تطلق لها الحرية التامة، قد تعلمها شيئاً من الاستقلال، ولكن لا تعلمها كل الاستقلال.

قد تراعي الحكومة مصلحة الأمة، ولكن لا يمكن إلا أن تراعي مصلحتها قبل كل مصلحة، لم نقرأ في التاريخ أن أمة نالت استقلالها إلا بعد أن جاهدت في سبيله الجهاد العنيف، بل لم نخرج من عهدة نظام قديم الى نظام جديد إلا بعد أن سالت الدماء أنهاراً. إذا كانت الحكومات لا تأمن أممها، فكيف تأمن غيرها؟ إذا لم يكن لكم

من غرض إلا تعليمنا الاستقلال، فلماذا تتزاحمون على أن تكون كل أمة منكم هي المعلمة دون غيرها؟ أليس زحامكم دليلاً على أنكم لا تريدون أن تعلّمونا بل أن تحكمونا؟ إذا أردتم أن تعلّمونا فلماذا لا تكونون مثل مبشريكم بيننا، جاؤوا الى بلادنا وأنشأوا المدارس على حسابهم الخاص، وجعلوا يستدعون الإقبال على مدارسهم بتكييفها على حاجات البلاد ورغبات الأهالي، تركوا الحرية للأهالي يختارون ما يشاؤون، فلماذا لا يكون منكم مبشرون بالاستقلال مثل المبشرين بالدين؟ فنقبل على ما يوافقنا من مدارسكم ونُعرض عما لا يوافقنا منها، فإما أن تعطّل مدارسها وإما أن تكيفها على ما يلائمنا، وكيف تعلموننا الاستقلال؟ هل تعلموننا أن ننشئ جندية منظمة، ونسن قوانين على شاكلة قوانينكم ونؤلف حكومة تتداخل في كل شيء؟ هل تعلموننا أن نؤسس معامل مثل معاملكم وبيوتاً تجارية كبرى مثل البيوت التجارية عندكم؟ هل تعلموننا أن ننشئ مدناً كبرى مثل لندن وباريس ونيويورك؟ هل تعلّمونا أن نقتدي بكم في كل شيء فنجعل من شرقنا غرباً؟ نحن نريد أن نتعلم وقد تعلّمنا عنكم أشياء كثيرة قبل اليوم مما نشكركم عليه، وقد نستطيع أن نتعلّم أكثر ونتابع حركة العلم عندكم يوماً فيوماً. قد نستطيع أن نرسل أولادنا الى مدارسكم، بل قد نرسل وفوداً من وقت إلى آخر إلى بلادكم ليدرسوا مدنيتكم، بل قد ندعو منكم أساتذة ومستشارين ليرشدونا إلى الطريق المستقيم. أما في ذلك ما يغنيكم عن أن تتكلفوا العناء في المعيشة بيننا والوصاية علينا؟!

بعد الظهر علّمت صفي الجديد.

الخميس في ١٥ أيار غ سنة ١٩١٩م

ابتدأت اليوم مع Miss Kerr أعطيها دروساً عربية ثلاث مرات في الأسبوع، وقد أعطيتها بعض دروس قبل الحرب، يوم كانت تشتغل في مستشفى مطران الانكليز كممرضة.. منذ نحو شهر جاء شاب من مأدبا اسمه سلامة حمارنة الى القدس يفتش عن عروس له، فجعل يتنقل من بيت إلى بيت، إلى أن اهتدى إلى بيت ابنة عمي لبيبة، واتفقوا معه أن يعطوه ابنتهم فدوى وهي تشتغل كممرضة في مستشفى طولكرم، فلما جاءت فدوى رفضته لأنها لا تحب أن تتزوج فلاحاً على رأيها، فجاءني الرجل يكلفني أن أراجعهم، فذهبت في المساء الى بيت ابنة عمي فوجدت الأب والأم يحبان أن يزوّجا ابنتهما من ذلك الرجل، وأما الابنة فلا تريده. فرجعت وأنا أعجب من أخلاق الناس..

أشكر الله أني رزقت صبياً لا بنتاً، وأحمد الله ألف مرة أني اكتفيت أنا وسلطانة به، فهذه الحياة لا يشتاق فيها إلى النسل.

الجمعة في ١٦ أيار غ سنة ١٩١٩م

علمت في الصباح مستر أشبي، وبعد الظهر رئيس الجزاء الكابتن لامبرت، وصفي الجديد، والكابتن بولاق.

لم يزل رجال الصهيونيين ينبثون بين المسلمين يفاوضونهم في الاتفاق معهم، وقد بلغني أن من الشروط أن يعلّم الصهيونيون اللغة العربية في مدارسهم، وأن يعاملوا الوطنيين في الأخذ والعطاء كما يعاملون بعضهم بعضاً، وأن يشركوا الوطنيين في حفلاتهم ومراقصهم، فجعلت أعلن للكثيرين أنه لا يجوز للقدس أن تفاوض الصهيونيين وحدها، بل يجب أن تكون المفاوضة مع هيئة تمثل الفلسطينيين. وإذا لم يكن بدّ من الشروط، فيجب أن تكون شروطاً مهمة تحتاط فيها من تعريض البلاد للخطر، هذه واجباتي، وإلا فلست منهم وليسوا مني.

السبت في ١٧ أيار غ سنة ١٩١٩م

ذهبت قبل الظهر فعلمت مس كار، وقد اشترك معها اليوم مستر مارتن، ودفعوا لي ست ليرات عن مس كار، وعن الصف الآخر.

بعد الظهر أخذت تقريري عن هيئة المعارف، وذهبت إلى دار الجمعية الإسلامية المسيحية فلم أجد أحداً، وقيل لي: إن الجمعية ذهبت الى قنصلاتو اسبانيا لأن اليوم عيد ملكها.

التقيت بمحمد يوسف العلمي، فقال لي: إن الجمعية رفعت تقريراً إلى الحكومة تطالبها فيه بتأليف مجلس إدارة.

في المساء كان موعد الحفلة التأبينية للمرحوم الدكتور الياس حلبي، فذهبت مع أبي الفضل، وكان الخطباء القس فرهود فريان ومستر سايكس والقس ابراهيم باز، والدكتور كعان والدكتور كلابيان وافتيم مشبك وعلي الريماوي، واسكندر الخوري، ثم قام أنضوني الحلبي أخو المرحوم وشكر الحاضرين. ما أولع الناس بالخطابة في هذه الأيام ولو كانت مثل هذيان المحموم. قال مستر سايكس من جملة كلامه: إنه كان حين يذكر فلسطين يقول ترى من عاش ومن مات ممن نعرف في فلسطين، ولما رجع وجد كثيرين ممن كان يقدر أنهم ماتوا أنهم لا يزالون أحياء يرزقون، وكثيرين ممن كان يقدر أن يجدهم أحياء وجدهم قد ماتوا. ترى من عنى بقوله إنه كان يقدّر أن يموتوا في أثناء غيابه؟.

من الأحد ١٨ الى الأحد ٢٥ أيار سنة ١٩١٩م

(١) كلفني النادي العربي بإلقاء خطاب مساء يوم الخميس، فخطر لي أن أتكلم عن المتنبي؛ عن خمسة

مظاهر من حياته كشاعر وكتبي وكحكيم وكرجل وكشاعر، ولكن اقتصرت هذه المرة في الكلام عنه كشاعر بعد مقدمة طويلة في الشعر، ويا حبذا لو تساعد الاحوال لأن أوفي الكلام عن المتنبي حقّه.

كلفت النادي العربي أن يعمم الدعوة وأن يدعو الحاكم الجنرال ستورس ومعتمدي الدول الأجنبية، وعلى هذا الأمل ذهبت مساء يوم الخميس الواقع في ٢٢ أيار غ سنة ١٩١٩م وأنا أتوقع أن أرى النادي غاصاً بالناس، فوجدته غاصاً، ولكن ببعض رجال القرى وتلامذة المدارس، ولولا أنه كان هناك بعض من الطبقة الراقية من الأمة مثل أبي الفضل وراغب بك النشاشيبي وعلي أفندي جار الله، وسعيد أفندي الحسيني وموسى كاظم باشا وأبو جميل وآخرين، لارتجلت خطاباً آخر يناسب المقام وأجلت محاضراتي عن المتنبي إلى فرصة أخرى، لأني أضن [= أبخل] بخطاب تعبت عليه وتعرضت فيه لمسائل لم يتعرض لها أحد قبلي، وأودعت فيه من خواطري وآرائي ما تقع تبعته عليّ دون غيري، أضنّ به أن ألقيه في حفلة صغيرة مثل حفلتنا، وقد عجبت لماذا لم يلبّ الناس الدعوة، مع أن النادي أرسل أوراق الدعوة الى الجميع من مسلمين ومسيحيين، أما المسلمون فلم يجئ منهم إلا من كان بيته قريباً من النادي، وأما المسيحيون فلم يحضر منهم غير ثلاثة، انطون جلال ترجمان قنصلاتو أميركا، وحنا اسطفان مستشار الحكومة المحلية وجورج سعيد، ومما لاحظته أن المنتدى الأدبي لم يحضر من أعضائه أحد، مع أني ألححت عليهم بالحضور، وقد كنت أحب أن يحضر أستاذي السيد نخلة لقرب بيته من النادي فأرسلت إليه عدة رسل فلم يحضر، والخلاصة فإني انقبضت لتخلّف الناس عن الحضور، وحدثتني نفسي أن لا أعود الى الخطابة مرة ثانية، وأما محاضراتي عن المتنبي، فسأشتغل بها وأمثلها للطبع.

(٢) يوم الاثنين الواقع في ١٩ أيار غ سنة ١٩١٩م دعتني الجمعية الإسلامية المسيحية لأطلعها على تقريري بخصوص تأليف هيئة للمعارف، وسأثبت ذلك التقرير في يومياتي.

(٣) قرر اليهود انشاء مدرسة ليلية لتعليم اللغة العربية مع اللغتين العبرانية والانكليزية، وكلفتني [المدرسة] لتدريس اللغة العربية من الساعة السابعة الى التاسعة من يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس باثنتي عشرة ليرة في الشهر، وسأبدأ من يوم الاثنين.

(٤) قيل: إن اللجنة الدولية وصلت إلى حيفا، فأخذ الناس يوالون الاجتماعات الخصوصية والعمومية استعداداً لها. فاتفقت البلاد كلها في فلسطين على المواد الثلاث التي كنا قد قررناها قبل اليوم في الجلسة التي عقدناها في بيت اسماعيل بك في ١٢ نيسان غ سنة ١٩١٩م، فلتراجع.

مرّ على الانكليز في هذه البلاد نحو سنة ونصف، فبدلاً من أن يستميلوا الرأي العام إليهم نفّروه، فأصبح معاكساً لهم ولست أرى لذلك سبباً، هل هو سوء إدارة رجال الانكليز، أم عادت إلى الأمة عواطفها القديمة،

أم هناك اصابع أجنبية تعمل على معاكسة الانكليز، سأتكلم عن هذا الموضوع في فرصة أخرى.

(٥) ذهب أبو جميل في الأسبوع الماضي إلى دير غسانة للتحري عن أبقار سرقت من دير غسانة تتجول في بعض القرى، فارتابت فيه الحكومة، فأرسلت قوة تحت رئاسة اميل تماري ففتشت بيته، ثم أوعزت إليه الحكومة أن يرجع الى القدس ويبقى فيها إلى يوم الاربعاء في ٢٨ أيار حين يذهب إلى رام الله للنظر في قضيته، وقد أساء تماري التصرف معه مما يؤيد اعتقادي في المسيحيين الصعاليك، إذا نالوا وظيفة في الحكومة.

(٦) نظرت محكمة غزة في قضية الحاج سعيد الشوا فحكمت عليه بالحبس ثلاثة أشهر مع الأشغال الشاقة، ويقال: إنه ينقل الماء إلى بيت كنيروفتش وابنه رشدي يسعى الآن في القدس في اطلاق سراح أبيه، وقد ساعدته الجمعية الإسلامية المسيحية، ولكن الأعضاء الأرثوذكس امتنعوا عن توقيع المضبطة، لأنهم يرون أن لا دخل لهم في ذلك.

(٧) يوم الأحد الواقع في ٢٥ أيار دعانا موسى العلمي إلى شرفات، فذهبت أنا وسلطانة وسريّ وصبحي عويضة في عربة إلى دار نخلة كتن ومن هناك مشينا الى شرفات، فتعب سريّ فحملته على ظهري فقفزت عن جدار وهو على ظهري فزلت رجلي فوقعت، وإذ خفت على سري أن يناله ضرر ملت على رجلي اليسرى فوطئت ثم حملته وتابعنا سيرنا إلى شرفات، ثم جاء أبو جميل وجرجي خميس وحنا حمامة وصرفنا نهارنا بسرور، ثم رجعنا فأركبنا سريّاً على حصان ومشيت إلى البيت، فما وصلت إلا ورجلي توجعني جداً، وقبل النوم مسدتها سلطانة بزيت حارّ.

الاثنين في ٢٦ أيار غ سنة ١٩١٩م

ذهبت لأعلّم مستر أشبي، ولكن إذ وصلت متأخراً عن الوقت بسبب ما أحسست به من الوجع في رجلي، أجلنا الدرس إلى يوم الأربعاء.

بعد الظهر ذهبت فعلّمت صفي ثم ذهبت من هناك إلى المدرسة الليلية التي أنشأها اليهود وهيئة ادارتها الخواجات وليرو وعبادي وليرماس، وجاء بعض التلاميذ فقيدوا أسماءهم، من جملتهم فخري عاصم بك للغة العبرانية ومحمد يوسف الخالدي للغة الانكليزية، ثم نزلت الى البيت فجاء معي الخواجا التر ليفين فمررنا على مخزن الخواجا شكري الجمل فاشترى الخواجا التر ليفين منه شوكولاتا وكاكاواً وحلقوماً هدية لسريّ. وكان راغب بك قد أهدانا اليوم رطل سمن.

سهر عندنا صبحي عويضة وحسن الخالدي.

الثلاثاء في ٢٧ أيارغ سنة ١٩١٩م

ذهبت اليوم سلطانة إلى دار الجمعية الارثوذكسية وأخذت سرّياً معها ، وقد ألّفت منه ومن أبناء يعقوب ابن خالتي نيكولا وايكور وفلاديمر وابني شكري ديب الصغيرين صفاً ، وستعلمهم ساعتين أو ثلاثاً كل يوم قبل الظهر .

لقيت في الطريق أختي ميليا ، فقالت : كنت الآن في بيت كنة خالتي ، فقالت : إنها عاتبة عليك لأن متري نقل إليها أنك تناولت أخاها اميل بالكلام لأنه أساء معاملة عمر أفندي ، فعجبت من عمل متري هذا ، وعزمت إن لقيتها بعد اليوم أن أقول لها ان لا تتداخل في شؤون الرجال . ثم ذهبت فعلّمت مس كار والخواجا مارتن .

بعد الغداء نمت ثم استحممت ، ثم زارني أبو جميل ، فكان بيني وبينه كلام طويل كاشفته فيه بأفكاري ومبادئي ، قلت له : إنك تميل في نفوذك على قومك إلى الشدة والعنف ، مما خلق لك أعداء كثيرين في البر والمدن ، في البر لأنك شديد الوطأة عليهم ، وفي المدن لأنك تحول دون نفوذ أحد على أهل البر ، وأجلك أن تكون ممن يستفيدون من هذا النفوذ على الناس ، لجر مغنم أو دفع مغرم ، فإذا أردت في هذه الدنيا خير مغنم ، فلست أظنك إلا معتمداً على نشاطك وذكائك ومواهبك وهمتك العالية ، وإذا أردت دفع مغرم فأنت بنفسك في غنى عن أن تستعين بأحد ، وعلى الحالين فلست في حاجة الى هذا النفوذ ، على أن كرمك وعطفك على قومك يكفلان لك نفوذاً واسعاً يغنيك عن كل نفوذ . النفوذ المبني على الكرم والعطف هو النفوذ الجميل الشريف .

في المساء ذهبت إلى المدرسة الليلية اليهودية ، فجاء تلاميذ كثيرون ، فعلّمتهم .

الأربعاء في ٢٨ أيارغ سنة ١٩١٩م

ذهبت في الصباح فعلمت مستر اشبي ، ثم عرجت على مكتب الماجور ريتشموند لأودعه لأنه مسافر يوم الجمعة إلى بلاد الانكليز ، فكلفته أن يسعى في انتدابي لتعليم اللغة العربية في المدرسة الشرقية في بلاد الانكليز ، فوعد أن يبذل وسعه .

سافر أبو جميل إلى رام الله لأن اليوم موعد محاكمته على أمور لا يعرفها ، فعسى أن يرى من العدل ما يرد كيد حسّاده والحشرات السامة في نحورهم .

بعد الظهر علّمت صف مستر مارتن والسيدات ، وفي المساء علّمت صفي في المدرسة الليلية . وكانت سلطانة قد ذهبت مع سريّ لمعايدة الآنسة أنيسة معلوف في المستشفى الانكليزي ، فعرجت عليهما بعد الدرس

ورجعنا الى البيت.

مرّ عليّ عدة أيام لا أملك شيئاً، وإذا لم أتدارك نفسي بقرض وقعنا في ضيق عظيم.

الخميس في ٢٩ أيار غ سنة ١٩١٩م

اليوم عيد الصعود فلم تأخذ مس كار درساً. رجع أبو جميل من رام الله فقصّ عليّ ما جرى بينه وبين حاكم رام الله. منذ مدة حاول بعض صعاليك رام الله والبيرا [=البيرة] أن يحملوا القرى على توقيع مضابط بطلب انكلترا للوكالة علينا فكانوا إذا جاؤوا إلى قرى بني زيد قال لهم الناس: لا بد أن نستشير عمر أفندي، فما كان من أولئك الصعاليك إلا أن رفعوا الأمر الى حاكم رام الله، والله أعلم كيف صوروه له وماذا افتروا عليه، فأرسل الحاكم قوة تفتش دير غسانة وحاول إميل تماري أن يأخذ مضبطة من الأهالي أن ما وجده في دير غسانة من بعض قطع أكياس انكليزية هي لعمر أفندي، وقد كانت مخبوءة في بيته، وأن اعقاب القنابل النحاسية التي كان يحملها عمر في خرجه ليأتي بها إلى القدس هدية إلى أم سريّ كانت مخبوءة بين الفراش في بيت عمر، حاول ذلك فلم يفلح، فلما سئل أبو جميل عن أعقاب القنابل قال وجدها أخي وكان في نيته أن يقدمها للحكومة، وإذ كنت اعتقد أنها غير ممنوعة لأنها تباع علناً في مخازن القدس ولا يخلو بيت منها أخذتها منه لأقدمها هدية لبعض أصدقائي، فما كان من الحاكم إلا أن حكم على أخيه بالحبس ثلاثة أشهر لأنه لم يقدم الأعقاب للحكومة، وعلى أبي جميل بخمس ليرات لأنه منع أخاه من تقديمها للحكومة، سمعت ذلك وأحسست أن الأرض أضيق من كفة حابل.

في المساء علّمت صفيّ الليليين.

الجمعة في ٣٠ أيار غ سنة ١٩١٩م

علّمت مستر أشبي ثم عرجت على مكتب الماجور ريتشموند، فودعته، وبعد الظهر علّمت صف مستر مارتن. لم أزل كل نهاري ضيّق الصدر لا انظر إلى الدنيا إلا من الجهة السوداء. ولست أدري هل ذلك لما أنا فيه من الضيق والعسر، أو لما أجده من الملل والاعياء بسبب تعب أعصابي ودماغي، أو هو ناشئ عن تقدمي في السنّ واشرافي على أبواب الشيخوخة. وإلا فإن هذه الحالة الروحية لم يمر بي مثلها قبل اليوم.. أخذت رسالة من كابتن ملز حاكم غزة جواباً على رسالتي التي أرسلتها إليه مع طالب أفندي الريّس.

كان اليوم أول رمضان، فذهبت مع صبحي إلى قهوة باب العمود وحضرنا كراكوز آخر فصل منه.

زارني اليوم مصطفى عبد الهادي وقد كان مسجوناً معنا في دمشق، وقال لي: إنه زار الخواجا التر ليفين.

السبت في ٣١ أيار غ سنة ١٩١٩م

زارني في الصباح عارف أفندي البديري، أحد قادة الرأي العام في يافا، فتجاذبنا أطراف الحديث في مواضيع مختلفة. وقرأت له شيئاً من محاضرتي عن المتنبي ونتفاً من يوميتي، قلت: كل الناس يطلبون الاستقلال، ولكن ماذا يريدون بالاستقلال، أصحاب النفوذ في البلاد يريدون الاستقلال لأنفسهم، ليتمكنوا من التحكم بالناس والتصرف بهم كما يريدون، ويرون الحكم الأجنبي يحول دون أمنيتهم هذه. والأكثرية في البلاد تطلب الاستقلال لتتحكم بالأقلية وترى الحكومة الأجنبية حائلة دون نزعتهم هذه. المسلمون يريدون استقلال المسلمين، وبعبارة أخرى يريدون أن يكون الحكم في يد المسلمين. وإذا تمسكوا بالأمير فيصل أو بالملك حسين فليس إلا لأنه أمير مسلم، فلو كانت الإمارة في يد غيره لانفضوا من حوله، يتمسكون بالأمير ليس لأن له قيمة ذاتية، بل لأنه من آل البيت. فهم لا يطلبون الاستقلال ولكنهم يطلبون الحكم. إذا كان النزاع على الحكم، فماذا يهمّ الأمة إذا كان الحاكم منها أو غريباً عنها، الاستقلال لا يكون استقلالاً إلا إذا شعر كل إنسان أنه مستقل بنفسه لا يتداخل أحد في شؤونه. وهذا الاستقلال لا تضمنه حكومة، سواء كانت منا أو غريبة عنا، ولذلك يجب أن نعلّم الأمة أن تكون مستقلة، الحكومة قد تضمن استقلال البلاد، ولكن لا تضمن استقلال الفرد في كل حال، إلى آخر ما هنالك مما أشرت إليه في يومياتي ولا حاجة لإعادته هنا، الخلاصة أني فرديّ وأدعو إلى الفرديّة..

قبل الظهر علّمت مس كار ومستر مارتن، وبعد الظهر علّمت الكابتن بولاق.

الأحد في ١ حزيران غ سنة ١٩١٩م

اشتدت حلقات الضيق. نحتاج إلى ثياب وأحذية. يعزّ عليّ كثيراً أن أرى سلطانة لا تلبس أجمل الثياب وأفخرها، وأن أرى سريّاً بحذائه الممزّق وثيابه البسيطة، على حين كنت أحبّ أن ألبسه أجمل الثياب وأجعله قرّة للناظرين. أما أنا فطربوشي أصبح في حالة يُرثى لها، ولولا أني أتعهده بالتنظيف لفضّلت أن أخرج مكشوف الرأس، وربطة رقبتي ممزّقة كلّ ممزّق، وحذائي نُقب وصار الغبار يدخل إلى جواربي بحيث أشعر كأني أمشي حافياً، فضلاً عمّا تراكم عليّ من الديون، وأمّا الطعام فصرنا نعيش على حواضر البيت، فلم أرَ بدّاً أن أخرج اليوم وأفتّش عمن أستدين منه قيمة أتبلغ بها، ريثما أقبض من تلاميذي، فتجوّلت من محلّ إلى آخر لعلّي أجد أحداً فلم أُوفّق، فرجعت إلى البيت معيّى من التعب مبلّلاً بالعرق، فأكلنا ما تيسّر ثمّ نمت، وبعد النوم

استحممت جيّداً ، وأنا في الحمّام زارتنا أمّ جميل ثمّ جاءَ موسى العلمي ، فخرجت معه أزور أستاذي السيّد نخلة ، فدفع لي في الطريق نصف ليرة ، ثم ذهبت وحدي إلى دار أستاذي فلم أجده ، فرجعت واشتريت خياراً وبندورةً وتنباكاً . زارنا في المساء مصطفى عبد الهادي أحد السجناء معنا في دمشق ، فطلب مني خمسة عشر قرشاً فدفعت له اثني عشر قرشاً ، وأنا أعجب من صروف الزمان . أوينا إلى الفراش باكراً .

وصرت أشكّ في من أصطفيه ... لعلمي أنه بعض الأنام

الاثنين في ٢ حزيران غ سنة ١٩١٩م

(١) علمت مستر أشبي ، وصفّ مستر مارتن والصفّ الليلي .

(٢) كنت اتفقت مع المدرسة الليلية اليهودية أن أعلّم في كلّ ليلة صفّين من الساعة الخامسة والنصف إلى السابعة والنصف باثنتي عشرة ليرة في الشهر ، ولكن بسبب اشتراك تلاميذي في الدروس الإنكليزية واشتراك الصفوف الإنكليزية في دروسي واختلاف التلاميذ من صفوف اللغتين في المعرفة ، بحيث ترى بعض تلامذة الصفّ الأوّل في العربي في الصفّ الثاني في اللغة الإنكليزية ، وبعضهم في الصفّ الأوّل ، فلم ترَ المدرسة بدّاً من أن يكون لكلّ لغة أستاذان ، فقرّروا أن يعطوا الصفّ المبتدئ في اللغة العربية لأستاذ آخر ، وكلّفوني أن آخذ الصفّ الابتدائي في الإنكليزية ، وقد سرّني هذا الترتيب لاضطراري معه إلى العناية باللغة الإنكليزية .

(٣) لقيني بالأمس ابراهيم سعيد الحسيني ، فقال : كيف تعلّم في مدرسة يهوديّة وأنت تُحارب اليهود؟ فقلت له : لا علاقة لهذا بذاك . لا خوفَ على البلاد إذا علّمت اليهود اللغة العربيّة أو اللغة الإنكليزيّة ، وإذا خشيتم أن يقول اليهود ويُعلنوا في جرائد العالم أننا اتفقنا مع العرب فاجتهدوا أن تمنعوا العرب من الإقبال على هذه المدرسة ، بأن تنشئوا مدرسة تكفيهم الحاجة ، وتغنيهم عن الالتجاء إلى مدرسة يهودية ، وإلاّ فاشتغالي في مدرسة يهودية لا يبنى عليه كبير أمر . وليس الخطر على البلاد من تعليمي اللغة العربية أو الإنكليزية في مدرسة ليلية لا يحضرها إلاّ عدد قليل من أبناء يهود بلادنا ، وإنما الخطر يرد على البلاد من عقد الاتفاقات السرّية . ليس الخطر من تعليم عدد قليل من اليهود اللغة العربية ، ولكن الخطر من إهمال العناية بمدارسنا حيث يتربّى أولادنا ويتعلّمون . الخطر أن يكون في عداد المعلّمين صعاليك يُنافقون ، طفيليّون يتربّعون في كراسي التعليم ، وليس في الأمّة من منتبه لذلك . أكبر خطر على البلاد هو الخطر الداخلي لا الخطر الخارجيّ . فبدلاً من أن تتخوّفوا من وجودي في مدرسة يهودية ، يجب أن تتخوّفوا من عدم وجود مثلي في مدارسكم .

(٤) عرفت من مصدر ثقة ، أن بعض أعضاء النادي العربي ، ممن يدّعون الوطنية والإخلاص يتقاضون معاشات سريّة من الحكومة الإنكليزيّة لخدمة أغراضها وترويج مصالحها . . إذا روّجت المصلحة الإنكليزية أو

سري في الخامسة (مجموعة عائلة السكاكيني)

قاومتها فليكن ذلك عن مبدأ، لا لأجل دُريهمات. مهما كانت خطّتك في هذه الحياة فإذا كنت مأجوراً فأنت دنيء ساقط. وما أدراني أن هناك كثيرين غيرهم، بل لعلّ كلّ واحد في هذه الأمّة لا يستنكف أن يكون مأجوراً. لا تزيدني الأيام إلاّ سوء ظن بالناس على حدّ قول المتنبي.

الثلاثاء في ٣ حزيران غ سنة ١٩١٩م

علّمت مس كار Miss Kerr

كان اليوم عيد جلالة ملك الإنكليز، فأقامت الحكومة حفلة شاي في الحديقة البلدية، دعت إليها كثيرين، وقد جاءَتني أنا أيضاً ورقة دعوة باسمي واسم سلطانة واسم أختي ميليا، ولكن لم نذهب، وقد دعت المبعوثين مع بعض وجهاء المسلمين والرؤساء الروحيين ومعتمدي الدول لتناول العشاء في العمارة الألمانية في جبل الزيتون. في مثل هذه الحفلات لا يؤمن أن يقع سوء استعمال، بقصد أو بدون قصد كأن يُدعى العالي والدُّون، أو يميّز بعض المدعوّين على بعض، وعلى كلا الحالين لا بدّ أن تمسّ إحساسات البعض، ولذلك أربأ بنفسي عن التعرّض لما لا أحبّ، أنا لا أكلّف أحداً أن يحترمني ولكن لا أسمح لأحد أن يحتقرني... عند الساعة السادسة خرجت مع سلطانة وسريّ وأختي ميليا ومشينا على طريق يافا وكانت مزدحمة بالناس، وقيل إن أوتوموبيلاً داس رجلاً فنقل إلى المستشفى. أطلق سراح كثيرين من السجناء من جملتهم الحاج سعيد الشوّا بمناسبة هذا العيد.

الأربعاء في ٤ حزيران غ سنة ١٩١٩م

علّمت صفّ مستر مارتن.

منذ يومين أو ثلاثة أخذت سريّاً إلى جانبي، وعلّمته الحركات الطويلة الواو والألف والياء، ولا أذكر أنّ تلميذاً من كلّ من علّمت في حياتي، وكلّهم أكبر منه في السنّ، استطاع أن يميّز بين الحركة والأُخرى بسرعة كسريّ، علّمته أصواتها وعرّفته بشكلها بالفم وبالأصابع، ثمّ كتبتها له على اللوح مفردة وضمن كلمات، ثمّ أمليتها عليه فجعل يكتبها بخطّ أنيق، كأنه تعلّم الكتابة من زمان طويل. ثمّ جعلت أعرض عليه الكلمات وأسأله أيّ حركة فيها الواو أو الألف أو الياء، فلم يُخطىء في واحدة. ثمّ جعلت أُكلّفه أن يُعطيني كلمة فيها الواو أو الألف أو الياء، فكان يذكر عدّة كلمات على كلّ حركة، مما دهشت له كثيراً، وحمدت نصيبي فيه. والذي أدهشني أكثر أنه

جعل يتخيّل هذه الحركات في كلّ شيء ، فكان إذا رأى أُمّه واقفة قال لها : أنت ألف ، وإذا ضحكت قال لها : ضحكت ياء ، بل جعل يتخيّل هذه الحركات في كلّ أدوات البيت . . ثمّ عرّفته بالسّين والدّال والرّاء ، فكتبت هذه الحروف في عمودين جعلت بينها الواو والألف والياء ، فكنت أضع يدي على حرف منها فيلفظه ، ثمّ أنتقل إلى حركة من الحركات فيقول مثلاً سا أو سو أو سي . ثم أنتقل إلى الحروف في العمود الثالث فيقول سار أو سور أو سوس أو ساد أو راس أو داس أو دار أو دور إلخ . ثم جعل يكتب هذه الكلمات وحده ، وكل ذلك في جلسة قصيرة لا تتجاوز خمس دقائق . . . بالأمس كان يتكلّم مع أُمّه فقال لها : إن الكلمة الفلانية «بالنحو» كذا ، فمن أين عرف كلمة نحو ، لا أبالغ إذا قلت : إن مفرداته في اللغة العربية تكاد تعادل مفردات تلميذ كبير صرف مدّة في المدارس . وممّا أشير إليه بالإعجاب والسرور أنه لبق الأنامل . فلا يرى حرفاً إلاّ كتبه بإحكام وسهولة وسرعة . لا أجلس إلى طاولتي في المساء إلاّ طلب قلماً وورقاً ليكتب رسالة إلى عمه يوسف أو خاله أديب ، ثم يطوي الورقة ويكلّفني أن أضع له الرسالة في البوسطة . وسأثبت في يوميّتي هذه شيئاً من كتابته باللغة العربية أو الإنكليزية .

الخميس في ٥ حزيران غ سنة ١٩١٩م

علّمت مس كار والكابتن بولاق ، وفي المساء ذهبت إلى المدرسة اللّيلية ، فعلّمت الصفّ الثاني في اللغة العربية ، والصفّ الأول الابتدائي في اللغة الإنكليزيّة . زارني عند الظهر أستاذي السيّد نخلة زريق وأبو جميل . كان الأستاذ عند نفيه من القدس قد سلّم داره وأثاث بيته إلى الأميركان ، ولما رجع الآن إلى القدس وجد شيئاً كثيراً من أدواته وأثاثه وكتبه مفقوداً ، مما لم يكن يتوقعه من جماعة مثل الأميركان ، كأنهم قدروا أنه لن يرجع إلى القدس ، فتصرّفوا بأشيائه تصرّف المالك بملكه . ولما رجع الآن ردّوا له بعض أشيائه ، ولكن في حالة زرية كأنهم كانوا يستعملونه مدّة غيابه ، وكلّفوا أحد أعضاء المستعمرة واسمه موريس أن يشتري له بدل المفقود ، فجعل يشتري أرخص الأشياء وأقلّها قيمة ، ولكن الأستاذ عزم أن لا يتساهل معهم . . لما دخل الإنكليز القدس ، أشاروا على جمعية الصليب الأحمر الإنكليزية أن تأخذ دار مسس واي ، وكانت عائلتي لا تزال فيها فلم يمهلوها أن تفتش عن محلّ آخر ، مما لقيت منه العناء الكبير . ثمّ رفضوا أن يقبلوا سريّاً في مدرستهم ، ولعلّهم رأوه أذكى من أولادهم ، فلم يطيقوا أن يروا أحداً يفوق أولادهم في الذكاء . ثم لما جاء مستر رينولدس إلى القدس ، كان أوّل ما قالوه له : إن عند مسس سكاكيني حلى ثمينة لمسس واي ، فجاء يُطالب بها كأنهم خشوا أن تنكرها عليهم ، على حين لم نترك أحداً قبل مجيء الإنكليز ، إلا أريناه تلك الحلى . ولما كنت في دمشق ، قال لي زين العابدين

أفندي: إن أحد أعضاء المستعمرة الأميركانية واسمه يعقوب إلياهو، تناولني بسوء في مجلس المتصرّف عزت بك، انتقاماً مني أو تقرّباً من المتصرّف المذكور.

الجمعة في ٦ حزيران غ سنة ١٩١٩م

علّمت مستر أشبي وصف مستر مارتن... استدنت عشرين ليرة مصرية من البنك اليهودي بواسطة الخواجا آلتر ليفين وكفالته لمدة أربعة أشهر، أدفع منها خمس ليرات في كل شهر.. في المساء زارنا أحمد صفوت مستشار العدلية وراغب بك وموسى العلمي وصبحي، ثم جاءت أختي ميليا. وبعد السهرة ذهبت مع موسى وصبحي وأوصلنا أختي ميليا إلى البيت. دفعت اليوم ليرة مصرية للحلاق من أصل الحساب.

السبت في ٧ حزيران غ سنة ١٩١٩م

علّمت مستر كار. وبعد الظهر ذهبت لأُعلّم كابتن بولاق فاشتغلنا بالحديث عن الدرس. لو تساعد الأحوال لصرفت قسماً كبيراً من وقتي في مقابلة الرجال ومحادثتهم فليس ألذّ عندي من ذلك. ثم ذهبت فزرت أستاذي لأننا اتفقنا أن يكون هذا اليوم يوم زيارة عنده. جاء منذ أيام إلى القدس سليمان ناصيف يدعو الناس إلى طلب أميركا لتكون وصيّة على البلاد، وقد اختار حزبه أميركا دون إنكلترا، لارتباط إنكلترا باتفاق سنة ١٩١٦ مع فرنسا، ومآله أن تكون فلسطين لإنكلترا وسوريا لفرنسا، فإذا استطاعت إنكلترا أن تتخلّص من هذا الاتفاق فتبسط حمايتها على البلاد كلّها كانت هي أولى الجميع، ولكن لأن ذلك لا يكون ممتعاً لتجزئة البلاد تألف حزب كبير لطلب أميركا، وفي اعتقاد هذا الحزب أن البلاد لا تستطيع أن تستقلّ بنفسها، فضلاً عن أن جمعية الأُمم قررت أن لا بدّ لنا من انتداب إحدى الدول للوصاية علينا. ومن يطالع يوميّاتي يرى أني سبقت فأشرت إلى كلّ ذلك.. ثم ذهبت إلى بيت حلمي الحسيني فتناولت العشاء، وسهرت عنده إلى نحو الساعة التاسعة. دفعت لصاحب الدار عشر ليرات مصرية بقيّة أجرة الدار.

الأحد في ٨ حزيران غ سنة ١٩١٩م

نزلت مع سلطانة إلى البلد فاشترينا بعض لوازم الدار وحذاء أصفر لسلطانة، وجوارب لي ولسريّ، وربطة رقبة وطربوشاً لي. وقد بلغ ثمن الطربوش مئة وخمسة وعشرين غرشاً.

أخذت اليوم إعلان زواج سميراميس أخت أشيل من شكري متري.. منذ أيام كان إبراهيم شمّاس في

دمشق، فلقي هناك الدكتور أحمد قدري فحمل إليّ منه رسالة.

الاثنين في ٩ حزيران غ سنة ١٩١٩م

علمت مستر أشبي، وفي المساء ذهبت إلى المدرسة الليلية.

(١) كتبت رسالتين، الواحدة إلى أشيل أهنئه بزواج أخته سميراميس، والثانية إلى الدكتور أحمد قدري أكلّفه فيها أن يذكرني لدى الأمير المحبوب [فيصل].

(٢) تناول الجنرال ستورس وأُمّه وأُخته العشاء في بيت المفتي، وقد دعيت أختي ميليا ونامت عندهم.

(٣) مهما حافظت على السلام في بيتي، فلا يخلو من وقت إلى آخر أن يقع شيء من النفور بين سلطانة وأُمّي وأُختي، ومهما تغاضيت ووسّعت صدري فلا يمنع ذلك أن أتأثّر، وأودّ لو لم أُوجد.

(٤) لقيني اليوم ابن أختي هلانة، عيسى، فأفضى إليّ أنه يحبّ أخت قسطندي الخوري الصغيرة، وأنه كان ينوي أن يتزوّج بها فطلبها من أخيها مراراً فكان يمهله في الجواب، إلى أن قال له أخيراً: إن أخته لا تريد الزواج، وكلّفني أن أهتم بالأمر، فإذا لم يتزوّجها فلن يتزوّج غيرها. ما أولع الناس بتمثيل روايات الحبّ.

(٥) يظهر أن حياة أبي جميل البيّية سيّئة جداً، فقد أرسلت إلينا أُمّ جميل تستنجدنا أن نخلّصها من هذا الضيق العظيم.

الثلاثاء في ١٠ حزيران غ سنة ١٩١٩م

علّمت مس كار، وفي المساء ذهبت إلى المدرسة الليلية.

(١) زارني في المساء الحاج أمين الحسيني، وقال: إن قسماً من اللجنة الدولية وصل إلى يافا، وقد أعلنت الحكومة اليوم أن البلاد التي انفصلت عن تركيا قد قرّر في مؤتمر الصلح أنّ لا بدّ لها من الوصاية. قلت: إذا لم يكن بدٌّ من الوصاية، فليس إلاّ أن نترك انتداب إحدى الدول للوصاية علينا إلى الأمير فيصل. فقال: هذا ما قرّرناه. وقد جاء من الأمير فيصل رسائل إلى كل بلاد فلسطين يطلب إرسال وفود عن كل لواء إلى دمشق، لينضمّوا إلى المؤتمرالسوري العامّ. وقد رأينا أن نرسل عن لواء القدس أربعة أشخاص، اثنين من المسلمين واثنين من المسيحيين، واحداً من الروم الأرثوذكس وواحداً من اللاتين. وقد وافق اللاتين على ذلك فلم يبق إلاّ الروم فجئناك لتقنعهم أن يوافقوا.

(٢) ثم زارني فرح السلطي من الناصرة، فتكلّمنا في شؤون الطائفة الأرثوذكسية، فبيّنت له المبادئ التي يجب أن تبنى عليها النهضة في هذا الدور الجديد، مما أشرت إليه في يومياتي السابقة.

الأربعاء في ١١ حزيران غ سنة ١٩١٩م

ذهبت الساعة الخامسة والنصف إلى المدرسة الليليّة الإسرائيليّة . . لا بدّ لي أن أغتنم الفرصة وأدرس هذه الأُمّة ولو في تلاميذي، وسأُشير الآن إلى بعض ملاحظاتي : -

(١) لماذا يتعلّمون اللغة العربيّة . . الأمّة اليهودية ليست أُمّة أدبيات لأسباب عديدة، أهمها أنها ألفت الذلّ، والذلّ يذهب بالقرائح . لا تعنى أمّة بالأدبيات إلا إذا كان فيها شيء من العز والأنفة والحريّة والشجاعة . كل شاعر أو أديب أو كاتب أو خطيب لا يخلو أن يكون في نفسه شيء من الثورة . والأدبيات هي روح الثورة في الأُمّة . فإذا استولى الذلّ على أُمّة ماتت فيها تلك الروح فماتت أدبياتها . (٢) ليس للأُمّة اليهودية لغة، كان لها لغة فماتت . وإذا أقبلوا في هذا العصر على تعلّمها وإحيائها فليسوا إلاّ غرباء عنها، فما مثلهم إلاّ كمثل المستشرقين الذين يدرسون اللغات القديمة، فلا هم ينزلون منها منزلة أهلها، ولا هي تصلح لأن تزاحم اللغات الحيّة، لأنها خالية من الشروط التي تلزم للحياة . أهم تلك الشروط الجمال والسهولة والاتساع . خير لهم أن يتواطأوا على استعمال لغة أخرى أو أن يضعوا لغة جديدة من أن يحيوا لغتهم وهي رميم . قد يتعلّمون لغتهم، ولكنهم لا يحبونها . إذا سمعت الإنكليزي أو الافرنسي أو الألماني أو الروسي أو اليوناني أو العربي يتكلم، عرفت لأوّل وهلة أنه يتكلّم بلغته، ولكنك إذا سمعت اليهودي يتكلم بالعبرانية شعرت أنه لا يتكلّم بلغته، كما إذا سمعت الإنكليزي يتكلّم بالعربية، وقد تعلّمها حديثاً من الكتب لا من أهلها . فإذا عاشت اللغة العبرانية فلا تكون إلاّ كاللغة العربية على ألسنة المستشرقين لا على ألسنة أهلها . قد يدرس المستشرق اللغةالعربية ويغوص على أسرارها ويحيط بشاذها ويقف على كلّ أدبياتها، ولكنه لا ينزل منها منزلة أهلها . فلما كانت الأمّة اليهودية لا لغة لها، كانت كلّ لغة غريبة عنها، فلا يهمها من كل لغة إلاّ ما يكفي حاجتها، ولذلك فلا قيمة للأدبيات عندها . إذا عرفنا ذلك فهم لا يتعلّمون اللغة العربية لأنها لغة العلم أو الأدب، ولكنهم يتعلّمونها لقضاء حاجة . لما كانت البلاد تركية كانوا يتعلّمون اللغة التركية، فلما أصبحت عربية جعلوا يتعلمون اللغة العربيّة، ولما كانت البلاد تحت نفوذ ألماني تعلّموا الألمانية، فلما أصبحت تحت نفوذ إنكليزي جعلوا يتعلّمون الإنكليزية، وسيظلّ هذا شأنهم لا يستقرّون على حال من القلق، لا يعرفون لغتهم ولا يعرفون لغة غيرهم، فهم على كل حال غرباء .

(٣) هذا من جهة اللغة، ثم إذا درست أخلاقهم وجدتها أخلاقاً مستعارة لا تربة لها ولا أصل . شيء من هنا وشيء من هنا، فإذا تخلّقوا بالصدق أو الفضل أو أولعوا بالقوّة والنشاط أو انتحلوا الذوق الجميل، فلا يتعمّقون في شيء ولا يُحسنونه، بل هم سطحيون في كل حال، ترى الشاب متأنقاً في ثيابه حريصاً على جماله عاكفاً على لهوه وسروره، فتظن أن التأنق خلقة فيه، وأنه يقدر الجمال قدره، وأن اللهو والسرور من حاجات نفسه،

ولكنك لا تلبث أن تراه قد لبس ثوب الشيخوخة وهجر لهوه وسروره، وأهمل العناية بجماله وشبابه وعاد يهودياً عتيقاً. ترى الفتاة كالورد في أكمامه، غضّة بضّة كاللؤلؤ المكنون، فتظن أن دولة جمالها لا تدول، وأن الأيام لا تذهب برونقها ولا تخلق جدتها. ولكنك لا تلبث أن تراها قد أدركها الهرم كأنها من بقايا قوم موسى. ينشئون المدارس على أحدث طرز يعلّمون فيها علوم الأوّلين والآخرين، فإذا خرج طلبتها إلى العالم أصبحوا صيارفة وسماسرة.. كان في المدرسة الدستورية الداخلية بعض التلامذة من اليهود، فإذا لبس أحد التلامذة بابوج أحدهم، أخذته نوبة جنون فصاح وولول، وإذا زارهم ذووهم فأحضروا لهم قطعة شوكولاتة لم يأكلوها بل قسّموها إلى قطع صغيرة وجعلوا يعرضونها للبيع، ويقولون هذه الشوكولاتة من جنس طيّب. وقد رأيت في تلامذة المدرسة الليليّة هنا من يدخل الصفّ وبرنيطة على رأسه، فلا هو ينزعها ولا أحد من رفاقه ينبّهه إلى ذلك. والبعض منهم يجيئون اليوم بثيابهم الأوربية، وفي الغد بقمصان النوم. ترى الواحد من بعيد فتظنّه نظيفاً، ولكنك إذا اقتربت منه شممت منه رائحة كريهة، ورأيت أظافره سوداء لكثرة ما تجمّع فيها من الأوساخ. قد يغيّرون ثيابهم الخارجيّة، ولكن ثيابهم الداخليّة قد تمرّ الأسابيع وهم لا يغيّرونها، إلى غير ذلك مما يدلّ على أنهم سطحيّون، وأن أخلاقهم مستعارة ليست أصيلة فيهم. وسأشير إلى بقية ملاحظاتي في غير هذا الموضع.

...

أرسل رئيس البلدية يدعو الناس إلى اجتماع عمومي في محل الجمعية الإسلامية المسيحية للنظر في شؤون الوطن، فلم أذهب لأني قرّرت العودة إلى العزلة.

في المساء زارنا موسى العلمي، فقال: دعانا الجنرال ستورس أنا وأبي، وقال أن قد ورده جواب من كمبردج بوجود محل لي في إحدى كلياتها، ونصح لي أن أسافر في هذا الأسبوع، وقبل أن ننصرف من عنده، قال: بلغني أنك تحت تأثير شخص «بولشفيكي» فأحذّرك منه. ومن رأي موسى أن الجنرال ستورس يعنيني بذلك، وهو يظنّ أن جماعة المستعمرة الأميركانيّة هم الذين صوّروني له بهذه الصورة، لأنهم قالوا مراراً لموسى: إن شفيعك السكاكيني بولشفيكي، وعندي أن لخطابي عن المتنبي كثائر وترفّعي عن التزلّف من الجنرال ستورس، وأحاديثي مع كثيرين من رجال الإنكليز مما أثبته في يوميتي هذه في حينه، ومما لا بدّ أن الجنرال ستورس سمع به إما من الماجور ريتشموند أو من غيره مما لم نسمعه من شخص آخر، كل ذلك صورني لديه بصورة ثائر ناقم، وأما جماعة الأميركان، فلست أشكّ أنهم لا يتركون فرصة تفوتهم بدون أن ينالوا مني.. على أنه لا يسعني إلاّ أن أغتبط، لأني لست في نظر الناس شخصاً عادياً. إذا كان هذا اعتقاد الحكومة فيّ فلا يبعد أنهم ينفوني يوماً من الأيام من هذه البلاد ليتخلّصوا مني. أصبحت شخصاً مهماً وأنا لا أدري!!!.

الخميس في ١٢ حزيران غ سنة ١٩١٩م

علّمت الكابتن بولاق. وأنا في دار الحكومة قيل لي: أن الكولونيل ووترس تيلر ينتظرك في مكتب الكابتن لو، فدخلت وسررت بلقائه كثيراً، قال لي: إنه ترك مركزه في الناصرة وطبريا وعاد إلى الجيش وسيكون مركزه في حيفا، وأنه سيذهب إلى دمشق بعد بضعة أيام لمواجهة الأمير فيصل، وأنه ربما جاء من وقت إلى آخر إلى القدس. قال لي: إنه وقعت مظاهرة في طبرية وقع فيها نحو أربعة عشر جريحاً من اليهود والمسلمين، وإن اليهود حاولوا أن يقوموا بعدها بمظاهرة، جاء للاشتراك فيها عدد كبير من يهود المستعمرات فمنعهم منها، وكان العرب قد أحسّوا بما ينويه اليهود فجاءَتهم نجدة من العرب من البلاد المجاورة، ولو لم يمنع تلك المظاهرة لكانت وبالاً على اليهود.

عقد الاجتماع العمومي أمس في محل الجمعية الإسلامية المسيحية، فانتخبوا سعيد أفندي الحسيني وراغب بك النشاشيبي نائبين عن المسلمين في المؤتمر السوري الذي سينعقد في دمشق، وأما الروم فانتخبوا اليوم في جلسة عقدوها في دار جمعية الإخاء الأرثوذكسي يعقوب فرّاج لينوب عنهم في المؤتمر السوري، وأمّا اللاتين فانتخبوا نجيب أبو صوّان. ذهبت في المساء متأخّراً إلى المدرسة الليليّة، فلم أتمكّن إلاّ من تعليم صفّي الإنكليزي.

الجمعة في ١٣ حزيران غ سنة ١٩١٩م

علّمت مستر أشبي.

لقيت الكابتن كامب، رئيس قلم الاستخبارات، في الطريق فاستوقفني. قال: جاءَت اللجنة إلى يافا وربّما تجيء الليلة إلى القدس، فالآن يجب أن يعرف الناس الفرق بين الحماية والوصاية. الأُمّة التي تبسط حمايتها على بلاد لا تكون مسأولة أمام أحد، وأما الدولة التي تنتدب للوصاية على بلاد فستكون مسأولة أمام جمعية الأُمم، فالدولة التي تنتدبونها ستكون وصية عليكم لا حامية لكم، وهذه الوصاية ستكون إلى أجل محدود، ريثما تستطيعون أن تحكموا أنفسكم بأنفسكم، وحينئذٍ ترتفع عنكم الوصاية وتدخلون في جمعية الأُمم. قلت: إذا لم يكن بدّ من الوصاية فإننا سنختار الدولة التي تعلّمنا الاستقلال بأسرع ما يمكن، لا التي تجري في تعليمنا على أساليب قديمة عقيمة، فيمرّ الدهر قبل أن نتعلّم شيئاً. وهناك شرطان لا بدّ من طلبهما، الأوّل: رفع الخطر الصهيوني، والثاني: عدم تجزئة البلاد بين دولتين أو أكثر. أمامنا ثلاث دول لنختار إحداهن: أميركا وإنكلترا

وفرنسا ، أما فرنسا فلا نظنّ أنها تستطيع أن تنفعنا شيئاً ، لأنها دامية الجراح لا تستطيع أن تقف على رجليها هي نفسها ، فلا يبقى أمامنا إلاّ إنكلترا وأميركا ، ولأن إنكلترا مرتبطة باتفاق سنة ١٩١٦ الذي يقضي بتقسيم البلاد بينها وبين فرنسا ، فالرأي العام في البلاد متجه إلى أميركا ، فقال : لست أظن أن أميركا تقبل هذه الوصاية ، فقلت : إذا لم تقبل أميركا هذه الوصاية اشترطنا على إنكلترا إبطال ذلك الاتفاق بينها وبين فرنسا . . . جئت إلى البيت فوجدت الكابتن مري جاء ليتغدى عندنا ، وبعد الغداء خضنا في أحاديث مختلفة إلى الساعة الرابعة ، حين جاء الكابتن لامبرت واللفتننت كولنس فامتدت الجلسة إلى نحو الساعة السابعة . . في أيام الحداثة كنا نعتقد أن أوربا وأميركا مهد المدنية والحرية والرقيّ الأدبي ، ولكن لم تلبث الأيام وهذه الحرب أن أماطت اللثام عن الحقيقة ، مما لا يتسع المقام إلى الإفاضة فيه ، فأرجئه إلى فرصة أُخرى .

السبت في ١٤ حزيران غ سنة ١٩١٩م

وصلت البعثة الأميركية إلى القدس أمس مساء ، فذهبت في هذا الصباح لأُسلّم على مستر بيل أحد أعضائها فوجدته مشغولاً ، ولم أتمكن من مقابلته . . بعد الظهر ذهبت أزور أستاذي السيد نخلة زريق ، ثم تناولت العشاء في بيت أبي جميل ، ثم جئت مع أبي جميل إلى البيت ، وجاء صبحي أفندي وجورج خميس وحنا حمامة . . . بلغني اليوم أن اللاتين انتخبوا يوسف فروجي لا نجيب أبو صوّان ليذهب مع وفد القدس إلى دمشق . كان من جملة الحديث الذي دار بيني وبين أستاذي مسألة انتداب إحدى الدول للوصاية علينا . قال : إذا كانت دول أوربا قد قرّرت أننا في احتياج إلى الوصاية ، فما ذلك إلاّ لأننا قاصرون في اعتبارها لم نبلغ سن الرشد بعد ، فإذا كنا كذلك فكيف تكلفنا الآن أن نختار نحن الوصيّ . القاصر لا يختار وصيّه ، إذا كنا نحسن الاختيار فلسنا قاصرين ، ففي المسألة مناقضة . إذا سئلنا أي الدول تختارون ، قلنا : إذا كنا قاصرين فاختاروا أنتم من تشاؤون . قال هذا في جلسة كان فيها المفتي . فقال له : الأمر كما تقول ، ولكن إذا خُيّرنا بين دولتين فرنسا وإنكلترا فأي الدولتين تختار؟ وكان من رأي المفتي أن نختار إنكلترا . فقلت : سيأتيك بالأخبار من لم تزوّد .

إن تصريح المفتي هذا يدلّ على أن سياسته إنكليزية ، وإن لم يصرّح به قبل اليوم . . .

وسائط لا مبادئ . . إذا درسنا أحوال أوربا رأينا أن الفضل في كل ما نراه من مظاهر تمدّنها وترقيها راجع إلى وسائط لا إلى مبادئ . إذا انتشر الأمن في أوربا فليس ذلك لأن الأوربيين يحافظون على الأمن من تلقاء أنفسهم ، ولكن لأن هناك وسائط تمنعهم من الإخلال بالأمن . إذا انتشر العدل في أوربا فليس لأن الأوربيين ميّالون إلى العدل من تلقاء أنفسهم ، ولكن لأن هناك وسائط تمنعهم من أن يخرجوا عن العدل . ضمّني مجلس يوماً كان فيه بعض

ضبّاط إنكليز، فقالوا: لا رشوة في بلادنا لأن المأمور عندنا يتقاضى معاشاً كبيراً لا يحتاج معه إلى رشوة، فقلت: لا فضل لكم في ذلك إذا امتنع المأمور عندكم عن الرشوة فيجب أن يكون ذلك عن مبدأ، لا لأنه معاشه يكفيه، وإلاّ ففي أوّل فرصة يشعر فيها أن معاشه لا يكفيه، لا يتأخر عن أن يمدّ يده إلى الرشوة. لا يكون الرقيّ رقيّاً إلا إذا كان عن مبدأ. الوسائط قد تضمن الأمن والعدل، ولكن لا تجعل الأمن والعدل خلقة في النفوس. أي فضل لأوربا إذا كان في كل مئة متر من شوارعها بوليسان؟ أي فضل لها إذا كانت محاكمها أكثر من أن تعدّ ومحاموها أكثر من أدبائها وأساتذتها؟ أي فضل لها إذا كان الناس فيها لا يرسلون أولادهم إلى المدارس إلاّ إجباراً، ولا يدفعون نفقات المدارس إلاّ إجباراً؟ أي فضل لها إذا كانت الحكومة لا تزال إلى اليوم تتولّى أمر النظافة والعناية بالصحة العمومية، لا تزال إلى اليوم تراقب الأوزان والمكاييل والعيارات، لا تزال إلى اليوم تتداخل في أمر الزواج وعلاقة الأخ بأخيه والابن بأبيه، إلى غير ذلك. إن مدنية قائمة بالوسائط لا بالمبادئ لمدنية منحطّة.. سأتابع الكتابة في هذا الموضوع.

الأحد في ١٥حزيران غ سنة ١٩١٩م

(١) ذهبت في الصباح لأزور مستر بيل أو الكابتن بيل، فوجدت عنده فؤاد النشاشيبي، ثم جاء حلمي الحسيني وابرهيم سعيد الحسيني فأطلعنا على بروغرام اللجنة في القدس، ومواعيد المقابلة لكل جمعية من كل طائفة، فعرضت عليه أن يعيّنوا وقتاً لمقابلة جمعية القرويين. قال لي: إن أحد أعضاء اللجنة أحبّ أن يتعلّم شيئاً من اللغة العربية فكلّف قنصل أميركا أن يدبّر له أستاذاً فذكروني له، فلما سمع هو بذلك قال لهم أرجوكم أن تتركونا من السكاكيني، فإذا كانت له علاقة باللجنة، وقعنا في مشاكل كثيرة فضحكنا. كان في نية فؤاد النشاشيبي أن يقابل اللجنة مقابلة صحافي.

(٢) لم تشرق شمس هذا النهار حتى كان النادي العربي بالاشتراك مع المنتدى الأدبي قد علقوا على حبل ممدود من النادي العربي إلى مطعم سليم، ملاءَات كتبوا عليها بخطٍ كبير هذه الجمل «نطلب استقلالاً تاماً، سوريا لا تتجزأ! نحتج على الصهيونية، ونرفض مهاجرة اليهود إلى بلادنا». «ليعش أميرنا فيصل والحلفاء أنصار الحق». «سوريا تمتد من جبال طورس شمالاً إلى ترعة السويس جنوباً» ولكن لم تلبث الحكومة أن اعترضت على ذلك، فأنزلوا ملاءَاتهم عند الساعة الحادية عشرة صباحاً.

(٣) جاء منذ يومين متري تادرس إلى القدس وتداخل في أمور الطائفة الأرثوذكسية، فالتف [حوله] بعض أقاربه وأذنابه، فجاؤوا يطالبون الجمعية الأرثوذكسية أن تطلب من اللجنة الأميركية وصاية إنكلترا وحفظ

حقوق الأقلية، وحاول أن يسقط نفوذ يعقوب ابن خالتي، فتضعضع يعقوب ووقع الاضطراب في الطائفة. يقول متري كيف لا تطلبون وصاية إنكلترا وهي التي سفكت دماء رجالها في سبيل تحريركم؟ كيف تطلبون الاستقلال التامّ ليعود المسلمون إلى الاستبداد بكم والعبث بحقوقكم؟ لم نصدق أن خلصنا من حكم المسلمين، فكيف نطلبه الآن بأنفسنا؟ إلى غير ذلك من الأقوال التي يلقيها الرواة على عهدتهم.. لكل إنسان أن يطلب ما يشاء حسب اجتهاده، ولكن يجب أن يكون طلبه مبنياً على مبادئ عالية معقولة، ولكن الذي ظهر لي مما سمعته من أقوال متري تادرس، أنه لا يطلب وصاية إنكلترا لمصلحة البلاد عموماً، ولكن انتقاماً من المسلمين، وقد بلغني أنه حرّض المسيحيين هنا أن تكسر أعلام الأندية العربية وتدوسها بأقدامها.. يا متري أنت لست الشخص الوحيد الذي يحبّ إنكلترا ويعترف بفضلها، ولكن لا يجوز أن تبني ذلك على تعصّب ذميم.. كانت الجمعية الأرثوذكسية قد قررت أن يذهب وفد منها ليطلب من اللجنة الأميركية ما طلبه الجميع، وأن يترك النظر في الوصاية إلى المؤتمر السوري في دمشق، فما كان من متري إلاّ أن حرّض ذويه أن ينشقوا عن الجمعية ويقوموا بالعمل وحدهم، فكتبوا مضبطة بطلب وصاية إنكلترا وحفظ حقوق الأقلية، وجعلوا يطوفون على الملة الأرثوذكسية في القدس لتوقعها، وفي نيّتهم أن يقابلوا اللجنة الأميركية هم أنفسهم، ويقدموا لها تلك المضبطة معارضة للجمعية. وقد بلغني أنه قام بمثل هذا العمل في يافا بعنف وشدّة مما أوقع الاضطراب ونفر الجميع، وأنه حاول في يافا كما حاول هنا في القدس، أن يكون هو المنتخب ليذهب إلى المؤتمر السوري في دمشق، ولذلك حاول إسقاط يعقوب ابن خالتي.

الاثنين في ١٦ حزيران غ سنة ١٩١٩م

ذهبت لأعلّم مستر أشبي فأجّل الدرس إلى الغد. كانت الساعة العاشرة من هذا الصباح ميعاد مقابلة الجمعية الإسلامية المسيحية للجنة الأميركية، فاجتمع الأرثوذكسيون أعضاء الجمعية الإسلامية المسيحية إلاّ إبراهيم شمّاس ويوسف قرط، فالتقيت بإبراهيم شمّاس وأوسعته تقريعاً على خروجه مع الخارجين على الجمعية الأرثوذكسية، فتبرّأ واعتذر ورجع إلى الجمعية، ثم ذهبت إلى يوسف قرط فقال قرّرت الانسحاب من الجمعية، فلم أزل به حتى أسلست قيادهُ وجئت به إلى المجلس البلدي، حيث كان جميع الأعضاء مجتمعين. وبعد قليل مشى الجميع إلى لوكندة مرقس فاستقبلهم قنصل أميركا والكابتن بيل وقدموا للجنة مطاليبهم الثلاثة، وهي استقلال سوريا وفلسطين استقلالاً تاماً واستقلال فلسطين استقلالاً داخلياً، والاحتجاج على الصهيونية. فسألتهم اللجنة: هل تريدون أن يكون لكم علاقة بالعراق والحجاز؟ فقال المسلمون لا. ثم سألوهم عن الوصاية

فقالوا سنعطي الجواب عن ذلك في مؤتمر دمشق. ثم قالوا لهم: ما هي الأسباب التي بيّنتم فيها احتجاجكم على الصهيونية؟ فقالوا: سنقدمها لكم كتابة. استغرقت الجلسة ساعة فلما خرجوا تناول عارف باشا الداوودي خطابه الذي ألقاه في أوّل الجلسة وقرأه لي على الطريق والناس متألّبون حولنا، ثم أخذت الخطاب منه لأثبته في يوميّتي هذه، وبعد ذلك ذهب الأرثوذكس إلى دار جمعيتهم، فذهبت معهم، فقررنا أن نجتمع بعد الظهر الساعة الثالثة لنتفاهم.. بعد خروج الجمعية الإسلامية المسيحية من عند اللجنة جاءَ الصهيونيون الوطنيون والأجانب منهم وعرضوا مطاليبهم، وقد تولّى كل واحد منهم الكلام من جهة، بحيث أحاطوا بالموضوع من كل جهاته.. بعد الظهر ذهبت إلى دار الجمعية الأرثوذكسية، حيث اجتمع عدد كبير من الطائفة الأرثوذكسية وأكثرهم من أتباع متري تادرس، فوقفت لهم وقفة المصارع وبعد الأخذ والردّ مما لا أرى حاجة إلى تفصيله هنا، وافقوا على المطاليب الثلاثة التي اتفقت البلاد عليها، ووافقوا أيضاً على إيفاد يعقوب فرّاج إلى دمشق نائباً عنهم، ولكن اشترطوا إذا لم يكن بدٌّ من الوصاية أن نطلب إنكلترا في الدرجة الأولى وأميركا في الدرجة الثانية بشروط اربعة: (١) لا صهيونية (٢) لا تقسيم (٣) لا مهاجرة (٤) لا امتيازات ... ثم على هذا ذهب ستة منهم إلى مقابلة اللجنة الاميركية فلم يتعدوا في كلامهم ما طلبته الجمعية الاسلامية المسيحية، ثم ذهب فريق من أعيان المسلمين وهم راغب النشاشيبي وسعيد الحسيني وفيضي العلمي وعبد المعطي الداوودي، وياسين أبو السعود وعلي جار الله وزكي نسيبة وعبد القادر طهبوب، وقد كان من جملتهم موسى شفيق الخالدي ولكنه لم يحضر. وإذ احتاجوا إلى ترجمان أخذوا معهم شريف النشاشيبي، ومما اشير إليه هنا أن البعض قالوا: لنكلف خليل السكاكيني، فما كان من سعيد الحسيني إلا أن قال: دعونا من المسيحيين. اذا تعصب بعض أفراد المسيحيين عذرناهم لأنهم جاهلون، ولكن ما عذرك يا سعيد ... سألهم الرئيس: ما هي مطاليبكم؟ فقالوا مطاليب الجمعية الاسلامية المسيحية الثلاثة. ثم سألهم كيف علاقتكم بالمسيحيين، فقالوا: نحن على وئام وسلام. وكيف تعتبرون الأمير فيصل؟ فقالوا: دخل البلاد كمحارب، وناب عن العرب في مؤتمر الصلح، ولكن الى الآن لم تتكون له صفة خصوصية.. ما هي الروابط بينكم وبين الحجاز؟ فقالوا: روابط دينية. كيف تعاملون الاقلية؟ بالمساواة. ثم قدموا للجنة لائحة طويلة بالاحتجاج على الصهيونية .. ذهبت في المساء إلى المدرسة الليلية.

الثلاثاء في ١٧ حزيران غ سنة ١٩١٩م

ذهبت اللجنة إلى الخليل ومنها إلى غزة فبئر السبع، فأرسلت الأندية الوطنية رسلاً إلى كل محل، ليوقفوا الكلمة على المطاليب الثلاثة. خطر لي أن أحمل الاندية على التبسط في مطاليبهم وبيان رغائبهم، فدعوتهم فاجتمع عدد

كبير منهم في بيتي، ثم اجتمعوا في المساء في المنتدى الأدبي حيث وافيتهم بعد الانتهاء من المدرسة الليلية، فحملت دفاتر يوميتي وقرأت لهم منها ما يتعلق بالموضوع ووعدتهم أن أكتب لهم لائحة بذلك. علّمت مستر أشبي.

الأربعاء في ١٨ حزيران غ سنة ١٩١٩م

بعد أن فرغت من كتابة اللائحة ذهبت إلى النادي العربي، حيث اجتمع عدد كبير من الشبيبة، فقرأت عليهم ما كتبت واتفقنا أن نجتمع في المساء في روضة المعارف لننسخ تلك اللائحة، وبعد الدرس في المدرسة الليلية ذهبت إلى روضة المعارف فأمليت عليهم تلك اللائحة، وامتدت سهرتنا الى نصف الليل. اتفقوا أن يذهب من كل من الأندية سبعة سبعة، فكلفوني أنا وأبا الفضل وجميل الحسيني أن نذهب معهم فاعتذرت وقلت لهم: يجب أن تذهبوا بثيابكم الرسمية، وأن تحلقوا وأن تكلفوا اثنين أو ثلاثة منكم بالكلام، ليتكلم عن النادي العربي الحاج أمين الحسيني، وعن المنتدى الأدبي محمد يوسف الخطيب، وعن جمعية العفاف الشيخ سعيد الخطيب، وكأن أبا الفضل كان ينتظر مني أن اكلفهم بانتدابه للكلام، فلما لم أفعل حسب ذلك تهاوناً مني بأمره. جعل اليهود هذا اليوم يوم صيام حزناً على نكبة اليهود في بولاندا، وعطلت المدارس وأقفلت المخازن.

كانت الساعة الحادية عشرة من هذا الصباح، ميعاد اجتماع الأندية الوطنية باللجنة الأميركية، فذهبت بعد استكمال فروضي اليومية إلى النادي العربي حيث اتفقوا أن يتلاقوا. فجاء بسيسو مع اثنين آخرين من كبار غزة، وكان هناك الشيخ حسن أبو السعود. فقال بسيسو: جمعنا بدو بئر سبع، وقلنا لهم ماذا رأيتم من الإنكليز؟ ألم يفرضوا عليكم الضرائب، ألم يمنعوكم من زراعة الدخان، مما كنتم معفيين منه على عهد الأتراك؟ ثم قال الشيخ حسن أبو السعود: إن الإنكليز أثقلوا عاتق أهل غزة بالضرائب، فالذي لم يبق من بيته قائماً إلا أحد جدرانه أخذوا منه ضريبة عن ذلك الجدار. وبالأمس حين كانوا مجتمعين في بيتي قال حسن الدجاني لماذا لا نرفع احتجاجاً إلى اللجنة الأميركية على فظائع الإنكليز في بلادنا، منها حادثة سرفند (صرفند)[١٧]، ومنها حبس الحاج سعيد الشوا، فلم يسعني إلا أن قلت له: لماذا تستنكر حبس الحاج سعيد الشوا ولا تستنكر حبس غيره؟ فلو حبست أنا أو حبس أي شخص آخر، لم تعيروا ذلك اهتماماً، ولكن لما حبس الحاج سعيد الشوا، قلتم

---

(١٧) يبدو أن الاشارة هنا الى حرق صرفند التي تقع على بعد ٦ كيلومترات غرب الرملة، و٣ كيلومترات جنوب غربي «صرفند العمار»، حيث سُمّيت «بصرفند الخراب» لأن الانكليز أحرقوها في بدايات الانتداب انتقاماً لقتل بعض جنودهم السكارى الذين حاولوا الاعتداء على حرمة القرية، وعُرِفت في الماضي باسم صرفند الصغرى تمييزاً لها عن الكبرى (العمار).

بلغ عدد سكانها العام ١٩٤٥ (٨٤٠ نسمة). هجر أهلها العام ١٩٤٨، وهي الآن مستعمرة يهودية.

يا للفظيعة . . لا فرق عندي بين حبس الحاج سعيد الشوا وحبس غيره، ولو كان من أفقر الناس. أثبت ذلك هنا إماطة لبعض اللثام عن حالة المسلمين الروحية. بالأمس جاءت الأخبار أن البولونيين ذبحوا اليهود، فتلقى المسلمون هذه الأخبار بالسرور. إذا طلبتم الاستقلال فلا تبنوا طلبكم على كرهكم للإنكليز، وإذا قاومتم الفكرة الصهيونية فلا يحملكم ذلك على أن تتمنوا المصائب لليهود وتفرحوا لنكباتهم. . . ثم ذهبت فعلّمت مس كار ومستر مارتن الدرس الثاني عشر . . ذهبت الأندية واجتمعت باللجنة الأميركية وقدمت اللائحة التي كتبتها لها . وقدمت أيضاً بعض لوائح باللغة الإنكليزية ضد الفكرة الصهيونية. في المساء ذهبت إلى المدرسة الليلية.

الجمعة في ١٩ حزيران غ سنة ١٩١٩م

كانت الساعة الرابعة بعد الظهر ميعاد اجتماع أهل البر باللجنة الأميركية. فكتبت لهم لائحة تناولت فيها الموضوع من جهة أخرى، فجاء أبو جميل وعيسى عوض من [قرية] المالحة[١٨] فأمليتها عليهما. إن اجتماع أهل البر باللجنة الأميركية كنت أنا الساعي فيه، فتخوف بعض مسلمي القدس من ذلك لأسباب، أولاً لئلا يطلب أهل البر مطاليب أخرى غير مطاليب أهل المدن، وثانياً لأن بعض كبار المسلمين في القدس، كانوا دائماً يوهمون الحكومة أن لهم نفوذاً على أهل البر، فإذا ذهب أهل البر وحدهم اليوم، خشوا أن تحسب الحكومة أن ليس لتلك الفئة القدسيّة نفوذ على أهل البر، وثالثاً لأنهم خافوا أن يصبح لي نفوذ يزاحم نفوذهم على أهل البر، ولذلك سعوا جهدهم أن يقنعوا اللجنة الأميركية أن لا حاجة لاستطلاع أهل البر عن رأيهم بحجة أنهم اشتركوا في بيان رغائبهم مع الجمعية الإسلامية المسيحية، ولكن كنت سبقت فأخذت وعداً من مستر بيل بتعيين وقت خصوصي للاجتماع بأهل البر، وغرضي من ذلك أن ترى اللجنة الأميركية أهل البر، فترى الفريق الذي يمثل قوة البلاد، وقد أوصيتهم أن يختاروا من أهل البر، أصحاب الأجسام الكبيرة وأن يلبسوا أفخر ثيابهم وعمائمهم وأعبيتهم، وأن يستحموا ليظهروا أمام اللجنة بأجمل مظاهرهم وأفخمها. وقبل الميعاد اجتمعوا في النادي العربي وقد غصّ بهم، ثم مشوا إلى لوكندة مرقص. كلفوني أن أذهب معهم فاعتذرت. دخلوا على اللجنة وقدموا لها لائحتهم. وكأن القدسيين خشوا أن تبدر من أحد أهل البر كلمة لا تلتئم مع المطاليب الثلاثة، فأوعزوا إلى عبد الفتاح درويش من المالحة أن يتولى الكلام ولا يدع فرصة لغيره. فشكر اللجنة وأثنى على الأمة الأميركية، واستنجد بها في رفع الخطر الصهيوني. وقد كان لأهل البر تأثير على اللجنة، مما حمل رئيس اللجنة أن يقول «إن ظواهركم تدل على القوة» . . . لأن اللجنة الأميركية

---

(١٨) المالحة: تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة القدس على مسافة ٥كم منها، تحيط بها عين كارم، الولجة وبيت صفافا، قدر عدد سكانها العام ١٩٢٢ بـ ١٠٣٨ نسمة، فيها موقع أثري مهدّم. هدمت القرية على يد العصابات الصهيونية وشرّد أهلها، وأقيمت على أراضيهم مستعمرة «ماناحات».

عزمت على السفر إلى نابلس غداً صباحاً جعل الناس يتوافدون عليها بعضهم في إثر بعض، منهم وفد الرملة، وهو مؤلف من توفيق الغصين والشيخ سليمان الناجي وأخيه شكري وغيرهم، وقد حملوا مضبطة بوكالتهم، فيها عشرة آلاف ختم على ما يقولون.

السبت في ٢٠ حزيران غ سنة ١٩١٩م

علمت مستر أشبي.

سافرت اللجنة في هذا الصباح إلى نابلس، ولا بد لي من ذكر بعض ملاحظاتي ولو باختصار:

(١) أجمعت البلاد كلها على أمرين: (أ) وحدة سوريا وفلسطين. (ب) الاحتجاج على الصهيونية. (٢) حين رجعت من مصر لم يكن في البلاد فكرة سياسية أو خطة معلومة، بل كان الرأي العام فيها يرمي أن تكون فلسطين للفلسطينيين، هذا كان رأي الجمعية الإسلامية المسيحية، ورأي الفريق الأكبر من مفكري الأمة الإسلامية، بل حين صدر ذلك البلاغ الذي نشرته الحكومتان البريطانية والإفرنسية، بأن للأهالي حق اختيار الحكومة التي يريدونها، حسب الناس أن ذلك ينحصر في سوريا والعراق، وأن فلسطين خارجة عن ذلك الحكم، فاجتمع الأهالي في المنتدى العربي، وكان ذلك أول اجتماع حضرته بعد رجوعي، وقرروا أن يسألوا الحكومة المحلية، هل فلسطين تعتبر من سوريا أم لا؟ ولما عقد مؤتمر الصلح في باريس وذهب الأمير فيصل إليه نائباً عن الأمة العربية، تحدث الناس هنا أن يرسلوا هيئة من فلسطين لتنوب عنهم في مؤتمر الصلح، بل كان الرأي العام يستوحش من اسم الأمير، مما حمل الشيخ موسى البديري في إحدى جلسات الجمعية الإسلامية العمومية، أن ينتقد الأمير، ويقول: إن ولده الصغير يعرف من أمور فلسطين ما لا يعرفه الأمير. وكانوا يحاذرون من انضمام فلسطين إلى سوريا، لئلا تصبح فلسطين تحت حكم سوريا، فكان عارف باشا الداوودي وسائر أعضاء الجمعية الإسلامية المسيحية يقولون: كيف نقبل بعد أن كنا عبيداً للأتراك، أن نكون عبيداً للسوريين يتحكمون بنا كما يشاؤون؟ ولم يكن للأندية والجمعيات الوطنية صبغة سياسية، بل كانت تتجنب التعرض للمسائل السياسية، كما تشهد بذلك بروغراماتها وأعمالها لذلك الحين، بل كانت كلها جمعيات خصوصية، تمثل كل واحدة حزباً من الأحزاب، فكان النادي العربي تحت نفوذ الأسرة الحسينية، والمنتدى الأدبي تحت نفوذ الأسرة النشاشيبية، ولم يكن هناك جهة جامعة بين المسلمين والمسيحيين، بل كان المسيحيون كل طائفة منهم تشتغل بأمورها الخصوصية، لا تتعرض للمسائل العمومية وكان الجميع يتزلفون من الحكومة ويحاولون استرضاءها. هذه كانت الحالة العمومية، وقبل أن أرجع من مصر كنت نشرت كتاباً مفتوحاً في جريدة الكوكب، إلى رفاقي

الذين هربت معهم من دمشق، فلما اطلع عليه الناس هنا، قالوا: إن السكاكيني خرفٌ مجنون. وقد كنت على إثر رجوعي في حالة روحية آثرت معها العزلة فأعلنت أني لا أَزور ولا أُزار، ولكن لم ألبث أن خرجت من عزلتي وأخذني التيار. وكان أول عمل دعوت إليه أن نؤلف في كل بلد في فلسطين هيئة تمثل الرأي العام فيه، ثم أن يعقد من كل الأندية مؤتمر عمومي في القدس، ثم حاولت أن أوحّد الأندية في القدس. ثم دعوت إلى تفويض الأمير فيصل في مصير البلاد. ثم دعوت إلى الجامعة العربية وإلى وحدة سوريا وفلسطين، بحيث أستطيع أن أقول على غير سبيل التمدُّح والتبجُّح، أني قدت الرأي العام في فلسطين عموماً وفي القدس خصوصاً، وجعلت له فكرة سياسية. وحين جاءت اللجنة الأميركية بادرت فكتبت لائحتين الواحدة للأندية والأخرى لأهل البر، ضمنتهما خلاصة فكرتي السياسية، وربما أثبتهما في يوميتي هذه أو ذكرت خلاصتهما، وكنت قد مهدت لفكرتي السياسية في خطابي الذي ألقيته في روضة المعارف عن المتنبي كثائر. وحين وقع الاضطراب في الطائفة الأرثوذكسية، بادرت من فوري فجمعت الكلمة وأنرت البصائر... ومما أذكره بالاستغراب، أنك كنت تراني حين تسنح الفرصة أخوض المعركة فتظن أني مأجور أو مدفوع أو أبوها وأمها، ثم لا ألبث أن أرجع إلى عزلتي ودروسي الخصوصية كأني خالي الذهن أو غريب عن إسرائيل.

(٣) لا بأس من بسط خطتي هنا. إن مصير هذه البلاد مشكلة من أعظم المشاكل، فجعلت همي أن أقدّر كل شيء وأستعدّ له. فأولاً دعوت إلى الاستقلال التام لأسباب أثبتها في لائحتيّ، وقد طلبت الاستقلال لأسباب، أهمها اعتقادي أن الأمة التي تطلب الاستقلال ولا تناله أعلى قدراً من الأمة التي لا تنزع إليه. فأحببت أن تظهر الأمة بمظهر عالٍ يرفع من مقامها في نظر العالم. وثانياً رأيت من قرائن كثيرة أن الاستقلال التام هو خير حلّ لمشكلتنا، لأن الوصاية أو الحماية أو المراقبة قد تؤدي إلى خلاف كبير في الداخل والخارج. في الداخل لأننا إذا سُئلنا أي دولة تريدون أن تكون الوصية عليكم، طلب البعض إنكلترا والبعض أميركا والبعض فرنسا، وأكاد أرجح أن الذي يطلب هذه الدولة دون تلك، لا يراعي في ذلك مصلحة البلاد، بل تقاليد قديمة أو مصالح شخصية، أو يكون مسوقاً بعواطف غير صحيحة فتصبح البلاد أحزاباً متعادية لا يطمئن الواحد منها إلى الآخر، فرأيت أن أتجنب هذه التجربة وأوجّه الرأي العام إلى الاستقلال. هذا من الداخل، وأما من الخارج فإننا إذا أتفقنا على طلب الوصاية، جعلت كل دولة تزاحم الأخرى في أن تكون هي الوصية دون غيرها، فيقع الخلاف بينهم، فنزعاً لكل خلاف وحسماً لكل نزاع في الداخل أوالخارج طلبت الاستقلال، وقد يجوز أن دول أوربا قد تضطر إلى إعطائنا الاستقلال لا لسبب إلا لأنها لا تتفق، وكثيراً ما حفظ هذا الاختلاف بين دول أوربا استقلال بعض الأمم مما وقع الخلاف عليه، كما استقلت تركيا دهراً طويلاً لا لأنها كانت قادرة أن تحفظ

استقلالها ، ولكن لوقوع الخلاف عليها ، وكما حفظت أفغانستان استقلالها لاختلاف مصالح روسيا وإنكلترا . فلو قدرنا أننا حصلنا على الاستقلال التام ، فحينئذٍ لا بد من أخذ الاحتياطات اللازمة لحفظ حقوق الأقلية ، لأن البلاد لم تبلغ بعد من الرقيّ ما يتساوى فيه الجميع في الحقوق الوطنية ، وخير واسطة لذلك هو أن يكون للأقلية امتيازاتها القديمة على عهد تركيا مما يعادل نفوذ الأكثرية ، وإذا لم يكن بدّ من هذه الامتيازات ، فلا بد أن يكون مصير الطوائف المسيحية في هذه البلاد بروتستانتية وكاثوليكية بسبب ضعف روسيا ، فلا تستطيع الكنيسة الأرثوذكسية أن تعتز بها ، وهذه الامتيازات تلغى من تلقاء ذاتها مع الزمان ، ولا يعارض في هذا الاستقلال إلا المسيحيون ، وأشدهم معارضة فيه الطائفة الكاثوليكية ، أولاً ، لأنهم لا يعتقدون أن البلاد تستطيع أن تستقل بنفسها ، وثانياً ، لأنهم لا يأمنون جانب المسلمين ، وثالثاً ، لأنهم ضعفاء الوطنية صغار النفوس قصار النظر ، ورابعاً ، لأنهم يؤثرون مصلحتهم الشخصية على مصلحة البلاد العمومية ، ولا يتأخرون أن يضحوا المصلحة العمومية في سبيل مصلحتهم الشخصية . لا أقول إن الإنسان يجب أن يهمل مصلحته الشخصية ، ولكن لا يجوز أن يعرض مصلحة غيره للخطر . فلو كنت من جملة أولئك المسيحيين لدخلت في الدين الإسلامي لأتمتع بحقوق الأكثرية ، أو [هدمت] خيامي ورحلت عن هذه البلاد ، أو لجأت إلى الامتيازات الطائفية محافظة على حقوقي وكياني ، ثم لم أبتئس أن أرى الأكثرية راضية سعيدة . . . ثم خيرٌ لي أن أكون منتسباً إلى جماعة مستقلة ، ولو بضياع بعض حقوقي ، من أن ألتحق بغيري ولو ضمنت كل سعادتي . ولو كنت إنكليزياً أو إفرنسياً أو أميركياً لنظرت إلى طائفة العرب ، التي تطلب الاستقلال وتوسع دائرة آمالها نظرة احترام واعتبار ، ولو كان في ذلك ما يعارض مصلحة أمتي ، كما أني أنظر إلى الطائفة الأخرى من العرب التي تطلب الوصاية أو الحماية أو الالتحاق بغيرها نظرة احتقار ، بل يزيد احتقاري إذا رأيت أن الفريق الصغير محبّ لذاته ، حريص على مصلحته لا يهمه سعد غيره أو شقي . . . ثم إذا لم يكن بدٌّ من الاستقلال ، فإني أفضل أن يتناول ذلك الاستقلال البلاد العربية كلها لا فلسطين وحدها ، لأن انتسابي إلى أمة كبيرة مستقلة خير من انتسابي إلى أمة صغيرة مستقلة وأدعى للفخر ، وإنما العزة للكاثر . إن استقلال فلسطين وحدها لا قيمة له عندي . . ثم إذا طلبنا الاستقلال فلا نطلبه لأننا نكره الأمم الأخرى أو نعاديها ، أو لأن دينها غير ديننا أو لغتها غير لغتنا ، ولكن يجب أن نطلب الاستقلال حباً بالاستقلال ، ولذلك لا يسعني إلا أن أقول : إن طلاب الاستقلال في بلادنا لا يطلبونه إلا لأن الأمم الأخرى التي قد تكون وصية علينا هي مسيحية ، فلو كانت مسلمة لهان الخطب . ولذلك لا يخلو طلبهم الاستقلال من نعرة دينية ، ومن كره عظيم للأمم الأخرى ، بل منهم من يحن إلى عهد تركيا على ما لقوا فيه من الظلم والاستبداد ، ومنهم من لم يتحرّج من التحامل على الإنكليز والوقيعة فيهم ، والتناول منهم ، كأن في صدره حزازات . ثم هم لا

يطلبون الاستقلال إلا ليكونوا هم رؤساء البلاد ، وأصحاب النفوذ فيها ، فكلمة استقلال في عرفهم مرادفة لكلمة حكم، فإذا استقلوا حرموا الأقلية من أكثر حقوقها وتحكموا بالفلاح. . على أني أجهر هنا أني أحب الاستقلال وأطلبه ولكن في الوقت نفسه أحب الأمم الأوربية وأحترمها وأحرص على ولائها ، بل أنا عربي أولاً وإنكليزي ثانياً . . ثم إذا طلبنا الاستقلال فليس المعنى أن نبادر إلى القوة المحتلة ونكلفها أن تغادر البلاد حالاً ، بل طلبنا منها أن تتريث قليلاً ، ريثما ننظم أحوالنا ونقيم أمورنا ونأخذ لكل أمر عدته ، وقد يستغرق الاحتلال عدة سنوات ، وإلا فإذا حمل الإنكليز أشياءهم وركبوا البحر فإننا نقع في ارتباك عظيم ، بل فوضى تعرّض البلاد للخطر والاستقلال للضياع ، هذا إذا ساعدت الأحوال والظروف أن ننال الاستقلال . ثم لنقدّر أن الأمم الأوربية أنكرت علينا حق الاستقلال ، وقالت : لا بد لكم من وصيّ ، فماذا نعمل . إذا كان لنا حق الخيار فلنتدلل قليلاً . أحب الأمة الانكليزية وأعجب بأخلاقها وآدابها وأعتقد أنها أقدر الأمم على الادارة ، بل أعتقد أنها أنسب أمة لأن تكون وصية علينا ، وأكاد أتناسى نفسي ومصلحتي وأقول فوراً بلا شرط ولا قيد لنختبر الأمة الانكليزية . بل لها عندي ميزات أخرى ، أولاً ، أنها هي التي بعثت الأمة العربية من سباتها ، ونفخت فيها الحياة ، وإن يكن لها في ذلك مصلحة ، وثانياً ، لأنها مسئولة عن مصر وهي قسم كبير من الأمة العربية ، فإذا طلبنا الانكليز ضمنا الوحدة العربية ، ولكن السياسة تقتضي أن نمسك عواطفنا ونتدلل قليلاً . أمامنا خطران : الأول الحركة الصهيونية ، والثاني تقسيم البلاد ، فلنقترح على انكلترا واميركا وفرنسا ، أن التي تدفع عنا الخطرين آثرناها على غيرها ، نقول ذلك ونحن نعتقد أن لا أمة تقدر على دفع هذين الخطرين أكثر من الأمة الانكليزية . الحكومة الانكليزية وعدت اليهود ان تكون فلسطين وطناً قومياً لهم ، فإذا قبلنا الانكليز فكأننا صدقنا على وعدهم هذا ، ولنترك البحث الآن عن الحركة الصهيونية إلى حينه . يهتم الانكليز إذا لم يكن بدّ من الوصاية على هذه البلاد ، أن تكون هي الوصية عليها ، أو على فلسطين ، على الأقل لتأمن على ترعة [=قناة] السويس ، وعلى ذلك اتفقت مع فرنسا في أول هذه الحرب بأن تكون فلسطين للانكليز وسوريا للفرنسويين . ولكن الرأي العام في البلاد رفض هذه التجزئة ، لأنها تضر بالوحدة القومية ، فالذي يأخذ فلسطين يجب أن يأخذ سوريا ، أو الذي يأخذ سوريا يجب أن يأخذ فلسطين ، فأي الدولتين تتنازل للأخرى عن حقها . إذا لم تكن البلاد كلها للانكليز فإنهم يفضلون أن تكون مستقلة ، لأنها تأمن هذا الاستقلال أكثر من احتلال فرنسا ، وإلا فلتتولَ الوصاية أميركا لأن اميركا انكليزية ، ومن أبعد الأمور أن تتحرش اميركا بانكلترا فيكون مصير البلاد على هذا الترتيب ، إما الاستقلال أو الوصاية الانكليزية أو الوصاية الاميركية أو تقسيم البلاد بين فرنسا وانكلترا . أما الاستقلال فقد ذكرت كلمتي فيه في ما تقدم ، وأما الوصاية الانكليزية ، فيجب أن يشترط معها دفع الخطر الصهيوني . والمسألة الصهيونية مشكلة من

أعقد المشاكل، انكلترا وعدت اليهود بفلسطين، فإذا برت بوعدها اغضبت العالم الاسلامي والعالم المسيحي، وفي جملته الأمة الانكليزية، وإذا لم تعط فلسطين لليهود اغضبت الأمة اليهودية، ونفوذها المالي في العالم كله ولا سيما في انكلترا كبير، بل يقال أن لروتشلد من النفوذ في بلاد الانكليز أكثر من نفوذ ملك الانكليز نفسه، ولكن غضب الأمة اليهودية، أخف من غضب العالم الاسلامي والعالم المسيحي، ولذلك فالأرجح أن انكلترا تدبر عذراً للتخلص من اليهود، كأن تقول: ماذا أعمل إذا كانت البلاد بأسرها لا تقبلكم؟ ولو فرضنا أنها لا تبالي بغضب أحد، وأنها لا تهتم إلا بمصلحتها، كان لنا مندوحة أن تقول لها ارفعي الخطر الصهيوني وخذي البلاد كلها لا فلسطين فقط، وإذا وازنّا بين الأمرين: بين غضب الأمة اليهودية وبين تأمين مصلحتها ورضى العالمين المسيحي والاسلامي رجحت الكفة الثانية، وإلا قلنا لها أننا مضطرون أن نلجأ إلى اميركا على أسف منا. لو كانت الوصاية محصورة في الأمة الانكليزية لانقضى بالمسألة الصهيونية. وأما واميركا وفرنسا في الوسط قلنا لانكلترا: إما ان تدفعي الخطر الصهيوني أو تخسري البلاد كلها. ولا شك أن حرية الانتداب من جهة وسياسة توحيد سوريا وفلسطين من جهة أخرى، كانتا من حسن حظنا. ولو قررنا أن أميركا رفضت الوصاية ولم يكن بدّ من تقسيم البلاد بين الانكليز والفرنساويين، فلا يبقى أمامنا إلا أن نبذل وسعنا في تخفيف الخطر الصهيوني، بأن نضع بعض الشروط للمهاجرة. ما ذكرته قبل اليوم في يومياتي ونبذل وسعنا في تخفيف خطر التجزئة، بأن نشترط على فرنسا بأن يكون التعليم حراً لنتمكن من توحيده في البلاد كلها، وأن يكون للحجاز حق السيادة الدينية وغير ذلك. هذه خلاصة السياسة التي تعلمناها في آخر الزمان، والله أعلم بمصير الأمور.. على أني إذا رجعت الى فلسفتي الشخصية، دعوت إلى الجامعة الانسانية، وإلى ترقية الفكر البشري، وإلى اصلاح يشمل العالم كله، وسأتكلم عن هذه الفلسفة في موضع آخر إن شاء الله.

(٤) عرجت اللجنة الاميركية على رام الله، ويقال: أن أهل رام الله طلبت [كذا] وصاية انكلترا. وكانت قد أرسلت الوفود إلى رام الله، ليدعوا الناس إلى المطاليب الثلاثة التي أجمعت القدس على طلبها، فلم يوفقوا.

من الأحد في ٢١ حزيران غ سنة ١٩١٩م
إلى الأحد في ٢٩ حزيران غ سنة ١٩١٩م

(١) زارني راغب بك النشاشيبي يوم الاثنين، فتكلمنا في السياسة التي يجب أن نتبعها في مؤتمر سوريا، وأطلعته على أفكاري التي ذكرتها في يومية السبت.

(٢) ذهبت كشافة روضة المعارف مع أساتذتها إلى دمشق، ثم كلفني الحاج أمين الحسيني أن اساعده في

أخذ تذاكر سفر له ولجميل الشهابي وللشيخ حسن أبو السعود إلى دمشق، ففعلت. وفي نية راغب بك أن يأخذ معه فخري النشاشيبي.

(٣) سهرت مساء يوم الاثنين في بيت قسطاكي أفندي سابا، حيث سبقني راغب بك ومتري تادرس فشربنا قليلاً، ثم ذهب راغب بك على نية السفر إلى يافا، ثم تركت قسطاكي أفندي، فبقيت أنا ومتري فتكاشفنا وتعاتبنا.

(٤) جاءت يوم الثلاثاء رسالة من أخي يوسف فيها عشرون فرنكا هدية لسريّ ويقول: إنه راجع إلى اميركا، وقد جاءت منه رسالة أخرى قبل يومين إلى أمه فيها خمسون فرنكا، وسلسلة ذهب إلى أخته ميليا.

(٥) كان مساء يوم الثلاثاء الواقع في ٢٤ حزيران، عيد تأسيس المحاكم في القدس بعد الاحتلال، فدعينا ولكن لم نذهب.

(٦) مساء يوم السبت الواقع في ٢٨ حزيران غ سنة ١٩١٩م، بينما كنا في مجلس أستاذي، وكان هناك الياس شدياق ومحمد يوسف العلمي وجليل عبد المسيح الموصلي إذ سمعنا دويّ الأجراس في القدس كلها، فلم نشك أن ذلك إعلان عقد الصلح. لا شك أن هذا اليوم أعظم يوم في التاريخ. لقد ربحت انكلترا هذه الحرب بسياستها وشجاعتها. كانت قائدة الأمم وصاحبة السيادة فيها وستكون كذلك بعد هذه الحرب إلى أجل غير محدود والويل لمن يغاضب انكلترا، ضربت حجراً فأصابت أغراضاً عديدة لا غرضاً واحداً، المانيا سحقت وروسيا تمزقت كل ممزق، وفرنسا استنزفت قواها .. هذا صلح الحكومات، ولكن لا بد أن يتبعه صلح الأمم، وعسى أن تدخل الانسانية في دورها الجديد هذا في عصر ذهبي إن شاء الله. ومهما كانت نتائج هذه الحرب فهي كما قال ابن الفارض في دمشق غال بَرَداها بِرداها». ما أحرى الانسانية أن تستقبل هذا الدور الجديد بفرح عظيم .. ولكن يجب أن نذكر أولئك الأبطال الذين ذهبوا ضحية هذه الحرب، يجب أن نجدد عبادة الأبطال، ونجعل من قبورهم معابد ومزارات.

رجعت إلى البيت ولم نلبث أن سمعنا أصوات الهتاف تشق كبد السماء، فأخذت سلطانة وسريّاً وخرجنا إلى باب الخليل، الطرق مزدحمة، مرت فرق انكليزية تتقدمها الموسيقى، وطافت من محل إلى آخر. ثم ذهبنا فجلسنا في قهوة خليل جوهرية، وكان كثيرون من الجنود الانكليزية يشربون ويغنون ويرقصون. ذهبت بالفكر إلى انكلترا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا وسربيا وبلاد اليونان واميركا، فتصورت الناس هناك في هرج ومرج، ولكن لم أغفل عن تصور المانيا والنمسا وتركيا وبلغاريا، فقدرت أنهم وإن كانوا مغلوبين، لا يستطيعون إلا أن يستقبلوا هذا الصلح بفرح، لأنهم استراحوا من عناء هذه الحرب.

سأل نابوليون مرة رجاله العظام: ماذا ترى يقول الناس عني إذا مت؟ فقال الواحد: يقولون لقد مات أكبر قائد في العالم، والآخر لقد مات أكبر سياسي، وآخر لقد مات أعظم رجل، وأما هو فقال إذا مت تنفس الناس الصعداء وقالوا «أفّ» لقد استرحنا، والناس اليوم سواءً كانوا غالبين أو مغلوبين، ما أحراهم أن يقولوا «أفّ» لقد استرحنا.. مع ما قاسيت في هذه الحرب وما تعرضت له من الأخطار والمشقات لا يسعني إلا أن أكون مسروراً، لأني كنت من شهودها، ومن الذين قدّر لهم أن يروا نتائجها. وإذا كان انتصار الحلفاء هو انتصار الحق والعدل والمبادئ العالية، فيسرني كثيراً أن تكون أسرتي السكاكينية، قد اشتركت في هذا الانتصار، بواسطة أخي يوسف الذي اشترك في هذه الحرب في الصفوف الأميركية في فرنسا.

(٧) يوم الأحد في ٢٩ حزيران، لقيت متري سلامة ووديع كتانة، وكلاهما من أعضاء المجلس البلدي، فاقترحت عليهما أن يعقد اجتماع في المجلس البلدي للنظر في الاحتفال بالصلح. وعرضت عليهما أن يؤلف وفد كبير من نخبة رجال القدس على اختلاف الملل والنحل، فيذهب إلى دار الحكومة، ويهنئ الأمة الانكليزية بالنصر ويكلفها أن ترسل باسم القدس التهاني إلى كل دول الحلفاء من أكبرها إلى أصغرها، ومن هناك يزور [الوفد] معتمد فرنسا فمعتمد ايطاليا، ثم يرسل التهاني إلى الأمير فيصل، وأن يؤلف وفد آخر من السيدات للأمر ذاته، ثم يذهب الجميع وفي أيديهم باقات الزهور إلى المقبرة الانكليزية على طريق جبل الزيتون، لتحية اولئك الأبطال، الذين اشتركوا في احراز هذا النصر بدمائهم الزكية. والخلاصة قلت: يجب أن نظهر بمظهر المتمدنين.

حين أخذت من فراشي مساء يوم الثلاثاء الواقع في ٤ ك١ غ سنة ١٩١٧م الساعة الثالثة بعد نصف الليل، لم أشك أن جزائي الإعدام أو على الأقل السجن المؤبد، ثم حين كنت في سجن دمشق لم أقدّر إلا القى حتفي في السجن، أو أن يجيء الصلح وأنا رهين السجن، في ذلك الوقت كنت اتطلع إلى هذا اليوم، يوم الصلح تطلع المشوق المستهام. كتبت في يومياتي إذ ذاك ما يأتي: «آه ما أجمل ذلك اليوم الذي يقال فيه قد وضعت الحرب أوزارها، فليرجع كل إلى وطنه. إن ذلك اليوم عندي لهو يوم مضاعف البركات، سيد الأيام وطليعة عصر ذهبي. ولست وحدي اتشوّق إلى ذلك اليوم بل العالم أجمع. سنقابله بدموع الفرح ونستسلم فيه إلى عواطفنا ولو خرجنا إلى حد الجنون، ما أشوقني إلى ذلك اليوم. نعم كنت اشتاقه قبل اليوم وأنا في بيتي ومسربي، وأما اليوم فإن شوقي إليه أعظم. كما أنه لو جاء ذاك اليوم وأنا في القدس لكان فرحي به عظيما، ولكن إذا جاء وأنا في الغربة فسيكون فرحي به أعظم. لو قالوا لي ارجع إلى بلادك لقمت من فوري بالثياب التي عليّ، وركضت على أقدامي في ليلي ونهاري بدون طعام ولا شراب، إلى أن أدخل على بيتي وألقي بنفسي على أحبائي. أرجع إليهم كما خرجت عنهم، وسأجعل دخولي المدينة من باب الأسباط، ذلك الباب الذي خرجنا منه في جنح

الظلام، مكبلين بالحبال بقلوب منسحقة متكسرة كالأغنام المسوقة للذبح» . هذه كانت عواطفي، ولست أشك أن البلاد بأسرها يوم كانت تئن تحت أعباء الحرب كانت تنظر إلى هذا اليوم ملتهبة الصدور مضطربة الأحشاء، ولكن قدر ان تخلص من ذلك الشقاء قبل مجيء هذا اليوم، ومرت عليها من الحالات الروحية، ما لعلها نسيت معه الشقاء، فلم تعد تنظر إلى هذا اليوم كأنه يوم الخلاص. لو جاء هذا اليوم في تلك الأيام السوداء لكانت له قيمة عظمى.. وهنا وقد وضعت الحرب أوزارها، فلا أرى بداً من أن أكرر وصيتي التي كتبتها يوم كنت رهين السجن في دمشق، وهي وصية طويلة تشتمل على تسع عشرة مادة جاء في المادة السادسة عشرة ما نصه: «أرجو أن تكون هذه الحرب آخر عهد البشر بالحروب، ولكن إذا لا سمح الله نشبت حرب، فلا يسكن سريّ بلاداً في حالة حربية مع غيرها سواء كان من أبنائها أو غريباً عنها، أولاً، لأني أرجو أن يكون من أنصار السلم كارهي الحرب، وثانياً، لأن البلاد التي تكون في حالة حربية تهيج أعصابها ويطيش حلمها، ويستحكم فيها سوء الظن، فلا يأمن أن يؤخذ من حيث يدري ولا يدري. ما دامت البلاد في سلم فليبشر بكره الحرب، ولكن إذا دخلت البلاد في حرب بحق أو بغير حق فلينفض يديه منها وليرحل عنها، لهم دينهم وله دينه. لا يكن رحيله عن جبن، فإن الجبن دناءة، ولكن ليكن رحيله عن مبدأ» .

سافرت اليوم وفود القدس في مؤتمر سوريا إلى دمشق.. اصطلح الناس أن يجعلوا الحوادث العظمى بداءة تاريخ جديد، فما أحراهم اليوم أن يجعلوا هذا اليوم بداءة التاريخ، أما أنا فسأجري على هذا الاصطلاح منذ الآن. وقد اصطلحوا أن يعيّدوا لتذكار الحوادث العظمى أو لميلاد أو وفاة رجال الدين، فما أحراهم اليوم أن يجعلوا هذا اليوم عيد الأعياد وسيد الأيام. أعياد الناس نوعان: أعياد بؤس وأعياد نعيم، وليكن هذا العيد مزيجاً من النوعين لتذكر فيه الانسانية المصائب التي حلت بها مما لم يكن مثله في التاريخ، ولن يكون، فترسل دمعة على اولئك الذين ذهبوا ضحايا هذه الحرب، ولتذكر من الجهة الأخرى خلاص الانسانية حين عقد الصلح، وإنه لخلاص عظيم يستحق أن تقام له الأفراح والولائم، لا يوماً واحداً في السنة بل عدة أيام، أما أنا فسأعيّد في كل سنة وأجعل عيدي أربعة أيام، لا يوماً واحداً .

الاثنين في ٣٠ حزيران غ سنة ١٩١٩م أو السنة الأولى [للصلح]

ابتدأت الحكومة الانكليزية تطلق سراح الأسرى من العرب، فجاء اليوم منهم عدد كبير إلى القدس، إن هذا اليوم عند أولئك الأسرى وذويهم ليوم عظيم .. سيجتمع الناس في بيوت أولئك الأسرى لتهنئتهم، واستطلاع أخبارهم منذ تركوا بيوتهم إلى أن رجعوا. ما هي المعارك التي شهدوها ومن سقط من اخوانهم قتيلاً، ومن جرح

ومن نجا ، وكيف كانت حالتهم في الأسر؟ وسيسأل اولئك الأسرى مئات من الأسئلة. من مات ومن عاش من ذويهم وأهل بلدهم ، سيسألون عن أراضيهم وحقولهم وأبقارهم وغنمهم ودجاجاتهم وسائر ما يملكون ، فمنهم من يبكي ومنهم من يفرح. سيكون لرجوع الأسرى ضجة كبيرة في طول البلاد وعرضها ، ستقام ولائم وستقام مآتم. ولا بدّ أن تشتغل الصحافة وقتاً طويلاً بأخبار اولئك الأسرى ، ثم تندمل الجراح وترق الدموع ، ويتناسى الناس الحرب وويلاتها ، ويرجعون إلى حالتهم القديمة.

عطلت الحكومة دوائرها كأنها اعتبرت هذا اليوم عيداً . وكذلك تعطلت المدارس ، ولكن كنت أقدّر أن تشترك البلاد كلها في الاحتفال بهذا العيد . إنها لأمة بليدة العواطف ميتة الحسّ. كان يجب أن يجيء هذا اليوم ، يوم كانت البلاد تتضور من الجوع ، يوم كان يُساق شبانها مكبلين بالحبال كالأنعام إلى الخنادق والاستحكامات. يوم كانوا إذا لمحوا شبح رئيس أخذ العسكر من بعيد لاذوا بالفرار كالأرانب ، يوم كانت الحكومة توالي طلباتها ، فتارة أكياس خيش وتارة تطلب لحفاً وحرامات وتارة بسطا وسجاجيد ، وتارة الأواني النحاسية ، وغير ذلك من التكاليف الحربية التي اضطر معها الناس أن يبيعوا ما فوقهم وما تحتهم ، فلم تزدد الحكومة إلا طمعاً فيهم وجرأة عليهم ، يوم كانت الأمراض تفتك بالبلاد فتكاً ذريعاً ، يوم كان الناس ينفون من بلاد إلى أخرى الرجال والنساء والأطفال ، يوم كانت الحكومة تشنق الأبرياء لأقل الأسباب ، لو جاء هذا اليوم في مثل تلك الأيام لاستقبلوه بدموع الفرح وقبلوا الأرض ألوفاً من المرات ، لأنهم خلصوا من ذلك الضيق العظيم. ولكن جاء هذا اليوم بعد أن مرّ على البلاد نحو سنة ونصف وهي آمنة مطمئنة ، ثم أخذتها حالة سياسية تنبهت معها عواطف مختلفة ، جعلتها تنظر إلى هذا اليوم ببرودة. ومن أعجب الأمور أن يكون في البلاد اليوم من لا يزال يعطف على تركيا وألمانيا فيحسب هذا الصلح شؤماً . مهما كانت عواطفك ورغائبك أيتها الأمة ، فهي ليست إلا أمراً طفيفاً بالنسبة إلى هذا الصلح ، فيجب أن تتناسي نفسك وتفرحي بهذا اليوم لأنه يوم الانسانية جمعاء . . ذهبت بعد الظهر فعلّمت صف مستر مارتن وهو الدرس الأول بعد الدروس السابقة التي انتهت في الأسبوع الماضي ، وقد فهمت منهم أن مس كار مسافرة ، وأن الدروس ستكون ثلاثة في الاسبوع ، لا ستة ، فيقل دخلي بذلك ثلاث ليرات في الشهر .

الثلاثاء في أول تموز غ سنة ١٩١٩م أو السنة الأولى للصلح

علّمت مستر أشبي . وبعد الظهر ذهبت لأعلّم الكابتن بولاق فشغلنا بالحديث عن الدرس ، جالت في نفسي خواطر عديدة لم يتسع الوقت لأن أثبتها في يوميتي فأرجئها إلى فرصة أخرى .

الأربعاء في ٢ تموز غ سنة ١٩١٩م أو السنة الأولى للصلح

ذهبت في المساء إلى المدرسة الليلية، وقد اتفق ونحن في غرفة الدرس أن التهب القنديل، فلم يجسر أحد من التلاميذ، وكلهم رجال، أن يقترب منه ليطفئه، بل منهم من فتح باب الغرفة، وهرب، فبادرت إليه وأطفأته، فتأمل.

الخميس في ٣ تموز غ سنة ١٩١٩م أو السنة الأولى للصلح

دفعت لي ادارة المدرسة الليلية خمس عشرة ليرة مصرية عن شهر حزيران وربع شهر أيار الأخير. فدفعت منها خمس ليرات من أصل القرض الذي عقدته مع البنك اليهودي، علّمت مستر أشبي، وبعد الظهر علّمت الكابتن بولاق ثم ذهبت إلى المدرسة الليلية، عثرت بين أوراقي على صورة رسالة كنت بعثت بها إلى عيسى العيسى في دمشق على أثر رجوعي من مصر، فأحببت اثباتها هنا لأنها تترجم حالتي وهذا نصها:

لا أزال مع الزمان في حالة حربية، ولا تزال العلائق بيننا مقطوعة والأسباب مصرومة، فشرارة مني أو منه تلتهم اليابس والأخضر ولا تبقي ولا تذر. لا ينقاد لي ولا أنقاد له، ولا ينزل على حكمي ولا أنزل على حكمه، يطاردني عن نيل ما أريد وأطارده ويغالبني، واغالبه، حالة ألفتها منذ عرفته وعرفني، لا يلقاني إلا محتفلاً ولا القاه إلا غير مكترث، والنصر بيد الله يؤتيه من يشاء. ويعلم الله أني لا أحب القتال ولكن ماذا أعمل والدهر يحاول أن يقنعني من الغنيمة، بعد الكد بالقفل، ومن الحياة بالنصيب الأخسّ والذي يطعمه ما يرى من صغر النفوس ووهن العزائم وسلاسة القياد ومرض القلوب وتكالب هذا السواد الأعظم على الحياة، واعتماده من الصفات الدهاء والمكر والتلوّن والتملق. ترى الرؤوس مرفوعة فتظن أن هناك شمخاً وإباء، فإذا عرضت الأطماع تمرغت الجباه في روغات الذل والهوان، وصارت الرؤوس في مواطئ النعال. ترى ظواهر جميلة فعند أول عصفة تنكشف لك عن بواطن بشعة مشوهة. ترى علائم الاخلاص وملامح الصدق ثم لا تلبث الأيام أن تبدي لك ما لم تزود. لقد كشفت هذه الحرب القناع عن حقيقة الناس كما كشفته عن حقيقة الأمم، وتلك حقائق إن تبدُ تسؤ، أبرأ إلى الله من الإفتئات والبهتان والله أعلم بالسرائر...

الجمعة في ٤ تموز غ سنة ١٩١٩م أو السنة الأولى

دفعت لمتري ابن خالتي ليرتين مصريتين من أصل حسابه، وليرة إلى جرجي قرط عن يد أبي داود من أصل كمبيالة بعشر ليرات .. بعد الظهر علّمت صف مستر مارتن. وبعد الدرس جئت إلى الحديقة البلدية، وكان هناك أبو الفضل وعادل جبر وآخرون. ثم جئت إلى البيت فأخذت سلطانة وسرياً ومشينا على طريق يافا.

السبت في ٥ تموز غ سنة ١٩١٩م

ذهبت إلى مستر أشبي فاعتذر، وبعد الظهر ذهبت لأُعلّم الكابتن بولاق فاعتذر أيضاً، ومن هناك ذهبت أزور أستاذي وبقيت عنده إلى نحو الساعة الثامنة مساءً، لم نترك موضوعاً إلاّ طرقناه. قال لي: إن جمعيات التبشير الإنكليزية والأميركية في القدس قرّرت افتتاح كلية في السنة القادمة، وسيكون هو أستاذ اللغة العربية فيها.

الأحد في ٦ تموز غ/سنة ١٩١٩م

أطلق سراح بقية أسرى العرب فرجعوا إلى القدس أمس، واليوم زارنا محمود صالح الذي كان يشتغل عندنا فسررت برجوعه. وقع أسيراً في بئر سبع قبل نحو سنة وعشرة أشهر، وقد فهمت من كلامه أن الإنكليز لم يُحسنوا معاملة الأسرى، وقد عزمت أن أجمع منه ومن غيره معلومات دقيقة عن حياة الأسرى. إذا انتشرت أخبارهم في طول البلاد وعرضها كان ذلك مما يزيد نفرة الرأي العام في البلاد من الإنكليز، وعندي أنه يجب على الحكومة الإنكليزية أن تتلافى ذلك التأثير السيّئ، بأن تساعد الأسرى وتوفّر لهم أسباب الحياة... كتبت رسالة إلى أخي يوسف أُهنّئه برجوعه سالماً من ساحات القتال. زارنا في المساء الكابتن بولاق، فسهرنا إلى نحو الساعة الحادية عشرة.

الاثنين في ٧ تموز غ سنة ١٩١٩م

علّمت تلميذتين من صفّ مستر مارتن، وأما مستر مارتن وامرأته فقد ذهبا إلى يافا ومن هناك ذهبت إلى المدرسة الليليّة.

الثلاثاء في ٨ تموز غ سنة ١٩١٩م

علّمت مستر أشبي. رجع يعقوب ابن خالتي من دمشق، فذهبت في المساء لأُسلّم عليه، وكان هناك زائرون كثيرون، فلم أتمكّن من الوقوف منه على أخبار مؤتمر سوريا بالتفصيل، فأرجأت ذلك إلى فرصة أُخرى..

الأربعاء في ٩ تموز غ سنة ١٩١٩م

علّمت صفّ مستر مارتن، ولم يحضر الدرس إلاّ تلميذتان، ومن هناك ذهبت إلى المدرسة الليليّة. قرّر موسى العلمي السفر إلى كمبردج غداً، فكتبت له كلمتي في يوميته الجديدة، وذهبت مع سلطانة وسريّ في المساء لنودعه فلم نجد أحداً.

الخميس في ١٠ تموزغ سنة ١٩١٩م

علّمت مستر أشبي.. عند الظهر ذهبت مع أستاذي إلى بيت موسى لتودعه، فلقينا هناك خاله الشيخ إبراهيم الدنف، الذي كان معتقلاً في مصر منذ الاحتلال بتهمة الجاسوسية فسلّمنا عليه. كان موعد السفر اليوم الساعة الثالثة بعد الظهر إلى يافا فيركب البحر غداً، رافقته السلامة وحقّق الله آماله.

الجمعة في ١١ تموزغ سنة ١٩١٩م

علّمت صفّ مستر مارتن ولم يحضر الدرس إلاّ مسس مارتن والتلميذتان الأُخريان. بعد الدرس جئت إلى حديقة البلدية حيث وجدت إسعاف وآخرين، أفضى بنا الحديث إلى ذكر الوطنيّة، قلت لهم: إن هذه الفكرة جديدة بيننا، لم تخطر لنا قبل اليوم في بال، وإنما كانت البلاد تحت نفوذ أجنبي أمداً طويلاً، فإذا أردنا أن نستبدل النزعات الأجنبية بالوطنيّة فلا يتمّ ذلك في يوم. النزعات الأجنبية بنت الدهر والعاطفة الوطنيّة بنت الساعة، لا نستطيع أن نصير وطنيّين إلاّ بعد الجيل الثاني أو الثالث، هذا إذا ابتدأنا أن نتربى على الوطنيّة منذ اليوم. هذا ما يقتضيه مذهب النشوء والارتقاء، وقد فات القائمين بالحركة الوطنية أن يتفطّنوا لذلك، بل حسبوا إذا شاعت هذه اللفظة على الأفواه، وادّعى الوطنيّة كل واحد، أصبحنا وطنيّين كل الوطنيّين. انعقد المؤتمر السوري في دمشق، فما رأينا، المسلم أصبح مسلماً والمسيحي أصبح مسيحيّاً، وبعبارة أخرى عاد كل فريق إلى تعصّبه القديم، ولا عجب، فهذا التعصّب ليس ابن ساعته بل هو ابن أجيال.... في المساء زرت يعقوب ابن خالتي قال لي: حين دخلنا على الأمير قدّمنا عيسى العيسى إليه قائلاً: راغب بك النشاشيبي، سعيد بك الحسيني، يعقوب بك فرّاج، فبادر سعيد أفندي، وقال: يعقوب أفندي فرّاج من إخواننا مسيحيّي القدس الرّاقين المخلصين، قال أفندي ولم يقل بك، كأنه استكثر هذه اللفظة على يعقوب، وقال: من مسيحيّي القدس لئلا يحسبه الأمير مسلماً، والله أعلم.

ثمّ لمّا هيّأ المجلس اللائحة التي ستقدم إلى اللجنة الأميركية، امتنع يعقوب عن توقيعها لأسباب أهمها، أوّلاً، قالوا في اللائحة: إن المؤتمر السوري يمثّل سكان البلاد على اختلاف المذاهب والنحل، من مسلمين ومسيحيّين وموسويّين، على حين لم يكن فيه إلاّ خمسة أو ستّة من المسيحيّين، وكان يجب أن يكون عددهم أكثر، ولم يكن من الموسويّين أحد، فاعتبر قولهم هذا مخالفاً للحقيقة. وثانياً، تحاملوا في تقريرهم على فرنسا بعبارات تشف عن تحقير، فلم يشأ أن يوافقهم على ذلك. وثالثاً، لم يطلبوا إحدى الدول للوصاية بل طلبوا الاستقلال، وأن يكون الأمير فيصل ملك البلاد، وهو يعتقد أنه ذهب إلى المؤتمر السوري للنظر في أمر الانتداب لا غيره،

وكان ذلك في جلسة الصباح، وأجّلوا توقيع اللائحة إلى الساعة الثانية بعد الظهر، فجعل سعيد وراغب يحاولان إقناع يعقوب بقبول توقيع اللائحة فلم يقبل، وقبل أن يحين وقت الاجتماع سبقهما سعيد إلى المجلس، ثم تبعه راغب ويعقوب، فدخل يعقوب وجلس بجانب سعيد وسعيد لم يشعر به، فسمعه يقول لرئيس المجلس: إن هذا النصراني خائف متمنع عن التوقيع، فحسب قوله «هذا النصراني» تحقيراً له فانسحب واهتم بالسفر ورجع إلى القدس... لا ألوم يعقوب على انسحابه، ولكن لو كنت في محله لاعترضت واحتججت وانتقدت، وجعلت لوجودي في المؤتمر أهمّية، وحولت الرأي العام فيه إلى الجهة التي أُريدها. وإلا فإن انسحابي لا يقدّم ولا يؤخّر... رفض المؤتمر الوصاية، وإنما قالوا: إذا احتجنا إلى مساعدة في الأمور الفنية الاقتصادية فإننا نستعين بأميركا.. لماذا رفضوا الوصاية ولماذا خصّوا أميركا بطلب المساعدة؟ أخشى أن يكون السبب أنهم رأوا أن المسيحيّين عموماً يميلون إلى طلب الوصاية، وخصوا أميركا بطلب المساعدة، لأنهم رأوا أن الكاثوليك يميلون إلى طلب فرنسا، والأرثوذكسيين يميلون إلى طلب إنكلترا فطلبوا هم أميركا، ولو اتفق أن المسيحيّين طلبوا أميركا لطلبوا هم إنكلترا أو فرنسا معاكسة للمسيحيّين، والله أعلم بذوات الصدور.

السبت في ١٢ تموز غ سنة ١٩١٩م

علّمت مستر أشبي.. بعد الظهر زرت أستاذي وكان قد سبقني إلى هناك أبو جميل. قرأنا الخطاب الذي ألقاه الأمير فيصل في النادي العربي في دمشق، ويظهر منه أن البعض حقّر الأمير، ويقال: إن ذلك لأن رأي الأمير كان أن نطلب إنكلترا للوصاية علينا. وقد سمعنا من أفواه الذين جاؤوا من دمشق أنه سُمع هناك من ينادي: ليسقط فيصل ليسقط الخائن.. من يتولّى سياسة أُمّة مثل أُمّتنا لا بُدّ أن يتعب كثيراً.

رجعت مع أبي جميل، وكانت سلطانة قد ذهبت مع سريّ إلى بيت لبيبة ابنة عمّي فعرجت مع جميل، فلمّا اقتربنا من الدار سمعناهم يُغنّون ويرقصون احتفالاً بعرس فدوى الذي سيكون غداً، فاشمأزّت نفسي ولم أدخل.

الأحد في ١٣ تموز غ سنة ١٩١٩م

عزم جاري فراجي أفندي على السفر إلى دمشق اليوم الظهر، فرأيت أن أغتنم الفرصة وأكتب رسالة إلى عيسى العيسى، ومما قلته فيها «في البلاد فئة من الناس أشبه من عالم النبات بخضراء الدمن، ومن عالم الحيوان بالحلم ومن النوامي في جسم الاجتماع بالسرطان أو الدمامل، ومن سائر الموجودات بالنفايات

والعفونات، ومن الروائح بريح الجورب العرق، ومن الطعوم بالزقوم، ومن المسموعات بشحيج البغال وعواء الذئاب، ومن العيوب بالعمى، ومن الألوان بالبهق، ومن الدهر بالأجيال المظلمة، فئة هي عار الإنسانية وغضاضة الفضل ومنقصة الأدب وآفة كل فضيلة، فئة لو انتسبت إلى الكلاب لتبرّأت منها، فئة كانت الوطنية بالأمس ذنباً لغيرها، فأصبحت اليوم سلعتها التي بها تتاجر. فئة لو عرف الناس ماضيها وفي أي منبت سوء نبتت، وفي أيّ حمأة من الدعارة عاشت لربأوا بالشرف أن يطأ حماه والوطنية أن تتلبّس بها. فئة لم يمرّ بها يوم إلاّ احتقبت فيه خزي الأبد، ولم تقم في بلد إلاّ تركت من روائحها الكريهة ما يأخذ بالحلق، ومن آثارها السيئة ما تجيش منه النفس، ومن أخبارها الدنيئة ما تستك له المسامع... ما أسهل الوطنية إذا كانت دعوى، وما أرخص الفضيلة إذا كانت كلاماً، وما أكثر الحماسة إذا كانت شعراً، وما أكثر الإخلاص إذا كان تصنّعاً وتجمّلاً، وما أكثر العلم إذا كان شعوذة وتطفّلاً... فئة كانت تشكونا إلى الترك أننا عرب وإنكليز، فلما جاء العرب والإنكليز تخطّت فوق رقاب الجميع، وحلّت في المحل الرفيع...» رسالة طويلة لو لم يستعجلني فراجي أفندي لكانت طويلة الأذيال، أفرغت فيها من غضبي ما يقلقل الجبال.

بعد الظهر زارنا خالي جورج مع ابنته سارة. تكلمنا في أحاديث مختلفة [...]. في المساء ذهبت مع سلطانة وسريّ إلى بيت ابنة عمّي لبيبة لحضور حفلة الإكليل، وهناك تعرّفنا بالعريس الخواجا نصري صفير وأمّه وزوج أمّه الخواجا إيليا. وبعد الإكليل جعلوا يتهيّأون للسفر إلى طول كرم، ونوت أمّ سليم أن تأخذ ابنتها إليني معها فاعترضهم سمعان كتوعة وأخوه بحجة أن أباهما لا يرضى عن ذلك، فأصرّ أبو سليم على ذهابها وكثر الأخذ والرد، وارتفعت الأصوات وبكت إليني وأغمي عليها، فتأثرت فدوى العروس، وكادت تمزّق ثيابها، فلم يسعني إلاّ أن آخذ سلطانة وسريّاً وأنسحب.

الاثنين في ١٤ تموز غ سنة ١٩١٩م

علّمت صفّ مستر مارتن وكان هو متغيّباً، ومن هناك ذهبت إلى المدرسة الليليّة. جاءتني رسالة من الحكومة بانتخابي عضواً في العمدة الشوريّة [= الاستشارية] المشتركة Joint Advisory Committee التي ستجتمع يوم الأربعاء الساعة العاشرة صباحاً.

الثلاثاء في ١٥ تموز غ سنة ١٩١٩م

علّمت مستر أشبي. وذهبت بعد الظهر لأعلّم الكابتن بولاق فوجدته مشغولاً، فذهبت إلى الحديقة البلدية

حيث وجدت أبا الفضل، فجعلنا نتكلم عن الأحزاب السياسية في البلاد، فقلت: إذا طلبنا الاستقلال أو الوصاية فيجب أن يكون ذلك عن مبدأ، وإلاّ فإن كثيرين ممن يطلبون الوصاية أقرب إلى الشرف من كثيرين ممن يطلبون الاستقلال، ولكن بغير معناه الحقيقي. لقد أثبت مؤتمر سوريا أننا بعيدون عن الوطنيّة، المسلم يقول أنا مسلم أوّلاً ثم عربيّ، والمسيحي يقول أنا مسيحيّ أوّلاً ثم عربيّ، ولا تكون لنا وطنيّة صحيحة راقية إلا إذا شعر كل واحد أنه عربيّ أوّلاً، ثم مسلم أو مسيحي. لا تكون الوطنية وطنية، إلا إذا شعر كل واحد أنها جزء من شرفه الشخصي إلخ. ثمّ ذهبت إلى المدرسة الليليّة. ليس أدلّ على الأخلاق من الصوت. قد تشعر من صوت محدّثك أنه شرس الأخلاق أو رضيّها جافي الطبع أو ليّنه، رخو النفس أو شديدها ضعيف الإرادة أو قويُّها، شجاع أو جبان، شريف أو دنيء، خبيث النية أو سليمها، صادق أو كذوب، عالي الهمّة أو فاترها، كبير النفس أو صغيرها إلى غير ذلك من الصفات. وليس أدلّ على الضعف والانحطاط من الأصوات الرخوة القلقة، وعلى التصنّع من التزام المتكلّم نغمة واحدة في كلامه لا يعلو فيها ولا يسفل، وعلى القسوة وفظاظة الأخلاق من حدّة الصوت، تلك الحدّة التي تسكّ لها المسامع، وعلى ضعف الأخلاق وارتخاء النفس من تلكّؤ الصوت وامتداد النغمة، بحيث تتحوّل الحركات القصيرة إلى طويلة، خذ مثلاً الأمّة العربيّة على عهد البداوة يوم كانت أخلاقها شديدة ونفوسها كبيرة عزيزة أبيّة، كانت تقول في [فعل] الأمر من قام وقال مثلاً قم وقل، ثم لما تحضّرت وتدلّت صارت تقول «أُوم» «أُول» أي بتليين القاف ومد الحركة. لي في هذا الموضوع خواطر كثيرة لا يتسع لها المقام، وإنما سقت ذلك لأقول: إن ما ألاحظه في أصوات تلاميذي من اليهود ليدلّ على انحطاط هذه الأمّة وضعفها . . . بعد الدرس جئت إلى حديقة الأُمّة، حيث لقيت أبا الفضل وأحمد الخالدي وآخرين، فساقنا الحديث إلى الخطابة والقراءَة، فقلت: إننا في قراءَتنا لا نراعي أحكام اللغة العربيّة ومعاني حروفها وأدواتها. مثلاً: نعرف أنَّ و«إنَّ» تفيد التأكيد، ولكن حين نلفظ هذه الأداة لا نكسبها صفة التأكيد. نعرف أن البيان يوضح الاسم الذي قبله فنقول: جاءَ أخوك زيد بإخراج الكلمتين على نغمة واحدة، على حين يجب أن تكون اللفظة الثانية أعلى نغمة من اللفظة الأُولى، إلى غير ذلك مما سأضع فيه مقالة وافية إن شاء الله.

الأربعاء في ١٦ تموز غ سنة ١٩١٩م

نحو الساعة العاشرة من هذا الصباح مرّ عليَّ يعقوب ابن خالتي فذهبنا معاً إلى دار الحكومة لحضور جلسة العمدة الشورية المشتركة، وكان قد سبقنا الرؤساء الروحيون لكل الطوائف ومعتمدو الدول، ومن الوطنيين رئيس البلدية [موسى كاظم الحسيني] وفهمي النشاشيبي وأنطون جلاّد ومتّيا أبو صوّان، وابرهيم الشمّاش

وجورج السكسك وأنضوني الغوري، ومن الصهيونيين الخواجا ميوحاس، ومن المستعمرة الأميركية يعقوب إلياهو. اقترح الحاكم إقامة احتفال في الثاني والثالث والرابع من شهر آب بالصلح، وعرض بروغرام الحكومة، وطلب من رئيس البلدية أن يكلّف الأهالي بوضع بروغرام للاشتراك في هذا الاحتفال. ثم قمنا وجئنا إلى مكتب المستشار المحلي الخواجا حنا اسطفان، فقلت: يجب علينا أن نشترك في هذا الاحتفال، ليس لأن الحكومة اقترحت ذلك علينا، بل لأن الأُمّة تشعر بوجوب هذا الاحتفال. وليكن الغرض من هذا الاحتفال، أوّلاً إعلان شكر لله بواسطة وكلائه على الأرض، وللحلفاء بواسطة معتمديهم في البلاد، وللأمير فيصل. وإعلان فرح، وهنا نعلن فرحنا على الطرق التي ألفناها. وكيف نعلن فرحنا؟ قد يكون ذلك بتأليف المواكب فنسير في الطرق نهزج ونغني ونرقص ونلعب بالسيف، برفع الأعلام في البيوت، بتزيين شرفات المنازل والنوافذ بالزهور، بالتزاور، بإشعال النيران والأضواء في الليل، بتأليف مواكب من تلامذة المدارس من الصبيان والبنات وفي أيديهم الأعلام والزهور، إلى غير ذلك مما يجب أن ندرسه. وإعلان أسف. أعياد الناس نوعان: أعياد يذكرون فيها ما ألمّ بهم من المصائب التاريخيّة، وأعياد يذكرون فيها ما لقوا فيها من الفرح التاريخي، وقد كان للنعمان بن المنذر يومان في السنة، يوم نعيم ويوم بؤس، فعيدنا هذا يجب أن يكون لتذكار المصائب العظيمة التي حلّت بالأمم بواسطة هذه الحرب من جهة، ولتذكار الفرح العظيم بالخلاص من ويلاتها من جهة أُخرى. يجب أن نذكر أولئك الأبطال الذين ذهبوا ضحية هذه الحرب. يجب أن نضفر الأكاليل ونذهب في موكب عظيم، إلى كل المقابر فنضع على كل مقبرة إكليلاً نكتب عليه باسم ضحايا الحرب، مقدّم من أهل القدس. والخلاصة يجب أن يكون عيدنا هذا لإعلان ثلاثة أمور، الشكر والفرح والأسف. فاتفقنا أن نجتمع يوم الجمعة في المجلس البلدي بعد الظهر... في الساعة الرابعة ذهبت فعلّمت صفّ مستر مارتن وكان قد دفع لي في الصباح ثلاثين شلناً عن ستة دروس سابقة، ثم ذهبت إلى المدرسة الليليّة.

الخميس في ١٧ تموز غ سنة ١٩١٩م

كنت في المدة الأخيرة قد اكتفيت من ألعابي بالفرك والدلك، واليوم رأيت أن أستأنف ألعابي. علّمت مستر أشبي. وبعد الظهر ذهبت لأُعلّم الكابتن بولاق، فلم يستطع أن يأخذ درساً، بل دعاني لشرب كأس بيرا، ثم ذهبت إلى المدرسة الليليّة. وفي المساء زارنا أحمد الخالدي وأبو جميل وجورج خميس.

الجمعة في ١٨ تموز غ سنة ١٩١٩م

منذ أيام اشتدّ الحرّ فجعلت أستحمّ ثلاث مرات في النهار، وجعلت سلطانة تستحم مرتين. ذهبت بعد الظهر إلى نادي المجلس البلدي، حيث عقدت جلسة تحت رئاسة رئيس المجلس البلدي موسى كاظم باشا الحسيني، للنظر في الاحتفال بعيد الصلح الذي قرّرت الحكومة أن يكون في الرابع والخامس والسادس من شهر آب القادم، وقد حضر هذه الجلسة يعقوب فرّاج، متري سلامة، أنضوني الغوري، ابرهيم شمّاس، جورج سكسك، إلياس مشبك، وأنا من الطائفة الأرثوذكسية، ولطفي أبو صوّان ووديع كنانة، ومتيا أبو صوّان من الطائفة اللاتينيّة وميوحاس وإليا شار من الطائفة الموسويّة، والشيخ محمد صالح، وعادل جبر، ومحمود عزيز الخالدي، وعبد القادر الشهابي، وفخري الحسيني من المسلمين. ولما انتظمت الجلسة كُلِّفت أن أتولّى كتابة وقائعها، ثم وقفت وقلت: يجب أن نعتبر هذا العيد أعظم عيد تحتفل به الإنسانية، هذا العيد لا يخصّ أُمّة دون أُخرى أو مذهباً دون آخر، بل هو عيد الإنسانية جمعاء، لا عذر لأحد في عدم الاشتراك فيه، وأجلّ أُمّتي أن تستقبل هذا العيد بفتور، وأن تشترك فيه بناءً على اقتراح الحكومة لا من تلقاء نفسها، وإن أردنا أن نقيم عيداً، فيجب أن نعرف المبادئ التي يقوم عليها العيد، ثمّ أن ننظر في الوسائل التي تظهر بها تلك المبادئ، أما المبادئ فهي ثلاثة: إعلان شكر وإعلان فرح وتذكار ضحايا الحرب، وأما الوسائل فقد قررنا أن تكون كما يأتي:

(١) زيارة الحاكم وممثلي الدول.

(٢) صلوات.

(٣) مواكب الأولاد والأهالي.

(٤) سباق خيل.

(٥) زيارة القبور.

(٦) حفلة شاي.

(٧) توزيع هدايا على أولاد الفقراء.

(٨) مظاهرة نسائية.

وفي كل من هذه المواد كلام طال فيه الأخذ والردّ. وكلّفنا رئاسة البلدية أن تكتب إلى القرى المجاورة تدعوها للاشتراك معنا في هذا العيد، ولا سيّما في سباق الخيل.

السبت في ١٩ تموز غ سنة ١٩١٩م

علّمت مستر أشبي فدفع لي ستين شلناً عن اثني عشر درساً سلفاً . ثمّ عرجت على مكتب كوك حيث اجتمعت بالخواجا متري سلامة ، فتكلّمنا عن جلسة أمس في المجلس البلدي ، وفي أثناء الحديث ، قال : لماذا لا تدعو أحداً من المستعمرة الأميركية للاشتراك معنا في الاهتمام بهذا العيد ، فثار غضبي وأفرغت ما في ركابي فجعل يعتذر ، ثمّ ذهبت إلى المجلس البلدي ، وقابلت الرئيس ، وقلت له : دعاني اليوم وكيل الحاكم وسألني عن جلسة أمس ، فسردت له المواد التي قررناها فاستحسنها كثيراً ، ولا سيّما سباق الخيل وزيارة القبور ، وحثثت الرئيس على إفراغ وسعه في الاهتمام بهذا العيد . . . بعد الظهر علّمت الكابتن بولاق ، ومن هناك ذهبت إلى أستاذي حيث وافتني سلطانة وسري ، وكان هناك أبو جميل ويعقوب ابن خالتي وأبو داود ، ثمّ جاء محمد يوسف العلمي .

الأحد في ٢٠ تموز غ سنة ١٩١٩م

خرجت في الصباح فالتقيت بخالي جورج ، فذهبنا إلى الحديقة البلدية . وبعد الظهر زارنا الخواجا اسكندر طرزي وأخوه خليل ، وفي المساء ذهبت مع سلطانة وسري إلى الحديقة البلدية ، ثم قمنا من هناك وزرنا بيت خالي ، وكانت ميليا معنا .

من الاثنين في ٢١ تموز إلى الاثنين في ٢٨ تموز غ سنة ١٩١٩م

كتبت إلى أشيل رسالتين أحثّه فيهما أن يفتّش لي عن شغل في إحدى المدارس ، فقد سئمت نفسي البقاء في هذه البلاد .

من الاثنين في ٢٨ تموز إلى الاثنين ٤ آب

(١) كتبت رسالة ثالثة إلى أشيل بمعيّتي أختيها السابقتين ، ولكن فهمت مؤخّراً أن أشيل ذهب إلى قبرص لقضاء فصل الصيف ، فلست أظنّ بعد ذلك أن الوقت يتّسع لأن يجد لي شغلاً في إحدى المدارس ، ولا تكرهوا شيئاً لعلّه خير .

(٢) كتبت إلى عيسى العيسى في دمشق رسالة طويلة ، وهذه هي :

عزيزي عيسى:

عبرت بي هذه المدة وأنا بدون شغل، ترفّعاً عن أن أدخل في زحام مع أولئك المتطفّلين الذين بلغت منهم القحة أن ادعّوا الإخلاص والوطنية والعلم والفضيلة والشرف، فلا تجد عملاً إلا زاحمت فيه بالمناكب، ونزلت منه في أعلى المراتب، فسكت الناس عنهم على أمل أن تبدي الأيام من حقائقهم ما كان خافياً، وتلك حقائق إن تبدُ تسؤ. وهذا أمر يطول، إذا تركنا حلّه إلى الزمان، ذهب العمر ضياعاً. ولذلك رأيت أن أغيّر خطتي وأقذف بنفسي إلى المعمعة، «أيما إلى جنة أيما إلى نار»، ولما كانت دمشق هي أم البلاد السورية ومبعث حياتها وموضع آمالها، رأيت أن أعرض خدمتي عليها، إذ المجال أوسع لأن أبذل نشاطي وإخلاصي واجتهادي، فهل لك أن ترفع عريضتي الآتية على من يلزم:

المعروض، لما كانت البلاد تحتاج إلى توحيد التعليم والتربية، وبنائهما على أساس وطني راق، وكنت ممن وقفوا حياتهم على التعليم، وكانت لي فيه خبرة واسعة، إذ سافرت قبل اليوم إلى أوربا وأميركا مرّتين، أتفقّد حالة التعليم في أشهر مدارسهما، مثل كمبردج وابنكهام وجامعة كولومبيا وغيرها، وقد زرت المعرض الفرنساوي الإنكليزي الذي أقيم في لندن سنة ١٩٠٨، ووقفت على معروضات الأمتين في باب التعليم. وقد أسّست مدرستي الدستوريّة الوطنيّة سنة ١٩٠٩، فكانت مؤلفة من بستان أطفال، فصفوف ابتدائية فصفوف استعدادية، بحيث كان تلامذتها يخرجون منها رأساً إلى الفرع العلمي في الكلية الأميركية في بيروت وكانت على حداثة عهدها، وقلة وسائلي، مستوفية شرائط التهذيب والتعليم، بشهادة كثيرين من وطنيّين وأجانب، مما أبرزه عند الاقتضاء. وكنت أستاذ اللغة العربية في الكلية الصلاحية في القدس، يوم كانت في إدارة الوطني المشهور السيد محمد رستم حيدر، وكنت قبل الحرب عضواً في نظارة المدارس الأرثوذكسية للصبيان والبنات في فلسطين وما وراء الأردن، وعضواً في هيئة المعارف في لواء القدس. ولما كنت أذّخر في نفسي نشاطاً عظيماً وإخلاصاً شديداً لأمّتي وبلادي، وكان لي أسلوب خاص وخبرة واسعة في التعليم والتربية، وكانت البلاد تحتاج إلى أمثالي في دورها الجديد، هذا بناءً على كل ذلك أرى من حقي وواجباتي كوطني وكاختصاصي في صناعة التعليم، وكمخلص كل الإخلاص، أن أعرض خدمتي في المعارف فأبذل ما أذّخره من الإخلاص والاجتهاد، وأقدّم السادة الدكتور أحمد قدري ومحمد رستم حيدر ورفيق التميمي وعيسى العيسى كمراجع توصية. وقد وضعت في أثناء اشتغالي الطويل بالتعليم كتباً مدرسية عديدة على أحدث الأساليب، مما لم أسبق إليه. أرجو إذا عرضتها على نظارة المعارف، أو أهل الاختصاص، أن تتلقى بالقبول والإيثار، وعلى أمل أن أتشرّف بقبول خدمتي. أختم بتقديم احترامي الفائق.

وكتبت رسالة إلى السيد الدكتور أحمد قدري، أشير إلى رسالتي إلى عيسى.

(٣) كتبت رسالة إلى الكولونيل ولترس تيلر وأخرى إلى الماجور ريتشموند، أذكرهما بوعدهما لي أن يسعيا في تعييني في المدرسة الشرقية في لندن، كأستاذ للغة العربية.

(٤) عزمت أن أقدم استدعاء إلى الحكومة المحلية في طلب شغل في المعارف، كمفتش عام أو مساعد في الإدارة، وسلمته للترجمة.

(٥) سافر يوم الخميس الواقع في ٣١ تموز غ سنة ١٩١٩ المدير العام الجنرال مني، وسيخلفه في وظيفته الجنرال وطسن.

(٦) يوم الجمعة الواقع في أول آب قبضت معاشي من المدرسة الإسرائيلية اثنتي عشرة ليرة مصرية، فدفعت خمساً منها عن كمبيالة آب. فأكون قد دفعت إلى الآن عشر ليرات، ويبقى عليّ عشر أخرى. ودفعت ثلاث ليرات للخواجا جورج قرط من أصل كمبيالة بعشر ليرات، وليرة أخرى لبائع القماش، واشتريت بليرة بعض لوازم البيت، فماذا بقي!!

(٧) يوم السبت في ٢ آب غ سنة ١٩١٩م. علمت الكابتن بولاق، وبعد الدرس زرت أستاذي حسب العادة وامتدت جلستنا إلى نحو الساعة الثامنة، في آخرها جاء محمد يوسف العلمي. قال الأستاذ: إن جماعة المستعمرة الأميركانية يتجاهرون بعداوتك، قال هذا ودخل محمد يوسف العلمي، فأمسكنا عن الحديث. لا بدّ أن هناك أشياء جديدة سمعها عنهم، سأسأله عنها في المرّة القادمة. يقولون لي: ما هو سرّ هذا الجفاء بينك وبينهم؟. إذا زرت المستعمرة الأميركانية، فإنهم ينتظرون منك من حين تدخل إلى حين تخرج أن تسبّح وتمجّد وتكبّر وتهلّل، يدخلونك مطبخهم، فيجب أن تقول لم أرَ في حياتي مطبخاً مثل مطبخكم، يأخذونك إلى اصطبلهم فيجب أن تقول لم أرَ مثل هذا الاصطبل، خيولكم أجمل الخيول، وبقركم أحسن البقر، وخنازيركم أشرف الخنازير. يأخذونك إلى غرف النوم، فيجب أن تبادرهم قائلاً: لم أرَ مثل غرف نومكم، مثل أسرّتكم وكللكم وستائركم، وسائر أثاثكم وماعونكم. يدخلونك إلى بهو الاستقبال، فيجب أن تظهر الدهشة والإعجاب، وتقول: إن اللسان ليعجز عن الثناء. يقولون: انظر، هل رأيت مثل هذه الكراسي؟ هل رأيت مثل هذه الصور؟ هل رأيت مثل هذا البيانو؟ هل رأيت مثل هذه القناديل؟ هل رأيت مثل هذه الموائد؟ يقدمون لك الشاي، ويقولون: هل رأيت مثل هذه الأواني؟ هل ذقت مثل هذا الشاي؟ هل أكلت مثل هذا الكعك؟ يدخل أولادهم البهو، فيجب أن تقول حالاً: لم أرَ مثل أولادكم، لم أرَ أخلاقاً أرقى من أخلاقهم، ولا آداباً أرفع من آدابهم، ولا أزياء أجمل من أزيائهم، ولم أسمع حديثاً أجمل من حديثهم، «ما هم بشراً إن هم إلاّ ملائكة كريمة»، يرتلون فيجب أن تقوم وتقعد وتصفق بيديك ورجليك، وتقول: لم أسمع أجمل من أصواتكم. يشرحون لك طريقة

حياتهم، فيجب أن تقول: لم أر أقوم من طريقكم، ليت الناس كلهم يقتدون بكم ويعيشون على شاكلتكم، فيجعلوا من أرضهم سماء. تدخل إحدى بناتهم إلى البهو، فإذا سألتها كيف حالك، قالت: سمعت أن في المحلة الفلانية امرأة فقيرة فزرتها وأعطيتها بعض الثياب، وأخذت لها طعاماً، ونفحتها بمبلغ من المال، فيجب أن تقوم وتحني رأسك إجلالاً، وتقول: إن العناية أوجدتكم في هذه البلاد رحمة بالمسكين. يدخل أحد شبانهم، فإذا سألته كيف حالك، قال لك: احتشد اليوم مئات من الفقراء على أبوابنا فوزّعنا عليهم الأطعمة والإحسانات، فيجب أن تتلقى ذلك بالتسبيح والتمجيد. إذا ذكروا أعمالهم فيجب أن تمدحهم وتذمّ الناس أجمع. ولكن إذا حملك سوء حظك، فانتقدت أقل انتقاد، أو اعترضت أقل اعتراض، فأنت شيطان رجيم. لم يتركوا أحداً إلاّ قالوا له: لم نرَ مثل فلان في فساد رأيه، وقصر نظره، واعوجاج مبدأه وشرّ طباعه وسوء أخلاقه.

تحدثني نفسي أن أضع فيهم كتاباً أحللهم فيه تحليلاً كيماوياً [كذا]، والأمور مرهونة بأوقاتها.

(٨) بلغني اليوم أن مستر كلسي، رئيس الفرندس في رام الله، عزم على فتح مدرسته بعد شهرين، وأنه يفتّش عن أستاذ للغة العربية، فقرّرت أنا وسلطانة أن نذهب غداً إلى رام الله لنطلب هذا الشغل.

زارني اليوم (يوم الأحد) الخواجا يوسف العيسى قادماً من يافا لأوّل مرّة بعد زيارته، يوم عقد المؤتمر الفلسطيني في القدس، وقد حظرت عليه الحكومة قبل اليوم الخروج من يافا.

يوم الاثنين في ٤ آب إلى يوم الاثنين في ١١ آب سنة ١٩١٩م

(١) ذهبت مع سلطانة وسريّ إلى رام الله نزور مستر كلسي، قلت له: أني عزمت على أن لا أفتح مدرستي هذه السنة، لأنه لم يعد لها حاجة، كانت المدارس قبل اليوم إما مدارس للحكومة أو مدارس تبشيرية، فمدارس الحكومة لم تعن باللغات الأجنبية بل كان التعليم والتربية فيها منحطين فكان التلاميذ يجيئون إليّ منها، لأنهم لم يثقوا بها، والمدارس الأجنبية كانت مدارس تبشيرية فكان التلاميذ يجيئون إلي منها، لأنها كانت تتعرّض لأديانهم، وأما اليوم فإن مدارس الحكومة تعلّم اللغات الأجنبية من جهة، ولا تتعرّض لأحد في دينه، من جهة أُخرى، فسدّت مسدّ مدرستي، ولذلك لم يعد حاجة إلى مدرستي، بناءً على ذلك عزمت على أن لا أفتحها بعد اليوم، وبما أني سمعت أنكم تحتاجون إلى مدير أو مساعد مدير لمدرستكم، جئت لأعرض عليكم خدمتي، فقال: افتكرنا بك، ولكن حالتنا المالية لا تساعدنا أن ندفع لك معاشاً كبيراً.. وربما أرسلت إلينا العمدة في أميركا، بعض الأساتذة الذين كانوا عندنا قبل الحرب، وهم الآن في أميركا... هذا ما اعتذر به.

(٢) يوم الثلاثاء زارنا موسى فرج الله، فكان سروري به عظيماً. ذهبنا معه بعد الظهر إلى رام الله. ألّف أهل

رام الله جمعية وطنية للاهتمام بشؤون رام الله من أعمالها تأسيس مدرسة وطنيّة تضمّ كلّ أبنائهم على اختلاف المذاهب. ولي في مثل هذه الجمعية كلام أُرجئُه إلى فرصة أُخرى.

(٣) يوم الأحد الواقع في ١٠ آب غ/١٩١٩ كان موعد هربنا من دمشق، في مثله من السنة الماضية وفي الساعة الخامسة بعد الظهر، في الميعاد الذي خرجنا فيه من دمشق وردني تلغراف من عيسى العيسى من دمشق، يقول: احضر مع يوسف حالاً، وذلك من غرائب الاتفاق.

(٤) يوم الاثنين في ١١ آب قدمت استدعاء إلى المدير العام [الجنرال وتسن]، أطلب شغلاً إما في الإدارة أو التفتيش العامّ، أو في إدخال الأساليب الجديدة إلى المدارس.

من ١١ آب إلى ١١ أيلول غ سنة ١٩١٩م

(١) قررت أن أسافر إلى دمشق، فكتبت إلى يوسف العيسى أن يوافيني إلى القدس لنذهب معاً. أوقفت دروسي في المدرسة الليلية فدفعوا لي ست ليرات عن نصف الشهر الأول، ثم أخذت من الخواجا آلتر ليفين خمس عشرة ليرة مصرية لأستعين بها على السفر.

(٢) تركت القدس يوم السبت في ١٦ آب الساعة الحادية عشرة والنصف قبل الظهر، وكان للوداع تأثير عليّ. كاد سريّ يهمّ بالبكاء، ولكنه أمسك نفسه فقدرت له ذلك قدره. لم يتحرك القطار حتى اغرورقت عيناي بالبكاء.

الدنيا بأسرها لا تساوي دمعة، وصلت حيفا قرب المساء فنزلت في لوكندة نصّار، وفي صباح الغد، الساعة الثامنة ركبت القطار الى دمشق، وصلت درعا نحو الساعة الخامسة فنزلت، وقد تذكرت ذلك اليوم المشوم الذي مررت فيه بها مكبلاً بالحبال.

كتبت رسالة إلى البيت. ثم قام القطار بنا إلى دمشق فوصلناها في الساعة الحادية عشرة قبل نصف الليل، فتكون المسافة بين حيفا ودمشق قد استغرقت خمس عشرة ساعة.

لا يتسع المقام لأن أذكر ما توارد على الخاطر من الأفكار، وما جال في الصدر من التأثرات. نزلت في لوكندة الخوام. أقمت في دمشق الى يوم الثلاثاء من الأسبوع الثاني أي عشرة أيام. التقيت بالأصدقاء الكرام فكان سروري بهم عظيماً. زرت بيت شطاحي وبيت زغيب وبيت جورج عطية. ألقيت محاضرتين، الأولى موضوعها ماذا كنا وماذا صرنا، خلاصتها لم نكن شيئاً ولم نصر شيئاً فاستاء الرأي العام منها، لأنه اعتاد من الخطباء أن يتملقوه، إلا أن كثيرين قد أثنوا عليّ وربما طبعت هذه المحاضرة على حدة، والمحاضرة الثانية

موضوعها المتنبي، ولكن الوقت لم يتسع لأن ألقيها كلها فاكتفيت بالمقدّمة. المجال واسع في دمشق للعمل، وإني أشعر من نفسي أني أستطيع أن أكون من أكبر العاملين فيه. عرضوا عليّ أن أكون مفتشاً عاماً للمعارف في كل سوريا، لا يوضع بروغرام أو يختار أستاذ أو كتاب إلا برأيي والمعاش بين الثلاثين والأربعين جنيهاً. وقبل أن أبرح دمشق لا يسعني إلا أن أقول إنها أصبحت محشر المتطفلين المتسولين. عرضوا عليّ أيضاً أن أكون في عداد الذين يذهبون الى أوربا كبعثة علميّة. وصلت إلى القدس صباح يوم الجمعة في ٢٩ آب غ سنة ١٩١٩م.

(٣) طلبني مدير المعارف الماجور تدمن، وسألني عن العمل الذي أريده، فقلت له: نفس العمل الذي تعمله، فأمهلني في الجواب بضعة أيام، ثم طلبني مرة ثانية وقال: إن تعيينك كمفتش عام يستغرق وقتاً طويلاً، فرأيت أن أكلفك الآن مؤقتاً بأن تكون مدير دار المعلمين بمعاش عشرين ليرة الى أن يتم تعيينك كمفتش عام، فأمهلته في الجواب، وأرسلت إلى دمشق استعجلهم في ارسال جوابهم النهائي، وإلى الآن لم يردني منهم شيء . . .

إذا قابلت بين شغلي في القدس على حسناته بشغلي في دمشق على سيئاته آثرت أن أنتقل إلى دمشق، لأني لست ممن يشتغلون ليعيشوا، ولكنني ممن عاشوا ويعيشون ليشتغلوا. إذا لم يكن بدّ من أن يكون لنا وجود قومي، فإني أشعر من نفسي أني ممن يستطيعون الاشتراك في تكوين هذا الوجود، إذا اشتغلت في دمشق فإني أشعر أني اشتغل لنفسي ولغرض سامٍ، وإذا اشتغلت في القدس فلست إلا مأجوراً. أليس من موجبات الاستغراب من حوادث الزمان وصروف الليالي أن يمر بي هذا الزمان الطويل، وأنا أهيىء نفسي لخدمة بلادي، وأن يكون لي فكرة ولدت، ثم جعلت تنمو، فلما استكملت نموها وآن لي أن أخرجها إلى حيز العمل، تتبدل الأحوال فيجيئ رجل آخر غريب ولد وعاش في بلاد أخرى، ونمت عواطفه وآماله في وسط آخر فيحل في البلاد محل أهلها، فيطلبني للشغل، على حين كان يجب أن نكون نحن الطالبين، ويأخذ عليّ الشروط فيطلق ويقيد كما يشاء، كأنه صاحب البلاد ونحن الغرباء، إن ذلك لعجيب. . .

وردتني رسالة من عيسى، يقول إنهم عينوني كمفتش عام للمعارف في سوريا كلها بمعاش عشرين جنيهاً في الشهر، وإنهم قد يدبرون لي شغلاً آخر يكفل لي دخل عشرة جنيهات أخرى. . فحدثتني نفسي أن أقبل، لولا ان رسالتهم جاءت متأخرة، ولولا أسباب عائلية تضطرني للبقاء في القدس، فلم أرَ بداً أن أجيب الماجور تدمن الى طلبه، فاتفقت معه على أن أكون مديراً لدار المعلمين، على شرط أن أكون حراً في بقية وقتي، وانتهى الأمر وعلى الله الاتكال.

يوم الاحد في ١٤ أيلول غ سنة ١٩١٩م*

كان عيد ميلاد سريّ، فهيأنا له هدايا كثيرة وضعناها بجانب فراشه، فلما استيقظ في هذا الصباح

* يوميات ١٣،١٢ أيلول غير واردة في الأصل

أوسعناه تقبيلاً، وكان سرورنا عظيماً. وفي المساء أحيينا ليلة أنس حضرها كثيرون من الأصدقاء.

يوم الاثنين في ١٥ أيلول غ سنة ١٩١٩م

زارنا مستر كلسي، رئيس مدرسة الفرندس في رام الله، وكلف سلطانة أن تكون مديرة لمدرسة الأولاد فتعيش هي وسريّ في المدرسة بمعاش أربع ليرات ونصف، ولكن تدفع عن سريّ رسم المدرسة مثل بقية الأولاد. فسرني ذلك كثيراً، إذ تعيش سلطانة وسريّ في جو صحي راق، فتجدد شبابها وتحافظ على ألعابها، ويعيش سريّ مع أولاد مستر كلسي يتعلم ما يتعلمون، ويعيش كما يعيشون، وأما أنا فأعيش في القدس، وأزورهم مرة في الأسبوع.

يوم الثلاثاء في ١٦ أيلول غ سنة ١٩١٩م

أجابت الحكومة اقتراح الجمعية الإسلامية المسيحية في تأليف عمدة للمدارس، وقد عينت من جملة أعضائها، وأما البقية فهم عارف باشا الدجاني، واسماعيل بك الحسيني، وسعيد أفندي الحسيني، ومحمد الإمام، والقس ابراهيم باز، وجورج سكسك، إلا أن هناك فروقاً كثيرة بين ما اقترحته الجمعية وبين ما قررته الحكومة. أهم تلك الشروط أن أعضاء هذه العمدة يعينون تعييناً لا ينتخبون انتخاباً، فاجتمعت بعارف باشا الدجاني ودرسنا المسألة معاً، وقررنا أن نحضر أول اجتماع.

أوعزت الى جريدة مرآة الشرق[١٩] أن تعلق على هذا الاقتراح بعض الملاحظات.

ظهرت في هذه الأثناء جريدتان عربيتان في القدس الأولى سوريا الجنوبية لصاحبها حسن البديري، وقد ظهرت منها عدة أعداد، والثانية لبولس شحادة [مرآة الشرق] وسيظهر أول عدد منها غداً.

يوم الاربعاء في ١٧ أيلول غ سنة ١٩١٩م

ذهبت إلى دار المعلمين أتفقدها، فوجدتها في حالة يرثى لها، وأننا لا نستطيع أن نبتدئ سنتنا المدرسية، إلا بعد اصلاحات كثيرة فيها تكلف نحو الخمسين ليرة. وبعد الظهر زارني الماجور تدمن، فوعد أن يسعى في احضار ماء العروب إليها، على أن أتولى أنا بقية الاصلاحات، وأما القيمة فقلت له إني سأجمعها إما بواسطة احياء ليال تشخيصية، أو بضمانة السينما توغراف فسرّ بذلك. وقد عرضت عليه أن لا غنى عن معيشتي في

(١٩) مرآة الشرق: أصدرها في العام ١٩١٩ بولس شحادة، وكانت من أقوى الصحف الوطنية، ومن ثم أغلقتها السلطات البريطانية العام ١٩٣٩.

المدرسة، وأني قد أخذت الجناح الأيمن من الطابق الأعلى محلاً لسكني.

امتدت جلستنا نحو الساعتين، وبعدها قررت مع سلطانة أن نترك دارنا، لأننا لم نعد في حاجة إليها.

الخميس في ١٨ أيلول غ سنة ١٩١٩م

كلفني الأستاذ الشيخ عبد القادر المظفر أن اذهب معه لمواجهة الجنرال وتسن المدير العام، لمفاوضته في أمور من قبل الأندية العربية في سوريا وفلسطين، فبعد أن عرفته بنفسي وبالأستاذ وذكرت له كيف حكم عليّ بالاعدام، وكيف خلصني الأستاذ، وأنه خلص كثيرين غيري، ابتدأ الأستاذ بالكلام، فقال: أكبر الأخطار التي نتخوف منها هو الخطر الصهيوني وتجزئة البلاد، ولم نرَ سبيلاً للتخلص من هذين الخطرين إلا أن ننتدب أميركا للوصاية علينا. ولكن لما رأينا بعد ذلك أن المبادئ التي اقترحها الدكتور ولسن لا يمكن العمل بها الآن، وأن فرنسا طامعة في أن تكون هي المنتدبة لسوريا، وذلك لا يوافقنا، غيّرنا خطتنا واتفقنا مع الأمير على أن نطلب انكلترا. فلما أحس الفرنساويون بذلك قلقوا كثيراً وجعلوا يعبثون بالرأي العام وينفرونه من انكلترا، ولسوء الحظ لم يعدموا أسباباً يتذرعون بها، فأولاً، قالوا: إن انكلترا وعدت اليهود أن تكون فلسطين وطناً قومياً لهم الخ.

ثانياً، إذا كنتم تحبونهم ويحبونكم، فلماذا يمنعون المسلمين في فلسطين من ذكر الملك حسين في جوامعهم، على حين أنه يذكر في سوريا كلها، وقد عزلت حكومة فرنسا أولئك المأمورين الذين منعوا ذكر الملك حسين في بيروت الخ.

ثالثاً، الحكومة الانكليزية استولت على أوقاف المسلمين في فلسطين.

الجمعة في ١٩ أيلول غ سنة ١٩١٩م

أخذت باسيل فراج إلى دار المعلمين لأقاوله على تصليحها فقدرنا النفقات بنحو خمسين ليرة..

كلفت فخري النشاشيبي وقسطندي الخوري بالاهتمام بتشخيص رواية لصوص الغاب أو غيرها، لمنفعة دار المعلمين وقد وعدا أن يهتما بذلك بأسرع ما يكون.

السبت في ٢٠ أيلول غ سنة ١٩١٩م

كان من رأي الماجور تدمن أن نأخذ الدار الروسية بالقرب من الباب الجديد فنستعملها لدار المعلمين، ريثما

يتم تصليح الدار الأخرى، فذهبت اليوم لأراها فوجدتها تحتاج الى تصليح آخر، وأنها تنتغش بالبق، فخاطبت الماجور تدمن تلفونياً وقلت له: أرى أن نؤجل افتتاح المدرسة إلى أن يتم تصليح دار المعلمين، لأن البناية الروسية لا تصلح لذلك، وسألته عن الأساتذة، فقال: إن خليل طوطح قبل أن يكون معلماً فيها، ولكنه لم يوقع الكونتراتو، وأن أساتذة كثيرين مثل ابراهيم شماس وجميل الزنانيري وشريف النشاشيبي وغيرهم راجعوه في طلب شغل فيها.

بعد الظهر زرت المفتي، وقد جاء أستاذي وسعيد أفندي الحسيني أيضاً، ذكر لنا المفتي أن الحكومة الانكليزية، عزمت أن تقدم له وساماً..

رجعت مع أستاذي الى بيته، تكلمنا عن دار المعلمين. قلت: لا شك إن الحكومة أسست دار المعلمين أولاً لتخرج معلمين قادرين على القيام بوظيفة التعليم، وثانياً لأنها تعتقد أن هذه الطريقة لا تكلفها كثيراً، ولكنني أخالفها في ذلك، المدارس لا ترتقي إلا إذا انتدبنا للتعليم فيها أقدر الناس على التعليم، أولئك الذين يتخرجون في أعلى المدارس، ثم يتطوعون للتعليم تطوعاً، لا يجوز أن نقدّر أن كل طلبة دار المعلمين يكونون صالحين لهذه الوظيفة، فكيف نعتمد عليهم ولا سيما ونحن نعلم أنهم لم يدخلوا دار المعلمين لأنهم يقدّرون هذه الوظيفة قدرها، وإنما هم دخلوا إليها لأنها مجانية أولاً، ولأنهم لم يجدوا مدرسة أخرى. دار المعلمين في أوربا لا يدخلها إلا من انتهى من دروسه في المدارس الأخرى الراقية، ليست دور المعلمين ابتدائية مثل مدرستنا.

من الأحد ٢١ أيلول غ سنة ١٩١٩م إلى ٢١ ت ٢ غ سنة ١٩١٩م

(١) أحييت ليلة سينما توغراف في ٢٢ ت ١ غ سنة ١٩١٩م، بلغت وارداتها بعد تنزيل المصاريف نحو احدى وستين ليرة مصرية.

(٢) افتتحنا مدرستنا في ٢٨ ت ١ غ سنة ١٩١٩م.

(٣) تركت سلطانة مدرسة مستر كلسي في آخر شهر ت١، وجاءت واستلمت ادارة المدرسة المنزلية.

(٤) قسمنا التلاميذ الى عدة لجان: لجنة للخطابة، ولجنة لتدبير المنزل، ولجنة للألعاب، ولجنة اصلاحية أشبه بمحكمة تحت رئاسة الاستاذ يحيى أفندي الشهابي، تنظر في مشاكل التلاميذ.

(٥) عقدت أول جلسة مساء يوم الخميس ٦ ت٢ غ سنة ١٩١٩م، وكان الخطباء يوسف جابر، ومحفوظ، ولكن قبل أن يقوم الخطباء جاءني سريّ وقال «بابا أنا بدي أخطب»، فقلت له: قم، فمشي إلى منصة الخطابة ووقف وقفة الخطيب وعلائم الجد على وجهه كأنه اعتاد الخطابة من زمان بعيد، ولعله يقلد خطيباً رآه قبل

اليوم، وبعد أن تنحنح قال «أنا هلقيت صغير ما بعرفش أخطب، ولكن لما أصير كبير بعمل لكم خطاب كبير» فصفقنا له.. وأما أنا وسلطانة فرقصت له قلوبنا فرحاً، وامتلأت صدورنا آمالاً..

(٦) وردت رسالتان من أخي يوسف يقول: إن الحكومة الأميركية أرسلت ثلاث مئة ريال إلى أمي، وإلى اليوم لم تصل هذه القيمة.

(٧) وردتني رسالة من الكولونيل ووترس تيلر من لندن، يقولون له فيها إنهم ربما احتاجوني في وقت قريب، لأن أكون أستاذ اللغة العربية في المدرسة الشرقية، فيا حبذا لو صحت الأحلام.

(٨) يوم الجمعة في ٢١ ت٢ غ زارني اللفتننت لك Lief. Legge مساعد الماجور تدمن مدير المعارف، فعقدنا جلسة للنظر في شؤون المدرسة فاقترحت عليه:

(١) قبول التلامذة الخارجيين كداخليين لثلاثة أسباب:

١. ليستفيدوا من الحياة المدرسية الداخلية.

٢. لأن أكثرهم بيوتهم بعيدة جداً عن المدرسة.

٣. لأن أكثرهم لا يجدون في بيوتهم راحة ولا هناء، بل نكداً مستمراً، فإذا لم نستطع أن نقبلهم جميعاً كداخليين فلنقبل اثنين منهم، فؤاد العفيفي لأن أباه فقير وعائلته كبيرة، ونزار أبو السعود لأنه لا يهنأ المعيشة في بيته، فوعد أن ينظر في ذلك مع الماجور تدمن، ثم قلت له إذا لم يكن لا هذا ولا ذاك فلنجعلهم نصف داخليين، وقد اتفقنا ان نجعل فؤاد العفيفي يتناول طعامه الآن في المدرسة، الى أن نقرّر أمره.

ثم اقترحت عليه إضافة تعليم الموسيقى والغناء الى بروغرام المدرسة فارتاح الى اقتراحي هذا، وأما من يعلم هذا الفن، فإذا لم نستطع أن ندبر أستاذاً خصوصياً فإني أتولاه بنفسي، على أن آخذ دروساً خصوصية في مدرسة الموسيقى في الكمنجة والغناء نحو ساعتين في الأسبوع، وقد أستعين بأحد تلامذتنا وديع الخوري من الناصرة لأنه تعلم الموسيقى في مدرسة شنلر، وإذا لزم الأمر أرسلناه الى مدرسة الموسيقى، ليأخذ دروساً خصوصية أيضاً. واقترحت أيضاً تدريس الفلسفة الطبيعية، فكلفني أن أضع قائمة بالآلات والأدوات اللازمة لهذا الدرس. ثم قدمت له قائمة طويلة بما نحتاجه للألعاب على اختلاف أنواعها، وقد بقي هناك أشياء كثيرة عرضتها عليه فقابلها بالارتياح، سأذكرها في غير هذا الموضع.

أخذنا سرياً اليوم لنشتري له حذاءً، فذهبنا من محل إلى آخر فلم نجد المطلوب، فقالت له أمه: البس حذاءك هذا حتى تدوخ، تعني إلى زمان طويل فأجابها على الفور: «ماما أنا دايخ»، يعني اشتري الحذاء الآن، فضحكنا وضحك كل من كان هناك.

٢٨ آذار ١٩٢٠م

انقطعت عن الكتابة نحو ستة أشهر لانهماكي في أمر المدرسة دار المعلمين، وقد مرت بي حوادث كثيرة كان يجب أن أحرص على تعليقها في يوميتي هذه، أشير الى بعضها هنا على وجه الاختصار:

(١) منذ توليت إدارة المدرسة لم أكفّ عن بث روحي في الطلبة، أطلقت الحرية، كبرت النفوس، انهضت الهمم، وسعت الآمال، قويت الادراك، عودت التلاميذ أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم.

أنشأت لهم جمعية للمحاضرة والقاء القصائد كانت تنعقد بعد ظهر يوم الخميس من كل أسبوع.

أنشأت لهم مجلة نصف شهرية باسم الجوزاء، كان التلاميذ يتولون كتابتها بأنفسهم.

أنشأت لهم جمعية اصلاحية وكلت إليها حل المشاكل التي تقع في المدرسة بدون أن يتداخل فيها أحد من الأساتذة.

أنشأت لهم جمعية اقتصادية أرصدت وارداتها للمجلة، وشراء بعض الكتب ولوازم الألعاب الرياضية.

أنشأت لهم جمعية ادارية للاهتمام بإدارة المنزل والمشارفة على العنبر والمطبخ.

أنشأت لهم مكتبة جمعت فيها بعض الكتب المهمة، وحثثت التلامذة على المطالعة.

وكان التلامذة بعد العشاء كل يوم يقرأ منهم اثنان أو أكثر على البقية من تلك الكتب ما يقع عليه اختيارهم بعد الاستعداد تمريناً لهم على القراءة وتوسيعاً لمعلوماتهم.

أشربت التلامذة روح النشاط، وعودتهم الاستحمام بالماء البارد، وجعلت أحد الأساتذة يمرنهم على حركات رياضية كل صباح قبل الفطور.. هذا من جهة التلامذة، وأما الأساتذة فقد جعلت همي أن أنشطهم وأشجعهم وأرشدهم، وأما الخدم فقد رفعت من شأنهم وجعلتهم يشعرون أنهم يشتغلون لأنفسهم، والخلاصة فقد كنا مثل أسرة واحدة تتعاون معاً على الحياة.

(٢) تركت المدرسة في أول شهر آذار، وجئت إلى بيتي الجديد الذي استأجرته من دير الروم وهو واقع بجانب طاحونة الهواء.

(٣) ذهبت الى نابلس للتفتيش من ١٤ آذار الى ٢٢ منه، تفقدت المدارس كلها، وعلّمت في بعض الصفوف وامتحنت التلامذة في العربية والحساب، وألقيت محاضرات عديدة كان لها وقع حسن. زرت البيوت وسأقدم تقريراً بذلك الى الادارة، وربما أشرت الى بعض نقاط هذا التقرير في يوميتي.

(٤) وقع بعض خلاف بيني وبين الماجور تدمن أدى بي الى الاستعفاء، ولكن الماجور تدمن تدارك الأمر

فسحبت استعفائي.

(٥) شرعت في تأليف عدة كتب مدرسية في القراءة والصرف والنحو والأساليب.

(٦) تحليل سياسة البلاد بسيكولوجياً. الذين يحبون الاستقلال في البلاد أنواع:

١. أولئك الذين يستفيدون من جهل الأمة وضعفها، فيكرهون النزعات الأجنبية، لأنهم يخشون أن يستأثر الأجنبي بالفائدة دونهم.

٢. أولئك الذين يحبون الاستقلال حرصاً على الوطنية الدينية أن تزاحمها المذاهب العلمية أو الروح الأوربية فتقضي عليها، فهم يحبون الاستقلال ليعيشوا في جمودهم وخمولهم.

٣. أولئك الذين ألفوا القديم، فهم يخافون من الاحتلال الاجنبي حرصاً على قديمهم.

إذا أخرجنا هذه الأنواع الثلاثة من مجموع الأمة، يبقى فريق كبير يجب أن يتقدم ويترقى وهو نوعان:

١ – يعتقد أن الاستقلال أقرب الطرق الى التقدم والرقي والسعادة.

٢ – يعتقد أن الاندماج في الأوربيين يضمن لنا التقدم السريع.

كلا النوعين مخلصان لأن كلاً منهما يحب التقدم والسعادة لنفسه ولأمته، ولكنهما يختلفان في الواسطة الى ذلك.

(٧) مستقبل السياسة في العالم:

(١) ان تتوحد قوانين الدول في العالم كله.

(٢) أن تكون هذه القوانين في جانب الأمة المحكومة، أكثر مما هو في جانب الهيئة الحاكمة.

(٣) أن يمنع سوء الاستعمال.

الاثنين في ٢٩ آذار غ سنة ١٩٢٠م

(١) يوم السبت الماضي الساعة الرابعة بعد الظهر، اجتمعت لجنة المعارف في المدرسة الرشيدية للنظر في برنامج الدروس لكل مدارس فلسطين، وهي مؤلفة من المفتشين ومساعدي المدير وبعض الأساتذة وأشخاص آخرين من الخارج، ترأسها اللفتننت لك، وبينما كان يقرأ برنامج الحساب في اللغة الانكليزية وأنا أقابل الترجمة مع جميل الزنانيري، فمرت بي عبارة لم أتبينها، فسألت عنها جميل الزنانيري بصوت منخفض جداً، فما كان من اللفتننت لك إلا أن تمتم ببعض ألفاظ بلهجة الزجر وعلائم الغضب على وجهه، فقلت له: ماذا تقول؟ فسكت، فتأثرت لذلك كثيراً، فكتبت له اليوم كتاباً أقول له فيه، إنه أساء التصرف، وخرج عن حدود اللياقة، فإذا لم يعتذر فلن أحضر مجلساً يكون فيه، ولن يكون لي معه شغل.

(٢) وضعت تقريري عند زيارتي لنابلس، وجاءني جورج خميس فترجمناه الى اللغة الانكليزية، قسمته الى ثلاثة أقسام، الأول ذكرت فيه الأعمال التي عملتها، والثاني ضمنته اقتراحاتي على مديري المدارس في نابلس، والثالث ذكرت فيه ملاحظاتي.

(٣) كل يوم بعد الظهر نحو الساعة الرابعة نجتمع في حديقة الأمة بجانب العمارة الروسيّة، ولا يقل عدد المنتظمين في حلقتنا عن عشرين، وتارات يزيدون، ومنذ جاء سليم سركيس الى القدس جعل يحضر اجتماعاتنا وأكثر أبحاثنا في العلم والأدب.

جاءني اليوم وأنا في الحديقة حسن أفندي البديري صاحب جريدة سوريا الجنوبية، وكلفني أن أكتب له رسالة عن الحكومة والوظائف، فكتبت له رسالة طويلة ضمنتها ما عنّ لي من الأفكار.

(٤) يوم الجمعة الماضي أي في ٢٦ آذار زارني معروف أفندي الرصافي وعادل أفندي جبر واسعاف افندي النشاشيبي وجورج أفندي خميس، وبعض تلاميذ دار المعلمين، فوقفت أنا وعادل وسري ومعروف الرصافي ويحيى الشهابي وأخذ صورتنا جورج خميس.

الثلاثاء في ٣٠ آذار غ سنة ١٩٢٠م

زارني كثيرون من تلاميذ دار المعلمين لوداعي، لأنهم مسافرون غداً إلى بيوتهم بسبب العطلة.. كان الماجور تدمن قد كلفني يوم شرعت في العمل ان أصحح محاضرات في حفظ الصحة والتمريض، ترجمت عن الانكليزية، فأبطأت في تصليحها بسبب كثرة الاشغال والشواغل، فانهيت منها إلى الآن ست محاضرات، ورأيت اليوم أن أتابع العمل.

الأربعاء في ٣١ آذار غ سنة ١٩٢٠م

لا تزال حياتي مختلّة معتلة، فإذا لم أتدارك الأمر ساءت النتيجة كثيراً.. مرّ عليّ زمان طويل أهملت فيه ألعابي، وأما حماماتي فلم أعد أتأنق فيها حسب عادتي، وسريّ منذ تركنا المدرسة إلى اليوم تمر به الأيام وهو لا يغسل وجهه، الخلاصة أنها لحالة سيئة جداً..

الخميس في ١ نيسان غ سنة ١٩٢٠م

أخذت مواكب الزيارة تفد إلى القدس من كل أنحاء البلاد. التقيت بصبحي خضرا وسعيد عموق آتيين الى القدس لحضور حفلة الغد، وهما من ضباط الجيش العربي وآخر العهد بيننا الصحراء في ابي الأسل فالعقبة.

عزم فريق على تأليف حزب جديد ديمقراطي، وكلفوني للحضور غداً في بيت سعد الدين الخليلي.

الجمعة في ٢ نيسان غ سنة ١٩٢٠م

ذهبت صباحاً إلى بيت سعد الدين الخليلي، وكان هناك صاحب البيت وعمر الصالح وأحمد الخالدي ومعاذ الخالدي وطاهر الخالدي، فقلت إن البلاد في حاجة إلى تأليف هذا الحزب الجديد، لأن السواد الأعظم من الناس في طول البلاد وعرضها مستاء من الأندية والجمعيات الإسلامية المسيحية، ولا سيما في القدس لأن كل ناد ينتمي الى أسرة من الأسر الكبيرة في القدس، وأكثر القائمين بالأعمال مأجورون، أو أنهم يتوخون المصلحة الخاصة لا المصلحة العامة، فالحزب الجديد يجب أن يكون من الشعب وللشعب، وأن لا يشتغل إلا بالمصلحة العامة، وبعد كلام طويل قررنا أن نجتمع غداً مساءً في البيت ذاته.

بعد الظهر ذهب سريّ مع عمته ميليا إلى باب الأسباط، لحضور نزول علم النبي موسى، ثم ذهبت مع سلطانة بعد الغداء أي نحو الساعة الثانية، فأدخلنا سلطانة الى حمام ستنا مريم بالقرب من باب الأسباط، وذهبت مع متري نتفرج. لم يكن يشترك في هذه المواكب قبل اليوم إلا رعاع الناس، وأما هذه السنة والتي قبلها فقد جعل الشبان من كل البيوت يشتركون فيه بثيابهم الرسمية. جعل هذا العيد لأغراض سياسية أو حربية، ثم تنوسيت هذه الأغراض، وهذه السنة والتي قبلها جعل الشبان له غرضاً جديداً وهو إثارة العاطفة الوطنية، ومقاومة الحركة الصهيونية، ومن جملة الأهازيج التي تغنى بها الشبان هذه السنة هذه الأهازيج، «صهيوني خذ ربعك وسير هذه البلاد بلادنا». بعد انتهاء الحفلة رجعت سلطانة مع سريّ وميليا الى البيت، وذهبت الى الحديقة البلدية، وكان هناك كثيرون من الأصدقاء وغيرهم، جلست إلى معروف الرصافي وعرضت عليه أن يفرغ شاعريته في موضوع عمومي، بدلاً من أن يفرغها في مواضيع مختلفة جزئية. دعيت هذا المساء لتناول العشاء في بيت سعيد أفندي الحسيني احتفالاً بصبحي خضرا وسعيد عمون، ولكنني لم أذهب.

السبت في ٣ نيسان غ سنة ١٩٢٠م

بينما كنت ألقن سريّاً هذه الأبيات:

عجبٌ عجبٌ عجبٌ عجبُ ... قطٌ قطٌ سودٌ ولها ذنبُ

تصطاد الفار من الأوكارِ ... تنط الحيط فتنقلبُ

سألني فتنقلب القطط أو الحيط؟ لم يستطع أن يتصور أن القطط تنقلب وهي تنط الحيط، لأنه يرى القطط تنط ولا تنقلب، فلم يبق إلا أن يراد بذلك الحيط ولا سيما وهي أقرب إلى الفعل فتنقلب، ولكنه لم يقر رأيه على ذلك،

سري مع والديه العام ١٩٢٠ (مجموعة عائلة السكاكيني)

لأنه لم يستطع أن يتصور أن الحيط تنقلب إذا نطت عنها القطط، مهما كانت سخيفة البناء، فوقع في حيرة فسأل سؤاله.

هذا تعليل سؤاله على ما أرى، وقد جرت هذه الحركة الفكرية بسرعة البرق لأنني لم أكد أقول تنط الحيط فتنقلب، حتى بادرني بالسؤال. فدهشت لذلك وقد لاحظت قبل اليوم شيئاً كثيراً مثل هذا، لا يأخذ الكلام على عواهنه، فإذا كان في كلامي لفظة غير مألوفة، أو معنى غريب عنه بادر بالسؤال والاستفهام، كأنه من أهل النظر والتحقيق، فبورك فيه.

جاء اليوم صباحاً نهاد نمر واسماعيل رصاص وتوفيق أبو السعود وزهير الشهابي، فأمليت عليهم رسالتي في أصول تعليم الدروس العربية على اختلافها..

قبيل الظهر نزلت الى البلد فحلقت، ثم جئت إلى البيت، فخطر لي أن أكتب رسالة عن حفلة النبي موسى لإحدى الجرائد، ثم نزلت الى حديقة الأمة حيث كان ينتظرني معروف الرصافي، فذهبنا معاً وزرنا الأستاذ نخلة زريق، ووافانا الى هناك أبو الفضل.

في المساء زارنا نصري صفير وفدوى وأختي ميليا، ولكنني اضطررت أن أعتذر وأذهب إلى بيت سعد الدين الخليلي، وكان قد سبقني إليه عبد المجيد أبو غوش وعمر عامر وعوض عبد الله، وعمر الصالح والدكتور حسن خالدي وأحمد خالدي، ومعاذ خالدي وطاهر خالدي ومصطفى خالدي، فكان من رأي أهل البر أن يؤلفوا جمعية لأهل البر يدخل منها ممثلون في الحزب الديمقراطي، ثم أخذنا نفكر في من نختار لعمدة هذا الحزب من أهل القدس، فلم يقع اختيارنا على أحد، فأجلنا ذلك إلى جلسة أخرى.

الأحد في ٤ نيسان غ سنة ١٩٢٠م

نزلت مع سلطانة وسريّ وكيتي ابنة سابا عبده الى البلد، فلما وصلنا المجلس البلدي كان الموكب الخليلي قد وصل، وقد استقبله القدسيون والنابلسيون، فتألف من الجميع موكب حافل جداً، وكانوا يهزجون أهازيجهم الحماسية، فوقف الخطباء على شرفة النادي العربي وجعلوا يتناوبون الخطابة، من جملتهم خليل بيدس وعبد الفتاح درويش من المالحة، فرحبا بالموكب الخليلي وحاولا إثارة الحماسة ما استطاعا، ونحن هناك إذ سمعت واحداً يسلم عليّ، وإذا به الخواجا عبري الذي ورد ذكره في يوميتي قبيل اعلان الحرب، فسافر إلى أوربا على أمل أن يرجع إلى القدس فأعلنت الحرب ولم نعد نسمع عنه شيئاً، فتبادلنا التحيات، ثم جاء آلتر ليفين فدعانا الى الذهاب الى محله لنقف على شرفته ونشاهد الموكب عند مروره، فما كدنا نصل محله حتى وقع اضطراب

في الموكب، وجعل الناس يتراكضون، وكانت الحجارة تتساقط على اليهود فأقفلت المخازن وارتفع الصياح، فلم يسعني إلا أن أنزل لعلي أستطيع أن أخلص أحداً، فما نزلت حتى كان الموكب قد دخل المدينة من باب الخليل فرأيت أبواب المخازن اليهودية وزجاجها محطّمة، ورأيت أحد الجنود الصهيونيين معفراً بالتراب ملطخاً بالدم، فدخل أحد المخازن وهو لا يستطيع أن يمشي، ثم رأيت خليلياً جاء إلى يهودي مساح أحذية كان مختبئاً في احدى زوايا باب الخليل بجانب السور تحت كيس، فأخذ صندوقه وضربه به على رأسه، فصاح وقام يركض ورأسه يمجّ دماً، فرجع عنه الخليلي الى الموكب فدخلت المدينة، وكان الموكب قد وصل إلى لوكندة مرقس وقد بلغ منه الهياج وكلهم يصحيون «دين محمد قام بالسيف»، وفي أيديهم العصيّ يهددون بها، وقد كاد يتحول هياجهم الى جنون، وإذ حاول مساعد البوليس الإنكليزي أن يسوقهم هجموا عليه وأخذوا بعنان فرسه، ولو لم يحتطه فرسان البوليس لكانوا ضربوه، بل رأيت واحداً ضربه بحجر فلم يصبه، وفي أثناء ذلك كان الخبر قد وصل إلى العسكرية، فجاء الجند بسلاحهم وضبطوا الطرق، فرأيت أن أخرج من المدينة قبل أن يمنعوا الناس من الدخول والخروج، فلما رأى اليهود الجند جعلوا يتجمعون خارج باب الخليل حول جرحاهم. فذهبت تواً الى الحديقة البلدية ونفسي مشمئزة منقبضة من جنون البشر.. فلقيت معروف أفندي الرصافي، ثم جاء حسن أفندي البديري وسليمان الحسيني، ونحن هناك رأينا شبان اليهود يتجمعون أمام الحديقة، فلما كثر عددهم وقفوا أربعة أربعة في صف طويل وفي أيديهم العصي، ثم صاح فيهم زعيمهم فجعلوا يمشون وهم يغنون ولكن الطرق خالية وليس من يعارضهم فتذكرت قول الشاعر:

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الحرب وحده والنزالا

ثم ذهبت فحلقت وكانت أوتوموبيلات المترالیوز تمر الواحد بعد الآخر، فذهبت إلى البيت.

وبعد الظهر رجعت الى الحديقة البلدية، فسمعت أن الموكب سار من باب الخليل الى حارة اليهود، فنهب الدكاكين وضرب اليهود فوقع جرحى كثيرون، وأن أحد الجنود الصهيونيين أطلق الرصاص على أحد المسلمين من بيت الحلو فقتله، وأن طلقاً آخر أصاب امرأة من الخليل وأن حالتها تنذر بالخطر، فجعلت الحكومة تقبض على الجنود الصهيونيين، ويقال إنها قبضت على القاتل ووجدت معه المسدس. وبعد أن جلسنا طويلاً في الحديقة البلدية، أخذت معروف أفندي الرصافي ويحيى افندي الشهابي وجئت الى البيت.

الاثنين في ٥ نيسان غ سنة ١٩٢٠م

زارنا في الصباح جورج خميس وما كدنا نجلس قليلاً حتى جاء سابا عبده، وقال: أقفلت المدينة ويشيعون

أنه قتل هنديّ، فأخذنا النظارات وجعلنا ننظر فرأيت جماعة كبيرة وراء بناية الأرمن التي أمام حديقة الأمة ولعلهم يهود، ثم رأيتهم ينزلون الى عطفة الطريق بين منازل عويضة والمقبرة، وبعد قليل سمعنا طلقات نارية ثم سمعنا المترااليوز ورأينا الغبار يثور في أرض الأرمن في مرمى الرصاص ولعلهم يقصدون تفريق اليهود.

بعد قليل لم يسعني إلا أن أنزل، وإذا بعمر الصالح وحنا حمامة آتيان الينا فرجعا معنا، ومشينا الى أن وصلنا المجلس البلدي فمنعونا من المرور، فغيرنا الطريق وذهبنا إلى حديقة الأمة فوجدناها مقفلة، فرجعنا فلقينا الأستاذ نخلة زريق عند ادارة البريد، فطلب منا أن نذهب معه نعيّد على قسطاكي سابا فذهبنا، أما حنا فذهب إلى بيته، وأما جورج فرجع إلى بيتنا.

الاشاعات مختلفة ولم نسمع خبراً نطمئن إليه، بقينا هناك إلى الظهر، ثم جئت مع أبو جميل إلى البيت فتغدينا، وعند الساعة الثالثة نزلنا إلى البلد فذهبنا إلى حديقة الأمة، ولم نلبث قليلا حتى جاء سعد الدين الخليلي وداود الفتياني واسحق الموقت وطاهر الخالدي وتحسين الخالدي ومعاذ الخالدي وآخران من قرية أبو غوش، فجعلنا نتسقط الأخبار، فلم نقع على حقيقة. وفي الساعة الخامسة قمنا وذهب كلٌّ إلى بيته، فنزلت إلى البلد فلقيت حنا ياسمينة ومتري فراج فسألتهما عن الأخبار، فلم يكن لديهما ما يوثق به، إلا أن متري قال: انهم وجدوا اليوم على أبواب بيوت المسيحيين صليباً مرسوماً ولم يعرفوا من رسمه، وسمعت من داود الفتياني أنه رأى بعينه مكتوباً على أبواب المخازن الإسلامية كلمة «مسلم»، وعلى أبواب مخازن المسيحيين كلمة «مسيحي»، ولم يعرفوا من كتبها.. فاتني أن أذكر أني رأيت وأنا نازل في الصباح الكولونيل ووترس تيلر والكولونيل ستورس وشخصاً ثالثاً في أوتومبيل فسلم عليّ الكولونيل ووترس تيلر، ثم رأينا أوتوموبيلاً آخر يجري وراء اوتوموبيلهم فيه شابيرا اليهودي رئيس مستعمرة ملبس، وكان الاوتوموبيلان ذاهبين في طريق النيكوفوريه..

ثم مشيت مع حنا ياسمينة ومتري فراج فلقينا عند المجلس البلدي مستر اينر من المستعمرة الأميركية، فقال: إنه رأى بعينه أن يهودياً كان في يده مسدس فطلب إليه ضابط أن يسلم المسدس فأبى فأطلق الضابط النار عليه فقتله، وانه سمع إن بعض اليهود قتلوا داخل المدينة. ثم تابعنا سيرنا الى أن وصلنا ادارة البريد وإذا بجندي صهيوني راكب في عربة مع آخرين من اليهود، فأوقفه جندي انكليزي كان واقفاً هناك، ثم جاء جنديان مسلحان فأخذاه وذهبا به إلى فوق، ثم لقيت حسين عويضة فسألته فقال: إنه سمع أنه قتل هندي وأن الهنود ثأروا له فقتلوا نحو خمسة عشر يهودياً، فرأت الحكومة أن تستبدلهم بآخرين فخرجوا من باب الخليل، وهم يغنون والموسيقى تعزف أمامهم، وقفت إلى البوليس الواقف في معطف الطرق بين دور عويضة والمقبرة، فقال: إن اليهود كانوا يطاردون ثلاثة من الفلاحين وفي أيديهم المسدسات، فلما وصلوا الى هنا قابلهم الجند الانكليزي

بالمترااليوز ففرقوهم، فيكون خبره هذا مصداقاً لما سمعناه في الصباح من اطلاق المترااليوز ورأيناه من تجمع اليهود.

وفي الساعة السادسة رجعت الى البيت فجلست وراء طاولتي أكتب وكنت أسمع من وقت إلى آخر أصوات طلقات نارية. الأخبار والحوادث الحقيقية التي أستطيع أن أطمئن إليها حتى الآن هي ما يلي:

(١) إن اليهود هم الذين تحرشوا بالعرب، ومهما كانت الاشاعات مختلفة، فيكفي أنهم كانوا مندسين بين الناس في الموكب.

(٢) إن العرب ضربوهم بالعصي والحجارة، فجرحوا كثيرين وقد رأيت بعض الجرحى بعيني.

(٣) ان العرب الثائرين نهبوا مخازن اليهود، ومن جملة ما كسروا زجاجة صيدلية خريستاكي لأن يهودياً التجأ إليها.

(٤) إن اليهود قتلوا ابن الحلو.

(٥) إن اليهود أول من استعمل السلاح الناري.

(٦) إن الحكومة قبضت على عارف العارف وعبد الفتاح درويش وسعيد درويش وخليل بيدس والشيخ حسن أبو السعود وآخرين، وأوقفتهم في دار الحكومة باب العمود.

(٧) إن ضابطاً انكليزياً أطلق الرصاص على يهودي فقتله حسب شهادة مستر اينر.

الثلاثاء في ٦ نيسانغ سنة ١٩٢٠م

أعلنت اليوم الادارة العرفية [=الأحكام العرفية]، وقد علقت الاعلانات على الجُدُر خارج المدينة، لا يجيزون لأحد أن يخرج من المدينة أو يدخل إليها إلا بوثيقة من الحاكم العسكريّ.

نزلت إلى البلد نحو الساعة العاشرة فذهبت تواً الى الحديقة، ثم جاء سعد الدين الخليلي وتحسين الخالدي ومعاذ الخالدي، قالوا إنهم رأوا جريحاً محمولاً في عربة عند باب العمود، ويقال: إنه نقل بعض الجرحى اليوم من باب الخليل، ونحن جلوس سمعنا طلقات نارية عن بعد ولعلها داخل المدينة. الاشاعات مختلفة، يقال: إن أهل البر من الجهة الشرقية مع عدد كبير من البدو آتون إلى القدس.

قبل الظهر ظهرت خمس طيارات، ويقال ست وكانت واطئة جداً لا تعلو كثيراً عن سطوح البيوت. يقال: إن الجمعية الإسلامية المسيحية عقدت اجتماعاً اليوم ووضعت احتجاجاً يتضمن اثنتي عشرة مادة، من جملتها عزل ستورس، واطلاق السجناء، وتجريد الجنود الصهيونيين من السلاح وغير ذلك.

حلقت، وفيما أنا راجع إلى البيت عند الظهر رأيت كثيرين من اليهود بينهم النساء والأولاد خارجين من المدينة، وهم يحملون أشياءهم، ويقال: إن الحكومة ستخلي المدينة من اليهود. يقال: إن أرمنياً خرج من باب بيته في الليل فأطلق عليه الخفر النار فوقع قتيلاً.

تغديت فنمت وبعد النوم استحممت ثانية لأول مرة في هذه السنة، ثم نزلت الى البلد فلقيت صبحي عويضة في صيدلية المشحور فأخذته وذهبنا الى حديقة الأمة، قال لي: إنه جاء في تقرير البوليس اليوم الذي رآه بعينه أنه قتل ستة من اليهود داخل البلد، ثلاثة في محلة النصارى وثلاثة في محلة الوادي... أعوذ بالله إنها لفظائع تقشعر منها الأبدان.. لا شك أن الحكومة تهاونت في الأمر، فقد كان في امكانها أن تمنع ذلك كله، أبرأ إلى الله من هذه الفظائع. أكره اليهودي إذا اعتدى على العربي، وأكره العربي إذا اعتدى على اليهودي، وأكره الإنسانية كلها إذا كانت انسانية حقد وعداء.. علامَ هذا القتال أيها الناس؟ إن الأرض واسعة والدنيا دار قلعة.. لم تر القدس مثل هذا من زمن بعيد.. الدنيا كلها لا تسوى قطرة دم بل دمعة.. مسكينة هذه الإنسانية، يلعب بها أفراد قليلون لأغراض شخصية أو مصالح وهميّة.

الأربعاء في ٧ نيسان غ سنة ١٩٢٠م

(١) أفرج عن المسجونين أو الموقوفين، وهم عبد الفتاح درويش وسعيد درويش وعارف العارف، وخليل بيدس والشيخ حسن أبو السعود وكامل البديري بكفالة المفتي ورئيس البلدية وعارف باشا ويعقوب فراج.

(٢) أباحوا الدخول إلى المدينة والخروج منها بدون وثائق، إلا أن الجند على الأبواب كانوا يفتشون المارين، فإذا وجدوا عصا أخذوها أو سلاحاً ساقوا حامله إلى الحاكم العسكري.

(٣) لم يحدث اليوم شيء، فظهر الناس في الطرق، وفتحت بعض الدكاكين.

(٤) يقال: إن بعض اليهوديات اليمنيات كن مارات الى المدينة من الجهة الغربية، فمر بهن بعض الفلاحين من قرية لفتا، فصحن فجاء الجند الانكليزي فوجدوا فلاحاً يسوق بغله، ولم يكن من أولئك الذين تحرشوا باليهوديات، فلما رأى الجند ساق بغله فاستوقفوه، فلم يفهم مرادهم، فأطلقوا عليه النار فأردوه قتيلاً.

(٥) طلبت الحكومة الحاج أمين الحسيني يوم أوقفت بعض الخطباء المذكورين أعلاه فلم تجده، فأرسلت فتشت بيت المفتي فاحتج المفتي على ذلك، ورد الوسام الذي أهدي إليه من قِبَل الحكومة الإنكليزية.

(٦) استدعت الحكومة بعض الشبان من المسيحيين، المسلمين، واليهود، لتؤلف منهم فرقاً للمحافظة على الأمن، ثم عدلت عن ذلك.

(٧) إن الأرمني الذي شاع بالأمس أنه قتل لم يقتل، ولكنه جرح، وهو الآن في المستشفى.

(٨) يقال: إن دائرة الصحة قدمت تقريراً بالأمس ورد فيه أنه قتل لحد الآن يهوديان واربعة من العرب، وجرح نحو ثلاث مئة أكثرهم من اليهود.

كيف يستتب السلام في العالم والتربية في العالم كله تربية حربية، قائمة على هياج العواطف واثارة الأحقاد؟ لو ترك الناس وشأنهم لعاشوا كالإخوان، ولكن رؤساء الحكومات ورجال الدين وأصحاب النفوذ والمصالح الشخصية يحرشون الناس بعضهم ببعض، ويهيجون عواطفهم، فيعتقد كل واحد العداء للآخر.. لي في هذا الموضوع كلام طويل أرجئه إلى فرصة أخرى.

زارني بعد الظهر معروف الرصافي وأبو الفضل وجورج خميس، ثم نزلنا معاً إلى الحديقة.

الخميس في ٨ نيسان غ سنة ١٩٢٠م

لا أزال أشتغل في ترجمة محاضرات انكليزية في التشريح والتمريض والاسعاف الأولي، كلفني بها الماجور تدمن منذ اشتغلت في المعارف. لا يزن الكاتب كلامه ويدقق في استعمال ألفاظه إلا إذا ترجم شيئاً من لغة أخرى.

بعد الظهر اشتغلت في وضع منهاج للدروس العربية في كل الصفوف. جرت حفلة الغسل عند الروم، وحفلة صعود العلم من النبي موسى بكل هدوء.

الجمعة في ٩ نيسان غ سنة ١٩٢٠م

صعدت صباحاً إلى مركز الإدارة العامة في جبل الزيتون. قرأت مع الماجور تدمن التقرير الذي وضعته عن تفتيشي مدارس نابلس مادة مادة، واتفقنا أن اذهب يوم الأربعاء من الأسبوع القادم الى طول كرم ومنها الى نابلس فجنين. فاتحني بأمر الرسالة التي كتبتها الى اللفتننت لك في ٢٩ آذار وحاول أن يقنعني أن اللفتننت لك لم يعن مس احساساتي، وطلب إليّ إذا اتفق شيء مثل هذا في المستقبل أن لا أكتب، بل أفاتحه بذلك رأساً، ثم تركته وذهبت أزور الكولونيل ووترس تيلر، فسألني رأيي في الحوادث التي وقعت، فقلت: كانت سيئة جداً ولكن كان من الممكن أن تكون أسوأ. فهمت من كلامه أن الاهالي والإدارة تلقي اللوم على الكولونيل ستورس، وأن الادارة مستاءة من تفتيش منزل المفتي وأنه محق في رد الوسام، وانه كان يجب أن يكتفي بالكتابة الى المفتي في السؤال عن الحاج أمين أخي المفتي، وأن الحكومة استاءت من وجود هيئة صهيونية في البلاد تمثل

حكومة ضمن حكومة، وأنها أبلغت اليهود أنهم يستطيعون أن يجيئوا إلى فلسطين، كما يستطيعون أن يذهبوا إلى أية مستعمرة من مستعمرات الانكليز كمهاجرين وليس كمستعمرين. وبعد كلام طويل في هذا الموضوع دخلت في حديثي الخصوصي، فطلبت منه أن يبذل وسعه في تدبير عمل لي في بلاد الانكليز كأستاذ للغة العربية، فوعد أن يكتب حالاً الى أصدقائه فعسى أن يوفق، ثم قلت له إني حين اشتغلت في ادارة المعارف عُينت كمفتش للمعارف، واليوم فهمت أني لست مفتشاً، ولكن مساعد مفتش، فوعد أن ينظر في ذلك، ثم زاره أحد الضباط فأوقفنا الحديث الى فرصة أخرى وانصرفت.

السبت في ١٠ نيسان غ سنة ١٩٢٠م

(١) كانت الأعياد الإسلامية والمسيحية قبل اليوم أعياداً دينية، ولكن في السنة الماضية وهذه السنة ظهرت الأعياد أعياداً قومية. ففي الاحتفال بنزول العلم الى النبي موسى وصعوده، ظهر الناس بمظهر المحتجين على اليهود، المقاومين للمهاجرة الصهيونية وكانت المواكب تنشد «صهيوني خود ربعك وسير هذه البلاد بلادنا»، واليوم ظهر على حفلة المسيحيين بظهور النور مظهر القومية، فقد جعل المسيحيون يقولون: يا مار جريس «على القبر صلينا، نحن العرب والسيوف في إيدينا» بدلاً من قولهم نحن النصارى والشموع في أيدينا، وكانوا يكررون النشيد المعروف «يا يهود يا يهود عيدكم عيد القرود، نحن اليوم فراحى واليهود حزانى» بحماسة وهياج.. ومما يذكر هنا بالغرابة ان المسلمين وهم يعتقدون أن المسيح لم يصلب جعلوا يقولون في مواقف الخطابة وفي احتجاجاتهم أن اليهود صلبوا المسيح، فكيف تعطى البلاد لهم. أكبر فرق بين المسيحية والاسلامية أن المسيحيين يعتقدون أن المسيح صلب، وأن المسلمين يعتقدون أنه لم يصلب، فكأنهم في هذه الأيام قد تنصروا.. لم يعترف المسلمون أن المسيح صلب إلا في هذه الأيام..

(٢) إن العقيدة المسيحية قائمة على أمرين: ١. على صلب المسيح ٢. على قيامته، فصلب المسيح كان لأن الإنسانية أخطأت ولا يمحو الخطيئة غير الدم، وقيامة المسيح تعتبر دليلاً على أن الكفارة قبلت.. وكل ذلك مبني على عقيدة الناس بالله، فقد كانوا يعتقدون أن الله منتقم لا ينام عن ثأر، وهذا غير ما علّم به المسيح من أن الله أب. فإذا كان الله أباً فلا حاجة إلى كفارة، وإذا كان كما تصوره التوراة والأديان القديمة منتقماً جباراً فهو غير الله الذي صوره المسيح للبشر، وهذا تناقض.

(٣) يقال إنه أطلق أمس مساء بعد الساعة الخامسة عدة طلقات على بيت المفتي وكان ذلك والكولونيل سكوت مدعواً عنده للعشاء، ويقال: إنه قبض على أحد المعتدين وفر الباقي، ويقال: إن الحكومة قبضت على

كثيرين من الجند الصهيوني اليوم.

(٤) أخذت معروف أفندي الرصافي وحضرنا حفلة النور.

(٥) بعد الظهر اجتمعنا في الحديقة أنا ومعروف أفندي وأبو الفضل والخواجا عبري وخُضنا في مواضيع عديدة لذيذة.

الأحد في ١١ نيسان غ سنة ١٩٢٠م

اجتمع بالأمس فريق كبير من الشيوخ في المحكمة الشرعية، ووقف فيهم القاضي العوري خطيباً، وتكلم عن الاعتداء الذي وقع على بيت المفتي، فقرروا ان يحتجوا على ذلك للمدير العام، ويطلبوا تطهير البلاد من الصهيونيين. لم تكن الصهيونية خطراً إلا الآن. لو وقع الاعتداء على الأمة بأسرها لم يبال أحد، ولكن الآن وقد وقع على المفتي فالخطر عظيم... حاول الكولونيل ستورس أن يعتذر الى المفتي فزاره مراراً، ولكن المفتي لم يقبله. يقال: إن هناك فريقاً من الناس يحاول التمسك بالكولونيل ستورس. كانوا بالأمس يكرهونه وكان المفتي صديقه، فلما وقعت النفرة بينه وبين المفتي قام الذين كانوا يكرهونه يطلبون تأييده، فلا كرههم كره ولا ودهم ودّ، وانما هي الاغراض الشخصية تعمي وتصمّ.

زرت مع معروف الرصافي قبل الظهر أمي وأختي وعيّدنا عليهما، ووجدنا هناك أحمد الخالدي. عينت ميليا مديرة لمدرسة البنات في يافا وسنذهب يوم الأربعاء.

جاءني بعد الظهر متري ابن خالتي يحمل اقتراحاً من أخيه على الجمعية الإسلامية المسيحية، يطلب فيه من الجمعية أن توزع منشوراً في طول البلاد وعرضها بمقاطعة اليهود، وأن تضرب على كل فرد في الأمة ضريبة خمسة قروش في الشهر، وأن ترسل اثنين الى العالم الإسلامي واثنين الى العالم المسيحي، ليجمعوا المال لمساعدة أهل فلسطين، بحجة أنهم حراس الأماكن المقدسة، فصلحته له.

الاثنين في ١٢ نيسان غ سنة ١٩٢٠م

نزلت إلى البلد فذهبت الى الحديقة فجاء معروف الرصافي وأبو الفضل والأستاذ نخلة زريق وراغب بك النشاشيبي، فجلسنا نتكلم في الأحوال الحاضرة، ثم جئت مع الأستاذ إلى البيت فتغدينا، وبعد الغداء جاء معروف الرصافي وأبو الفضل، وعند المساء زرنا بيت عبده نعيّد عليهم.

أعلنت اليوم الحكومة أن التجول مباح الى الساعة الثامنة مساءً.

من ١٣ نيسان الى ١٣ ايار سنة ١٩٢٠م

ذهبت إلى طولكرم وقلقيلية والطيبة ونابلس وجنين للتفتيش للمرة الثانية، وقد عنّت لي بعض آراء سأضمنها تقريري، ولا بأس من الاشارة الى شيء منها هنا: (١) من يقابل منطقة نابلس بغيرها يرى أن نابلس لا تزال تعيش على قديمها، وسبب ذلك قلة الأوروبيين فيها، فهي تحتاج الى من يدخل اليها افكاراً جديدة، ولو سلم الأمر اليّ لصرفت كل اهتمامي فيها.

(٢) يقال: إن مصير الأمم من البداوة الى الحضارة، ولكن يظهر أن الأمم تميل في هذا العصر الى حالة ثالثة وهي المزج بين البداوة والحضارة ولعل ذلك أنسب لبلادنا.

(٣) كان الإنسان في أول عهده يعمل كل شيء ثم انتقل إلى دور آخر توزعت فيه الأعمال بين الناس، والذي يظهر أن أوروبا وأميركا أخذتا تميلان إلى المزج بين الدورين، أي: صار الواحد مع اختصاصه بعمل واحد يتقنه ويعيش منه يحاول ان يتمرن على أعمال أخرى، وأرى أن الأنسب لبلادنا أن نتابعهم في ذلك، مما يضيق المجال عن التبسط فيه.

(٤) أساس التربية والتعليم في أوربا روح عسكرية، فالألعاب الرياضية وفرق الكشافة والموسيقى والأدبيات وسائر فروع التعليم، كل ذلك يرمي إلى تقوية هذه الروح واعداد الناشئة للحرب، ويظهر أن بلادنا في أحوالها الحاضرة تميل الى هذه الروح، فهل يوافق ذلك البلاد أم لا؟.

(٥) توحيد الألعاب، يظهر لي أننا لا نستطيع أن نوحّد الألعاب في البلاد كلها، بل لا بد أن يكون في المدن العاب خصوصية، وفي البر ألعاب أخرى إلا إذا قررنا أن نمدن الأمة بأسرها ونغيّر الازياء، وهذا يحتاج الى مؤتمر يعقد من أهل النظر.

حين رجعت من التفتيش وجدت أن الادارة قبلت استعفاء عادل جبر وعينت في مكانه اسعاف أفندي النشاشيبي، وعينت شريف أفندي النشاشيبي مديراً للمدرسة الرشيدية.

مساء يوم السبت الماضي أحيينا ليلة أنس حضرها بيت المشبك وبيت عبده وبيت الدكتور دعدس، وواصف جوهرية وأخواه خليل وتوفيق، وصبحي عويضة وأخوه حسن وشكري الحرامي، امتدت السهرة إلى نصف الليل.

يوم الاثنين في ٢٤ أيار غ سنة ١٩٢٠م

صرت في هذه الأيام إلى حالة روحية أكره معها الحياة. فتور وملل وسوء ظن وخيبة أمل، لا أنشط إلى عمل ولا أثق بأحد، ولا أنزع الى أمل ولا التذّ بشيء، فكأني استعدّ للرحيل عن هذا العالم. لم أشعر بمثل هذا قبل اليوم.

الخميس في ٢٧ أيار غ سنة ١٩٢٠م

(١) مهما بلغت الأمم من الجمود والانحطاط، فإنها خاضعة لناموس النشوء والارتقاء، وإنما تتفاوت في السرعة والبطء تبعاً لأسباب عديدة، كالاقليم والعوائد والتقاليد والحالة الاجتماعية والسياسية وغير ذلك مما لا يتسع له المجال، فترى بعض الأمم تتجدد كل يوم وتسير في سبيل التقدم سيراً حثيثاً، وبعضها تعيش على القديم ولا تتغير إلا في الزمان الطويل، فتظنها جامدة وهي ليست جامدة، وقد تعرض للأمم حالات فتبطئ السريعة وتسرع البطيئة..

(٢) سعادة المتزوجين أن يحب الواحد الآخر، وأن يكون عزيزاً عليه أميناً له، وإلا فلا معنى للحياة...

(٣) لولا سريّ لهجرت البيت إلى الأبد.

(٤) كانت تمر بي أيام أحسُّ فيها بانقباض، وتستولي عليّ الكآبة وتضيق عليّ الأرض بما رحبت، ولكن كنت أحس في الوقت ذاته أن تلك الحالة لا تلبث أن تزول، فأعود إلى ما كنت عليه وألفته من السرور والغبطة والرضى، وأما الآن فإني أحسّ أني خسرت سعادتي إلى الأبد، وأما سرّ هذا الانقلاب، فسيدخل معي الى القبر، فلا يُطمع أن أبوح به.

الاثنين في ١٤ حزيران غ سنة ١٩٢٠م

في الثاني من هذا الشهر ذهبت إلى يافا، فنزلت في بيت الحاج راغب أفندي الخالدي وكان سريّ معي، فامتحنت المعلمين بمساعدة أحمد أفندي الخالدي نائب مدير المعارف في يافا، وألقيت محاضرتين في التربية والتعليم على جمهور كبير من الأساتذة والأدباء، ورجعت في ١٢ منه.

من الاثنين ٢١ حزيران ١٩٢٠

(١) بينما كان عمر الصالح أبو جميل يجلس نحو الساعة السادسة في الحديقة، إذ جاءه بوليس فأخذه إلى مديره وهذا أودعه السجن، واليوم صباحاً أرسلوه مخفوراً [=محروساً] مع خمسة آخرين، وهم عارف الجاعوني ومحمود الدباغ وحسن التونجي وزهدي العلمي واسماعيل القنبور الى عكا ولم نعرف السبب في اعتقاله.

(٢) يوم الثلاثاء في ٢٢ حزيران دعا الجنرال بولز كثيرين من أهل القدس والأجانب فيها، ووفوداً من كل أنحاء

فلسطين إلى حفلة شاي، فاغتنمت الفرصة وهيأت خطاباً باللغة الانكليزية، وإذ لم تكن الحفلة حفلة خطابة اكتفيت بأن أعطيت نسخة من خطابي للجنرال بولز وأخرى للجنرال ووترس تيلر.

وقد عزمت أن أرسل بخطابي هذا إلى أمهات الجرائد الإنكليزية في العالم كله.

(٣) عرجت صباح الاربعاء ٢٣ حزيران على الماجور لك مدير المعارف، وبعد حديث قصير قلت له إني عزمت على الاستعفاء من شغلي يوم مجيء هربرت صمويل احتجاجاً على استلامه إدارة البلاد.

(٤) يوم الخميس ٢٤ حزيران دعوت الجنرال ووترس تيلر وامرأته لتناول الشاي، وكان عندنا الشاعر معروف الرصافي ويعقوب ابن خالتي، طلبت منه أن يسعى قبل رحيله في اطلاق سراح أبو جميل.

(٥) يوم الجمعة وردتني رسالة من أشيل السيقلي من مصر يقول فيها إن الجمعية السورية الارثوذكسية في مصر، تسعى في جعل المدرسة العبيدية قسمين: قسماً يونانياً وقسماً عربياً، فإذا نجحوا في ذلك عينوني مديراً للقسم العربي بمرتب شهري قدره ٢٥ جنيهاً مصرياً..

(٦) ذهبت في هذا المساء (السبت) مع صبحي عويضة نسلم على موسى العلمي الذي جاء من بلاد الانكليز أمس مساءً.

(٧) يوم الأحد ٢٧ حزيران غ سنة ١٩٢٠م كتبت الى أشيل جواباً على رسالته.

(٨) جاءتني رسالة من Capt Law يقول إن الحاكم العسكري يحب أن يراك يوم الاثنين ٢٨ حزيران صباحاً، فذهبت إليه فقال: تعرف أننا في بلادنا لا يسأل الواحد عن دين الآخر، فقد عشت في المدارس مدة طويلة مع مئات من الطلبة ولم يكن الواحد منا يعرف الآخر هل هو كاثوليكي أو بروتستانتي أو وثني أو معطل بخلاف الشرق، فإنكم أنتم تنظرون الى دين الرجل قبل كل شيء، ولذلك فهربرت صمويل نحن ننظر إليه كإنكليزي وانتم تنظرون إليه كيهودي، وقد اختارته الحكومة الانكليزية لإدارة فلسطين أولاً لاقتداره، وثانياً لأن الحاكم إذا كان مسيحياً فإن اليهود يتهمونه دائماً بالتعصب، فرأت الحكومة أن تعين لهم واحداً منهم، فمهما عمل فلا يستطيعون أن يتهموه أنه يحتقر اليهود ويعمل على معاكستهم، ومهما كان هربرت صمويل فلا يستطيع أن يكون إلا انكليزياً يعمل على تنفيذ السياسة الانكليزية لا السياسة اليهودية، وقد أحسّ بذلك اليهود، وعقلاؤهم ينظرون الى تعيينه نظرة خوف واستياء، بل قال لي أحدهم في الشهرين الأولين: لا بد لك من إحاطة هربرت صمويل بعشرين بوليساً من الانكليز لحراسته من تعديات العرب، وبعد ذلك تستبدل البوليس الإنكليزي بالبوليس العربي لحراسته من تعديات اليهود، ثم قرأ لي بعض أسطر من رسالة وردته من هربرت صمويل يقول فيها إنه عازم ليس فقط على إجراء العدل بل سيبذل وسعه أن يوفر أسباب التقدم والسعادة للوطنيين من مسلمين ومسيحيين. وبعد

هذه المقدمة قال: طلبتك لأكلفك بناء على ما بيننا من الصداقة منذ نحو سنتين، وبناءً على ثقتي بك وإعجابي بذكائك وبعد نظرك ومعرفتي بما لك من النفوذ الأدبي، أن تنصح المتهورين من الشباب أن لا يستعفوا من وظائفهم، ولينظروا قليلاً وليعلموا أنهم إذا استعفوا فإننا نقبل استعفاءهم حالاً، ولكن لن نقبلهم بعد ذلك بل نعين غيرهم من أولئك الذين يراجعوننا كل يوم. ثم قال: بلّغني اثنان من المسيحيين لا تعرفهما أنك في أثناء تجولك في البلاد للتفتيش تعقد الاجتماعات وتلقي المحاضرات تنتقد فيها حالة المدارس وتعلن أنها متأخرة لا تفي بحاجات البلاد، وأنهم يجب أن يعتمدوا على أنفسهم لا على الحكومة مما يشتم منه أن الحكومة سيئة النيّة، وبعد أن أطال في هذا المعنى كرر عليّ أن أنصح الشبان أن لا يستعفوا. كان يتكلم وأنا مقبل عليه أدخن بسيكارتي، ولما انتهى قمت ولم أقل شيئاً وخرجت من عنده وأنا أعجب من هذا الرجل. لا بد أنه عرف اني عازم على الاستعفاء، فبدلاً من أن يكلمني رأساً خاطبني بهذا الكلام الطويل على حدّ المثل، «احكي معك يا جارة لتسمعي يا كنة»، ومما أنكره عليه ما في كلامه من التهديد إذ قال قل لهم «إذا استعفوا فإننا نقبل استعفاءهم، فإذا رجعوا بعد ذلك فلن نقبلهم»، فما كان أحراه أن يتجنب مثل ذلك فإنه خارج عن حدود اللياقة، وقد اجتمعت به قبل اليوم وخضنا في مواضيع مختلفة، وحينما قمت لأنصرف ودّعني إلى الباب، ثم قال: أرجو أن نكون قد تفاهمنا وأن لا أسمع في الخارج ما يخالف ما قلناه، فنظرت إليه باستغراب وقلت له إني فوق ما تقول...

وبعد أن تركته ذهبت إلى إدارة المعارف واجتمعت بالماجور لك، وقلت له: هل كتبت إلى الكولونيل ستورس اني عزمت على الاستعفاء، وبعد أن تردد قليلاً قال: أظن إني كتبت له، فقلت له: وهل قلت له إني سأستعفي احتجاجاً على استلام هربرت صمويل الادارة فتلكأ في الجواب، ثم قال أظن أني قلت له ذلك شفاهاً، ثم قال: إني قلت أيضاً للجنرال ووترس تيلر.

الجمعة في ١٢ آب غ سنة ١٩٢٠م

(١) منذ نحو أسبوعين ظهرت على كلبنا «عربيد» وكلب جيراننا بيت المشبك الصغير أعراض الكَلَب، وكان الأولاد يلعبون مع الكلب الصغير حسب عادتهم ويداعبونه فعض البعض منهم، فجمعناهم وسألناهم من عضه الكلب، فقالت ايفون عضني في يدي، وقال جورج وأنا أيضاً فلما سمع سريّ ذلك قال وأنا أيضاً، فسألناه أين عضك فجعل يقول تارة في يدي وتارة في رجلي، ويقول أخرى إنه لم يعضني ولكنه لحسني بلسانه، وأخيراً صار يقول إنه شمني، ومع أننا لم نر أثراً في جسمه للعض ولم يخامرنا شك أن الكلب لم يمسه وأنه لم يقل ذلك

إلا تقليداً لغيره، لم يسعنا إلا أن نرسله مع الأولاد الى مستشفى الكلب احتياطاً، ثم لما سمع ربنيه ابن أشيل ذلك، قال هو أيضاً ان الكلب عضه تقليداً، فلم يسعنا أيضاً إلا أن نرسله مع سائر الأولاد الى مستشفى الكلب، والحقن في الأولاد الصغار مثل ربنيه وسريّ تسبب حمى خفيفة ليومين أو ثلاثة، فسري في اليوم الأول أخذته حمى وتقيأ، وأما ربنيه فقد لزمته الحمى ثلاثة أيام فقلقنا عليه كثيراً.. أعراض الكَلَب: أول ما ظهر على كلبنا عربيد أنه صار يعوي بدون انقطاع وهو يدور على نفسه، ثم جعل يقطع الأعشاب والنباتات بأسنانه ثم انقطع عن الطعام ليومين أو ثلاثة، ثم ترك البيت ولم يرجع، ولعله مات جوعاً كما مات كلب بيت المشبك الصغير.

الذين يذهبون الى المستشفى كل يوم هم انضوني مشبك وسلافا ابنة جيراننا السربيين [الصربيين] وجورج مشبك وأخته ايفون وسريّ وربنيه، والله الواقي.

قررنا أن لا نقتني في بيوتنا لا كلاباً ولا هررة بعد اليوم..

(٢) منذ أسبوعين وردتني رسالة من أشيل أن ادارة المدرسة العبيدية عينتني مديراً للقسم العربي بمعاش أربعة وعشرين جنيهاً وعلاوة أربعين في المئة، فيبلغ المعاش نحو ثلاثة وثلاثين جنيهاً، ثم وردتني رسالة من الادارة بذلك بتاريخ ١٣ تموز سنة ١٩٢٠م، فعزمت على الاستعفاء واغتنام هذه الفرصة التي كنت أرقبها من أمد بعيد، وأرجو أن يكون ذلك بداءة دور جديد نسعد فيه إن شاء الله.

(٣) لا يزال يبلغني كل يوم ان الجواسيس يحصون عليّ أنفاسي ويرفعون فيّ التقارير تلو التقارير اني متعصب لعربيتي ناقم على السياسة الانكليزية، وأني أدعو الى الثورة فأعجب كل العجب، ولعل هؤلاء الجواسيس هم أولئك الجواسيس الذين كانوا يشون بنا إلى الحكومة التركية، إذا لم يشِ الجواسيس بي وبأمثالي فبمن يشون؟.

(٤) كلفني أشيل أن أجمع له ما تصل إليه يدي من الأوراق والرسائل والوثائق المتعلقة بالطائفة الارثوذكسية فجمعت منها شيئاً كثيراً، وفي يوم الثلاثاء الواقع في ٨ آب رأيت أن أقابل البطريرك لأقف منه على أسباب الحوادث الأخيرة، قلت له إنها ليست أول مرة قام الرهبان فأسقطوك فما الذي دعاهم الى ذلك. أنا أعرف أسباباً كثيرة ولكنني لا أعرف كل الأسباب، فقال: إن السبب الحقيقي لذلك هو قيام منكساكي عليه ليسقطه ويتولى كرسي البطريركية، فلما فشل صار يحاول الانتقام مني. قلت: هذا السبب الخفي ولكن ما هي الأسباب الظاهرة التي ينتحلونها أمام الشعب والحكومة والكنائس والأمة اليونانية؟ فقال: يقولون للأمة اليونانية أني خائن للجنسية اليونانية وللكنائس، إني لا احترم رأي المجمع المقدس بل أخالف قراراته وأعمل برأيي متفرداً، وللشعب أني أهملت شؤونه، وللحكومة أني أسأت الإدارة.

كان الترجمان بيني وبينه جورج متى وحضر الجلسة في آخرها الارشمندريت تيموثاوس، فقلت له: منذ

رجعت من مصر حاول كثيرون من أبناء الطائفة استدراجي الى الاشتراك معهم في العمل فامتنعت لسببين، الأول ان المسألة الأرثوذكسية اصبحت في نظري بإزاء الحوادث الكبرى في العالم مسألة طفيفة، والثاني أن القائمين بالحركة يخبطون في الأمور خبط عشواء، وقد رأيت ان أقابلك لنتفاهم وأعرض عليك أفكاري، وإذ الوقت ضيق الآن فأرجئ الكلام إلى فرصة أخرى، فقال متى؟، فقلت الى أن أرجع من مصر، فالحّ عليّ أن يكون ذلك قبل السفر فوعدت أن أرجع يوم الخميس، وفي يوم الخميس كان بيني وبينه جلسة طويلة كان الترجمان فيها جورج متّى. قلت له: إن أخوية القبر المقدس ليست رهبنة زهد وتقشف وانقطاع عن العالم الى الصلاة والعبادة، ولكنها للرئاسة وللإدارة فمنها يؤخذ المطارنة والبطاركة، وبها تناط إدارة الأوقاف والأماكن المقدسة، فمن دخل فيها فهو مرشح لأن يكون يوماً من الأيام مطراناً أو بطريركاً يتولى شؤون الملة الروحية وادارة الأبرشية، ولذلك لا بد أن يكون هناك شروط نتحراها في الداخلين في سلك هذه الرهبنة، قد نتساهل فيها في الداخلين في سلك رهبنة أخرى، وسرّ هذه المشاكل التي لم تنقطع من أمد بعيد أن هذه الرهبنة لا تصلح لا للرئاسة ولا للإدارة. لا نستطيع كأرثوذكسيين أن نفتخر برؤسائنا الروحيين بل ما أحرانا أن نخجل بهم أمام الناس، وإذا قمنا قبل اليوم عليكم فليس كوطنيين على رئاسة أجنبية كما يدعي رهبانك، ولكن بقصد اصلاح هذه الرهبنة ووضع حد لهذا العار.. ثم رأينا من زمان بعيد أن هذه الرهبنة لا تصلح للإدارة، فالأوقاف مهملة ليس من يستثمرها، والواردات مبددة والديون متراكمة، ليس ذلك لأنهم لا يصلحون للإدارة فقط، ولكنهم سيئو النية فاسدو الأخلاق يخلقون المشاكل ويستنبطون طرقاً غريبة لابتزاز أموال الدير، فإن منهم من لا يكفيه في اليوم أربعة أو خمسة جنيهات، فإذا لم يسرق فكيف يعيش، ولعلهم يرون أنك حجر عثرة في طريقهم، فيقومون من وقت إلى آخر يحاولون التخلص منك، ولكن ساء فألهم فإذا عزلوك أو اعتزلت من تلقاء نفسك فلن يفرح أحد منهم أن يكون بطريركاً، وهم كما تعلم ونعلم ويعلم الناس أجمعون. هذه حالة هذه الرهبنة فلا بد إذاً من الاصلاح، ولكن من يقوم بهذا الاصلاح وكيف يكون؟ إذا قمنا نطالب به قالوا حركة وطنية واستنجدوا بالأمة اليونانية، فإذاً لنجرّد المسألة من الصبغة الوطنية، فلا بد أن تقوم أنت بالإصلاح، ونحن نؤيدك ولسنا نشك أنك قد بلغت من العمر ما يجعلك فوق البشر، وينزهك عن أن يكون لك غرض غير الإصلاح الحقيقي. وأما كيف يكون الإصلاح فلا بد أن يكون تدريجياً، لا بد من وضع نظام لهذه الرهبنة ليس للذين دخلوا وشاخوا فيها فإن هؤلاء لا يرجى اصلاحهم، ولكن للذين يدخلون بعد اليوم، لنقل مثلاً لا يدخل هذه الرهبنة أحد دون العشرين من عمره، ولا يقبل فيها إلا إذا كان خريج إحدى المدارس العالية متمماً دروسه الدينية، ثم لا بد أن يكون تحت التجربة لسنة أو سنتين، وبعد ذلك لا بد أن يكون لكل راهب عمل يعمله. إن السر في

فساد الرهبان وانصرافهم الى الشر هو أنهم يعيشون بالبطالة، ليشتغلوا بالحراثة والفلاحة والطباعة والنجارة والتأليف والمطالعة، والراهب الذي لا يصلح للعمل ولو كان تقياً ورعاً ينقل الى رهبنة أخرى إلى مار سابا أو صوامع وادي القلط. ولا يرتقي راهب من درجة إلى درجة إلا بعد أداء الامتحان في دروس وفروض نعيّنها، وبعد التثبت من أخلاقه وطهارة نفسه، وسأجرب أن أضع نظاماً مثل ذلك وإن كنت لست أهلاً لذلك، وأما الادارة فإذا لم نجد من يصلح لها من الرهبان فلا بد من الاستعانة بأهل الاختصاص والاقتدار ممن نعتمدهم من أية أمة كانت، فلا يمر على الرهبنة تحت هذا النظام زمان طويل حتى تصلح أحوالها، ولا يبقى مجال لأحد للاعتراض. هذه خلاصة ما دار بيني وبينه فارتاح الى كلامي ووعد أن يباشر ذلك بنفسه، إلا أني لا يسعني إلا أن أقول: إني لم أرَ فيه الرجل الذي يستطيع أن يعمل ذلك، ولعل ذلك لأنه شيخ ضعيف.. ولكن لا بد من ذلك فإذا لم يستطعه هو تولينا ذلك بأنفسنا، والأمور مرهونة بأوقاتها.

السبت في ١٣ آب ١٩٢٠

قدمت استعفائي من وظيفتي كمفتش للمعارف إلى الادارة فقبل، وقد رأيت ان أسافر إلى مصر حالاً لأدرك أشيل فيها قبل مجيئه الى القدس، ليقدمني إلى الادارة ويعرفني بما يجب أن أعرفه من الأمور المتعلقة بعملي وعلى الله الاتكال.

الفصل الثالث

عامان في مصر

. . وحكايات مبتورة

الثلاثاء في ٢٤ آب ١٩٢٠

في الساعة السادسة والنصف ركبت القطار الى مصر، وقد خرج لوداعي سلطانة وسريّ وميليا وصبحي وجورج خميس وافتيم مشبك وأفتيم عبده، وكان من جملة المسافرين في ذات القطار فرح حلبي وسيسافر الى مصر ومنها الى أميركا مع لبيب حداد بن القس ابراهيم باز الحداد لتحصيل العلم. وصلنا مصر الساعة الحادية عشرة فلقيني على المحطة أشيل وحنا ابن خالتي فكان سرورنا باللقاء عظيماً. نزلت في بيت أشيل وكان وحده في البيت لأن أمه ذهبت عند أبنتها كالبسو لأنها مريضة.

في اليوم الثاني زرت نعوم بك شقير ووقفت منه على تفاصيل كثيرة تتعلق بالمدرسة، وقد ظهر لي أن المدرسة حاجة من حاجات الأمة لأنها مجانية وواردتها كثيرة يستطاع معها ان تترقى المدرسة تدريجاً، الى أن تتلقى حاجة الأمة ورغباتها بقضائها، ولأن نفقات التعليم في هذه البلاد كثيرة يعجز عن تحملها أغنى الناس، فلا بدّ إذاً من الاهتمام بجعل هذه المدرسة راقية نافعة لتكتسب ثقة الناس، ولا سيما الطبقة الراقية المستنيرة ليقبلوا عليها، ويستغنوا بها عن المدارس الأخرى التي تتقاضاهم رسوماً عالية من جهة، وقد لا تفي بكل حاجاتهم من جهة أخرى. ولا استطيع الآن أن أقول كلمتي عن هذه المهمة التي كلفت بها، لأني لا أعرف الأساتذة ولا التلامذة ولا مبلغ اهتمام مجلس الادارة بالمدرسة، وهل أتمكن أن أكون حراً في العمل أو أن هناك حالات خصوصية تغل يدي فأكون معها كالمأجور، على أنه يتراءى لي الآن أنها تجربة قد أنجح فيها وقد لا أنجح، وعلى كل حال لا بد من الانتظار إلى أن تفتح المدرسة وعسى أن أغتبط بالعمل وأوفق الى ما يرضيني ويحقق الآمال إن شاء الله، ولم أزل منذ جئت إلى مصر أدرس الأمور وألاحظ وأفكر وأقابل وأقيس وأقدّر، فتارة أتضاءل واندم، وتارة أجد في نفسي نشاطاً إلى المضي في سبيلي مهما اعترضني من الصعوبات والعقبات..

الى الآن لم أجد محلاً أسكن فيه، جعل حنا ابن خالتي يفتش عن محل نسكن فيه معاً، وربما اشتركنا في الطعام، وإذا لم نجد المحل فلا بد من التفتيش عن محل نسكن فيه وحدنا، وقد وعدني الياس طرزي أن يفتش عن محل صغير مناسب بجوارهم...

ذهبنا مراراً نسمع توحيدة المغنية المشهورة، وكان فرج في كل مرة يستصحب معه فتاته وهي فتاة ايطالية، ويقال إنه يعيش معها من زمان طويل تقليداً للعشاق...

أجلس كثيراً في النهار في محال القهوة أدخّن وأفكّر. مصر معرض عالمين، العالم القديم والعالم الجديد، بينا ترى الأبنية الفخيمة والشوارع الواسعة والمخازن الكبيرة ومعاهد اللهو والطرب والحدائق الغناء والسيارات والعربات المؤنقة الرائعة، والنساء والرجال يروحون ويجيئون في أزيائهم الجميلة الأنيقة، الى غير ذلك من مظاهر

المدنية الجديدة، مما جعل أحد أمراء الأسرة الخديوية يقول إن مصر قطعة من أوربا ، ترى من الجانب الآخر مظاهر العالم القديم، ترى الرجال لا يزالون الى اليوم يلبسون العمائم والقفاطين والنساء ملتحفات بالملاءات السوداء الكثيفة، ترى الجمال والحمير ، والعربات الحقيرة تجرها الجواميس أو الحمير ، ترى المنازل الحقيرة كأنها الأعشاش، ترى الدكاكين الزرية ، بل ترى حلاقاً وضع كرسيه على جانب الطريق فيجيئه المصري فيجلس ويحلق كأنه في قرية حقيرة. بل قد تذهب إلى أماكن الطرب فتجد بين آلات الطرب العود والقانون والكمنجة والنقارة والدف والشبّاب مما لا تكاد تجد له مثيلاً في بلد من البلاد الشرقية إلا في الاستانة، فما أشبه مصر بالأستانة من هذه الجهة، فإنك تجد هناك المدنية الأوربية بأجمل مظاهرها وفي الوقت نفسه ترى التركي القديم بسرواله القصير وزناره العريض وعمامته الكبيرة، وترى الحمالين لا يزالون يحملون الأحمال الثقيلة على ظهورهم، وإذا جلست في قهوة ولو في أجمل شوارع الأستانة وأهم أحيائها ، فإنك ترى من وقت إلى آخر النافخين على الشبّاب يجولون على الجالسين يعزفون لهم ويستجدون أكفهم. بل أدخل حماماتهم التركية فإنك تجدها كما كانت منذ مئات من السنين ليس فيها شيء من الاصلاح أو التحسين.. حالة يحار في تفسيرها المفكرون. التركي والمصري من أقدم الأمم الشرقية احتكاكاً بالمدنية الأوربية، ومع ما للمدينة الأوربية من الجهات اللامعة الجذابة، فإنك ترى التركي والمصري يولدان في جو المدنية ويعيشان فيه، ومع ذلك فإن التركي لا يزال تركياً والمصري لا يزال مصرياً ، يعيشان على طرقهما الشرقية، فما معنى ذلك؟ قد يكون هذا الامتناع عن اقتباس المدنية الأوربية عن شعور المصري والتركي انهما أحط من أن يسموا إلى المدنية الاوربية أو أنهما أسمى من أن يتنزلا الى اقتباسها ، أو أن يكون هناك لا انحطاط ولا ارتقاء ، ولكن إما لأن المصري والتركي الفا المدنية الأوربية فلم يعودا يتأثران بها ، أو أن المدنية الأوربية فاجأتهما على حين كانا يعتقدان أنها بدعة مكروهة، فتمسكا بشرقيتهما ثم استمرا على ذلك فألفاها ولم يعودا يتأثران بها ، فيكون سبب الامتناع كره المدنية الأوربية ثم ألفتها . وقد يكون هناك سبب آخر وهو أن المدنية الأوربية لامست الرجل قبل أن تلامس المرأة في الشرق، فظل الرجل بين عاملين، المدنية الأوربية في الخارج والمرأة الشرقية في الداخل، ويظهر أن تأثير المرأة أشد من تأثير المدنية، فوقف الرجل الى جانب امرأته تفاجئه المدنية الأوربية فيقابلها بوقاره الشرقيّ، وإنه لوقار عظيم تحنى له الرؤوس اجلالاً .

السبت في ١٤ و ١ كانون الثاني سنة ١٩٢٢م

يوم الاثنين الواقع في ٨ ك ٢ غ سنة ١٩٢٢ وردنا تلغراف من أختي ميليا في القدس أنها وضعت أمي في المستشفى وحالتها خطرة جداً ، ثم جاء تلغراف آخر بإمضاء يعقوب ولعله من أخي يقول «حضورك ضروري» ،

فقلقنا أشد القلق وبادرت من فوري أفتش عن دراهم فلم أجد فسلمت الأمر لله. ثم جاءتني رسالة من أختي ميليا بتاريخ ٦ ك ٢ أي يوم السبت الماضي تقول: إن خالتي انستاس ماتت مساء أمس الجمعة، وأما أمي ففي خطر عظيم، ويوم الأحد في ٧ ك٢ جاءتني رسالة أخرى تقول: إن أمي لا تزال في خطر وأن الدكتور توفيق باز الذي كان يعودها، الذي أشار بنقلها الى المستشفى قادم الى مصر يوم الثلاثاء في ٩ ك ٢ وهو يخبرنا عن حالتها، ويوم الأربعاء صباحاً نزلت إلى بيت الدكتور وديع باز الحداد، فلقيت أباه القسيس ابراهيم واخاه الدكتور توفيق فسلمت عليهما وسألت الدكتور عن حالة أمي فقال: إنها في خطر وقد نقلناها الى المستشفى وهذا أحسن ما يمكن أن نعمله، ولكن لأنها امرأة كبيرة في السن فإنها قد لا تحتمل هذا المرض. فمع خوفي وقلقي فزعت الى التفاؤل قليلاً، ويوم الاربعاء مساءً حين رجعت الى البيت لقيت تلغرافاً فخفت أن أفضه، فتناولته بيد مرتجفة، وإذا به يقول «والدتك توفيت اليوم بعد الظهر»، فدخلنا غرفتنا واستسلمنا الى البكاء، وأما سريّ فخرج إلى الغرفة الأخرى وألقى بنفسه على المقعد وجعل يبكي بكاءً مراً. فدخل علينا جيراننا وجعلوا يعزوننا ويشجعوننا، قالوا لسري: ستلتقي بها في السماء، فقال متى يكون ذلك، لا يكون إلا بعد ألف سنة، ثم جاءني في اليوم الثاني يقول: إذا كان الذين يموتون يذهبون إلى الله فستكون الدنيا في الآخر عند الله.. إن حزني لعظيم جداً وإن الجرح لعميق جداً وهيهات أن يجدي البكاء والتأسف فتيلاً. أحزن لأني فقدت أمي بل سيدة بيتي من كنت أفخر بها إذا جمعتنا المجامع، أمي التي على ما لقيته في حياتها من شدة لم تزل إلى آخر دقيقة من حياتها عزيزة النفس كبيرتها رابطة الجأش راضية قانعة صابرة، كنت إذا جزعت شجعتني وإذا عجزت نشطتني وإذا قصرت عذرتني، وإذا تهاونت أو أخطأت سامحتني ورضيت عني، وإذا عبس الزمان ابتسمت لي، وإذا غبت اشتاقت إليّ، وإذا حضرت عانقتني وضمتني إلى صدرها وقبلتني وشممتني، وإذا سلكت من الحياة طريقاً وعراً وركبت منها مركباً خشناً ماشتني، وإذا تمردت على الحياة وشذذت عن مستوى الناس ومألوفهم، فمشيت في شدوق الأراقم[٢٠]، وتخلف الناس حتى أهلي وأصدقائي عني كنت أرها بجانبي. كانت كبيرة النفس فربتني أن أكون كبير النفس، كانت تحب المجد والعلى فلم يكن يسرها ويطربها مثل أن تراني أربأ بنفسي عن مواقف الذل وأسمو بها عن المطالب الدنيئة وانزع بها إلى معالي الأمور، وأنزهها عما يشينها وبعض ما لا يشينها، لم يكن يهمها وأنا صغير مثل أن تسعى في ادخالي إلى أحسن المدارس، ولو ساعدتنا الأحوال المالية لأرسلت بي إلى أرقى المدارس في بلادنا أو في أوربا. كانت شجاعة فكانت تربيني وتربي أخوتي وأخواتي على الشجاعة وكانت مثالاً لنا، كانت قوية الجسم فكانت تحب أن نكون أقوياء

(٢٠) في أفواه الأسود.

أشداء . كانت وافرة المروءة سريعة النهضة تتطوع في خدمة الناس وعيادة المرضى وتعزية الحزانى وزيارة الأهل والأصدقاء ، لا تسمع بمصيبة أحد إلا اشتركت فيها ، كانت كبيرة العقل سديدة الرأي فلا يقع مشكل في الأسرة إلا رجعوا إليها وعوّلوا على قولها . كانت واسعة الصدر فلا تلقى الدهر إلا غير مكترثة . كانت مثالاً لنا في العلى والفضائل . .

أحزن الحزن العظيم لأنها ماتت وأنا بعيد عنها لم ترني ولم أرها ، مرضت فلم أكن حاضراً للعناية بها ، نزلت بها صرعة الموت فلم أكن بجانبها أدمث لها من مضجعها وأروح عليها وآخذ بيدها وأمسح جبينها وأرطب فمها واستنزل بركتها واستغفرها ، وأتلقى وصيتها وأقوم بآخر واجب عليّ لها . ماتت ولم أودعها الوداع الأخير لم أغمض عينيها بيدي ، حُملت ولم أسر في جنازتها ولم أشترك في الاحتفال بتكريمها ، دفنت ولم أركع بجانب ثراها أبلله بدموعي الحارة الغزيرة . منذ جئت إلى مصر لم أزل أشعر أني ارتكبت جناية عظيمة ، لم أكن أخشى إلا من هذا ولم أكن أتطلع إلا إلى الرجوع إليها والبقاء معها . كتبت إلي أختي منذ أيام أن خالتي مريضة جداً وأن أمي تنوي أن تصعد في عيد الميلاد الى القدس لتعود أختها ، فكتبت إليها أن لا تنتقل بأمها من جوّ يافا الدافئ إلى القدس في هذه الأيام الباردة ، وأنا أخشى أن تصرّ أمي على الذهاب لأني أعهدها لا يقعدها عما تراه واجباً شيء ، وكم عرضت نفسها قبل اليوم للخطر في سبيل القيام بالواجب ولو كان طفيفاً ، وكانت في سعة من العوز ، ولكن شاءت الأقدار أخيراً أن تذهب ضحية الواجب ، وإني لأفخر بموتها كما كنت أفخر بحياتها ، فقد كانت المثل الأعلى في البطولة في الحالتين . .

أحزن الحزن العظيم الذي لا تخففه العبرات ولا تنال منه الأيام لأني لم أمانع في انفصالها عني بعد زواجي ، فذهبت وعاشت مع أختي في بيت وحدهما فكنت في تساهلي هذا كأني طردتها طرداً . نعم ذهبت باختيارها ولم يغير ذلك من مقامها عندي ومحبتي لها ، وكنت إذا مرّ يوم ولم أزرها فيه أحسّ كأني أذنبت ذنباً عظيماً ، ولم يكن شيء أحبّ إليّ من أن أزورها فألقاها في زاوية بيتها جالسة على «جودلتها»[٢١] وأمامها النارجيلة وإبريق القهوة وكانون النار ، ووجهها يتدفق عطفاً وسروراً وعيناها تلمعان محبة واشتياقاً فتبادرني بقولها مرحباً مرحباً ، ثم أجلس قريباً منها فتهيئ لي نارجيلة وتعالج إبريق القهوة ، فإذا رأت فيّ وجوماً وانكماشاً شجعتني وهوّنت عليّ كل عسير . وكم كانت تسرّ حين أزورها وسريّ معي فكانت تقبله وتضمه إلى صدرها وتشمه شماً عميقاً وتنشر عليه حنواً وعطفاً . . ثم تجلسه إلى جانبها وتباسطه وتضاحكه . نعم إن انفصالها عنا لم يغير من محبتنا لها ومحبتها لنا ، ولكن لو عشنا معاً كما كنا منذ نشأتنا لكنا أسعد الناس وأوفرهم غبطة . ومع ذلك ومع ما كنا نلقاه من شدة العيش ونتحمله من صعوبة الحياة فقد كانت وكنا مثال السعادة والهناء . . .

---

(٢١) الجودل : فراش رقيق يطرح على الأرض للجلوس عليه .

أم خليل السكاكيني (مجموعة عائلة السكاكيني)

ومما يزيد حزني أني أنا الذي عشت معها كل عمري وقريباً منها منذ زواجي، أنا الذي كنت أباً لأخوتي، أنا الذي كنت من أحرص الناس على رضاها وإكرامها، أنا الذي عاهدت نفسي بعد أن رجعت من المنفى أن لا أترك بيتي ولا أنفصل عن أمي وحاولت أن أوفر لها أسباب راحتها وسرورها، وأكفر عن سيئاتي وتقصيري لم ألبث لغير سبب أن انفصلت عن بيتي وتركت أمي وجئت الى مصر. إنها لغلطة كبيرة بل إنها لجناية عظيمة كان جزاؤها أن تموت أمي وأنا بعيدٌ عنها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...

ولكن لو فرضت أني لم أترك أمي دقيقة من الزمان وأني لم أقصر في القيام بواجبها ولم أدخر وسعاً في اكرامها وتوفير أسباب سرورها، وأنها ماتت وأنا قريب منها فلفظت أنفاسها الأخيرة بين ذراعيّ، وأني أغمضت عينيها بيديّ وبكيتها بكاءً مراً واحتفلت بجنازتها احتفالاً باهراً ولم أترك شيئاً من دواعي تكريمها إلا قمت به، فهل هذا يعزيني؟ أمي ماتت فماذا يعزيني؟ يقولون نحن من الموتى وإنها امرأة كبيرة وإنها استراحت من تعب الحياة وآلامها.

إذا كنا أبناء الموتى ولم نخلق إلا للموت فهل هذا يعزيني على وفاة أمي، إذا كانت كبيرة فهل الموت يستحب للكبار؟ إن لموت الكبار لوعة عظيمة تشتد كلما كان الكبير أقرب إلى القلوب. إذا كنا نتمسك بالصغير لأنه بهجة الحياة وجمالها وسرورها، إذا كنا نتمسك بالشاب لأنه موضع الآمال وقوام الأعمال وسند الحياة وعمادها وعنوان مجدها وفخرها، فإن للكبير وقد أنضجته السنون، وأصبح كتلة عواطف وينبوع محبة وعطف قيمة أخرى، وأنها لقيمة عظيمة، وإذا مات فالخسارة عظيمة لا تعوّض. هل يعزيني أن أعلق صورة أمي مكبرة في صدر بيتي فلا أدخل أو أخرج إلا أطلت إليها نظري. أحر بذلك أن يزيدني حزناً ولوعة لأنه يذكرني بموتها وخسارتها، أأقيم على ثراها قبراً جميلاً أزوره كل يوم؟ أأفتخر بها وأقول إن أمي سيدة الأمهات؟ أتعزى بسلامة سريّ وسلطانة وأختي وسائر أهلي وأصدقائي، سريّ ولدي وسلطانة امرأتي وميليا أختي ويعقوب ويوسف أخواي وأهلي أهلي وأصدقائي أصدقائي، ولكن أمي أمي أين أمي؟ أأتلهى وأنزه فكري وأشاغل نفسي وأغالط حسي؟ أأتعزى بالفلسفة؟ أأتعزى بالدين؟ كل ذلك لا يعزيني ولا يجعل موت أمي أمراً مستحباً. عقلي لا يعزيني وقلبي لا يعزيني، إذا بكى المحزون فليس بكاؤه بكاء حزن ولكنه بكاء قهر وذلّ.

لو حاول أحد أن يتناول أمي بكلمة لأمسكت بخناقه وصرعته، لو حاول أحد أن يضرب أمي بعود ريحان لمزقته تمزيقاً ولو لقيت في ذلك حتفي، لو حاول أن يمس كرامتي أو كرامة أحد من أهلي وذويّ لوقفت له وقفة الأسد الهائج، وأما الموت فقد جاء وضرب أمي الضربة القاضية برغم أنفي فكيف آخذ بالثأر

هبيني أخذت الثأر فيك من العدى ... فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمّى

إن الموت ذُلّ. فإما أن تألف الذُلّ وتتعود أن تصبر على الأذى وتشرب مراراً على القذى، فإذا جاء الموت تجملنا وتصبرنا وطأطأنا الرقاب وتمرغنا بالتراب، وأما أن نغير رأينا بالموت فننظر إليه كما ننظر الى الحياة ونتعلق به كما نتعلق بها، ونراقب وقته مراقبة المشوق المستهام، ولكن هيهات ما دامت الحياة بالاحباب جميلة فموتهم مصيبة وفراقهم حسرة وخسارتهم لا تعوض.. فقدت كثيرين من أهلي وأصدقائي وبكيت على كثيرين ممن أعرف ومن لا أعرف، ولكن أعظم المصائب التي لقيتها حتى اليوم هي موت أبي وموت داود صيداوي، وموت استاذي [نخلة زريق] وموت أمي. وإذا عددت المصائب التي ألمت ببيتنا في كبارنا أو صغارنا ووزعتها على سني عمري لم تخل سنة من مصيبة وقس عليّ غيري، فحياة كلها مصائب كيف تسعد بها وتستطيب العيش فيها، ألا ليتنا لم نخلق.. بل ليتنا لم يكن لنا قلوب نحسّ بها، وما أطيب العيش لو أن الفتى حجر. ولكن ماذا يكون العيش لو كانت لنا قلوب مقدودة من الصخور، ماذا يكون العيش إذا كنا لا نحبّ بعضنا بعضاً ولا نتعلق بعضنا ببعض؟ فليس لنا إلا أن نقبل الحياة كما هي بخلها وخمرها وحلوها ومرها وإذا بكينا للراحلين فيجب أن نتعزى بالباقين.

سمع الناس بموت أمي فلم نخلُ من أصدقاء يشاركوننا في المصاب الأليم، وإني ذاكر هنا أسماء الذين تفضلوا بزيارتنا وتعزيتنا، وهذه اسماؤهم: خالتي لبيبة وابنها يوسف وابنتها فريدة، ومحمد علي افندي الطاهر ودميان برامكي وجبرائيل ابو فاضل، وأشيل شبلي وإميل العيساوي وأخوه، وديع وأخوه الياس والآنسة فكتوريا عدس ونعوم بك شقير، وسليم أفندي قبعين ونجيب أفندي شاهين وسليم افندي سركيس، وفرج ووهبة وداود أفندي شقير وخليل أفندي فرح وناصر أفندي جمل، وحمدي أفندي الحسيني وعيسى أفندي محفوظ وأمه وامرأته وجارنا الخواجا أبو نادر وامرأته وابنته.

وجاءني تلغراف من اسعاف أفندي النشاشيبي ومن يعقوب ابن خالتي، وتلغراف آخر من يافا بامضاء اسكندر أفندي تماري والسيدة أم عبد الله تماري وعائلة برتقش، ورسائل من أحمد الخالدي وعمر أفندي الصالح وحبيب أفندي الخوري، وأحمد بك صفوت من مصر وقد كان موظفاً في القدس.

ما عدا الذين كانوا يلقونني في الطريق فيعزونني، كالدكتور منصور فهمي والاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق. ثم جاءتني رسالة من أختي ميليا اثبت هنا منها ما يأتي:

الاثنين ١٦ ك٢ سنة ١٩٢٢م

«العمر لكم، لا تتصور أن أمي في كل مدة مرضها خرجت من فمها كلمة عتاب بل كانت تترضى على

الجميع. تركنا يافا يوم الاثنين في ٢ ك٢. كانت صحتها جيدة وهي التي ألحّت عليّ بالمجيء لأنها سمعت أن خالتي نستاس مريضة جداً.

في القطار أخذنا غرفة صغيرة وكانت أمي ملفوفة بشال واحرام، ولما نزلنا من القطار أخذنا حالاً عربة أنزلتنا في باب الخليل، وهناك لقينا الخواجا أمين صيداوي فأخذ بيد أمي وأوصلها الى البيت لأن الدنيا كانت ليلاً. في تلك الليلة لم تنم أمي من شدة السعال، وفي الصباح دعوت الطبيب توفيق باز وكانت تخرج معي وتقول لماذا دعوت الطبيب، صحتي جيدة. بعد الفحص المدقق قال الطبيب إن أمي في خطر لأسباب ذكرتها في رسالتي السابقة، وقال الأحسن أن تخرج من هذه الدار، فقلت لها ما رأيك يا أماه، فقالت: الأحسن أن أذهب الى المستشفى الإفرنسي.

جاء خالي فلما دخل عليها قال لها: ما الذي جاء بك؟ فقالت يا أخي ترابي جاء بي، فتصور من أول يوم أحست أنها مائتة، وفي مساء يوم السبت بعد رجوعي من جنازة خالتي وجدتها في تعب، فللحال دعوت الطبيب باز، فلما حضر قال تصورتها أضعف من الصباح، وبعد الفحص قال: حالتها العمومية حسنة ولكن الأحسن أن تنقليها الى المستشفى. وفي الصباح، راجعت طبيب المستشفى فهيأوا لها غرفة في الطبقة العليا، وجاء خالي وابناء خالي وأبو سليم وأبناء اختي وهي تمازحهم، وتقول لهم: كيف تحملونني وأنا في قيد الحياة، فحملوها بكل راحة، وذهبت معها أنا وأختي وللحال جاء الطبيب وبعد الفحص قال: أراها في خطر، فرئتاها مصابتان، فسمحوا لي أن أكون معها في النهار وأن تكون أختي في الليل، وفي الساعة الرابعة بعد الظهر زارها الطبيب ليرى حالها بعد كاسات الدم والدواء بواسطة الإبر، ولما خرج من غرفتها قال لي: أمك في خطر والخطر قريب، وهو يتكلم بالعربية، وقال: سمعتها تذكر اسم خليل فمن هو؟ فقلت أخي وهو غائب في مصر، فقال الأحسن أن تبلغيه، وللحال تركت أختي بجانب أمي وذهبت إلى بيت يعقوب ابن خالتي أستشيره، فقال: نرسل له تلغرافاً، وذهب متري وأرسل لك التلغراف، وبقيت عندها الى الساعة الثامنة مساءً، ولما خرجت من الغرفة قالت لأختي.. أنا يا أم عيسى مائتة والحمد لله ليس ورائي رضّع ولا أولاد صغار، ولكن ميليا أوصي خليل بها وأوصيك أنت أيضاً، وصرفت ليلتها وهي تترضى علينا جميعاً وخصوصاً عليك وعلى سريّ.

وفي صباح يوم الاثنين دخلت عليها فبشت في وجهي، وقالت: ماذا أكلت وأين نمت ولماذا أنت خائفة، أنا صحتي أحسن وأي أم مثلي، الحمد لله أولادي شباب ولم أذق حسرة، وأنت يا ميليا اللّه يرضى عليك لا تهتمي إلا بصحتك، وأما أنا فعلى خاطر اللّه إن شاء أبقاني وإن شاء أخذني، فتصور حالتي يا أخي. وبعد

قليل قالت أرسلي وراء أخيك يعقوب لأراه وكان ابن خالي سابا حاضراً، فذهب للحال وأحضر يعقوب فقبل يدها وترضت عليه وخرج من الغرفة باكياً.

ويوم الثلاثاء كان ثالث [أيام وفاة] خالتي أم يعقوب فألحّت عليّ أن أذهب إلى الكنيسة لأحضر الجنازة وأكلف خالي أن يدعو لها الخوري لتتناول ففعلت، ولما زارها الطبيب صباحاً قال: إنها على فراش الموت وربما تنتهي حياتها مساءً فاستغربت وقلت له: كيف وهي لا تزال قوية وواعية؟ وكانت حين أكون بجانبها لا تشكو من ألم خوفاً عليّ، وإذا سألتها ماذا تشعرين، فتقول لا شيء. وفي الساعة الثالثة بعد الظهر اختلفت حالتها كثيراً وكادت تسلم الروح وهي تذكرك وتدعو لك ولولدك. تصورت انا وأختي أنك آت الساعة الخامسة مساء فكلفنا الطبيب أن يعطيها ابراً لتبقى في قيد الحياة، ريثما تأتي، ثم قالت لها أختي يا أمي جاء خليل فقالت لماذا أتعبتموه، وأما وقد جاء فليدخل حالاً وجمعت قواها وصارت تنظر بالوجوه التي حولها لعلها تراك، وكان ابن خالي سابا واقفاً، فهمّت أختي ان تقول لها جاء أخي ولكن أمي سبقتها وقالت له يا سابا اين خليل؟ فقال لها المطر شديد فذهب ليغير ثيابه، وبقيت على هذه الحالة لليوم الثاني وكل الليل تقول لأختي لماذا كذبتم عليّ وقلتم إن خليل جاء، ويوم الاربعاء، كانت تأخذها الغيبوبة أحياناً، ولكن حين تنتبه تراني أنا وأختي بجانبها، فتقول لي: ماذا أكل أخوك خليل وأين نام، وتترضى على يوسف وتقول: ألست أنا في بيت أخيك يوسف. وفي الساعة الثالثة والنصف تعسر عليها الكلام، وإذ دخل أخي يعقوب قلت لها يا أمي جاء أخي فجمعت قواها وقالت «خليل الله يرضى عليك» و«يلبّي كلامك»، و«يحفظ لك ولدك»، كل كلمة كانت مفهومة فصار يعقوب يبكي وهمّ بالخروج، فأشارت إليه أن يجلس فجلس وأخذ يديها وقبلهما ثم خرج من الغرفة، وما وصل باب المستشفى حتى أسلمت الروح وعلامة الابتسام بادية على وجهها ولم يكن بجانبها سوى أختي وأنا والراهبات، وللحال أرسلت خبراً لخالي فحضر هو وأبناء خالي وأخي فأخذناها للبيت، وفي الصباح في الساعة العاشرة كانت الجنازة في كنيسة مار نقولا، ومع شدة المطر فقد كان الحاضرون جمهوراً كبيراً ودفنت بجانب أبيها حسب العادة، وتلغرافك جاء متأخراً، ولم يحضر من المسلمين الجنازة غير عمر أفندي. وأما أحمد فقد جاء خصوصاً من يافا ولكن بعد الدفن، وأما اسعاف افندي فجاء بعد رجوعنا من الكنيسة، قدّم لي أحمد عشرين جنيهاً وقدم لي اسعاف أفندي قيمة كبيرة ولكن ما قبلتها، وبعد الالحاح أخذت منه عشرة جنيهات، وصلني منك عشرة جنيهات في اليوم الثاني، وأما الخمسة جنيهات التي أرسلتها باسم يعقوب ابن خالتي فلم تصل لحد الآن. لا أحتاج الى دراهم ولا تفتكر بي من هذه الجهة.

أخذت اجازة للعشرين من هذا الشهر وسأكتب لك غداً، أكتب لي حالاً ودمت لأختك ميليا».

من هذه الرسالة عرفت ان أمي ماتت كما قدرت، ماتت في سبيل القيام بالواجب نحو أختها، ماتت وهي تترضى على الجميع، ماتت وهي تمازح الجميع، ماتت وعلائم الابتسام على وجهها، ماتت وهي توصي بأختي ميليا، ماتت وهي تشتاق إلينا وإلى أخي يوسف، ماتت وفيها بقية من الصحة والقوة. ماتت وهي تسأل عني ماذا أكلت وأين نمت؟ ماتت وهي مالكة رشدها ترى وتسمع وتتكلم..

وكتب إلي أبو جميل يقول: إن الجنازة كانت حافلة مهيبة، وأما خالي وأبناء خالي وأبناء خالتي ومشبك قاموا بالواجب خير قيام، وأن الناس لا ينقطعون عن زيارة أختي ميليا رجالاً ونساءً مسلمين ومسيحيين، ويثني على أختي ميليا ويقول: لكم الحق أن تفخروا بها.

كتبت الى أختي ميليا أخيّرها بين أن تجيء إلى مصر حالاً فتعيش هذه الأشهر القليلة الباقية من السنة المدرسية، أو أن تذهب الى يافا وتأخذ معها أختها فروسو أو ابنتها ماري، ولتكن هذه السنة آخر عهدها بالتعليم، فإننا في احتياج الى الاشتراك معنا في المعيشة والعناية بسريّ، وأوصيتها بالعناية بأخي يعقوب ومواساته وتلطيف خاطره، وان لا تلبس الحداد.

ما كنت أحب أن تصير الجنازة في كنيسة مارنقولا، وكنت أفضل أن تكون في كنيسة دير السيدة حيث صارت جنازة أبي وأن تدفن بجانب أبي حتى إذا متنا ضمت عظامنا الى عظامها، ولكن تأخر تلغرافي فكان ما كان.. وكتبت الى أبي جميل أثني عليه وعلى أحمد وعلى أبي الفضل، وقلت: أفاخر بكم الناس أجمعين، وما أحراني وإن جلّ الخطب أن يكون عزائي بكم جميلاً.

السبت في ٢١ ك٢ سنة ١٩٢٢م

جاءتني رسالة من أختي ميليا بتاريخ ١٨ ك٢ جاء فيها:

في مثل هذا اليوم أي قبل ثمانية أيام أصبحت أمي على آخر نفس ولم تبق للعصر إلا على أمل مجيئك الظهر، وكل النهار كانت نائمة وفي نومها كانت تذكر الجميع وخصوصاً أباك وسريّ ويوسف، وحين تنتبه كانت تجمع حواسها، وتقول: ألم يجئ خليل؟ وتنظر في وجوه الجميع وتعرف كل الحاضرين وتقول يا ميليا «الموت لا بدّ منه»، وليس ورائي والحمد لله من أحمل همّه، وأنت عملت كل الواجب لا بل أكثر والآن يهمني أن تهتمي بصحتك، وتسألني هل أكلت وماذا أكلت؟ وتلح عليّ أن أذهب إلى بيت خالتي لآكل هناك، وتقول: إذا جاء خليل فقولوا له أمك ماتت بعزها والحمد لله ما رأت حسرة، وماتت كما تحب خفيفة نظيفة.. ما أجملها وهي على فراش الموت، قابلته بابتسامتها المعهودة وهدوء عجيب بعكس خالتي فقد تألمت، وكلما شعرت أن

روحها تكاد تتركها تجمع قواها وتقوم وتمد يديها حتى يساعدوها، وأما أمي فقد بقيت مضطجعة للساعة الأخيرة بدون حراك، وكانت واعية، وإذا سألناها بماذا تشعرين تقول لا شيء. لفظت أنفاسها وهي تترضى عليك وتشير إليّ أن اخرج من الغرفة، لفظت أنفاسها الساعة الرابعة تماماً. وللحال جاء خالي وأبناء خالي ويعقوب ابن خالتي وأخي وشفيق وأفتيم عبده، ونقلوها للبيت حيث سهرنا حولها للصباح، وكلما نظرت إليها أراها كأنها مشتركة معنا وعلامة الابتسام والرضى بادية على وجهها.

كتب إليّ الحاج راغب أفندي الخالدي إذا ذهبت إلى يافا أن أنزل عنده، وأرى ذلك أحسن لأني لا استطيع أن أرجع الى البيت وحدي وأختي فروسو لا تقدر أن تترك بيتها، وماري لا يمكنني أن أعيش معها وحدنا. جاءتني عدة تلغرافات تعزية من يافا، أما عيسى العيسى فلم أسمع منه كلمة ولعله لم يسمع بمصيبتنا. صبحي لم يزرني، أما اسعاف افندي فيمر عليّ كل يوم وقد زارني حبيب أفندي الخوري أيضاً.

يوم الأحد في ٢٢ كتبت الى خالي جورجي أعزيه بأختيه وأشكره هو وأبناء خالي وسائر الأهل والأصدقاء، على اهتمامهم بأمي في مدة مرضها واحتفالهم بجنازتها، وكتبت رسالة أخرى الى ابن خالتي يعقوب قلت فيها:

لقد خسرنا كلانا أُمّين خالتي وخالتك فكأن كل واحد منا خسر أُمّين لا أماً واحدة، وقد خسرناهما في وقت واحد كأنهما كانتا على ميعاد فتضاعفت الخسارة وعظم المصاب. هما أول من أحبنا وأحببنا في هذا الوجود. إذا كان للحب درجات فإن لحب الأمهات أولادهن الذروة العليا التي لا تسامى بل لا تدانى. ذلك الحب الذي يولد في صدور الأمهات قبل أن يصرن أمهات ويعشن عليه كما يعشن على الماء والهواء والغذاء. ذلك الحب الذي لا يقبل الزيادة ولا النقصان فهو هو أحسنا أم أسأنا، وهو في آخره مثله في أوله. قد تكون قلوبنا على الحجارة وأما قلوبهن فلا تكون إلا علينا. قد يكون حبنا إياهن منبثقاً من حبهن إيانا أو من حبنا أنفسنا أو أشخاصاً آخرين، وأما حبهن فهو أصل بنفسه ذلك الحب المقدس الذي يسمو بالأمهات الى مصاف الآلهة، وما أحق الأمهات أن يكن معبودات. إن لموت الكبار والكبيرات لوعة عظيمة، إذا كان الصغار بهجة الحياة وجمالها فإن الكبار الذين أنضجتهم السنون هم موضع الحسّ وخلاصة الحب ومظهر العطف والحنو، فإذا بكيناهم فإنما نبكي قلوباً لم تخفق إلا بحبنا وأيدياً لم تكن تمد إلا لعناقنا ولم ترتفع إلا لتباركنا نبكي عيوناً لم تكن تلمع إلا بنور العطف علينا، إن الحياة بدون أمهات لحياة جافة. إن الفراغ الذي تتركه الأمهات لا يملأه أحد بعدهن، لقد خسرنا أُمّينا فماذا يعزينا لقد خسرناهما برغم أنوفنا، فإذا بكيناهما فبكاء حزن وبكاء ذلّ، إذا كنا نتمرد على الحياة فكيف نتمرد على الموت.

هبيني أخذت الثأر فيك من العدى　　فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمّى

..... الخ

يوم الاثنين في ٢٣ ك٢ سنة ١٩٢٢ رجعت الى البيت الظهر فبشرني سريّ أنه انتقل في مدرسته الى صف أعلى، وأراني كتبه الجديدة في التاريخ والقراءة فسررت له كثيراً، وأثنيت عليه وباركت له، وفي المساء اشتريت له كلاً [=كرات] من البلور هدية انتقاله هذا.

زارني في المدرسة الدكتور منصور فهمي فذهبنا وجلسنا في محل «سولت» وتجاذبنا البحث في مواضيع مختلفة، واتفقنا ان نقرأ معاً التوراة والانجيل، وسنبدأ من يوم الجمعة القادم في الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر.

جاءتني رسالة من أختي ميليا من يافا بتاريخ يوم الاربعاء في ٢٥ ك٢ تقول فيها:

عزيزي خليل

في مثل هذا اليوم قبل خمسة عشر يوماً لفظت أمي أنفاسها الأخيرة، تصور حزني وألمي، كل يوم تزداد حالتي النفسية حزناً وكآبة. تقول لي أن أتشجع، أأمام هذه المصيبة، المصيبة التي أفقدتني أمي وأنا في أشد الاحتياج إليها، كيف لا أبكيها صباحاً ومساءً؟ كل شيء يذكرني بها. الليلة كلها لم أنم إلا قليلاً ويخيل إليّ أنها نائمة بالغرفة معي، أسمع صوت أنينها فأستيقظ مرعوبة وأصغي بسمعي وأتلفت حولي فأجد نفسي وحيدة بالغرفة.

نهضت باكراً من الساعة الرابعة صباحاً ولبست ثيابي كأني ذاهبة للمستشفى أعودها. نهضت السيدة أم الحسن فوجدتني على هذه الحالة فأخذت تشجعني وتخفف عني ولكن عبثاً تفعل. إذا أمسكت نفسي فأمامها فقط. نزلت للمدرسة مع أن الجميع ألحّوا عليّ أن أبقى في البيت لأستريح وأنام، ولكن فضلت النزول حتى أشغل نفسي ولكن بدون فائدة. أمي أمامي مدرجة بأكفانها ويلاه من هذا التصور.

يا خليل احتجت إليك بمرض أمي، بموتها، أن تكون بجانبي، ولكن الدهر الجائر منعني من أن أنال أمنيتي هذه، كنت في أشد الاحتياج اليك فما وجدتك. أمي حافظت على أنفاسها الأخيرة لأجلك، وليس حباً بالحياة مدة ٢٤ ساعة، ولكن بدون جدوى.

خليل أنت كل شيء لها، أنت ابنها المحبوب، أنت الذي ادخرته لموتها، لم تكلفك شيئاً في الحياة، وفرتك لساعة موتها، ولكنها مسكينة أمي، أي شيء استوفت من حظها في الحياة لتناله في الموت. عاشت كل حياتها وهي تظهر أنها راضية وكذلك لآخر دقيقة أوهمت نفسها أنها تخاطب خليل وأنه أمامها، وأشارت لك ان تجلس وجمعت قواها، ولفظت كلماتها الأخيرة وهي الرضى عليك وعلى ابنك فتصور.

لا يمكنني أن أكتب الآن أكثر، أنتظر منك رسالة مطولة، أكتب لي حتى أعرف أن لي أحداً يفتكر بي، وعسى أن لا يكون ذلك صعباً عليك،

ودمت لأختك ميليا.

يوم الثلاثاء الواقع في ١٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٢

أقام المصريون حفلة تكريم لأمين الريحاني[٢٢] في بهو الجامعة الأميركية، وقد سبقتها حفلات عديدة لتكريمه في أماكن مختلفة. فمر عليّ الصديق نعوم بك شقير فذهبنا معاً، وإن كنت لست من المدعوين، فكان البهو غاصاً بجمهور كبير من مصريين وسوريين.

ذهبت لأني أحب أن أرى أمين الريحاني لأني لم أره قبل اليوم إلا مصوراً في صدر كتابه الريحانيات، وصورته في كتابه تمثله في ميعة الشباب ولعلها لا تمثله أحسن تمثيل. وأحببت أن أقف على نفسية الناس في مثل هذه الحفلات وسأشير هنا الى بعض تأثراتي وملاحظاتي على وجه الاختصار.

(١) إذا كانت الخطابة أن يكون الكلام منسجماً آخذاً بعضه برقاب بعض، أن يكون المنطق جزلاً والصوت جهيراً، أن نفخّم الحروف المفخمة ونرقق الحروف الرقيقة ونختلس الحركات القصيرة، ونشبع الحركات الطويلة ونمد المحدودة ونراعى فيه كل أصول التجويد، أن يمثل المعنى تمثيلاً، فكل الذين خطبوا خطباء مصاقع، وإذا كان الشعر أن يكون الكلام موزوناً والقوافي محكمة، فكل الذين أنشدوا القصائد شعراء، ولكن إذا كانت الخطابة أن كاشف الناس بأفكار جديدة أو عالج المواضيع المبتذلة من باب جديد، أن تعرض على الناس من علمك أو اختبارك ما لم يكن لهم به عهد، فليس بينهم من يستحق أن يسمى خطيباً، وإذا كان الشعر أن تأتي الناس بوحي جديد فليس بينهم شعراء، بل قد سمعت قبل اليوم في سوريا وفلسطين من الخطباء والشعراء من هم أطول باعاً في هذا النوع من الشعر والخطابة... الخ.

(٢) ليست هذه أول مرة زار فيها الريحاني القطر المصري بل هي الثانية، ولم يكن في زيارته الأولى أقل شهرة في عالم الأدب منه اليوم، بل لعله كان له من نزوات الشباب وبدوات الخاطر وشدة العواطف وحدّة الجنان وتلهُّب الذكاء وطلاوة الجديد ما يعظم وقعه ويجل شأنه، فجاء وذهب ولم يدر به أحد، فما معنى اكثارهم من الحفلات اليوم لتكريمه. وقد ظهر لي من كلام الخطباء والشعراء بل سمعت من كثيرين من الأدباء أنهم لا يعرفونه ولم يقرأوا له شيئاً قبل اليوم، والذين عرفوه لم يعرفوا عنه إلا الشيء النادر القليل مما لا يستدعي مثل هذه

(٢٢) أمين الريحاني كاتب وأديب لبناني، من رواياته خارج الحرم، وزنبقة الغور. ألقى عدة محاضرات في النادي الأدبي الذي تأسس في مدينة الناصرة عام ١٩٢٦.

الحفاوة. يلوح لي أنه هذه المرة قد جاء في الوقت المناسب، جاء والنفوس متلهبة والخواطر ثائرة فلم يكن احتفالهم به إلا وسيلة لعقد الاجتماعات واظهار ما تكنه النفوس الخ، وكانت الحفلة أشبه بالاجتماعات الوطنية منها بالاجتماعات العلمية الأدبية.

(٣) مما يؤيد قولي هذا أن الخطباء والشعراء تكلموا كثيراً إلا عن الريحاني، والناس صفقوا كثيراً إلا للريحاني، فما أشبه الريحاني وهذه الحفلات بذلك الخطيب الذي سأل أحد أصحابه على رأيه في خطابه، فقال لو كان الموضوع مصاباً بالحمى القرمزية لما سرت العدوى الى الخطاب.. أي أن الخطاب كان بعيداً جداً عن الموضوع.

(٤) من أغرب ما رأيت والمكان أميركي والمصريون يبشرون بالديمقراطية أنهم أجلسوا بعض المدعوين على دكة الخطابة كأنهم أعلى من أن يجلسوا بين الناس كالناس. الحفلة لتكريم العلم والأدب لا لتكريم الغنى أو السن أو الزعامة أو الوجاهة أو غير ذلك، ولكن رأيت أن الذين أجلسوهم فوق الدكة ليسوا من أهل العلم والأدب، أذكر منهم ميشيل لطف الله وحمد الباسل وواصف غالي وبعض الشيوخ من رجال الأزهر، ولم يكن بينهم من أهل العلم إلا الدكتور صروف، وقد ألحّ عليهم أن يتركوه بين الناس فأبوا عليه ذلك. فإعلاء بعض المدعوين فوق بعض لا يتناسب مع المكان وهو أميركي، ولا يتناسب مع الروح الديمقراطية التي يدّعون أنهم يدعون إليها ويبشرون بها. ولا يأول ذلك إلا أنهم لا يزالون عبيد آراء قديمة بالية، وأنهم لا يحتفلون لتكريم أحد إلا أشركوا في تكريم ساداتهم من أهل الوجاهة والغنى الخ. ماذا ترى كانوا يعملون لو حضر الحفلة أمير من الأمراء.. ما أشبههم بالكنيسة الأرثوذكسية، فإن المصلين فيها لا يستطيعون أن يبدأوا صلواتهم، أن يشكروا الله أو ليستغفروه إلا بعد أن يعلنوا شعائر العبودية لبطريركهم ويدعوا له بالتأييد. ولست أدري هل صاحب الدعوة صدر في ذلك عن رأيه الخاص أو هو رأي المحتفلين كلهم، وهل أولئك السادة هم الذين يملون على الناس الجري على هذا الترتيب، فإذا اتفق أنهم أغفلوه مرة لم يلبوا دعوة بعدها؟ لا بد لي من درس هذه المسألة.. وعلى كل فإني أحتج على ذلك، فليس من المجاملة ولا اللياقة أن تدعوا الناس لحضور حفلتك ثم تتولى تقسيمهم إلى طبقات، فتضع هذا في الطبقة الأولى وذاك في الطبقة الثانية، أنت حرّ أن تكرم وتجامل من شئت ولكنك لست حراً أن تحقر أحداً، ألم يكن معنى ذلك أن صاحب الدعوة قال للناس: أنتم طبقات فمنكم طبقة عالية ومنكم طبقة واطئة..

(٥) خيّل إليّ والخطباء يخطبون والشعراء ينشدون والناس تارة يصفقون ويهتفون وتارة يستكّون ويهمدون أننا في جوّ سحريّ.. في مجلس سحرة. وقديماً كانت مصر بلاد السحر والشعوذة.

لم يكن الخطيب أو الشاعر يؤثر على الناس لأنه خطيب أو شاعر، ولكن لأن صاحب الدعوة يقدّمه الى الناس كخطيب وشاعر، فتتجه إليه الأبصار وترهف الآذان، بل ويقابل بالتصفيق قبل أن يعلو المنبر ويقول كلمة.

بل لو وقف واعتذر ثم نزل لعدهُ الناس خطيباً أو شاعراً بل ربما استهوى هو نفسه وحسب نفسه خطيباً أو شاعراً . كان يقف الخطيب أو الشاعر فيخطب أو ينشد فقد تقع كلمة من كلماته في نفس أحد الحاضرين ، إما لأنه فخّم الحرف المفخم أو رقق الحرف الرقيق أو أشبع الحركة الطويلة أو اختلس الحركة القصيرة ، أو لأنه أشار بيده أو رفس برجله أو رفع رأسه أو خفضه أو التفت إلى الوراء أو الى الجانب ، أو لأن الكلمة نفسها من الألفاظ السحرية الرنانة التي اعتاد الناس أن يتأثروا لها في غير هذا الموقف ، أو لغير ذلك ، فينتفض انتفاضة العصفور بلله القطر ، فيصفق فيشترك معه الناس في التصفيق ، بل رأيتهم يصفقون إذا جاءت نوبة شاعر أو خطيب فقال صاحب الدعوة إنه تخلف عن الحضور بسبب مرض أو شغل أو غير ذلك ، وأنه سيرسل تحيته للمحتفل به ، فكأنهم كانوا يصفقون لتلك التحية قبل أن يسمعوها . . أو قياساً على ما سمعوه منه قبل اليوم . كان من جملة المعينين للكلام واصف غالي وهو أحد زعماء السياسة في القطر المصري فلم يحضر ، ولكنه أرسل كتاباً الى صاحب الدعوة يعتذر ، فلم يذكر اسمه حتى دوى المكان بالتصفيق الحادّ الطويل والهتاف الشديد . . كنت أعلّم قبل بضع سنوات في مدرسة راهبات صهيون في القدس وكانت احدى الراهبات تلازمني من أول الدرس الى آخره ، إما لتكون رقيبة عليّ خوفاً من أن أعلّم التلميذات ما يفسد عقائدهن أو آدابهن أو رقيبة عليهن خوفاً من أن يخللن بالنظام ، كانت هذه الراهبة إذا لاح لها شبح الرئيسة من بعيد تشهق وتقول «الرئيسة» فتشهق التلميذات ويتطاولن بأعناقهن ويقلن بصوت واحد «الرئيسة» ، بل كدت أن أجاريهن فأشهق وأقول الرئيسة ، ولا أستطيع أن أسترعي انتباههن إلى الدرس إلا بعد أن يثبن الى رشدهن ، وكان ذلك يأخذ وقتاً طويلاً . فما أشبه تلك الراهبة بصاحب الدعوة وما أشبه التلميذات بحضور هذه الجلسة . ولا يتسع المجال لأن أعدد كيف يتخلل السحر حياة الناس . أذكر من ذلك على سبيل الاختصار ما يأتي . . فاجأني من مرض ولدي ما وقفت به عند هذا الحد ولم أرجع إليه إلا بعد نحو خمسة وثلاثين يوماً ، ولذلك فلست أطمع أن أصل ما انقطع ، ولكن لا بأس من الإشارة الى آثار السحر في حياة الناس ولو باختصار وعلى غير الصورة التي كانت تتمثل للخاطر قبل انقطاعي عن الكتابة . لا تُقام الصلاة في المعابد المسيحية إلا بعد أن تقرع الأجراس ، وقرع الأجراس من الآلات السحرية التي لعبت بنفوس الناس ، ومثلها قرع النواقيس وأصوات المؤذنين والنفخ في الأبواق . . ترى المسيحي المتدين إذا سمع قرع الأجراس تأخذه انتفاضة ويتغير عن حالته الطبيعية ، ويأخذ في رسم الصليب على وجهه وصدره .

يوم الجمعة في ١٧ شباط سنة ١٩٢٢م

جئت الى البيت للغداء فوجدت أن سلطانة قد نزلت مع أنيسة الروسية الى مصر لشراء بعض الأغراض . ثم

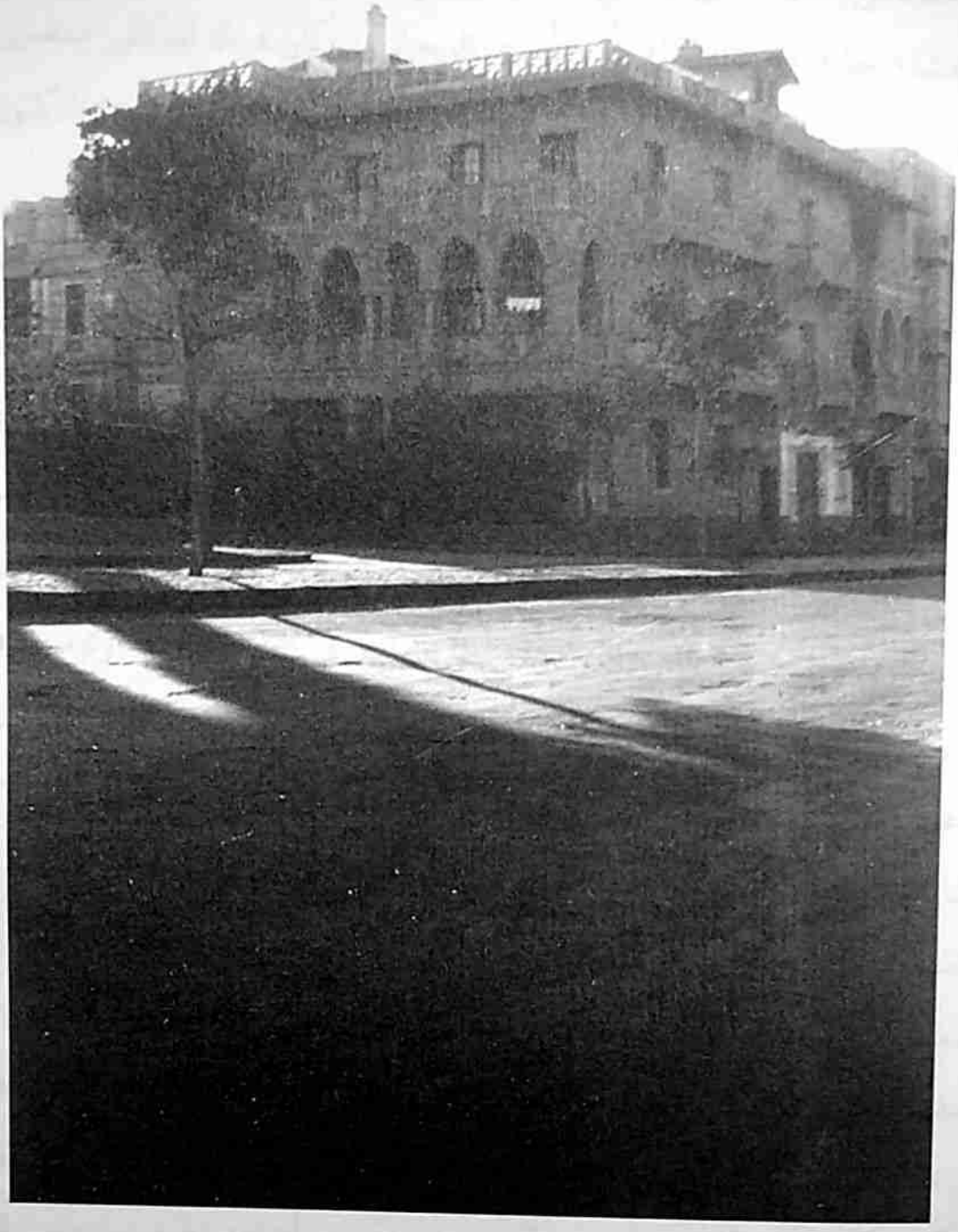

بيت السكاكيني في مصر (مجموعة عائلة السكاكيني)

جاء سريّ من مدرسته وكان النهار حاراً فرأيت أن أتغدى معه وحدنا لئلا أتأخر عن مدرستي كثيراً، فرفض فألححت عليه فأكل قليلاً جداً ثم قام إلى كتبه ودفاتره يهيئ فروضه، ثم رأى أن جيراننا يريدون أن يخرجوا بالطفل ليمشوا قليلاً في الشمس، فقال: أذهب معهم فقلت: لا بأس، ليبعد قليلاً عن كتبه ولا سيما بعد الأكل، ثم خرجت وذهبت الى المدرسة قبل أن تجيء سلطانة، وفي المساء ذهبت الى بيت الأستاذ مصطفى أفندي عبد الرازق للعشاء إجابة لدعوة احتفاء بأمين أفندي الريحاني، وكان هناك الدكتور منصور فهمي وأمين الريحاني وسليم سركيس وجورج حبيقة وأحمد زكي باشا والدكتور أحمد ضيف والدكتور طه حسين وشخص آخر وبعض شيوخ، وكان العشاء فاخراً.

ذهبت الى بيت الأستاذ مع الدكتور منصور، وفي الطريق جالت في النفس خواطر أفضت في بيانها فأعجب بها الدكتور منصور وقال، إنك ولدت قبل وقتك فأنت لست من أبناء هذا الجيل بل من أبناء الأجيال الآتية. كنت أقدّر أن يكون كلام على العشاء أو قبله أو بعده وكان في نفسي أن أقول شيئاً، ولكن لم يكن تركيب المجلس يساعد على ذلك، فاقتصرنا على مجاذبة الحديث في مواضيع مقتضبة على غير ترتيب، ثم قمت أنا وسليم سركيس وخرج معنا أمين أفندي الريحاني وجورج حبيقة وأحمد زكي باشا، فأخذت أنا وسركيس عربة ورجعت بنا الى كبري [= جسر] الليمون لندرك آخر قطار للمترو. في الطريق صدمنا اوتوموبيل فقذف السائق عن كرسيه، وكاد يقلب بنا العربة فقلت لسركيس، هل ذلك بسببي أو بسببك؟ فقال: بسبب واحد منا. فقلت: الاصطدام بسببك والسلامة بسببي، فضحكنا وقطعنا الطريق كلها ونحن نتمازح الى أن وصلت إلى البيت وكانت الساعة نحو الواحدة بعد نصف الليل، فوجدت غرفة النوم مضاءة وسلطانة جالسة بجانب سرير سريّ، فارتعت وسألتها عن الخبر، فقالت: رجع سريّ إلى البيت مع جيراننا وعليه آثار التعب، وكان يحس بتكسر فوضعته في فراشه فنام نحو نصف ساعة ثم استيقظ وهو يتضور من الحمى، وتقيأ وجعل يهذي فخفت كثيراً، فأرسلت استدعيت الدكتور حداد فأعطاه دواء وشربة ليشربها في الصباح، إذا هبطت درجة الحرارة لئلا يتقيأها. فأخذت حرارته فإذا بها فوق الأربعين فاستعذت بالله. سهرنا بجانب سريره الى الصباح لم نذق الغمض الليل كله، وكان سري يتقلب من الحمى ويتقيأ ويهذي، ففي صباح الغد (السبت) طلبت الدكتور حداد مراراً فلم أجده، وقالوا: لا يجيء إلا في المساء، ولكن أي أب يرى ولده يتضور من الحمى كأنه مشعَّل اشعالاً ووجهه بلون الدم وقد انتشرت على سائر جسمه بقع حمراء وهو يهذي لا يفيق من غيبوبته، أي أب يرى ولده على هذه الحال ويصبر النهار كله إلى المساء موعد مجيء الدكتور؟ ومما زادني قلقاً واضطراباً ما كنت أراه من تخوف سلطانة واضطراب فكرها، فخرجت أفتش عن طبيب آخر، فذهبت الى الدكتور توفيق اسكندر

وكان كامل بك صوايا شوقني إلى معرفته واتخاذه صديقاً ، فدخلت عليه فقلت له : أوصاني كامل بك صوايا من السنة الماضية أن أتعرف بك وأتخذك صديقاً ، فأنا خليل السكاكيني تركت ولدي في البيت يتضور من الحمى ووصفت له حالته وقد استبطأت طبيبنا فلم أجد بداً أن استنجدك ، فهل لك أن تنجدني ، فما سمع كلامي واني انتظر طبيباً عني بادرني انه مريض لا يستطيع المشي ، ولكنه في غير هذه المرة لا يتأخر عن تلبية الطلب في الليل أو النهار ، فكدت أخلع حذائي وأمزقه على رأسه ، ولكنني اكتفيت أن قلت له : أغناني الله عنك الآن وفي المستقبل ، وخرجت مغضباً محنقاً بغيظ وذهبت الى منزل الدكتور سليم الصائغ ، فقلت له : البس برنيطتك والحقني ، فلم يتردد أن خرج معي وجئنا الى البيت فلما فحص سرياً ، قال : الأعراض أعراض حمى قرمزية ولكنني لا أستطيع أن أجزم بذلك الآن ، ولكن لا بأس من معالجته وتمريضه كمصاب بالحمى القرمزية ، فدفعت له أربعين غرشاً رسم العيادة وشكرت له مروءته وذهبت فاشتريت الدواء ، ولما رجعت بالدواء جاء الدكتور حداد ، فقلت له ما قاله زميله الدكتور الصائغ ، وكانت سلطانة قد سبقت فسقت سرياً الشربة فجعل الدكتور حداد يفحص سرياً فحصاً مدققاً ، وقال : لست أنكر ان هناك أعراضاً تشبه أعراض الحمى القرمزية ولكنني لا أرجح أنها كذلك ، بل الأرجح عندي أنها انفلونزا ، ووصف له حقناً بالكافور تحت الجلد لتهدئة أعصابه وتقوية قلبه وتخفيض الحرارة ثلاث مرات ، الواحدة الآن ، والثانية في الساعة الثانية عشرة من الغد ، والثالثة في الساعة الرابعة ، ووصف له مدراً للبول وأن نقتصر على اللبن وماء الشعير والشاي مع الحليب ، أو القهوة مع الحليب ، وإذا ارتفعت الحرارة ورأينا سرياً في حالة متعبة أن نمسح جسمه بالماء الفاتر ممزوجاً بالخل ، ففعلت كما أشار وسهرنا الليل كله وقوفاً بازاء سريره ، وأخذنا حرارته مراراً من باب البدن ، فلم تنزل عن الأربعين والنصف .

في صباح الأحد جاء الدكتور سليم الصائغ فقلنا له ما قاله الدكتور حداد ، ففحصه فقال رجحت بالأمس أنها الحمى القرمزية ، واليوم أرجح أنها ليست كذلك ، وأرجح أن الحمى ناشئة عن التهاب في حلقه ، فهل هو التهاب بسيط أو دفتيريا لا بد من فحص ذلك ، وأشار عليّ أن أدعو طبيباً اختصاصياً بالحلق وهو الدكتور دكراني ، فذهبت إليه فلم أجده فتركت في منزله عنواني ليأتي الينا حالما يرجع إلى بيته ، وفي الساعة الثانية عشرة جاء الدكتور حداد فلما فحصه قال : الأرجح أنها حمى قرمزية بدليل امتداد البقع الحمراء على جسمه كله ، وبدليل أن ما حول فمه ليس أحمر ، وبدليل أن الحمى عالية جداً ، وبدليل الغيبوبة ، فقررنا من الآن أن نعالجه كمصاب بالحمى القرمزية . . فانتفضت أنا وسلطانة وجعلنا نبكي كالأطفال . ولكن عدت فتجلدت ورأيت أن أتشجع وأن أبذل كل ما في وسعي لانتشاله من هذا المرض ، كما انتشلته قبل اليوم من الحمى التيفويدية وعلى الله الاتكال . .

فاتني أن أذكر أن قد وردتني رسالة من القدس من مري ابن خالتي سلمها اليّ الصديق محمد علي أفندي

الطاهر حين زارنا أمس مساءً، وإذا به يقول إنهم وجدوا بيتي مسروقاً ففزعت الى التفاؤل، وقلت «في المال ولا العيال».

في مساء الأحد زارنا الصديق الأبر محمد علي أفندي الطاهر ومع الحاحي عليه أن لا يدخل، لم يكن منه إلا أن دخل الى غرفة سريّ فوجده ملقى على فراشه لا يعي، قلت في نفسي أهذا سريّ الذي تعهده وخنقتني العبرات فخرجت وجعلت أبكي كالأطفال. وبعد أن سهر عندنا عرج على بيت قسطاكي افندي سابا فقص عليه الأمر فما كان منه إلا بادر إلينا يسأل عن سريّ.. كل اصاباتك كبيرة يا سريّ أول عهدك بالحميات حمى التهاب اللوزتين وأنت في الشهر الرابع أو الخامس من عمرك، ثم الحمى التيفويدية واختلاطاتها [مضاعفاتها] في الثانية من عمرك، ثم الحمى الخبيثة في الخامسة، وهذه الحمى القرمزية فحماك الله وجعلني من كل مكروه فداك.

كتبت اليوم إلى أختي ميليا أخبرها بالواقع، فلا بد أنها تقلق أشد القلق، وأن ينقض عليها الخبر انقضاض الصاعقة.

الاثنين في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٢م

كانت ليلة أمس الليلة الثالثة التي لم نذق فيها غمضاً. فإنني إن أذكر أن محمد علي أفندي الطاهر دفع إليّ ليلة أمس ثلاثة جنيهات واليوم صباحاً جاء يحمل لحمة ويسأل عن سريّ، إنها لمروءة كبيرة يعجز اللسان عن شكرها. ومما أذكره بالشكر والحمد لله في هذه المصيبة، أن أنيسة الروسية التي طلبناها من القدس لتخدم في بيت موسى فرج الله تركتهم منذ أسبوع وجاءت لتقيم عندنا، ريثما ندبر لها تذكرة سفر، فأصيب سريّ فجعلت تغسل لنا الثياب من شراشف وقمصان نوم واحرامات وغير ذلك، وتقوم بسائر الخدمة البيتية لا تكل ولا تمل من الصباح إلى نصف الليل أو الواحدة بعد نصف الليل، ولست أدري ماذا كنا نعمل لولاها.. وان الآنسة فكتوريا عدس صديقتنا لم تزل منذ اصابة سريّ تجيء من الصباح فتمرضه ولا تتركنا إلا في المساء.

لا تزال الحمى عالية جداً ولا يزال سريّ في غيبوبة لا يفيق منها إلا ليقول كلمة أو كلمتين، لا يذكر في غيبوبته إلا المدرسة والفروض البيتية.

صار جسمه أحمر لامعاً جاء الدكتور حداد عند الظهر، فقال: فحصنا المادة التي أخذناها من حلقه فلم نجد فيها شيئاً من جراثيم الدفتيريا فحمدنا الله، ثم أخذ شيئاً من بوله ففحصه فلم يجد فيه شيئاً. ثم أخذ حرارته فكانت فوق الواحدة والأربعين والنصف فبادرنا حالاً الى مسح جسمه بالماء البارد لأول مرة، وتولى

ذلك بنفسه لتتعلم سلطانة كيف تمسحه إذا لزم الأمر، فنزلت الحرارة نحو درجة. يقول الطبيب إن سير المرض حسن وإن حالة سريّ العمومية حسنة. وأوصانا أن نمسح حلقه كثيراً.

بعد الظهر أطل علينا الخواجا أفتيم مشبك وقد جاء من القدس في قطار أمس، ومعه ابنته فلم نفتح لهما، ثم جاء دميان برامكي والاستاذ الياس علام فخاطبتهما من وراء الزجاج، أرسلت الى المدرسة أربعة جنيهات. ثم جاء نقولا برامكي وأمه فكلفناهما أن يرجعا، ثم جاء باسيل برامكي فأشرت إليه من بعيد أن يرجع.

في الساعة الخامسة والنصف أخذنا حرارة سريّ فكانت واحدة وأربعين ونصفاً. ماذا يكون حتى يحتمل هذه الحرارة، فبادرنا إلى تحميمه بالماء البارد كما فعل الدكتور، فنزلت الحرارة نحو نصف درجة. أعطيناه في هذا الصباح حقنة ماء فاتر وصابون فخرج مرتين.. لم تزل حرارته عالية جداً فوق الواحدة والاربعين والنصف الليل كله. اضطررنا في نصف الليل أن نمسح جسمه بالماء البارد أولاً ثم بالماء المثلج، وجعلت سلطانة من وقت إلى آخر تمسح حلقه وتناوله الدواء في حينه. لو كان له جسم فيل لكان حرياً أن ينضج بهذه الحرارة العالية.

في هذه المدة الطويلة، نخشى أن تترك فيه هذه الحمى عطباً في نظره أو أذنيه أو حلقة أو أن يكون مع هذه الحمى اختلاطات في كليتيه أو رئتيه أو قلبه أو حلقه. ولكن والحمد لله لم يبد عليه إلى الآن شيء من هذا وقاه الله.

زارنا محمد علي أفندي وقد كنا كلفناه أن يشتري لنا قطعة مشمع لنضعها تحته وشيئاً من القطن فأحضرهما معه.

الثلاثاء في ٢١ شباط سنة ١٩٢٢م

إذا خرجت يا سريّ من هذا المرض سليماً إن شاء الله، استسمحت روح جدتك أن أقيم لك حفلة السلامة، وأفرح بك وأدعو الناس إلى الاشتراك معي في هذا الفرح. لو بقيت أمي في قيد الحياة الى اليوم فبلغها مرض سريّ لكانت أشدنا قلقاً عليه، وإذا كانت أرواح الموتى تشارف الأحياء فإن روح أمي الآن لا تفارق سرير سريّ، وإذا كانت العظام تحسّ وهي في القبر بمصائب الأحياء لكانت عظام أمي الآن ترتجف خوفاً وجزعاً لما أصاب سرياً، وكم يكون سرورها عظيماً حين يخرج سريّ من مرضه هذا سالماً قريباً إن شاء الله. لا شك أنها تبيح لي وأنا أبر الأبناء بأمهاتهم أن أفرح بسلامته، وأجعلها التعزية الوحيدة لمصابنا الأليم بوفاتها..

لا يزال سريّ في غيبوبته، كانت أمه جالسة بجانبه فسألها أن تنادي له أمه، فقالت له حبيبي أنا أمك، فقال لها حسبتك أم توفيق، لعله يعني جارتنا قرينة جبرائيل أبي فاضل. رفعت رأسه قليلاً لأسقيه الحليب ممزوجاً بماء الشعير فتمنع وقال «لا أعرف هذه اللعبة»، ولكنه مع ذلك يفيق من وقت إلى آخر فيفهمنا ونفهمه. أخذنا

سري العام ١٩٢٢ (مجموعة عائلة السكاكيني)

حرارته في هذا الصباح فكانت ٣٩ درجة وسبعة أعشار الدرجة فاستبشرنا خيراً ، مسحنا جسمه وفمه وسقيناه الدواء وأعطيناه حقنة ماء فاتر وصابون ، وأعطته الآنسة فكتوريا عدس حقنة كافور تحت الجلد .

عند الظهر جاء الدكتور حداد ففحصه فحصاً مدققاً وفحص بوله فلم يجد شيئاً ، أخذ يعلو البقع الحمراء نقط بيضاء دقيقة كأنها وخز الإبر ، غسل فمه .

بعد الظهر حممناه بالماء البارد ثم بالماء المثلج وغسلنا فمه وعينيه وسقيناه الدواء وقليلاً من الحليب ممزوجاً بماء الشعير ، وأما الماء القراح فيشرب منه كثيراً . منذ ليلة أمس تحسّن نومه .

زارنا في الصباح قسطاكي أفندي سابا ثم زارنا دميان برامكي ، وقد أحضر لي موسى حلاقة وفرشاة من عند حلاقي ، لأني من يوم السبت لم أتمكن من الحلاقة . زارنا أيضاً جارنا جبرائيل أبو فاضل فخاطبته على الباب ولم أقبل منه أن يدخل . .

في المساء زارنا محمد علي الطاهر وسألني هل أحتاج الى دراهم ، فشكرت مروءته . . ثم طرق الباب فإذا صفوت بك جاء يزورنا لأول مرة فشكرته واعتذرت اليه . كل يوم نحقن سرياً بالكافور تحت الجلد مرتين في الصباح وفي المساء ، ونحقنه بالماء الفاتر بعد غليه والصابون مرة أو مرتين ، ونمسح جسمه بالماء البارد ثم بالماء المثلج مرة في الأربع ساعات ، ونسقيه الدواء لادرار البول مرة في الثلاث ساعات ، ونمسح حلقه ونغسل فمه وعينيه بالبوريك كل ساعتين أو ثلاث ، لا أعرف عن الحمى القرمزية إلا أنها مرض قتّال وقد اختطفت ابناً لاختي فروسو قبل بضع سنوات . وأذكر عند رجوعنا من القدس الى مصر سمعت أن في جوارنا ولداً مصاباً بها فاستعذت بالله وخفت على سريّ ، وقد شاءت الأقدار أن يكون خوفي في محله . كلفت الدكتور أن يأتيني بكتاب طبي لأقرأ عنها فلم يشأ ، لأنه يعتقد أن ذلك يزيدني قلقاً وان كان الجهل أدعى للقلق . لا بد لي في المستقبل أن يكون عندي مكتبة طبية أرجع إليها عند الحاجة .

الاربعاء في ٢٢ شباط سنة ١٩٢٢م

كانت حرارته في الساعة السادسة والنصف من هذا الصباح تسعاً وثلاثين وخمس درجات ، وفي الساعة الثامنة والنصف تسعاً وثلاثين وأربع درجات . كانت حالته على الاجمال حسنة .

في هذا الصباح أفاق من غيبوبته فصار يفهمنا وصرنا نفهمه . من رأى سلطانة تمرضه لم يشك أنها ممرضة قانونية . تغسل جسمه وهو في فراشه فلا تتعبه ولا تبلّ الفراش ، تمسح حلقه وفي ذلك صعوبة كبيرة مسحاً جيداً كأنها اختصاصية بمسح الحلوق . تغسل عينيه وفمه وأذنيه ومنخريه غسلاً جيداً بسرعة ، تغير ثيابه

وفراشه بدون أن تزعجه، أذكر لها ذلك بالإعجاب والثناء . . .

جاء الدكتور عند الظهر ففحصه فحصاً مدققاً فوجد أنه يتحسن شيئاً فشيئاً . وفحص بوله فقال : إن فيه آثاراً لا تكاد تذكر من الزلال وذلك منتظر في كل الحميات.

في المساء مانعنا سريّ عن غسل حلقه، وتناول الدواء ، ونحن نصرّ عليه أن يفعل عبثاً . فكدت أضرب رأسي بالحائط. إن تمريض الصغار من أصعب الأمور ، تناوبنا أنا وسلطانة في السهر عليه. أخذ جسمه يسترجع لونه الأصلي، ومن آثار التحسن أولاً انخفاض درجة الحرارة، ثانياً رجوعه الى وعيه، ثالثاً تحسن نومه، رابعاً ان الحصف الذي كان منفرشاً في ظاهر الجلد أخذ يتقشر في بعض الأماكن من جسمه . .

كتبت الى أختي ميليا أطمئنها . .*

الخميس ٩ آذار سنة ١٩٢٢

الحمد لله ثم الحمد لله. لقد كان سريّ ميتاً فعاش. لقيت قبل اليوم من هذا الدهر من القصص والحزازات والحسرات ما يفطر المرائر ويضرّم الأنفاس مات لي أعزاء كثيرون، أبي وأمي وصديقي داود وأستاذي نخلة، حبست نفيت تعرضت لأخطار كثيرة مرت بي ساعات كنت أنتظر فيها أن أساق إلى المشنقة ولكن لم أقلق كما قلقت على سريّ هذه المرة. في نفسي من الأيام الماضية جراح عميقة قد لا تندمل وأما مرض سريّ هذه المرة فقد ترك في نفسي جرحاً لا يسير غوره ولا تقاس به كل الجراح السابقة. كنت أحبّ سرياً حباً أقرب إلى العبادة وأما الآن فإني أحبه وأعبده وفوق ذلك أشفق عليه وآوي له وأرأف به. كنت أباً له وكان إبناً لي وأما الآن فإني أحسّ أن ما بيني وبينه فوق الأبوّة والبنوّة . . إن المجال لا يتسع لأن أصف ما يخامرني من السرور وما يجول في صدري من الاحساسات وما يزدحم في نفسي من بواعث الشكر والحمد والثناء . . كتبت إلى أختي أبشرها بالسلامة.

السبت ١١ آذار سنة ١٩٢٢

اليوم الثالث والعشرون . . أول الأسبوع الرابع

كانت حرارة سريّ في السادسة النصف من هذا الصباح ٣٧,٥ واستمرت كذلك إلى الساعة الحادية عشرة والنصف حين بلغت ٣٨ ثم ارتفعت إلى ٣٩ ، وبعد ذلك أخذت تنخفض، الحمد لله ثم الحمد لله، لم ينقطع

---

* يواصل السكاكيني طيلة شهر لاحق وصف مرض سري يوماً بيوم بصورة تفصيلية رأينا أنها لا تعني للقاريء ، فهي تتركز على درجات الحرارة والأعراض وعملية العلاج، فارتأينا اختصارها وإبقاء ما هو خارج عن هذا الإطار فقط.

سريّ ليله ونهاره عن طلب الطعام أو يمني نفسه به، يقول لخالتي أصنعي لنا أكلة اللحم والعجين والشيشبرك، لو كنت في القدس لكانت عمتي حنة تصنع لنا كذا وكذا من الأكلات الفاخرة. متى رجعنا إلى القدس نمت في بيت عمتي حنة وفي الصباح آخذ نجيب ويوسف لنفطر «تمرية»[٢٣] و«مطبق»[٢٤]، أشترينا له منذ أيام دجاجة فجعل يقول لأمه اطعميها واسقيها حتى إذا رجعنا إلى القدس طبختها لنا كما طبخت تلك الدجاجات التي أكلناها على الطريق في مجيئنا إلى مصر.

بعد ذهاب الدكتور جعل يلح علينا أن نسمح له بالقيام من فراشه ليجلس معنا على مائدة الطعام. الخلاصة لا حديث له إلا الأكل وكأنه يتخيل كل شيء في الغرفة خبزا. مع انخفاض حرارته لا يزال نبضه ١٢٨ ولا يزال سمعه ثقيلا إلا أن الدكتور يطمئننا، لمح لنا الدكتور اليوم أن نضيف إلى الفول بضع حبات من الأرز ووعد أن يسمح له في الغد بقطع بسكوت.

الأحد ١٢ آذار ١٩٢٢

مطالعات عن الحمى القرمزية

(١) مرض معد يمتاز بهذه الحمرة التي تنفرش بظاهر الجلد (وهي تظهر في بضع ساعات أو يومين أو ثلاثة أو اربعة أيام بعد الاصابة)، وبالتهاب الحلق التهاباً يكون شديداً كثيراً أو قليلاً وبأعراض الحمى.

(٢) تنتقل العدوى من شخص إلى آخر بواسطة البول أو الغائط أو افرازات الأذن أو الأنف أو ما ينفصل عن الجلد من القشور والأرجح انها تنتقل بواسطة الافرازات والبول وأن انتقالها بواسطة القشور التي تتطاير من الجلد فمبالغ فيه، وتنتشر العدوى بطرق عديدة لا تحصى بواسطة الثياب والأثاث والألعاب والزهور والمكاتيب ومداد الطعام والحيوانات البيتية ..الخ. قد تنتقل العدوى من البقر إلى البشر بواسطة حليب الأبقار المصابة بالحمى البقرية.

(٣) أكثر الناس تعرضاً لهذا المرض الأطفال بين الرابعة والسابعة من العمر، ٦٤٪ من الإصابات تكون قبل نهاية السابعة من العمر. ويغلب انتشاره في الخريف والشتاء. الإصابة الخفيفة في الشخص الواحد قد تكون شديدة إذا انتقلت منه إلى شخص آخر ولذلك يجب فصل المصاب ولو كانت الإصابة خفيفة جداً.

(٤) الحمى القرمزية ثلاثة أنواع: (١) الخفيفة، وهي التي تكون بدون اختلاطات وتنتهي بالشفاء التام، (٢) حنجرية وهي التي يكون معها آلام في الحلق، وتكبر معها الغدد العنقية ويتقيح الحلق والآذان ..الخ. (٣) قتالة وهي التي تبتدئ بانحطاط عظيم وأعراض تيفوئيدية.

---

(٢٣) تمرية: حلوى فلسطينية مكونة من الطحين والبيض والسمن والزيت النباتي والسكر الناعم.

(٢٤) مطبق: حلوى فلسطينية تصنع من الطحين والمكسرات وزيت الزيتون وزيت الذرة والقطر.

الحمى القرمزية الخفيفة

(١) دور الحضانة، يختلف الوقت بين التعرض للعدوى وظهور أعراض المرض من اربع وعشرين ساعة إلى ثلاثة أو أربعة أيام. هذه الفترة لا تكون أكثر من سبعة أيام. ولذلك فإذا مر على من تعرض للعدوى سبعة أيام ولم تظهر عليه أعراض المرض فذلك دليل على أنه سليم. قد لا تظهر أعراض في خلال هذه الفترة. أو قد تظهر في اواخرها بعض الأعراض مثل الصداع والتراخي والفتور وفقدان شهوة الطعام.

(٢) دور الاصابة ، تبتدئ الاصابة فجأة بالتقيؤ والصداع والتهاب الحلق وقد يصاحب ذلك تشنج خفيف أو شديد . والعطش، يتسخ اللسان ويسرع النبض (١٤٠ إلى ١٦٠) ، ترتفع الحرارة إلى ١٤٠ فارنهايت، يكون الجلد حاراً وجافاً والمصاب يشعر بقشعريرة، يحتقن الغشاء المخاطي الذي يغطي اللوزتين والحلق ، واللهاة، ويكون لونه أحمر زاهياً ، ترم غدد العنق. . تتضخم الطحال ويتضاعف حجمها في الأيام الأولى. الغشاء المخاطي للأنف والجفن قلما يتأثر أو لا يتأثر ابداً .

(٣) دور الحمرة الجلدية: تظهر الحمرة على الجلد في مدة تتراوح بين اثنتي عشرة ساعة واربع وعشرين ساعة من الاصابة وقلما تتأخر عن ست وثلاثين أو ثمان واربعين ساعة. تظهر أولاً حول العنق والصدر والأكتاف والجبهة والمعصم ثم تمتد إلى الجذع والأطراف. تظهر كحصف قرمزي اللون لا يعلو عن سطح الجلد . وهي تنتشر في الجسم كله ما عدا الوجه فإنه يسلم منها ولكنه يكون دائماً متوردا إلا ما حول الفم من الأنف إلى الذقن فلا يظهر فيه الحصف ولا يتورد وأما العيون فتكون لامعة. تبلغ هذه الحمرة أشدها في اليوم الثالث أو الرابع فيلتهب الجلد ويرم. وتكون حالة الحلق في هذا الدور شديدة جداً ولها علاقة واضحة بدرجة الحمرة في ظاهر الجلد . . والقاعدة المطردة أن حالة الحلق تتحسن مع زوال الحمرة.

البول يكون قليلاً واحمر اللون، وفي الغالب يكون فيه آثار من الزلال، حالة اللسان مهمة جداً ، في اليوم الأول تعلوه طبقة بيضاء وفي اليوم الثاني تظهر عليه نقط حمراء فيكون بلون التوت الأبيض وفي اليوم الثالث يتغير طرفه وجانباه فيكون بلون التوت الابيض والأحمر وفي اليوم الرابع تزول عنه الطبقة إلا في مؤخره ويكون اللسان في هذا الدور شديد الحمرة وهذه التغيرات في اللسان من مميزات الحمى القرمزية في الاصابات المشتبه بها . . ترتفع الحمى في هذين الدورين اي دور الاصابة ودور الحمرة حتى تبلغ ١٠٤ واحياناً ١٠٥ فارنهاريت. يأخذ المريض الهُتر (جنون المرض أو الهذيان) ولا سيما في الليل في أواخر هذا الدور الذي يدوم يومين أو ثلاثة، تذهب الحمرة وترتفع الحرارة تدريجاً إلى حالتها الطبيعية ويبتدئ التقشر ، وتختلف مدة التقشر من عشرة أيام إلى عدة أسابيع وفي نهاية التقشر يبتدئ دور النقَه.

الحمى القرمزية الحنجرية

في هذا النوع تكون الإصابة شديدة. يحس المصاب بألم في حلقه شديد، ويجد صعوبة كبيرة في البلع. وعند الفحص يظهر أن اللوزتين متورمتان وأن لونهما بنفسجي أو أحمر قان، يعلوه نقط بيضاء من الأفراز يتكون منها أخيراً قرحات. وقد تمتد هذه النقط أو يتصل بعضها ببعض فيحصل عنها أخيراً تلف في النسيج. الغدد في زوايا الحنك ترم كثيراً. ويظهر على المصاب علائم المرض الشديد. الوجه يكون مظلماً والنبض يكون ضعيفاً وسريعاً والحمى تكون عالية. وتتسخ الأسنان والشفاه والنفس يكون كريها. ويسيل من الأنف افراز صديدي مخاطي (Mucs - pus) اللسان يكون جافاً وقاتماً. تلهّب الأذنان والتهابهما عادي في هذا المرض ويتبعه التهاب المفاصل ومن المحتمل أن يكون التهاب رئوي شعبي.. ومن عادة هذا المرض أن يكون معه اسهال وزلال في آخره.

الحمى القرمزية القتالة

تبتدئ بقشعريرة وتشنج وتقيؤ مستمر. يسرع النبض وترتفع الحرارة من ١٠٦ إلى ١٠٨ فارنهيت بل قد يزيد عن ذلك. وإذا عاش المصاب عند بدء هذه الاصابة فإنه يستغرق في سبات عميق ويكون وجهه قاتما مظلماً وأطرافه باردة ويكون الحَصَف رديئاً بلون قاتم.. وهناك نوع آخر من هذه الحمي رديء جداً.

الاختلاطات

في الاسبوع الأول: دفتيريا. اسهال.

في الاسبوع الثاني: التهاب شعبي، التهاب رئويّ، روماتزم، التهابات مفصلية، غشاوات القلب والرئة.

في الاسبوع الثالث: التهاب الكليتين، التهاب الأذنين، غنغرينا، خِرجان (جمع خُراج).

النكسة: النكسة قليلة جداً نحو واحد في المئة. وغالباً تكون في الأسبوع الرابع أو الخامس وتكون خفيفة.

تكرّر الاصابة: تتكرر الاصابة ولكن بعد مضي سنين عديدة.

الخميس ١٦ آذار / ١٩٢٢

اليوم الثامن والعشرون السادس من الأسبوع الرابع

لا تزال حرارته كما كانت بالأمس وأوّل من أمس. كان سروره بطعامه عظيماً. جاءَت رسالة من أختي ميليا تقول إنها أرسلت إلينا صندوق برتقال، وانها آتيه إلى مصر في أوّل الشهر القادم لخمسة عشر يوماً ثم ترجع مع

سلطانة وسريّ إلى يافا وأما النذور التي نذرتها هي ومعلّماتها فكلّها لله لا لنا كتبت إليها أحمد الله على سلامة سريّ. زارنا في المساء أبو الحسن وحلمي أفندي الفتياني.

الجمعة ١٧ آذار / ١٩٢٢

اليوم التاسع والعشرون السابع من الأسبوع الرابع

لا تزال حرارته على حالتها. ولا تزال أذناه تنزّان صديداً ولكن قليلاً جداً إلا أن سمعه صار أحسن كثيراً. زارنا اليوم ابن خالتي لبيبة حنا الذي جاء من السودان أمس صباحاً فقال له سريّ أهلاً وسهلاً كيف حالك هات خبّرنا عن السودان.. كلام لا يقوله من كان في سنّه.

عند الظهر حمّمناه وغدّيناه فنام ولم يلبث أن تحبّب وجهه بالعرق لأوّل مرّة منذ أوّل الإصابة فاستبشرنا خيراً.. جاءتني رسالة من عيسى العيسى بعد طول الانقطاع يُهنّئني.

السبت ١٨ آذار / ١٩٢٢

اليوم الثلاثون أول الأسبوع الخامس

حالته كما كانت منذ أيام. جاء الدكتور وبعد الفحص المدقّق قال لم يبق فيه شيء يستدعي الاهتمام غير أذنيه ولعلّ لهذه الحمّى علاقة بحالتهما وكان من رأيه أن يعالجهما الطبيب الاختصاصي الدكتور كدواني، وإلاّ فإن هذا الصديد إذا طال أمره قد يؤدي إلى ثقل في السمع لا سمح الله. جعل سريّ يطلب أن نسأل الدكتور متى يستطيع أن يقوم من فراشه وحقه أن يسأل فإن ثلاثين يوماً في الفراش لمما يزهق الأرواح.. قبل أن يحضر الدكتور أردنا أن نعمل لسريّ حقنة في باب البدن فمانعنا كثيراً وجعل يبكي بكاءً شديداً وينقلب في فراشه حتى خفنا عليه من الاغماء ولم نستطع اقناعه بضرورة الحقنة إلا بعد أن بلغت أرواحنا التراقي. إذا امسكته قال لأمه انظري البابا كيف يمسكني هو يريد أن يغصبني غصباً. ولعل هذا الهياج كان السبب في سرعة نبضه فإنه كان عند مجيء الدكتور بسرعة ١٢٠. قال الدكتور إنه لا يزورنا قبل يوم الاربعاء. طلبت منه أن يمهلنا في دفع رسم هذه الزيارة والزيارات الآتية إلى آخر الشهر.

الأحد ١٩ آذار سنة ١٩٢٢م

اليوم الحادي والثلاثون الثاني من الأسبوع الخامس

كانت حرارته في الساعة السادسة والنصف من هذا الصباح ٣٧,٤ ثم تدرجت في الارتفاع الى أن بلغت في

الساعة السادسة والنصف من المساء ٣٨,٣ . رفعت الساعة الى سريّ فوضعها على أذنه اليسرى فسمع دقاتها ثم وضعها على أذنه اليمنى فلم يسمعها فقال متعجباً يظهر أنها وقفت . قلنا له إنها لم تقف فأدناها من أذنه اليمنى مرة ثانية وجعل يتسمع فقال إن دقاتها ضعيفة جداً . زارنا الأستاذ سليم أفندي قبعين فسألته عن نعوم بك شقير فقال نقلوه بالأمس الى المستشفى ليعملوا له عملية في معدته لأنهم وجدوا أن فيها قرحة فقلقت عليه كثيراً شفاه الله . كتبت رسالة حول سرقة بيتي أرسلتها الى نجيب أفندي شاهين لينشرها في المقتطف وإلا أرسلتها الى جريدة فلسطين، وكتبت رسالة إلى أختي ميليا .

في المساء زارنا أبو الحسن ومعه رجل يحمل صندوق البرتقال ففتحناه فإذا هو من البرتقال الصغير ولا تخلو حبة منه من اصابة فعزمت أن أكتب الى ميليا ان لا ترسل غيره .

الاثنين ٢٠ اذار سنة ١٩٢٢م

اليوم الثاني والثلاثون الثالث من الأسبوع الخامس

بعد الظهر جاء الدكتور كدواني ففحص حلقه وانفه وأذنيه، أما حلقه وأنفه فقد صارا إلى حالتهما الطبيعية وأما أذناه فقد تحسنتا كثيراً وان تكونا لا تزالان تفرزان صديداً . وطمأننا أنهما ستشفيان قريباً وكان من رأيه أن لا نغسلها بعد اليوم لأن ثقب الطبلة آخذ في الالتئام والغسل يمنع من ذلك والأحسن أن نكتفي أن نضع في كل منهما خمس نقط من دواء وصفه لنا ثم نضع فيهما قطناً ، وهو يظن أن الحمى مسببة عن التهاب أذنيه فما دامتا تنزان فلا بد من الحمى .

بعد الظهر زارتنا خالتي لبيبة وأولادها فريدة وحنا ويوسف وقسطاكي أفندي ثم جاء أبو الحسن .

الثلاثاء ٢١ اذار سنة ١٩٢٢م

اليوم الثالث والثلاثون الرابع من الأسبوع الخامس

ذهبت بعد الظهر الى صيدلية الفيعاني وخاطبت الطبيب بالتلفون فوعد أن يجيء في المساء فانتظرناه الى الساعة العاشرة فلم يحضر، لعله يجيء غداً .

جاءتنا رسالة من ابنة عمي حنة تقول إن اللصوص حاولوا أن يسرقوا الدجاج من بيت الأميرة بجدار بيتنا فأمسكوهم أحدهم يقال له سعيد كان يشتغل في الفرن بجانب بيتنا ، وعند تحري [تفتيش] بيوتهم وجدوا مسروقات كثيرة بينها بعض الأشياء التي سرقت من بيتنا كالهاون وستائر الباب وغير ذلك .

الاربعاء ٢٢ اذار سنة ١٩٢٢م

اليوم الرابع والثلاثون الخامس من الأسبوع الخامس

جاءت رسالة من أختي ميليا وفيها هدية لسريّ سلسلة ذهبية بنوطه نقش عليها حرف S . باريخ ١٢/٣/ ٢٢ ، أي اليوم الثاني عشر من شهر آذار سنة ١٩٢٢ ، وهو اليوم الذي ابتدأت فيه الحرارة بالانخفاض .

في المساء زارنا أبو الحسن ومعه الاستاذ الشيخ كامل القصاب[٢٥] الزعيم العربي المشهور ، وهذه أول مرة اجتمعت فيها به . تكلمنا عن سياسة البلاد فأفاض في تحليل نزعات الاحزاب وهو يعتقد أن الملك حسين وأنجاله قد أضروا البلاد السورية والفلسطينية والعراقية لأنهم آلات في يد الانكليز ولا همّ لهم إلا اشباع أطماعهم وهو يسعى الآن في توحيد الأحزاب في سوريا وفلسطين على قاعدة سوريا للسوريين . سألاني عن رأيي في الانتداب فقلت أرفض الانتداب لأسباب أهمها ١) أن الانتداب ليس إلا تسيطراً وأنا أكره أن يتسيطر عليّ أحد ٢) لأن الانتداب غربي فإني أخشى أن يعبث بخصائصنا الشرقية ويحاول ادخال الأساليب الأوربية علينا وهي لا تناسبنا ، نعم لا غنى عن أن نستفيد من أوربا ولكن قد نستفيد منها بغير الانتداب يجب أن نكون مستقلين أحراراً يترك لنا الخيار أن نأخذ عن أوربا ما يوافقنا ونترك ما لا يوافقنا .

الخميس ٢٣ اذار سنة ١٩٢٢

اليوم الخامس والثلاثون السادس من الأسبوع الخامس

لاحظنا اليوم أن سمعه صار أثقل قليلاً مما كان عليه قبلاً . كان سرور سريّ بهدية عمته عظيماً وجعل لا يدخل عليه أحد إلا أراه اياها وألقى خطبة وجيزة عنها . ما أولعه بالهدايا وأشد ازدهاءه بها . يقول صار عندي الآن حليّ كثيرة ساعة ، الصليب الذهبي ، خاتم جدي ، هدية عمتي . جمعها كلها مع علبة فوضعها تحت رأسه . أما الصليب فلبسه ، لست أدري من علمه الدين وشعائره ، كان قبل مرضه لا ينام إلا دعا أمه إليه فركعت بجانبه فيطلب طلباته ، الجميلة الطاهرة وأمه تقول آمين ولكنه لا يصلي إلا قال لي بابا اخرج ، كأنه يعرف أني لست من رأيه ورأي أمّه . . كتبت الى أختي ميليا وكتبت سلطانة الى حنه ابنة عمي .

---

(٢٥) كامل القصاب : كان يمثل حلقة وصل بين الحاج أمين الحسيني والشيخ عز الدين القسام . وقد انتدبه الوطنيون العرب عام ١٩٢٢ ليحول دون قيام اضطرابات في البلاد أثناء العطلة الصيفية خوفاً من تأثير الأحداث على الوفد الفلسطيني المقيم في لندن من أجل حمل الحكومة البريطانية على إعادة النظر في سياسة وعد بلفور ، وفي محاولة لكسب المناصرين للجانب العربي .

الجمعة ٢٤ اذار سنة ١٩٢٢

اليوم السادس والثلاثون السابع من الاسبوع الخامس

كانت حرارته في الساعة السادسة والنصف من هذا الصباح ٣٧,٧ وفي مثلها من المساء ٣٨,٤، متى تقلع هذه الحمى فيقوم سريّ سالماً ونعود الى حالتنا الطبيعية فقد بلغت أرواحنا التراقي.

السبت ٢٥ اذار سنة ١٩٢٢م

اليوم السابع والثلاثون أول الأسبوع السادس

كانت حرارته في الساعة السادسة والنصف من هذا الصباح ٣٧,٥ وفي مثلها من المساء ٣٨,٥ وكان نبضه ١٠٨. أطعمنا سرياً على الغداء قطعة سمك. زارنا الصديق نقولا حداد ومدامته صاحبة مجلة السيدات، فأطللنا عليهما من شرفة المنزل فسألانا عن سريّ ولما عرفا أنه لم تقلع الحمى عنه إلى اليوم استغربا كثيراً، وأشارا علينا أن ندعو الدكتور شاهين وهو دكتور اختصاصي للآذان لعل له رأياً، سألتهما عن نعوم بك شقير فقالا انهما لم يسمعا عنه شيئاً.

وفي المساء أخذت جريدة المقطم وإذا فيها نعي نعوم بك شقير فوقع عليّ الخبر وقوع الصاعقة. توفي اليوم قبل الظهر على اثر عملية في معدته. الموت لا بد منه ولكنه قلما يجيء في وقته. لا يكاد الانسان يفهم الدنيا لا يكاد ينضج ويتسع اختباره ويصبح كتلة عواطف حتى يدركه الموت. آسف أني لا استطيع أن أبادر إلى تقبيله قبلة الوداع ومشاطرة أسرته الحزينة الأسى والبكاء ما عرفته حتى وجدت فيه، وقد أعياني التفتيش، الخل الوفي والصديق الأبر، كل يوم كنت ألقى منه وداً جديداً لم أجلس إليه إلا رأيت من مروءته وكرم أخلاقه وعنايته والتفاته ما شفع عندي في ما سلف لهذا الزمان من السيئات اليّ ولكن واحرقلباه وواأسسفاه عليه ما كدت أحمد حسن حظي فيه حتى فجعت به.

من الأربعاء ٢٩ اذار الى الاثنين ٣٠ نيسان سنة ١٩٢٢

(١) أخذنا نجلس سرياً معنا على مائدة الطعام إلا أنه لا يزال ضعيفاً لا يستطيع أن يقف على رجليه فندخله ونخرجه محمولاً.

(٢) زارنا الدكتور يوم السبت لآخر مرة إن شاء الله فشكرناه شكراً جزيلاً ولا شك أنه كان من حسن حظنا وحظ سريّ أن كان الدكتور وديع باز الحداد قريباً منا، قررنا أن نطهر البيت يوم الاثنين القادم فبلغنا المصلحة الصحية.

(٣) أجلست سرياً على كرسيه بازاء طاولتي فأخذ ورقة وقلماً وقال إنه يريد أن ينظم شعراً باللغة الانكليزية

وتشاغلت عنه بالقراءة.

لا ينفك كل نهاره يقرأ ويكتب الرسائل باللغة الانكليزية الى عمته ميليا وخالته نجلا.. نرجو أن يكون حظنا فيك يا سريّ جميلاً وان يكون حظك في هذه الحياة سعيداً إن شاء الله.

(٤) جاء فرج الى مصر وقد وعد أن يزورنا يوم الاثنين.

(٥) اطلعني فسطائي افندي على رسالة وردته من عيسى [العيسى] يقول فيها إنه بلغه من القدس أن الحكومة بايعاز الجمعية الصهيونية وراغب بك النشاشيبي وابراهيم التجار تنوي ان تنفيه من البلاد بحجة أنه فرنساوي، وان جريدته من أهم العوامل في العداء بين العرب واليهود.. فكتبت إليه يوم الاحد أعرض عليه فكرة المهاجرة الى أميركا وانشاء جريدة فيها.

(٦) زارني سليم أفندي قبعين يوم الاحد يحمل إلي أجرة الشهر بعد أن اقتطعت ادارة المدرسة خمسة جنيهات من مبلغ تسعة وعشرين جنيهاً وخمسة وعشرين قرشاً الذي اسلفتنيه في مرض ولدي وكذلك دفع خمسة جنيهات للاستاذ الياس أفندي علام بقية حسابه.

(٧) أرسلت إلينا مصلحة الصحة يوم الاثنين قبل الظهر من طهروا البيت فدفعت للكبير خمسة عشر قرشاً ولكل من اثنين آخرين معه عشرة قروش ثم غسلنا البيت وأخرجنا الثياب في الشمس فيكون اليوم آخر عهدنا بالعزلة والحمد لله.

في المساء ذهبت الى بيت فسطائي افندي سابا حيث وافانا فرج الله وأبو الحسن وناصر وعزيز جمل وجلسنا حول مائدة الشراب الى نصف الليل.

صباح يوم الثلاثاء الواقع في ٢٥ ت١ سنة ١٩٢٢م فارق أخي يعقوب هذه الحياة بل استراح من آلامها المبرحة.. أصيب بالسرطان في حنجرته منذ نحو خمسة أشهر، فعرض نفسه على الأطباء فلم يستطيعوا أن يستأصلوا السرطان، فاكتفوا بأن فتحوا حنجرته ووضعوا له أنبوباً ليتنفس ومنذ ذلك الحين لم يعد يستطيع الكلام فكنا نتحاشى أن نكلفه الكلام لئلا يحاوله أو يحاول أن يفهمنا مراده فلا يستطيع. كنت أزوره كل يوم أو ألتقي به في الطريق فآخذه الى قهوة عيسى الطبة على طريق بطريركية اللاتين او احدى قهوات باب الخليل فأجلس إليه ولا نتكلم. ومع ما كان يقاسيه من الآلام المبرحة فقد كان الى الدقيقة الأخيرة جَلْداً صباراً ينام في غرفته وحده ويقضي حوائجه بنفسه، يروح ويجيء إلى أن آوى الى فراشه في الليلة الأخيرة وقد تركته على أمل أن آخذه في صباح الغد الى المستشفى وقد دبرت كل شيء فلما جئت في الصباح وجدته قد فارق الحياة بعد أن انفجر شريان في عنقه أغرق ثيابه وفراشه بالدم فبكينا عليه بكاءً مراً ليس لأنه مات فاستراح ولكن لأنه عاش متألماً وهنا أذكر بالشكر العظيم ابنة عمي حنة فقد كانت هي وابنها نجيب وابنها يوسف أسرع الجميع الى خدمته.

بعد أن رزقت سرياً وحمدت نصيبي فيه قررت أنا وسلطانة أن نكتفي به وأن لا نجني جناية أخرى ولا سيما وقد قاسينا في ما ألمّ به من الأمراض الشديدة آلاماً جساماً تهلع لها القلوب، وما أصدق قول المتنبي:

وما الدهر أهلٌ أن نؤمل عنده حياة وان يشتاقَ فيه إلى النسلِ

فمرت بنا تسع سنوات ونحن مكتفون بسريّ لا نشتاق أن يكون له أخ أو أخت وماذا يضره أن لا يكون له أخ أو أخت وقد يجد الإنسان من الناس أهلاً بأهل واخواناً باخوان وربّ أخ لم تلده أمك، وكم من الناس من له أخوة وأخوات من أبيه وأمه ولكنه يحسُّ أنه وحيد لا تجمعه باخوته وأخواته جامعة. كان الناس قبل اليوم يعدون قرابة، الدم كل القرابة وأما اليوم فإن قرابة الروح والفكر والمبدأ هي فوق كل قرابة وقد سنّ المسيح هذا المبدأ يوم قالوا له إن أمك واخوتك ينتظرونك فقال إن أمي واخوتي من يسمعون كلامي.. ثم رأينا أن سرياً أحق أن نبذل له كل جهودنا ونقف عليه كل آمالنا ونصرف في سبيل تعليمه وتربيته كل عنايتنا ولا سيما وقد رأيت من حظي في هذه الدنيا ما قبض كل آمالي. إلى غير ذلك من الأسباب.

ولكن سلطانة بعد هذه المدة الطويلة أخذت تلحّ أن يكون لسريّ أخ أو أخت، قالت لا استطيع أن أتصور أن يعيش سريّ وحيداً في هذه الدنيا، ما أحوجه إلى أخ أو أخت ليكن له أخ أو أخت ليكن له أخ أو أخت، هو ذا سريّ قد قارب أن تخرج من عهدة الطفولية وما أحوجنا أن يكون في بيتنا طفل. بمثل هذا الكلام حاولت أن تنقض ما قررناه فجاريتها وفي الثاني من شهر حزيران من سنة ١٩٢٣م وكان يوم سبت رزقنا بنتاً سميناها «دُمية»، إن تأثراتي يوم ولدت دمية فكثيرة لا أراني قادراً على التبسّط فيها الآن. شعرت أن شيئاً من الأنوثة دخل على حياتي. كنا قبل اليوم طالبين وأما بعد أن ولدت دمية فقد صرنا مطلوبين.. ومهما يكن فقد عادت الطفولية الى بيتنا وما كان أحوجنا إليها. مهما ضاق العيش وساءت الحياة فإن ابتسامة من دمية تملأ الحياة سروراً وبهجة. ولدت في المستشفى الانكليزي على يد الطبيب نّاو. وكنت أعتقد أن الامرأة من الرضاعة لا تحمل ولكن لم يمر بنا ثلاثة أشهر حتّى أحست سلطانة أنها حامل ففزعنا إلى الطب فوصفوا لنا وسائل وعلاجات ثم خشيت أن يضر ذلك بسلطانة فلم نر بداً أن نرضى بما قسم لنا.. ومن ذلك الحين أخذت دمية تعيش على اللبن وحرمت لبن امها لأن اللبن إذا كانت الأم حاملاً لا يغذّي.. ما أشبه دمية بأخيها سريّ صحتها إلى الآن جيدة ويظهر من علائم وجهها ومن حركاتها وابتساماتها ونظراتها بل من ضحكها وبكائها أنها ذكية..

وفي يوم السبت الواقع في ٧ حزيران من سنة ١٩٢٤ نحو الساعة العاشرة مساءً رزقنا بنتاً أخرى أي أن الفرق بينها وبين اختها دمية سنة وخمسة أيام، وكانت ولادتها سهلة جداً والحمد لله القابلة مدام بير اليهودية والطبيب هو الدكتور توفيق باز الحداد وقد كنا ننوي أن تكون الولادة في المستشفى ولكن في الدقيقة الأخيرة عدنا عن ذلك لأننا لا نستطيع

أن نفصل دمية عن أمها والمستشفى لا يقبل الام وابنتها ، فذهبت سلطانة في صباح يوم السبت المذكور الى بيت أبيها وهي لا تجزم أنها على وشك الولادة فدعونا لها القابلة فلم تقدر أنها تلد اليوم ولكن ما دخل المساء حتى أحست سلطانة أن الولادة قريبة فعدنا الى دعوة القابلة والطبيب وفي أقل من نصف ساعة ولدت ابنتنا الجديدة مستوفية الشروط وكان صوتها أشبه بصوت صبيّ جاوز الشهر الثالث أو الرابع من عمره . ماذا يكون اسمها ؟ هالة .

منذ ستين يوماً من تاريخه أصبحت نباتياً مائياً لا آكل اللحم ولا أشرب الخمر ، أما اللحم فلأني صرت أحسّ إذا أكلته اني آكل لحم البشر ، وأما الخمر فلأني اعتقد ضرره ، وقد عزمت أن أكون نباتياً مائياً ما عشت إن شاء الله .

ما بين ١٩٢٢ وسنة ١٩٣١ :

تعقيب هالة السكاكيني*

بين سنة ١٩٢٢ وسنة ١٩٣١ فترة ثماني سنوات مفقودة من اليوميات لسوء الحظ ، وأنني أرى ، اكمالاً لهذه الصورة عن الوالد ، ان اسجل هنا ما اعرف عن هذه المدة .

في اوائل صيف ١٩٢٢ ، بعد انتهاء السنة المدرسية ، رجع الوالد مع اسرته الصغيرة الى القدس ، وقد قرر ان لا يعود الى القاهرة لاعتقاده ان جوّها لا يلائم سريّاً ، فاشتغل في الصحافة وكتب مقالات للجرائد الادبية في مصر ، كالمقتطف والهلال والسياسة ، جمع بعضها في كتابين ، هما : «مطالعات في اللغة والادب» و«ما تيسّر» .

بعد عودته من القاهرة استأنف الوالد نشاطه في الحركة الوطنية فقام بمهمة امين سر اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني مدة من الزمن .

وفي اثناء هذه المدة كان الوالد يتردد كثيراً على قهوة في باب الخليل في القدس سماها «قهوة الصعاليك» . في هذه القهوة وفي بيته «الكوخ» اجتمع بعدد من رجال الادب ورجال السياسة العرب المنفيين من بلادهم إثر انهيار الحكومة التي أنشأها الملك فيصل في سوريا . وكان الوالد يسمي نفسه وجماعته هذه «حزب الصعاليك» . وقد وضع لهذا الحزب «فرماناً» كان يعتز به كثيراً فاثبته في كتابه «ما تيسّر» بعنوان «فرمان الصعاليك» .

وفي شهر آذار من سنة ١٩٢٥ أصبح الوالد نباتياً ، وبقي على ذلك الى آخر حياته . وقد قرّر ان يمتنع عن أكل اللحم رحمة بالحيوان ، كما أنه امتنع في شبابه عن الصيد للسبب نفسه .

وفي شهر أيلول من سنة ١٩٢٦ ، بعد ان غادر هربرت صموئيل ، المندوب السامي اليهودي ، فلسطين نهائياً ، التحق الوالد مرة ثانية بادارة المعارف في فلسطين مفتشاً عاماً للغة العربية .

وفي هذه المدة أيضاً ألف كتابه «الجديد في القراءة العربية» وقد استغرق تأليف الجزء الاول منه ما يقرب من السنتين .

---

*عن كتاب «كذا انا يا دنيا»

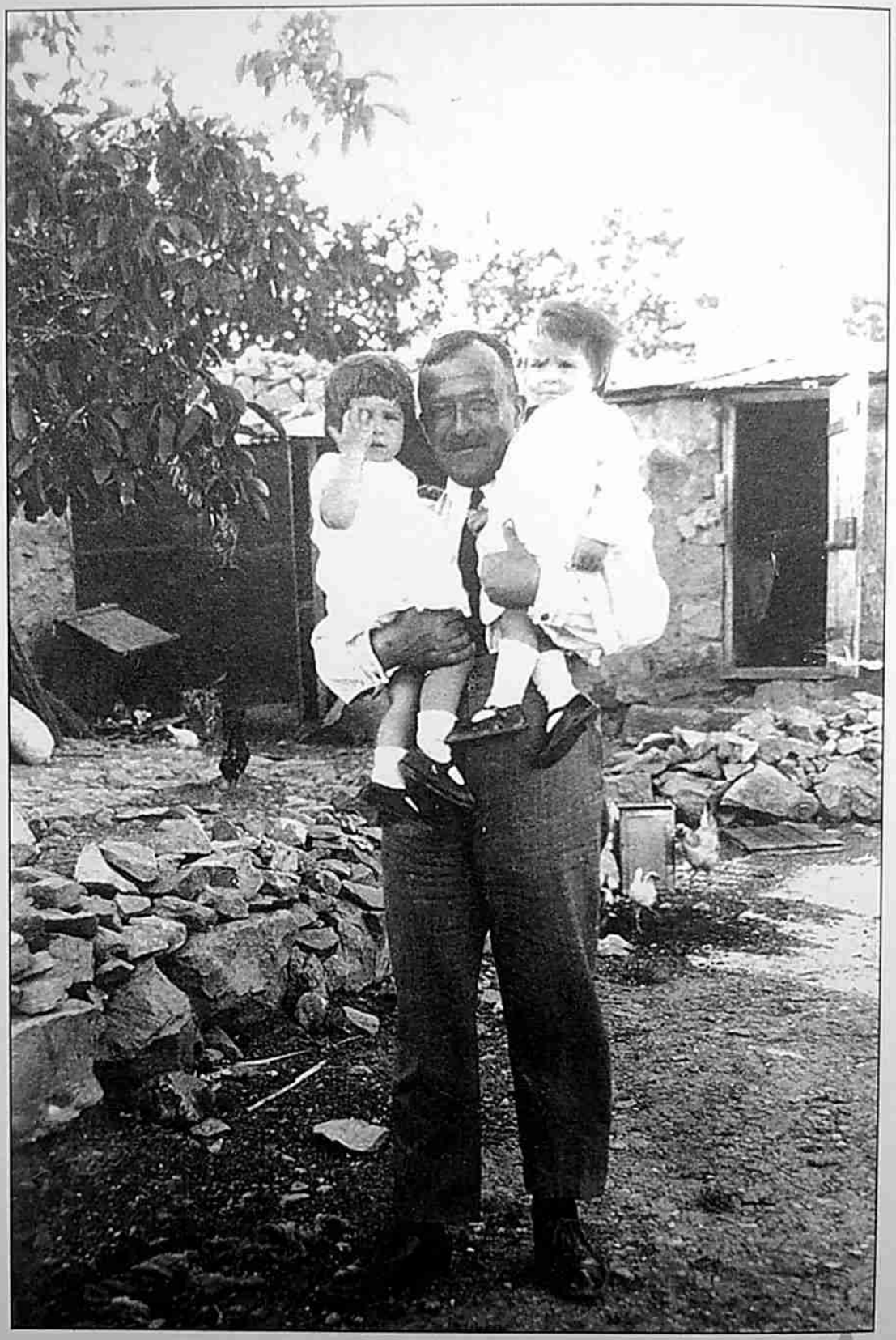

السكاكيني مع هالة ودمية. (مجموعة عائلة السكاكيني)

الفهرست

أسماء الأعلام

«أ»

الامير/الملك فيصل ، ١٤، ٢١، ٣٥، ٣٦، ٣٨ ، ٤١، ٥٤، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٩، ٧٣ ، ٧٨، ١١٤، ١٢٨، ١٤٠، ١٤٣، ١٦٣، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٠، ١٨١، ١٨٦، ١٩١ ، ١٩٢، ١٩٥، ٢٦٦

الجنرال ستورس ، ١١، ١٥، ٦٢، ٦٦، ٦٨، ٧١، ٩٨، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٩، ١٧٠، ١٧٢، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٤،

الجنرال مني ، ١٩، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ١٠٦، ١٠٨ ، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١٣٣، ١٣٥، ١٩٩، ،

الكابتين لو / Capt Law، ١٢٤، ، ١٤٨ ، ١٧٣، ٢٢٣،

جورج السكسك ، ٩٨، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٣

مس كار ، ١٥٨، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٩، ١٨٨، ،

Cape Camp/ كامب ، ١١٢، ، ١١٣، ١٧٣

Capt. Jopling، ٩٤

Capt. Millis، ١٠٧

Col.Cryekton، ٩٤، ٩٧

Miss kerr، ١٥٧

Mr jackson henning، ١٥٣

Mr yale، ١٠٧، ١٥٣

Wiliam Morris، ٥٩

ابراهيم ابو الهدى ، ٧٨، ٨٠

ابراهيم النجار ، ٢٦٤

ابراهيم باز الحداد ، ١٥٨، ٢٠٣، ٢٣١، ٢٣٣

ابراهيم سعيد الحسيني ، ٦٨، ، ١٦٤، ١٧٥

ابراهيم شماس ، ٥٥، ٧٢، ١٣٢، ١٤٢ ، ١٦٩ ، ١٧٦، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٥

ابراهيم عبد الهادي ، ٥٦

ابن مسكوية ، ١١٨

ابو الحسن ، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤

ابو الفضل/ اسعاف النشاشيبي ، ٥٤ ، ٥٨، ٦٠ ، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٨، ٨١، ٨٢، ٨٤ ، ١٠٥، ١٠٩، ١١٠، ١١٧ ، ١١٨، ١٢٣، ١٢٤، ١٤١، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٨، ١٨٩، ١٩١ ، ١٩٤، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢

ابو بترو ، ١٠١

ابو جميل ، ٥٨، ٦٨، ٧٣، ٧٥، ٨٠ ، ٨٥، ٨٩ ، ٩٥، ٩٩، ١٠١، ١٠٣، ١١٦، ١٣٢، ١٣٤ ، ١٥٩ ، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٩، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٧، ٢١٠، ٢١٣ ، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٨، ٢٤١

ابو داود ، ١١٣، ، ١١٤، ١٣٤، ١٨٩، ١٩٧

ابو سليم ، ١٩٣، ٢٣٩

ابو منتورة ، ١٠١

ابو نادر ، ٢٣٨

احمد الخالدي ، ١٩٤، ١٩٥، ٢١٠، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣٨
احمد الصوراني ، ٥٦
احمد زكي ، ٢٤٩
احمد سيف الدين ، ٥٦
احمد صفوت ، ١٦٩، ٢٣٨
احمد لطفي السيد ، ٢٦
اديب ، ١٦٨
اسحق افندي البديري ، ١١٣
اسحق الموقت ، ٢١٥
اسحق درويش ، ١٢٢
اسكندر الخوري ، ١٥٨
اسكندر تماري ، ٢٣٨
اسكندر طرزي ، ١٩٧
اسكندر منسي ، ٥٦، ٧٣
اسكوهي ، ٣٨
اسكويث ، ١٥٤
اسماعيل القنبور ، ٢٢٢
اسماعيل بك الحسيني ، ٧٢، ١١٢، ١١٣، ١١٩، ١٢٣، ١٣٣، ١٤١، ١٥٩، ٢٠٣
اسماعيل حقي الحسيني ، ٥٥
اسماعيل رصاص ، ٢١٣
اسماعيل صدقي ، ١٠٣
اشيل شبلي ، ٢٣٨
اشيل صقيلي ، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٤٥، ٨٠، ٨٢، ١٠٤، ١٦٩، ١٧٠، ، ١٩٧، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣١
افتيم عبده ، ٢٣١، ٢٤٢
افتيم مشبك ، ١٥٨، ٢٣١، ٢٥٢
افيمبوس ، ٥٢
الارشمندريت تيموثاوس ، ٨١، ٢٢٦
الاسرة الخديوية ، ٢٣٢
الآنسة دكسن ، ١٢٤
البطريرك داميانوس ، ٦٢، ، ١١١
الترليفين ، ١٣٧، ، ١٦٠، ١٦٣، ٢٠١، ٢١٣
الجرجاني ، ٦٣
الحاج امين افندي الحسيني / المفتي ، ٤٦، ٤٨، ٥٣ ، ٥٤، ٦٠، ٦٢، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٢ ، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١١٢، ١١٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٨، ١٧٠، ١٧٤، ١٨٤، ٢٠٥، ٢١٧ ، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٦٢
الحاج حيدر عبد الهادي ، ٥٦
الحاج سعيد الشواء ، ٥٦، ١٤٦، ١٦٠، ١٦٧، ١٧٨، ١٧٩
الحاج فائق الدجاني ، ٥٤
الحلو ، ٢١٤، ٢١٦
الخواجا سفير الاسرائيلي ، ٦٦، ، ٧٢
الخواجا عبري ، ٢١٣، ٢٢٠
الخواجا مغبغب ، ٨٢
الخواجا ميخائيل القزاز ، ٨٥
الدكتور وديع باز حداد ، ٢٣٣، ٢٦٣
السي مرهج ، ٣٨
السيخ محمد صالح ، ١١٩، ١٩٦
الشريف حسين ، ٩، ، ١٠، ١٢
الشيخ ابراهيم الدنف ، ١٩١

الشيخ امين الانصاري ، ١٢٢
الشيخ حسام الدين جار الله ، ٥٥، ، ٥٨، ٧٢
الشيخ حسن ابو السعود ، ١٧٨، ١٨٥، ٢١٦، ٢١٧
الشيخ راغب الدجاني ، ٥٦، ، ٧١، ٧٣، ٧٥ ، ١٢٣
الشيخ سعيد الخطيب ، ٥٤، ، ٧١، ١١٩، ١٧٨
الشيخ سليمان الناجي ، ١٨٠
الشيخ طاهر ابو السعود ، ٥٤، ، ١٤٢
الشيخ عز الدين القسام ، ٢٦٢
الشيخ موسى البديري ، ٥٥، ، ١١٢، ١٨٠
الطبيب توفيق باز ، ٨٢، ٢٣٣، ٢٣٩
الفرد موند ، ١٦
القاضي العوري ، ٢٢٠
الكابتين متسن ، ١٤٨
الكسندرا حنانيا ، ١٢٢
الكولونيل ووترس تيلر ، ١٩، ٤١، ٤٨، ٥٢، ٥٤ ، ٥٩، ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٦٩، ٧٢، ٧٣، ٧٤ ، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٢، ٨٦، ٩٠، ٩٢ ، ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣ ، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠ ، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦ ، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٧٣، ١٩٨، ٢٠٦، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٤
اللنبي ، ٩، ١٦، ٢٩، ٨٦، ١٠١، ١٠٣، ١١٧ ، ١٢١، ١٣٣، ١٤٧
الماجور ريتشموند ، ١٣، ٤٨، ٥٠، ٥٣، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٦، ٦٨، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٨٥، ٨٩، ٩١، ٩٧، ١٠٣، ١٠٤، ١١٥، ١١٧، ١٢١، ١٢٢، ١٢٦، ١٣٧، ١٤٠، ١٦١، ١٦٢ ، ١٧٢، ١٩٨
الماجور لك ، ١٥، ٩٠, ٩٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١١، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠ ، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٩، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٤
المتنبي ، ١٥٨، ، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٢، ١٨١ ، ٢٠٢، ٢٦٥
المفتي عبد السلام باشا ، ١٤١
الملك حسين ، ١٦٣، ٢٦٢
الملكة هيلانة ، ٥٢
النبي داود ، ٢٨،
النبي صموئيل ، ٨٢
النبي عيسى ، ٢٠
النبي محمد ، ٢٠
النبي موس ، ١٤، ٢٠، ٢١
النعمان بن المنذر ، ١٩٥
الياس السلفيتي ، ٥٠
الياس العيساوي ، ٢٣٨
الياس حلبي ، ١٥٨
الياس دعدس ، ٥١
الياس شدياق ، ١٨٥
الياس طرزي ، ٦٠، ٦٦، ٦٨، ٢٣١
الياس علام ، ٢٥٢
الياس مشبك ، ٥٥، ٨٥، ١٤٢، ١٤٤، ١٩٦

الياشار ، ١٩٦
ام الحسن ، ٢٤٣
ام توفيق ، ٢٥٢
ام جليل ، ١٣٤، ١٦٤، ١٧٠
ام سليم ، ١٩٣
ام عبد الله تماري ، ٢٣٨
ام عيسى ، ٢٣٩
ام يعقوب ، ٢٤٠
اميل ، ١٦١
اميل العيساوي ، ٢٣٨
اميل تماري ، ١٦٠، ١٦٢
امين الريحاني ، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢،
امين صيداوي ، ٢٣٩
امين ناصر ، ٥٠
انستاس ، ٢٣٣
انضوني الغوري ، ٥٥، ١١٣، ١٩٥، ١٩٦
انطوان مشبك ، ٣٩، ٢٢٥
انطون جلاد ، ٤١، ١٩٤
انطون جلال ترجمان ، ١٥٩
انظوني الحلبي ، ١٥٨
انيسة معلوف ، ١٦١، ٢٤٦، ٢٥١،
اوفنس ، ٣٨
ايفون مشبك ، ٢٢٤، ٢٢٥
ايكور ، ١٦١
ايليا ، ١٩٣
اينر ، ٢١٥، ٢١٦
ايوب كسميد ، ١٤١
آدم ، ٢١

«ب»

باسيل برامكي ، ٢٥٢
بترو خميس ، ١٣١
براين ، ١٥٤
بربارة ، ١٣٢
برتقش ، ٢٣٨
بسيسو ، ١٧٨
بشارة حبيب ، ٤٥، ١٣٨، ١٣٩
بطرس الحلاق ، ٥٥، ١٣٩، ١٤٢
بلفور ، ٩، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩
بنويتش ، ١٨، ٢٣
بوانكارية ، ١٥٤
بولاق ، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١
، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٢، ١٦٣،
١٦٨، ١٦٩
بولز ، ٢٢٣
بولزفو ، ١٩
بولس شحادة ، ٢٠٣
بيت عبده ، ٨٥، ٢٢٠، ٢٢١
بيكو ، ٩
بيل ، ١٤٨، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٩

«ت»

تافت ، ١٥٤
تحسين الخالدي ، ٢١٥، ٢١٦
تدمن ، ٤٣ ، ٩٠ ، ٩١، ٩٥، ٢٠٢، ٢٠٣،
٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٨،
تشرشل ، ٢٠، ٢١
تودر قريطم ، ١٠٣

توفيق ابو السعود ، ٢١٣
توفيق اسكندر ، ٢٤٩
توفيق الغصين ، ١٨٠
توفيق باز الحداد ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ٢٦٥
توفيق بك ، ٧١
توفيق جوهرية ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ١٣٢ ، ٢٢١
توفيق حماد ، ٧٥

«ج»

جبرائيل ابو فاضل ، ٢٣٨ ، ٢٥٥
جبران كزما ، ٧٥
جرجر الحمصي ، ٥٩
جرجى البيضاء ، ٥١
جرجي /خال السكاكيني ، ٢٤٢
جرجي الحمصي ، ١٣٧
جرجي خميس ، ١٦٠
جرجي قرط ، ١٨٩ ، ١٩٩
جرجي متى ، ١٤٠
جرجي مشحور ، ١٤١
جريس القسيسية ، ٥١
جريس فاشة ، ١٤٥
جليل عبد المسيح الموصلي ، ١٨٥
جمال باشا ، ٧١
جميل الحسيني ، ١٧٨
جميل الزنانيري ، ٢٠٥ ، ٢٠٨
جميل الشهابي ، ١٨٥
جوبلنك/ طبيب الاسنان ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١١٩ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٥٢
جودت القندوس ، ٦٠
جودت النشاشيبي ، ١١٤ ، ١٤١
جورج /خال السكاكيني ، ٥١ ، ١٣٢ ، ١٤٤ ، ١٩٣ ، ١٩٧
جورج حبيقة ، ٢٤٩
جورج خميس ، ٣٩ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١١٦ ، ١٣ ، ١٧٤ ، ١٩٥ , ٢٠٩ ، ٢١٤
جورج سعيد ، ١٥٩
جورج متي ، ٢٢٦
جورج مشبك ، ٢٢٥
جورج يعقوب الحلبي ، ٨٦

«ح»

حافظ كنعان ، ١٢٢ ، ١٢٣
حبيب الخوري ، ٢٣٨ ، ٢٤٢
حداد بك ، ٧٣
حربي الايوبي ، ١١٧ ، ١٤٦
حسن البديري ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٤
حسن التونجي ، ٢٢٢
حسن الخالدي ، ١٦٠ ، ٢١٣
حسن الدجاني ، ٧٨ ، ١١٤ ، ١٧٨
حسن بك الترجمان ، ١٢١
حسين افندي سليم ، ٦٢
حسين عويضة ، ٢١٥ ، ٢٢١
حلمي افندي الفتياني ، ٢٦٠
حلمي الحسيني ، ١٠١ ، ١٤٠ ، ١٦٩ ، ١٧٥
حمدي الحسيني ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٣٨ ،
حنا / ابن اخ السكاكيني ، ١٤٥

حنا ابن خالة خليل السكاكيني ، ٢٣١، ٢٦٠، ٢٦١
حنا اسطفان ، ٧٣، ، ١٤٤، ١٥٩، ١٩٥
حنا ايوب ، ٥٥
حنا حمامة ، ٣٩، ٥٨، ٨٥، ٩٥، ١١٦، ١١٧
، ١٦٠، ١٧٤، ٢١٥
حنا ياسمينة ، ١٤٤، ٢١٥
حنة ، ١٣٤، ١٣٧، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤

«خ»

خليل افندي النشاشيبي ، ٤٥
خليل بيدس ، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٧
خليل جوهرية ، ٢٢١
خليل طرزي ، ١٩٧
خليل طوطح ، ٢٠٥
خليل فرح ، ٢٣٨
خليل مطران ، ٢٧
خميس ، ١٢٨

«د»

د . احمد ضيف ، ٢٤٩
د . احمد قدري ، ١٧٠، ١٩٨
د . بسكال ، ١٤٨
د . توفيق حداد ، ٣٨، ٤٢، ٤٣، ٢٤٩، ٢٥٠
، ٢٥١، ٢٥٥
د . دكراني ، ٢٥٠
د . سبور ، ٤٣
د . شاهين ، ٢٦٣
د . صروف ، ٢٤٥
د . طنوس قعوار ، ٨٤
د . كلابيان ، ١٥٨
د . كنعان ، ١٥٨
د . منصور فهمي ، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٩
د . نسيبة ، ١٢٥
د . ويلسون ، ١١٧
د .دعدس ، ٢٢١
د .زكي ابو سعود ، ٤٦، ٤٨، ٥٤، ٧٠، ٧٨
د .طه حسين ، ٢٤٩
د .كدواني ، ٢٦٠، ٢٦١
داروين ، ١٤٦
داود ، ١٣٢
داود الصيداوي ، ٢٣٨
داود الفتياني ، ٢١٥
داود شقير ، ٢٣٨
دميان برامكي ، ٢٣٨، ٢٥٢، ٢٥٥
دمية ، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧
ديب ، ١٢٠

«ر»

راحيل ، ١٣٨، ، ١٣٩، ١٤٧
راغب افندي العفيفي ، ١٠١
راغب الخالدي ، ٢٢، ٢٤٢
راغب بك النشاشيبي ، ٢٦، ٩٦، ١٠١، ١٠٢،
١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣
، ١١٤، ١١٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣،
١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧
، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٧، ١٤٨،
١٥٩، ١٦٠، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٤، ١٨٥
، ١٩١، ١٩٢، ٢٢٠، ٢٦٤
رامز النمر ، ٥٦

رستم بك حيدر ، ٦٢
رشدي الامام ، ٥٤، ١١٠
رشدي الشوا ، ١٤٦
رشيد الحاج ابراهيم ، ٥٦، ٧٣
رشيد بك ، ٧١
رشيد رضى ، ٤٣
رفيق التميمي ، ١٩٨
رفيق العظم ، ٤٣
رمزة فيعاني ، ١٢٦، ١٣٢
رنيية اشيل ، ٢٢٥
روتشلد ، ١٨٤
روتنبرغ ، ١٨، ٢٠
روزفلت ، ١٥٤
روزيتا فوريس ، ٢٤
رينولدس ، ١٦٨

«ز»

زغيب ، ٢٠١
زكي نسيبة ، ١٧٧
زنكويل ، ٢٢
زهدي العلمي ، ٢٢٢
زهير الشهابي ، ٢١٣
زين العابدين افندي ، ٦٢، ٧٨، ١٦٨

«س»

سابا /خال السكاكيني ، ٢٤٠
سابا دعدس ، ٥٠، ٩٦
سابا عبده ، ٢١٤،
سارة ، ١٩٣
سايكس ، ٩، ٧٢، ١٥٨
ستورس ، ٩٠، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠
سري ، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٥٠، ٥٣، ٦٦، ٨٢، ٨٥، ٨٧، ٩١، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٩، ١١٤، ١١٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٧، ١٣١، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥، ١٥١، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٦ ، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥
سعد الدين الخليلي ، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦
سعد زغلول ، ١٠٣، ١٢١
سعيد افندي الحسيني ، ٧٥، ١٠٦، ١١٢، ١١٣، ١٢٣، ١٤١، ١٥٩، ١٧٣، ١٧٧، ١٩١، ١٩٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١٠
سعيد درويش ، ٢١٦، ٢١٧
سعيد عموق ، ٢٠٩، ٢١٠
سعيد نمر ، ٥٤
سكوت ، ٢١٩
سلافا ، ٢٢٥
سلامة حمارنة ، ١٥٧
سلطانة ، ٤٢، ٤٥، ٥٠، ٥٣، ٨٥، ٨٩، ٩٥

، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٧،
١٠٩، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٧، ١٣١
، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤١، ١٤٢،
١٤٤، ١٤٥، ١٥١، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢
، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٥،
١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٠
، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٣،
٢٣١، ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٦
، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٦
سليم افندي قبعين ، ٢٣٨، ٢٦١، ٢٦٤
سليم الخوري ، ١٤٧
سليم الصائغ ، ٢٥٠
سليم ايوب ، ٥٥
سليم سركيس ، ٢٠٩، ٢٣٨، ٢٤٩
سليم عبد الرحمن ، ٧٨، ٨٠
سليمان ، ١٣٢
سليمان الحسيني ، ٢١٤
سليمان ناصيف ، ١٦٩
سمعان كتوعة ، ١٩٣
سميراميس ، ١٦٩، ١٧٠
سندوريس ، ١١٧
سوندرس ، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٠، ١٤١

«ش»

شابيرا اليهودي ، ٢١٥
شريف النشاشيبي ، ١١٤، ١١٧، ١٤١، ١٤٨،
١٧٧، ٢٠٥، ٢٢١
شطاحي ، ٢٠١
شفيق ، ٢٤٢
شكري التاجي ، ٥٤، ٧٠
شكري الجمل ، ١٦٠
شكري الحرامي ، ٢٢١
شكري الكارمي ، ٥٥، ٧٣، ١٤٢
شكري الناجي ، ١٨٠
شكري جميل ، ٨٥، ١١٣
شكري ديب ، ٦٨، ٨٥، ١١٨، ١٢٧، ١٤٤،
١٦١
شكري فيعاني ، ١١٦، ١٣١، ١٣٢
شكري مرّي ، ١٦٩
شكسبير ، ١٤٦

«ص»

صبحي، ٥٨ ، ٦٨، ٧٥، ٨٥، ٨٩ ، ٩٥, ٩٦،
٩٧، ٩٩، ١١٦
صبحي افندي عويضة ، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤،
١١٣، ١١٤، ١١٧، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٧، ١٣١
، ١٣٢، ١٤١، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٩، ١٧٤،
٢١٧، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٤٢
صبحي خضرا ، ٢٠٩، ٢١٠
صفوت بك ، ٢٥٥
صلاح الدين الصفدي ، ٧١
صليبا الجوزي ، ١٤٥
صليبا القندلفت ، ٥١

«ط»

طالب افندي الريس ، ١٦٢
طاهر الخالدي ، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٥

«ع»

عادل جبر ، ٣٩، ١٨٩، ١٩٦، ٢٠٩، ٢١٠

عارف افندي البديري ، ١٦٣
عارف الجاعوني ، ٢٢٢
عارف العارف ، ٥٢، ٢١٦، ٢١٧
عارف باشا الداودي ، ٣٨، ٤٦، ٤٨، ٥٣، ٥٤ ، ٧١، ٧٣، ١٠٥، ١٤٣، ١٧٧، ١٨٠، ٢١٧
عارف باشا الدجاني ، ١٢٣، ١٤١، ١٤٢، ٢٠٣
عبادي وليرماس ، ١٦٠
عبد الحميد افندي ابو غوش ، ٥٣، ٧٣
عبد الرحمن شاهبندر ، ٤٣
عبد الصمد العلمي ، ٦٠، ٦٨
عبد الفتاح درويش ، ١٧٩، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٧
عبد القادر الشهابي ، ١٩٦
عبد القادر العفيفي ، ٥٥
عبد القادر العلمي ، ١١٩
عبد القادر المصغر ، ٨٠
عبد القادر المظفر، ٩٧، ١٠١، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٤، ١٣١
عبد القادر طهبوب ، ١٤٣، ١٧٧
عبد القادرالمغربي ، ٦٢
عبد الكريم ، ٢٩
عبد المجيد ابو غوش ، ٢١٣
عبد المعطي الداودي ، ١٧٧
عربيد / اسم كلب ، ٢٢٤، ٢٢٥
عزت دروزة ، ٥٦، ٧٥، ١٢٢، ١٢٣، ١٦٩
عزيز جمل ، ٢٦٤
عزيز الخالدي ، ٦٠، ٨٤، ١٤٥
عطا الله اثناسيوس ، ٨٢
عفيفة ، ٤٢
علي افندي جار الله ، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٩، ١٤١ ، ١٥٩، ١٧٧
علي الريماوي ، ١٥٨
عمر افندي ، ٥٣، ١٦١، ١٦٢، ٢٤٠
عمر الزعني ، ٥٤، ، ٦٠، ٨٢
عمر بيطار ، ١٢٦
عمر عامر ، ٢١٣
عوض عبد الله ، ٢١٣
عيسى العلوشية ، ٥٠
عيسى العيسى ، ٢١، ١٤٤، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢ ، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٤٢، ٢٦٠، ٢٦٤
عيسى عوض ، ١٧٩
عيسى محفوظ ، ٢٣٨

«ف»

فؤاد العفيفي ، ٢٠٦
فؤاد النشاشيبي ، ١٧٥
فاينكهام ، ٣٦
فخري الحسيني ، ٥٤، ١٩٦
فخري النشاشيبي ، ١١٤، ١٤١، ١٤٥، ١٤٨، ١٨٥
فخري عاصم بك ، ١٦٠
فدوى ، ١٥٧، ١٩٢، ١٩٣، ٢١٣
فراج ، ١٠٢
فراجي ، ١٩٢
فرج ، ٢٣١
فرج الله ، ٤٢، ٨٠، ٢٦٤
فرج شقير ، ٢٣٨

فرح حلبي ، ٢٣١
فرنسيس ، ٤١
فرهود فريان ، ١٥٨
فرهود / اسم كلب ، ٥٢
فروسو ، ٥٠، ، ١٣٢، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٥
فريدة ، ٢٣٨، ٢٦١
فكتوريا عدس ، ٢٣٨، ٢٥١، ٢٥٥
فلاديمير ، ١٦١
فلمنك ، ١٤٨
فهمي النشاشيبي ، ٥٤، ١١٩، ١٤٨، ١٩٤
فيضي افندي العلمي ، ٤١، ، ٥٣، ١٧٧،

«ق»

قسطاطي افندي سابا ، ١٠٢، ١١٤، ١٤٧، ٢٥١، ٢٥٥
قسطاكي سابا ، ١١٩، ١٣٩، ١٨٥، ٢١٥، ٢٦١
قسطندي الخوري ، ١١٨، ١٣٤، ١٤٦، ١٧٠
قسطندي دعدس ، ٥٠
قسطندي لباط ، ١١٦

«ك»

كاتي / معلمة سلطانة ، ٩٦
كاتينكو ، ٨١
كاربتين ، ١١٧
كاظم باشا الحسيني ، ٢٢، ١١٢، ١١٣
كالبسو ، ٢٣١
كامل البديري ، ٢١٧
كامل القصاب ، ٢٦٢
كامل بك صوايا ، ١٢٢، ١٣٩، ١٤٨، ٢٥٠
كايو ، ١٥٤
كتشنر ، ٨٤
كريتين، ٩٠ ، ٩٤، ٩٦، ١٠١، ١٠٧، ١١٩، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٩
كريكوا ريان ، ٣٨، ٨٠
كلسي ، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٥
كلمنصو ، ١٤، ٨٤، ١٥٤
كمال الدين عرفات ، ٥٦
كمب ، ١١٩
كنيروفتش ، ١٦٠
كوك ، ١٩٦
كولنس ، ١٧٤
كيتي سابا عبده ، ٢١٣
كيد ، ١٣٣

«ل»

لازرس الارمني ، ١٣٧
لامبرت ، ٨٦، ٨٩، ٩٢، ٩٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٧٤
لبيب حداد ، ٢٣١
لبيبة ، ١٥٧، ١٩٢، ١٩٣، ٢٣٨، ٢٦٠، ٢٦١
لطفي ابو صوان ، ٥٥، ١١٢، ١٣٧، ١٤٢، ١٩٦
لفتننت بنت ، ٣٨، ٤٦، ٥٣، ٦٦، ٦٨، ٧٣، ٧٥، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٩، ٩٢، ٩٤، ٩٦، ٩٩، ١٠١، ١٠٧، ١١٢، ١١٣، ١١٤
لويد جورج ، ١٦، ٨٤، ١٢٤، ١٢٦، ١٥٤

«م»

ماجد بك ، ٧١
مار جريس ، ٢١٩
مارتن / قسيس الكنيسة الانكليزية ، ١٥٢، ١٥٨، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٩

، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ١٩٥
ماري بنت فروسو ، ٢٤١، ٢٤٢
ماري حنانيا ، ١٢٢
متري / ابن خالته ، ٩٦، ١١٦، ١٢٤، ١٢٧،
١٣٨، ١٣٩، ١٦١، ١٧٦، ١٨٩، ٢١٠، ٢٢٠
، ٢٣٩، ٢٥٠
متري ابن عم متري المني ، ٥٠
متري المني ، ٥٠، ، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١١٤
متري تادرس ، ١٧٤، ، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٥
متري سلامة ، ٥٩، ، ١٣٧، ١٨٦، ١٩٦، ١٩٧
متري فراج ، ٢١٥
متيا ابو صوان ، ١٩٤، ١٩٦
محفوظ ، ٢٠٥
محمد الامام ، ٩٨، ٢٠٣
محمد الباسل ، ١٠٣، ٢٤٥
محمد العسلي ، ١٢٥
محمد بيدس ، ٥٦
محمد رستم حيدر ، ١٩٨
محمد علي الطاهر ، ٢٩، ٢٣٨، ٢٥٠، ٢٥١،
٢٥٢، ٢٥٥
محمد محمود ، ١٠٣
محمد يوسف الخالدي ، ١٦٠
محمد يوسف الخطيب، ٣٨، ٥٤، ٥٩، ٦٠ ،
٦٨، ٧٠، ٧٨، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ١١٧، ١١٩
، ١٧٨
محمد يوسف العلمي ، ٣٨، ، ٥٤، ١١٢، ١١٩
، ١٢٤، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٨، ١٨٥، ١٩٧، ١٩٩
محمود الدباغ ، ٢٢٢
محمود راغب الحسيني ، ١٤١
محمود صالح ، ٤٢، ١٩٠
محمود عزيز الخالدي ، ١٩٦
مدام بير اليهودية ، ٢٦٥
مري ، ١٧٤
مس ردلر ، ٤٦، ٤٩، ٥٣، ٥٩، ٦١، ٦٦، ٦٨
، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٨، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ٨٥،
٨٦، ٨٩، ٩٢، ٩٣، ٩٤
مستر اسكويث ، ٨٤
مستر اشبي ، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٩، ٩٢، ٩٣،
٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٧
، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٣٤، ١٣٦
، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٥١
، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٩
، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠
، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦
مستر دكسن ، ١٢٤
مستر همند ، ٧٣
مسس تيلر ، ١٠٤، ١٠٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩
مسس ملز ، ١٢١، ١٢٢
مسسس واي ، ٧٣، ١١٨، ١٦٨
مشبك الصغير ، ٢٢٤، ٢٢٥
مصطفى الخالدي ، ٢١٣
مصطفى عبد الرازق ، ٢٣٨، ٢٤٩
مصطفى عبد الهداي ، ١٦٣، ١٦٤
معاذ الخالدي ، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦
معروف الرصافي ، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٤،
٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٣،

معلوف ، ١٢٦
مكاريوس ، ١٤٧
مكماهون ، ٩
ملز ، ٩٠، ١٠٤، ١١١، ١٢١
منكساكي ، ٢٢٥
موريس بكري ، ١٤٧، ١٦٨
موسى العلمي ، ٣٩، ٥٤، ٥٨، ٦٨، ٧٣، ٧٥
، ٨٥، ٨٩، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٣، ١١٤
، ١٢٢، ١٢٣، ١٣١، ١٣٢، ١٤٥، ١٦٠،
١٦٤، ١٦٩، ١٧٢، ١٩٠، ١٩١، ٢٢٣
موسى شفيق الخالدي ، ١١٩، ١٢٤، ١٧٧،
موسى فرج الله ، ٢٠٠، ٢٥١
موسى كاظم باشا ، ١٠٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٣،
١٥٩، ١٩٤، ١٩٦
ميخائل طليل ، ١٣١
ميخائيل الساعاتي ، ٥٠
ميسن ، ١١٧
ميشيل بك لطف الله ، ٤٣، ٢٤٥
ميليا ، ٥٤، ٥٨، ٦٨، ٧٥، ٨٩، ٩٥، ٩٦،
٩٩، ١١٦، ١٢٢، ١٢٣، ١٣١، ١٣٧، ١٣٨،
١٤١، ١٦١، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٥، ١٩٧،
٢١٠، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤
، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣،
٢٤١، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤
ميوحاس ، ١٩٥، ١٩٦

«ن»

نابليون ، ١٨٦
ناصر جمل ، ٢٣٨، ٢٦٤
نافع العبوشي ، ٥٦
ناو ، ٢٦٥
نبوخذ نصر ، ٢٧، ٢٨
نجلاء /خالة سري ، ٢٦٤،
نجلاء معلوف ، ١٣٢
نجيب ابو صوان ، ١٧٣، ١٧٤
نجيب بن حنة ، ٢٦٤
نجيب شاهين ، ٢٣٨، ٢٦١
نخلة زريق/ استاذي ، ٨٥، ١١٣، ١١٨، ١٢٠
، ١٢٢، ١٣٢، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٥١،
١٥٩، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٤، ١٨٥، ١٩٠ ،
١٩١، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٥، ٢١٣، ٢١٥
، ٢٢٠، ٢٣٨، ٢٤٩، ٢٥٦
نخلة كتن ، ٥١، ، ١٦٠
نزار ابو السعود ، ٢٠٦
نستاس ، ٢٣٩
نسيم ملول ، ٢٢
نصري صفير ، ١٩٣، ٢١٣
نصري فيعاني ، ٦٠
نعوم شقير ، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٦١، ٢٦٣
نقولا برامكي ، ٢٥٠
نقولا حداد ، ٢٦٣
نهاد نمر ، ٢١٣
نوري السعيد ، ١١٤، ١١٧
نيقولا ، ١٦١

«هـ»

هالة ، ٢٦٦، ٢٦٧
هربرت سبنسر ، ١٤٦

هربرت صموئيل ، ١٥، ١٨، ٢٧، ٢٨، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٦٦
هرقل ، ٢٨
هيلانة السكاكيني ، ١٧٠

«و»

واصف جوهرية ، ٥٨، ، ٦٨، ٧٥، ١١٦، ١٣٢، ٢٢١
واصف غالي ، ٢٤٥، ٢٤٦
وايزمن ، ١٦
وديع الخوري ، ٢٠٦
وديع العيساوي ، ٢٣٨
وديع كنانه ، ١٨٦، ١٩٦
وطسن ، ١٩، ١٩٩، ٢٠١
ولسن ، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٥
وليرو ، ١٦٠
ونستون تشرشل ، ٣٥
وهبة شقير ، ٢٣٨
ويلسون ، ٨٦، ٨٩، ٩٢

«ي»

ياسين ابو السعود ، ١٧٧
يحي افندي الشهابي ، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٤
يعقوب الياهو ، ١٦٩، ١٩٥
يعقوب فراج ، ٥٥، ٧١، ٧٣، ٨٥، ٩٥، ١١٢، ١١٣، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٥، ١٣٦، ١٤٢، ١٧٣، ١٧٧، ١٩١، ١٩٦، ٢١٧، ٢٣٢
يعقوب/ ابن خالته ، ٩٦، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٦١، ١٧٦، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٧، ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢
يورك ، ١٤٨
يوسف افندي العيسى ، ٥٣، ٥٦، ٦٠، ٧١، ٧٥، ٢٠٠، ٢٠١
يوسف البينا ، ١٣٨، ١٣٩
يوسف بن حنة ، ٢٦٤
يوسف جابر ، ٢٠٥، ٢٣٨
يوسف فروجي ، ١٧٤، ٢٣٨
يوسف قرط ، ٥٥، ١٢٧، ١٣٢، ١٧٦
يوسف ميوماس ، ١٤٠
يوسف نجاها ، ٥١
يوسف/ اخ خليل السكاكيني ،٣٥ ، ٦٦، ٦٩, ٨٦، ٩٧، ١١٦، ١٦٨، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٠, ٢٠٦، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٥٧
يوف ابن لبيبة ، ٢٦١

أسماء الأماكن

«أ»

القطمون ، ٣٠

برالاناضول ، ٣٦، ٤١

ادارة العدلية ، ٤٣

ارمينيا ، ١٠٨، ١٢٦، ٢١٧

اريحا ، ٨٥، ٩٥، ١٢٧

اسبانيا ، ٢٩، ٨٤، ١٥٨

استراليا ، ٧٤

اسرائيل ، ١٠، ١٨، ٢٨، ١٨١

افغانستان ، ١٨٢

الاردن ، ٢٤، ٦٢، ١٩٨

الاستانة ، ٩، ٣٥، ١٢٦، ٢٣٣

الاسكندرية ، ١١٧

الاندلس ، ٦٧

البلقان ، ٦٧

البيرا / البيرة ، ١٦٢

الحجاز ، ٣٥، ٣٦، ٤١، ٤٣، ٧٦، ١٣٣، ١٣٤
، ١٤٢، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٤، ،

الحديقة البلدية ، ٢١٤

الحرم الشريف ، ١٨، ٢٦، ١٢٢، ١٢٦

الخليل ، ٥٧، ١٢٨، ١٧٧، ٢١٣، ٢١٤

الرملة ، ٢٧، ٥٦، ١٧٨، ١٨٠

السلط ، ٨٥

السودان ، ٢٦٠

السوق الجديد ، ٥١

الشيخ جراح ، ٥١

الطائف ، ٣٥

الطيبة ، ٢٢١

العراق ، ١٠، ١٤، ٣٥، ٤٨، ٥٨، ٨٤، ١٢٤
، ١٣٣، ١٧٦، ١٨٠، ٢٦٢

العروب ، ٥٣، ١٠٢، ٢٠٣

العقبة ، ٢٠٩

العمارة الالمانية، ٤٣، ٤٨، ٥٩، ٦٦، ٧٢، ٧٧، ٧٩
، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ١٠١
، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٩, ١١١, ١١٣، ١١٤
، ١١٦، ١١٧، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٣،
١٣٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٦٧

العمارة الروسية ، ٤٣، ٤٩، ٥٣، ٥٩، ٦٠, ٦٦،
٦٨، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٦
، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٩، ١٠٠، ١٠١
، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩، ١١٢، ١١٨
، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٦، ٢٠٥، ٢٠٩

القاهرة ، ٩، ١٥، ٢٩، ٣٠

القبيبة ، ٤٢

القدس ، ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٨، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٧
، ٢٩، ٣٠، ٤٥، ٤٨، ٥٠، ٥٠، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٧
، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٨، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٨، ٨٥، ٨٦
، ٨٩، ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥
، ١٠٦، ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٢
، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٥، ١٣٦
، ١٣٧، ١٤٦، ١٥١، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١
، ١٦٢، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٩

، ١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢
، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣
، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٦
، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٦٦
الكنيسة الكاثوليكية ، ٧٦
اللد ، ٥٦
المالحة ، ١٧٩، ٢١٣
المانيا ، ٣٦، ٣٧، ٤٦، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٧٤،
٨٤، ٩٧، ٩٨، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨، ١٢١،
١٣٥، ١٧١، ١٨٥، ١٨٨
المستعمرة الالمانية ، ٨٦، ٩٦
المسجد الاقصى ، ١٦
الناصرة ، ٧٥، ٩٣، ٩٥، ١٠٣، ١٠٦، ١١٣،
١١٦، ١٢٠، ١٣٣، ١٣٥، ١٧٠، ١٧٣، ٢٠٦
، ٢٤٤
النبي صموئيل ، ٥١
النمسا ، ٦٧، ١٠٤، ١٠٥، ١٨٥
الهند ، ٣٦، ٤٦، ٧٤، ١٢٢الولايات المتحدة
الامريكية ، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ١٣٥
اليونان ، ٢١، ٦٧، ٧٤، ١٠٨، ١٧١، ١٨٥،
٢٢٦
اميركا ، ١١، ١٤، ١٦، ٣٧، ٤١، ٤٦، ٦٠، ٦٤،
٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٨، ٨٤، ٨٥، ٩٧، ١٠٣، ١٠٨،
١١٢، ١١٧، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٨
، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٨، ١٦٩،
١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣
، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٥،
١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٢١، ٢٣١، ٢٤٥
انكلترا ، ١١، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٤، ٢٥، ٢٨،
٢٩، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٣، ٥٨، ٦٢
، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٨،
٨٤، ٩٢، ٩٤، ٩٨، ١٠١، ١٠٤، ١٠٨، ١١٢،
١١٤، ١١٥، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦
، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٥٢،
١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٩، ١٧١، ١٧٣
، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩،
١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠
، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٦٢
اوروبا ، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٣، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨،
٤٣، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥٦، ٥٩، ٦١، ٦٤، ٦٧، ٦٨
، ٦٩، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٩١، ١٠٥
، ١١٢، ١١٥، ١١٧، ١١٩، ١٣٥، ١٤٦، ١٥٣،
١٥٤، ١٥٥, ١٥٦، ١٧٤، ١٧٥، ١٨١، ١٨٣، ١٩٨،
٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٢١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٦٢
ايران ، ٨٤
ايطاليا ، ١٤، ٣٦، ٤٦، ٤٨، ١١٧، ١٤٦، ١٨٥
، ١٨٦، ٢٣١

«ب»

بئر السبع ، ١٤٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٩٠
باب الاسباط ، ٥١، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٨، ١٨٦،
٢١٠
باب الخليل ، ١٢٥، ١٥٢، ١٨٥، ٢١٤، ٢١٥،
٢٣٩، ٢٦٤، ٢٦٦
باب الساهرة ، ١٣٨
باب العمود ، ٤١، ٧٠، ١١٧، ١٤٠، ١٦٢، ٢١٦
باريس ، ٣٥، ٣٧، ٧٥، ٩١، ١٢١، ١٥٧، ١٨٠
برن ، ٣٥
بريطانيا ، ٩، ١٠، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧،

١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٩
، ٣٥، ٤٨، ٧٥، ١٠٣، ١١٠، ١٣٢، ١٨٠،
٢٠٣، ٢٦٢
بغداد ، ٣٥
بلاد الشام ، ١٤، ٨٥
بلجيكيا ، ١٨٥
بلغاريا ، ١٠٨
بناية الارمن ، ٢١٥
بورت سعيد ، ٩٨
بولاندا ، ١٧٨
بولونيا ، ٣٧، ٦٧
بيت اكسا ، ٥١
بيت فراج ، ١٠٢
بيت لحم ، ٥٣، ١١٦
بيروت ، ٥٦، ١٩٨

«ت»

ترعة/ قناة السويس ، ١٢، ١٤، ٦٤، ١٢٣، ١٧٥، ١٨٣
تركيا ، ٩، ١٠، ٢١، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٣، ٤٨، ٤٩،
٥٢، ٥٨، ٥٩، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٧٢، ٨٦، ٩٣، ١٠٨
، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٢، ١٧٠،
١٧١، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٧، ٢٣٣

«ج»

جبال القفقاس ، ٨٤
جبال طورس ، ١٢، ١٤، ١٢٣، ١٧٥
جبل الخليل ، ١٢٨
جبل الدروز ، ٣٦، ٦٢، ٧٦، ٧٨، ٨٠، ١٤٦
جبل الزيتون ، ٤٣، ٤٨، ٥٢، ٥٤، ٥٩، ٦٤، ٦٦،
٦٩، ٧٢، ٧٤، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٦
، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٢، ١٠٤
، ١٠٧، ١٠٩، ١١١، ١١٣، ١١٦، ١١٧، ١١٨،
١١٩، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥،
١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٦٧، ١٨٦، ٢١٨
جماعين ، ٥٦
جنين ، ٥٦، ٢١٨، ٢٢١

«ح»

حارة اليهود ، ٢١٤
حديقة الامة ، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٧
حزما ، ٥١
حمام ستنا مريم ، ٢١٠
حوران ، ٢٩، ٣٦
حيفا ، ٥٦، ٨٠، ١٣٥، ١٥٩، ١٧٣، ٢٠١

«د»

دار ابينا ابراهيم ، ١٣٢
دمشق ، ١٤، ١٥، ٢١، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٥ ، ٣٨، ٦٢
، ٧٣، ٧٨، ٨٤، ٨٥، ٩١، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١٢٤،
١٤٣، ١٤٤، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤،
١٧٦، ١٧٧، ١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩
، ١٩٠، ١٩١ ، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢
دير المصلبة ، ١٠١
دير غسانة ، ١٦٠، ١٦٢

«ر»

رام الله ، ٩٦، ١٦٢، ١٨٤، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣
روسيا ، ٩، ٤٩، ٦٥، ٦٧، ١٧١، ١٨٢، ١٨٥

«س»

سان ريمو ، ١٤
سربيا ، ١٨٥
سعد وسعيد ، ٥١
سلافيا ، ٣٧

سوريا ، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ٢١، ٢٤، ٢٨، ٢٩، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤١، ٤٣، ٤٦، ٤٨، ٥٨، ٦٠، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٨٠، ١٠٨، ١١٧، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٥١، ١٦٩، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٤٤، ٢٦٢، ٢٦٦
سويسرا ، ٣٥

«ص»

صربيا ، ٣٧، ١٠٨
صرفند ، ١٧٨
صيدلية الفيعاني ، ٢٦١
صيدلية المشحور ، ٢١٧
صيدلية خرستاكي ، ٢١٦

«ط»

طاحونة الهواء ، ٢٠٧
طبريا ، ٨٠، ١٧٣
طولكرم ، ١٩٣، ٢١٨، ٢٢١

«ع»

عكا ، ٩٣، ٢٢٢
عمواس ، ٧٣

«غ»

غزة ، ٣٠، ٥٦، ١٤٦، ١٦٠، ١٦٢، ١٧٧، ١٧٨
فرنسا ، ٩، ١٠، ١١، ١٣، ١٤، ٢٩، ٤٣، ٤٦، ٤٨، ٥٣، ٦٥، ٦٩، ٧٣، ٧٤، ٧٨، ٨٤، ٩٨، ١١٧، ١١٩، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٩، ١٧١، ١٧٤، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٩١، ١٩٢

«ف»

فلسطين ، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٨٠، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٩، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٣، ١٥١، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٦، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٢٣، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٦٦

«ق»

قبة الصخرة ، ١٢٦، ١٤٠
قبرص ، ١٩٧
قرية ابو غوش ، ٢١٥
قرية لفتا ، ٢١٧
قلقيلية ، ٢٢١
قهوة الصعاليك ، ٢٦٦
قهوة عيسى البطة ، ٢٦٤

«ك»

كبري/جسر الليمون ، ٢٤٩
كدا ، ٧٤
كنيسة / ديرابينا ابراهيم ، ٥٢
كنيسة الرسل الاثنى عشر ، ٥٢
كنيسة العذراء ، ١٢٢
كنيسة القيامة ، ١٨، ٥٢، ١٢٧، ١٣١، ١٣٢، ١٤٤

«ل»

لبنان ، ١٠، ٢٤، ٢٤٤
لندن ، ١٤، ١٩، ٢٨، ٩١، ٩٥، ١٥١، ١٥٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٦٢

«م»

مالطا ، ١٠٣
مأدبا ، ١٥٧
محلة المسلمين/ حارة السعدية ، ٥٠
محلة النصارى ، ٢١٧
محلة الوادي ، ٢١٧
مدرسة راتزبون ، ١٣٩
مراكش ، ٤٦
مستعمرة ملبس ، ٢١٥
مسجد الصخرة ، ١٦
مصر ، ١٨، ٢٢، ٣٠، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٢، ٤٣، ٤٥ ، ٤٦، ٥٣، ٦٠، ٦٣، ٦٥، ٧٤، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٢ ، ٨٦، ٩٦، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧ ، ١١٥، ١١٦، ١٢٠، ١٢١، ١٤٠، ١٤١، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٩، ١٩١، ١٩٩، ٢٠١، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٦٦
مطعم سليم ، ١٧٥
معهد النبي موسى ، ١٢٧

«ن»

نابلس ، ٢٩، ٥٦، ٧٥، ٩٣، ١٢٢، ١٨٠, ٢٠٧ ، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢١
نيويورك ، ٩١، ١٥٧

«هـ»

هيكل سليمان ، ١٦

«و»

وادي الجوز ، ٥١
وادي القلط ، ٢٢٧

«ي»

يافا ، ٢٢، ٥٦، ٧١، ٧٥، ٩٥، ٩٩، ١٠١، ١٢٣ ، ١٢٦، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٦، ١٨٥ ، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ٢٠٠، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣٤ ، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٦٠

صحف ومجلات

جريدة سوريا الجنوبية ، ٢٠٣, ٢٠٩
جريدة السياسة القاهرية ،٢٢
جريدة فلسطين، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٦١
جريدة الكوكب، ١٨٠
جريدة مرآة الشرق، ٢٠٣
جريدة الهلال، ٢٦٦
السلام، ٢٢
السياسة، ٢٦٦
الشورى، ٢٩
الكرمل، ٢٦
مجلة الجوزاء، ٢٠٧
مجلة المقتطف، ٢٦٦
مجلة الهلال، ٩٦
المورننغ بوست، ٢٣
المقطم، ٢٢ ، ٢٦٣
الاهرام، ٢٢

لا شك أن أكبر خطر على البلاد هي الحركة الصهيونية. إذا خيّرنا بين الاحتلال الأجنبي أو الاحتلال اليهودي، اخترنا الاحتلال الأجنبي لأن الأجنبي لا يتخذ بلادنا وطنا له، ومهما طال أمد الاحتلال فهو إلى أجل، ولا خوف منه على وطنيتنا، فإننا سنبقى وطنيين مع الاستقلال أو الاحتلال، وقد احتل الصليبيون قبل اليوم بلادنا نحو جيلين ثم رحلوا، كما احتللنا نحن الأندلس، وكما احتل الروس والألمان والنمساويون بولونيا، والترك البلاد العربية واليونانية والبلقان. وأما اليهود إذا جاؤوا بلادنا فإنهم ينازعوننا البقاء فيها ولا يخرجون منها، ولذلك لا بد من أخذ الأهبة واتخاذ كل ما نستطيعه من الأسباب والوسائل لدفع هذا الخطر، ولا واسطة لدفع هذا الخطر مثل الجامعة العربية، إذ يشترك العرب قاطبة في مقاومة الحركة الصهيونية، لا فلسطين وحدها.

١ شباط ١٩١٩

أعتقد أنه إذا قرّر مؤتمر الصلح أن تكون البلاد وطنا قوميا لليهود، فمهما اتخذنا من الوسائط لحماية حقوق الوطنيين الأصليين فلا بد أن يضطروا مع الزمان إلى الجلاء عن هذه البلاد.

يقولون: إن عدد الأهالي قليل جدا بالنسبة إلى الأرض، فلا يحق لهم أن يملكوا هذه الأراضي ولا أن يستثمروها، ولكن إذا كان عددنا قليلا اليوم فإنه قابل الزيادة، إما من الداخل، أي إذا تحسنت الأحوال وراعينا الأصول الصحية زاد النسل وقلت الوفيات، أو من الخارج، أي بانضمام غيرنا إلينا من أبناء العرب في البلاد كلّها .

فإذا أخذنا الأراضي المتروكة أو المهملة من قبل الأهالي فمعنى ذلك الحكم علينا بأن لا نزيد، وإذا زدنا فليس أمامنا إلاّ المهاجرة من هذه البلاد إلى غيرها. اليهود يحق لهم أن يزيدوا أما نحن فلا، وهذا حكم جائر...

ثم إن فريقا من الأهالي لا يملكون شيئا من الأراضي فماذا يكون حكمهم، هل يستطيعون أن يقفوا أمام تيار المهاجرة اليهودية؟ هل يستطيع الصانع أو التاجر أو غيرهما أن يناظرا الصانع أو التاجر اليهودي الذي لا يجيء إلى هذه البلاد ليعيش، ولكن ليبيد غيره.. إذا لم تكن هذه البلاد للعرب فلتكن للأمم كلها، وإذا لم تشاؤوا إلاّ أن تعطوها لليهود، فأعطونا حق الدفاع عن أنفسنا حتى نفنى عن آخرنا. ذلك خير من أن نموت موت الجبناء، موت الأذلاء...

١٥ آذار ١٩١٩
خليل السكاكيني